المؤلف الأكثر
مبيعًا في العالم

"ستؤرقك تقلبات الحبكة في هذه الرواية".
— واشنطن بوست

جيمس باترسون

الدفتر الأسود

وديفيد إليس

مكتبة ٦٨٦

ILH INTERNATIONAL LANGUAGES HOME

مكتبة | 686
سُر مَن قرأ

الدفتر الأسود

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٩

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لشركة بيت اللغات الدولية

ARABIC edition published by **International Languages Home**.
Copyright © 2019. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

Copyright © 2017 by James Patterson
This edition arranged through Kaplan/DeFiore Rights

العنوان: 39 شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية
تليفون وفاكس: 37811478 02 2+ - 35858900 02 2+
موقعنا على الإنترنت: www.languageshome-eg.com
صفحتنا على الفيس بوك: @ilh98
لمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: info@languageshome-eg.com

رقم الإيداع: **2018/23032** الترقيم الدولي: **978-977-827-023-5**

الدفتر الأسود

جيمس باترسون
وديفيد إليس

مكتبة | 686
سُر مَن قرأ

INTERNATIONAL LANGUAGES HOME
ILH
بيت اللغات الدولية

THE BLACK BOOK

JAMES PATTERSON
AND DAVID ELLIS

INTERNATIONAL LANGUAGES HOME
بيت اللغات الدولية

الجزء الأول

الوقت الحاضر

الفصل
١

أوقفت باتي هارني سيارتها الشخصية على بُعد مربعين سكنيين تقريبًا من وجهتها، وكانت الشوارع الضيقة مكتظة بسيارات دورية الشرطة، التي كانت مصابيحها العلوية تحدث فوضى من الألوان في ظلام الليل؛ فقد كانت هناك على الأقل عشرون سيارة شرطة.

نزلت باتي من سيارتها، ووضعت حول عنقها ذلك الشريط الذي تتدلى منه شارة المحقق وتستقر فوق قميصها القطني. كان الطقس باردًا على عكس المعتاد في أول أبريل، لكنّ باتي كانت تشعر بأن الجو حار للغاية.

عبرت باتي مربعًا سكنيًّا سيرًا على قدميها، قبل أن تصل إلى الشريط الأصفر الذي يطوق المكان، واتجه نحوها الضابط الأول ليمنعها من المرور، لكنه تركها تمر عندما رأى شارة المحقق التي ترتديها. لم تكن باتي تعرف ضابط الدورية، ولم يكن هو يعرفها أيضًا، وكان هذا أفضل.

ومع اقتراب باتي من مسرح الجريمة، كان العرق يلسع عينيها، وكان قميصها مبللًا بالعرق رغم برودة الطقس، وكانت أعصابها متوترة.

كانت باتي تعرف مكان المبنى السكني، حتى من دون أن تتبع ذلك الحشد من ضباط الشرطة إلى المكان الذي تجمعوا فيه تحت المظلة خارج المبنى. تعرف عليها أحد رجال الشرطة، وكان محققًا مثلها، وانفرجت أساريره لرؤيتها، وناداها: "آوه، يا إلهي، باتي ...".

مـرت باتي أمامه بخطى متسارعة نحو ردهة المبنى، لتجد أن المكان أشبه بجنـازة أكثر منه مسرح جريمـة؛ حيث كان رجال الشرطـة والمحققون يقفون بزيهـم المدني منكسي الرءوس، وتعلو وجوههم أمارات الحزن، وتمتلئ عيونهم بالدموع، وقد أخذوا يواسون بعضهم بعضًا. حسنًا، لا وقت لديها لذلك.

شقـت باتي طريقها نحو المصعد، وعيناهـا تفحصان جنبات الردهة بحثًا عـن كاميرات المراقبـة، وكانت هذه عادة قديمة أو تصرفًـا غريزيًّا لديها مثل التنفس، ثم رأت خبـراء المعمل الجنائـي وهم يفحصون المصعـد، ويرفعون البصمـات عنه، فاستـدارت وأسرعت بحذائها الرياضي إلـى الباب، وخرجت منـه متجهة نحو السلالم. كانت تعرف أن مسرح الجريمة في الطابق السادس، وكانت تعرف الشقة بالتحديد.

كانت تصعد درجتين كل مرة، وكانت تشعر بأن صدرها يحترق، وأن قدميها تخذلانهـا، وأن غثيانًـا يتأجج في معدتها. توقفت عنـد منبسط الدرج في الدور الثالث، وحيدة وسط الفوضى، وقد بلغ التشوش والذعر منها مبلغه. جلست على قدميها للحظات، ووضعت يديها على رأسها في محاولة لجمع شتات نفسها. كان جسدها يرتجف، ودموعها تتساقط بغزارة على الأرضية الإسمنتية.

عليكِ أن تفعلي هذا، هكذا قالت لنفسها.

صعـدت سريعًا الدرجـات المتبقية بقدميها الثقيلتيـن وصدرها المحتقن، قبل أن تدفع باب السلم المفضي إلى الطابق السادس.

كان الجميـع منشغليـن بأعمالهـم؛ فالمصورون يلتقطـون الصور، وخبراء الأدلـة الجنائية يقومون بعملهم، ورجال الشرطة يستجوبون الجيران، مع وجود رامسي من إدارة الطب الشرعي.

أخذت باتي خطوة للأمام، ثم تبعتها بخطوة أخرى، لكن بدا كأنها لا تتقدم للأمام على الإطلاق، بل شعرت كأنها قد دخلت بيت الرعب في السيرك.

"لا يمكنك الدخول".

"أنا باتي".

"المحققة باتي هارني!".

وإذا بيـد تمسك بذراعها، فالتفتت في حركـة بدت كأنها لقطة تم تسجيلها بالتصويـر البطـيء، لتقـع عيناهـا علـى ويزنويسكـي، بشاربه الكث، ووجهه المستدير، ورائحة سيجاره المميزة.

"باتي، أنا... يا إلهي... أنا آسف للغاية".

قالت باتي: "إنه... إنه يمنعني..."، لكنها لم تقو على استكمال الجملة.

قال: "كلهم سيمنعونك من الدخول. أنا آسف للغاية؛ لأنني من يخبرك بهذا".

هزت رأسها، وحاولت تحرير ذراعها من قبضته.

فقال: "لا يمكنك الدخول يا باتي. ليس الآن".

تحرك ويزنويسكي ليسد الطريق أمام باتي، ويمنعها من عبور الباب.

وبطريقة ما، وجدت باتي القدرة على التلفظ بتلك الكلمات: "أنا ... أنا أعرف كيف... أتعامل مع مسرح جريمة".

مسرح جريمة! وكأن هذه مجرد جريمة عنف أخرى تتعامل معها في سياق عملها.

"هذه ليست مجرد جريمة، أيتها المحققة. أعطنا الفرصة لكي... باتي، بالله عليك".

أبعدت باتي يده عنها، ودفعته للخلف، ومرت لحظة قبل أن يستعيد ويزنويسكي توازنه ويمسك بكتفيها.

وقال: "أرجوكِ يا باتي، ليس من المفترض أن يرى أحد أخاه على هذه الحال".

نظرت في عينيه، وهي لا تكاد تراه، بل تحاول استيعاب كل شيء، والاقتناع بأنه محق في أنها لا تريد أن تراه؛ لأنها إذا لم تره، لن يكون ميتًا حينئذ.

تهادى إلى مسامعها صوت جرس المصعد.

لكن المصعد خارج الخدمة؛ لأن خبراء المعمل الجنائي يرفعون البصمات من فوقه. مَنْ هذا الذي يستخدم المصعد؟ لا بد أنه شخص ذو رتبة عالية.

قال أحدهم: "لقد حضر رئيس المحققين".

نظرت باتي من فوق كتفي ويزنويسكي، لتقع عيناها على شخص نحيل طويل القامة، واسع الخطوات، ذي أنف مدبب لم ترله باتي عنه.

"أبي"، لفظت باتي الكلمة بصوت متهدج وهي تشعر بأنها تفقد السيطرة تمامًا.

كان والدها، رئيس المحققين دانيال هارني، يرتدي سترة رياضية على قميص مجعد، وكان شعره الخفيف غير ممشط، والهالات السوداء بارزة تحت عينيه. قال فاتحًا ذراعيه: "ابنتي، ملاكي الصغير".

قالت باتي: "هل ما يقولونه صحيح، يا أبي؟"، ثم ألقت بنفسها بين أحضانه، فضمها بقوة، كأنها عادت طفلة مرة أخرى، طفلة تتطلع لأبيها ليخبرها بكل أسرار الكون.

قال والدها، موجهًا حديثه لويزنويسكي وليس لها: "أريد أن أراه"، ثم تأبط ذراع باتي، وسارا في الممر، ثم انعطفا نحو الباب.

قال ويزنويسكي: "إنني أتفهم موقفك يا سيدي، ولكن ...هذا ليس ... تمالك نفسك، يا سيدي".

نظر والدها إليها بوجه محتقن، وكأنه سد قديم يحاول الصمود في وجه طوفان هادر، فردت باتي على نظرة أبيها بإيماءة من رأسها.

فقال والدها بصوت متحشرج: "تقدم الطريق، أيها الملازم".

الفصل 2

مكتبة
t.me/t_pdf

وكأنها ضغطت زرًا في عقلها لتغلق شيئًا ما وتشغّل شيئًا آخر، وقالت لنفسها إنها ستتصرف بشكل عملي، وستقوم بعملها كمحققة، وليست كأخت. ستعاين المكان باعتباره مسرح جريمة تحقق فيها، وليس باعتباره المكان الذي قُتل فيه أخوها التوأم. خطت باتي إلى مدخل الشقة المكسو بالقرميد وهي تمسك وتتشبث بذراع أبيها بكل قوتها.

كانت تعرف المكان جيدًا؛ فالمدخل يفضي إلى غرفة كبيرة، وهناك مطبخ صغير على اليسار، وغرفة نوم وحمام في الخلف. إنها شقة تقليدية من تلك الشقق التي تقع في الأبراج العالية في شيكاغو، لكنها كانت تعرف هذه الشقة تحديدًا؛ لأنها كانت هنا من قبل.

أول زيارة لها للشقة كانت بالأمس.

ساد الصمت الشقة على الفور، وكأن شخصًا قد رفع يده آمرًا الجميع بالالتزام بالهدوء. كان الجميع منشغلين بأعمالهم من رفع للبصمات والتقاط للصور وتجميع للعينات وتبادل للحوارات، لكنهم توقفوا عند دخول كبير المحققين وابنته، وهي محققة نالت منصبها عن جدارة.

قامت باتي بعملها كمحققة؛ فرأت أنه لا توجد آثار عنف في الغرفة الأمامية، وهي بمثابة الغرفة الرئيسية في الشقة؛ فالأثاث في مكانه، والبلاط لامع ونظيف، ولا توجد علامات على حدوث أنشطة سوى ما يفعله المحققون والخبراء الفنيون.

فتـح أحدهم التكييـف على أعلى درجة؛ فعمَّ المكان هـواء لطيف وبارد من شأنه أن يمنع تعفن الجثة.

الجثة. لقد صار أخي جثة هامدة.

قال ويزنويسكي: "الجثة موجودة في غرفة النوم، لكني لا أستطيع أن أدعك تدخل يا سيدي، وأنت تتفهم ذلك، فأنت قريب من الدرجة الأولى لأحد...".

"إننـي فقط أريد أن أراه، ولن أدخل الغرفة، أيها الملازم"، هكذا قال الأب بطريقتـه المحددة الحازمة في الكلام، لكن باتـي، على الأرجح، هي الشخص الوحيد الذي استشعر نبرة الحزن التي في صوته.

تنقلت باتي بعينيها في المكان، فلم تر شيئًا مريبًا. كانت تعلم أن إيمي تحافظ على نظافة شقتها. وقد رأت باتي في أثناء عملها الكثير من المحاولات لتنظيف مسرح الجريمة، لكن المكان هنا لا توجد به أية آثار فرك أو رش حدث مؤخرًا، أو محاولات غير مكتملة لإزالة بقع، أو تنظيف أشياء مكسورة، ولا آثار لعنف في الغرفة الكبيرة أو المطبخ.

كل الأمور التي وقعت كانت في غرفة النوم.

كان هناك شريط أحمر يمنع دخول غرفة النوم.

وبطريقـة غير ملحوظة، قام الأب باستباق باتي كحركة وقائية، بحيث يكون هو أول من يلقي نظرة داخل غرفة النوم. انحنى الأب ليتخطى الشريط الأحمر، وأخذ نفسًا عميقًا، والتفت إلى يمينه لينظر إلى ما بداخل غرفة النوم.

وعلـى الفور أغلق عينيه، وأشاح بوجهـه بعيدًا، وكتم أنفاسه وبقي واقفًا من دون حراك، ثم ابتلع ريقه بصعوبة، وفتح عينيه، والتفت ليلقي نظرة أخرى وقد تملكه الجمود والذعر.

وغمغم قائلًا: "ماذا حدث هنا بحق السماء؟".

سمعـت باتي تنهيدة ويزنويسكـي الثقيلة، والذي تبعهـا بقوله: "من وضعية الجثث، وكل شيء ... يبدو الموقف شارحًا نفسه، يا سيدي".

استجمعت باتي قواها، وتجاوزت أبيها، لتنظر إلى الغرفة.

ثلاث جثث: كيت - المحققة كاثرين فنتون - ترقد جثة هامدة على السجادة، وعيناها تحملقان في فراغ باتجاه السقف، وقد أصيبت بطلقة أعلى عينها اليمنى. كانـت هذه تسديدة مباشرة، وكان هنـاك خيط دم واحد منبثق من الجرح، أما بقية الدمـاء فتدفقت بحكم الجاذبية، وغالبًا مـن موضع خروج الرصاصة من

مؤخرة الجمجمة، لتمتلئ السجـادة بالدماء تحتها، وتغطي شعرها الكستنائي. كان مسدسها الجلوك ملقى على يسارها لكن بعيدًا عن متناول يدها.

ركـزت باتـي نظرهـا على كيت، ليس لأنها لم تـر جثة من قبـل (فقد رأت العشـرات)، وليس لأن كيـت كانت تروقها (فلم تكن تروقهـا)، لكن لأنها كانت تفضل التركيـز عليها بدلًا من النظر إلى الجثتين الأخريين في الغرفة، واللتين كانتا في محيط رؤيتها الجانبية.

كان هناك جسدان على السرير - أخوها وإيمي لنتيني، وكلاهما عارٍ تمامًا. كانت إيمي مصابة بطلق ناري اخترق قلبها، وكان جسدها مفرودًا، ويكاد رأسها يسقـط من الجانب الأيسـر من السرير، وكانت هناك بقعة دم تُرى بالكاد خلف إيمي، وتحديدًا في الموضع الذي نزفت منه في ظهرها.

أما الجثة الثالثة فكانت لـ ... بيلي.

ركـزت باتـي بصرها عليه، وقلبها يخفُق بعنف، والحـرارة تنتشر في أنحاء جسمها وهي تنظر إلى أخيها التوأم الذي يجلس في وضع منتصب على السرير أمامهـا، وتنظر إلى خيط الـدم المتدلي من الجانب الأيمن مـن وجهه، ورأسه المائل إلى الجانب، وعينيه المغلقتين الساكنتين.

إذا تجاهلنا الدم والجرح، فإن بيلي سيبدو في وضعية النوم الطبيعية له. كان بيلـي يستطيع النوم بطرق لم تستطع باتي النوم بهـا أبدًا؛ فهي تنام دائمًا وهي مستلقية على جنبها، وتضع وسادة بين رجليها. لكن بيلي كان بإمكانه النوم طوال الليل في كرسي أو جالسًا على السرير، وكان بإمكانه أن يغفو قليلًا في منتصف حصة الهندسة دون أن يحدث صوتًا، أو يشخر أو يتحرك أو يفعل أي شيء يلفت انتبـاه المدرسيـن؛ لقد كان بإمكانه النوم سرًّا مثلمـا كان بإمكانه العيش سرًّا، ومثلمـا كان بإمكانـه فعل أي شيء تقريبًـا في السر. كان بإمكانـه إخفاء خوفه وعواطفه وأفكاره وأحزانه خلف تعبيراته الودود والعنيدة، وكانت باتي هي الوحيدة التي تعرف هذا عنه، وهي الوحيدة التي كانت تفهمه.

أنت نائم وحسب، يا بيلي.

أرجـوك، أنـا باتـي. هيَّـا يـا بيلـي، افتـح عينيـك وقـل: "لقـد خدعتـك، ولست ميتًا".

أرجوك، استيقظ من نومك.

قال ويزنويسكي لأبيها: "من المبكر معرفة ما حدث بالطبع، لكن فيما يبدو أن المحققة فنتون دخلت على هذا المنظر - أقصد عليهما في هذه الوضعية - وأطلقت النار. فبادلها بيلي إطلاق النار، وقتلوا بعضهم بعضًا. تبادل لعين لإطلاق النار هنا في غرفة النوم".

"أوه، يا إلهي".

حدثت باتي نفسها قائلة: *لا، ليس هذا ما حدث هنا.*

كانت قدماها واهنتين، وتشعر بدوار، وإذا بيد أبيها تجذبها بعيدًا. كانت تشعر بفزع من رؤية منظر أخيها، لكنها كانت أكثر فزعًا من رفع عينيها عنه.

سحبها أبوها من ذراعها إلى الغرفة الرئيسية، وأوقف الضباط جميعًا ما يفعلونه، وحدقوا في الأب وابنته وكأنهما معروضات في متحف.

مر أفراد الطاقم الطبي خلف باتي على استحياء، واتجهوا إلى غرفة النوم ومعهم أكياس الجثث.

أكياس جثث، لم تستطع باتي تحمل هذه الفكرة.

قال الأب لمن في الغرفة: "يجب أن نقوم بعملنا هنا على أفضل ما يكون. هذا ابني الذي قُتل، لكنه كان شرطيًّا. قبل أي شيء، كان شرطيًّا، بل وشرطيًّا ممتازًا. احترموه واحترموا المحققة فنتون بالعمل على القضية على النحو الصحيح. اعملوا على القضية وفقًا للقوانين والقواعد، أيها الناس. لا أريد أخطاء، ولا طرقًا مختصرة. افعلوا أقصى ما في وسعكم، وتوصلوا إلى ...".

توقف الأب عاجزًا عن إكمال جملته، وأومأ برأسه للجميع في جدية. كان صدر باتي يحترق، وكانت تجد صعوبة في التنفس من فرط ما تشعر به من حرارة.

قال الأب مكملًا جملته: "توصلوا إلى حل، حلوا لغز هذه الجريمة".

شعرت باتي باختناق مفاجئ، فاستدارت واتجهت إلى الباب، وهي تفكر: *هذا ليس حقيقيًّا. هذا لا يحدث.*

صاح أحدهم: "أوه، يا إلهي".

فبينما كانت باتي تعبر الباب، سمعت العبارة، لكن ليس من أبيها، وليس من أي من الضباط الموجودين في الغرفة الرئيسية.

بل كانت من أحد أفراد الطاقم الطبي في غرفة النوم.

صاح الرجل: "لدينا نبض! لدينا نبض! هذه الضحية لا تزال حية!".

الجزء الثاني

الماضي

الفصل 3

فرك المحقق بيلي هارني يديه، وخرجت أنفاسه بطيئة، وتجمدت أمام وجهه مــن شدة البرد، وكأنهــا تذكير بسيط بما يمكن أن تكون عليه برودة الطقس في شيكاغــو في منتصــف مارس. وثلاث ساعات يقيضها المــرء داخل شاحنة هي مــدة طويلة للغاية. كم يكره عمليــات المراقبة، مع أن هذه العملية كانت فكرته، وهذه القضية هي قضيته.

بدأت القضية بمقتل طالبة في السنة الأولى بجامعة شيكاغو. وكانت منطقة هايــد بارك - المحيطة بالحرم الجامعي - تحتوي على بعض الأماكن الخطرة، وقــد رجَّح رجال الشرطة أن تكون جريمة القتل مجرد حادث من حوادث العنف التــي تحدث في المدن، لكنهم لم يعرفوا ما عرفــه بيلي من البيانات التي نقلها مــن هاتفها؛ وهي أن هذه الشابة كانت تمتهن الأعمال المنافية للآداب في وقت فراغهــا، وأنها كانت تحصل على العمل عبر موقع إلكتروني تم غلقه بعد وفاتها بيــوم، لكــن رسائلها النصية أظهــرت أن هناك عميلًا محــددًا كانت له رغبات غريبة، وكان مستعدًّا لدفع الكثير من الأموال مقابل تحقيق تلك الرغبات.

باختصار، كان يحب أن يخنقها في أثناء ممارسة العلاقة معها.

كان هــذا العميــل تاجرًا، متزوجًــا ولديه أولاد، وكان يجني مــن الأموال في أسبــوع أكثر مما يجنيــه بيلي في سنتين، وكان من تلــك النوعية من الأشخاص القادرين على استئجار جيش من كبار المحامين للدفاع عنهم. ولذلك أراد بيلي

أن يتخلـى هذا الحقير عن حذره ويطمئـن؛ فسرَّب بعض الأخبار التي تفيد بأنه تم القبض على مشتبه به في مقتل الطالبة الجامعية، وأن الجريمة على الأرجح مجرد حادثة أخرى من تلك الحوادث المعتادة التي تقع في منطقة هايد بارك، ثم شرع بيلي في تعقب هذا التاجر الحقير.

قبـل ذلك بأسبوع، في التاسعة مساءً بالتحديـد، دخل التاجر مبنى حجريًّا فـي الشـارع، وقام بيلي بالتقاط فيديو له في أثنـاء دخوله المبنى، لكنه لم يكن متأكـدًا ممـا يحدث بالداخـل؛ فقبع منتظـرًا في الخارج، لكـن حدسه كمحقق أخبره بأن هذا مبنى خاص مخصص للأثرياء.

إذن، بافتراض أن لهذا الرجل موعدًا منتظمًا في النادي، وكان بيلي يراهن علـى هـذا، حينئذ تكون الليلـة هي الليلة الموعـودة. يدخل بيلي عليـه وهو عارٍ ويعرضـ عليـه صفقة بسيطة، وهــي ألا يتم القبض عليه بتهمـة الدعارة مقابل الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بمقتل الطالبة الجامعية. يمكن لبيلي أن يبدأ مـن هذا المنطلق؛ لأنه من الأفضـل دائمًا استجواب المشتبـه به وهو في حالة ارتباك ومستعد لاسترضاء المحقق بكل الطرق.

سحب بيلي كم معطفه إلى الوراء لينظر إلى ساعته. إنها الثامنة والنصف. فنفث هواءً دافئًا في يديه.

وقـال عبـر جهاز الإرسـال: "ما الوضع عنـدك يا سوشـ؟". كان سوش هو الشرطـي الموجود في إحدى السيارتين الأخريين، علـى بعد مربعين سكنيين، ويقوم بمراقبة المبنى الحجري من جهة الشرق.

جـاءه رد سوش عبر سماعته اللاسلكية: "أنـا مستعد وجاهز وراضٍ، تمامًا مثل أختك".

"مـا كانـت أختي لترضـى بك ولو كنـت آخر رجل علـى وجه الأرضـ، أيها الأحمق".

"هارنـي، عد إلـى السيارة"؛ هكذا صاحـت شريكته، كاثريـن فنتون، التي كانت تجلس بجانبه في السيارة.

ثـم وجهت حديثها لسوش: "سوش، كيف حال الفتـى المستجد؟ أتعلم أنني اشتريت لـه الغداء اليوم؟"؛ كانت تقصد المحقق الجديد الذي يعمل معه، وهو شاب لطيف اسمه رينولدز.

"بالطبـع، علمت ذلك. فقد قال لي إن وضع فاصوليا إضافية في سندويتش البوريتو كانت فكرتك. وها أنا عالق معه - ومع غازاته التي يطلقها - في السيارة منذ ثلاث ساعات".

ابتسم بيلي، قائلًا في نفسه إن المراقبة ليست سيئة *طوال الوقت*، ثم تحدث عبر جهاز الإرسال: "كراولي، أما زلت مستيقظًا؟".

كان كراولي وبنسون يجلس بالسيارة الثالثة.

"أجل، لكنني أكاد أفقد عقلي من كل هذه الإثارة التي لا تحدث! كم شرطيًّا يتطلبه الأمر لإسقاط شخص حقير مثل هذا؟".

كان سوش وكراولي قد أثارا هذه النقطة من قبل، لكن بيلي كان يرى أن هذا المـكان - جولد كوست - جزء راقٍ مـن المدينة، ولم يرد وقوع أية أخطاء؛ ولذا كان يريد أشخاصًا ذوي خبرة في هذه المهمة.

"ماذا هناك، يا كراولي؟ ألديك مكان أفضل تريد الذهاب إليه؟ إنني أعلم أن زوجتك ليست في المنزل، لأنها في السيارة مع سوش الآن".

"حسنًا، لن ينال سوش منها شيئًا، مثلي تمامًا!".

كان المكان شديد البرودة؛ إذ لم يمضِ على مكوث بيلي خارج السيارة سوى عشر دقائق وقد وصلت لسعات البرد إلى أصابع قدمه.

فتح بيلي باب الراكب، وصعد داخل الشاحنة الدافئة، فرمقته المحققة كيت فنتون بنظرة جانبية.

فقـال: "يبـدو أن الفائدة الوحيدة للـزواج هي أنه يزيد حسـ الدعابة عند الرجل".

ضحك سوش لعبارته، لكنها لم ترُق كيت كثيرًا.

قال بيلي وهو يجلس متصلبًا في مقعده: "هاي، انظري إلى جهة اليمين. أول حركة في هذه الليلة".

قالـت كيت عبر جهـاز الإرسال: "حسنًا، هناك ذكـر أبيض يتجه شمالًا في شارع أستور، مرتديًا معطفًا بنيًّا وقبعة بنية".

فكَّـر بيلي كيف أن كيت *دائمًا حادة الطبـاع ومتوترة. لا يوجد أحد يسير في الشارع سوى الرجل الذي تتحدث عنه كيت؛ ولذا فهم، على الأرجح، قد رصدوه بالفعل.*

لكنه لم يعلق؛ إذ إن إخبار كيت بأن تهدأ أشبه بإلقاء عود ثقاب على جالون من البنزين. وبدلًا من ذلك قال: "هل تراه، يا كراولي؟".

"أجل، أراه، ويبدو في كاميرتي سعيدًا للغاية".

قالت فنتون: "أعرف ذلك الرجل. إنه يقدم برنامجًا تليفزيونيًا، أليس كذلك؟"

"أي برنامج؟".

"ذلك البرنامج الذي يتناول نقد الأفلام ... *الصف الأمامي* أو شيء من هذا القبيل".

كان بيلي قد شاهد البرنامج من قبل... *الصف الأمامي مع*... لم يستطع تذكر اسم مقدم البرنامج. فقال: "حسنًا، هذا البرنامج سبب كافٍ لاعتقاله".

قال سوش: "أجل أعرفه... إنه برادي ويلسون".

جلسوا جميعًا في صمت يراقبون الناقد السينمائي وهو يصعد درجات المبنى الحجري، وقبل أن يضغط جرس الباب، فتح الباب رجل يرتدي حلة سوداء وقاده إلى الداخل.

قال كراولي: "أمر مثير. هل تعتقدون أنه هنا لشيء مريب؟".

قال بيلي: "هذا أكيد؛ شخص واحد يمتلك الطوابق الثلاثة جميعًا، ويدعي أنه يعيش هناك، لكنني لم أر ما يدل على وجود شخص يعيش في المبنى منذ أن بدأت مراقبة المكان. هناك حوالي ثماني أو عشر غرف نوم في الطوابق الثلاثة".

"إذن، ربما يكون هذا بيت فجور حقيقيًا؟".

"ربما يجب أن نستدعي شرطة الآداب"، قالها بيلي وهو يعرف ردة الفعل التي سيتلقاها.

قالت كيت: "سحقًا لشرطة الآداب، هذه قضيتنا".

قال سوش: "يا إلهي، لا أكاد أصدق عيني!".

"تحدث إليّ، يا سوش".

"لن تصدق من مر بجواري الآن. كراولي، يجب أن تصوروا هذا بالفيديو يا رفاق".

"عُلم وينَفذ... لا أصدق نفسي".

"هلا أخبرتموني بما يحدث، يا رفاق؟".

تمنى بيلي لو كان لديه منظار رؤية فائق الدقة، لكنه لم يكن يتوقع هذا. فأخذ منظاره العادي من فوق المقعد الخلفي، ووجهه نحو درجات المبنى الحجري ليرى رجلًا عجوزًا يسير ببطء نحو الباب الأمامي.

قال بيلي: "مرحى، مرحى. أليس هذا كبير رجال الدين مايكل زافيير فيلان".

فقال سوش ساخرًا: "حقًّا! إنه ليس جديرًا بهذه المكانة!".

كانت تراود بيلي مشاعر مختلطة من الحماس وخيبة الأمل، لكن الحماس كان يطغى على شريكته كيت؛ فالقضية قد صارت أكثر إثارة بالنسبة لها.

قال بيلي: "ليهدأ الجميع. ربما يكون الرجل هنا ليعظ الخاطئين".

وفي تلك اللحظة، توقفت شاحنة سوداء - لا تختلف كثيرًا عن الشاحنة التي كان بيلي يجلس بداخلها - أمام رصيف البيت الحجري. كانت نوافذ الشاحنة ذات زجاج معتم، حسبما رأى بيلي بمنظاره في ضوء الليل الضعيف، وكان هذا غريبًا؛ لأن تعتيم نوافذ السيارات أمر غير مصرح به في هذه الولاية باستثناء حالات محدودة.

من هذه الحالات المحدودة، السيارات التي تقل المسئولين الحكوميين.

نظر بيلي عبر منظاره إلى لوحة أرقام السيارة، ثم عاد لينظر إلى السيارة نفسها.

وقال: "أوه، اللعنة! من الأفضل أن أتصل بويزنويسكي".

فسألته كيت وهي تكاد تقفز من مقعدها: "لماذا؟".

هز بيلي رأسه، وقال:

"لأن عمدة شيكاغو قد خرج لتوه من تلك السيارة".

الفصل
4

صعد بيلي في السيارة التي كانت تقف على بعد مربع سكني من الموقع الذي كان يراقب منه المبنى. كانت السيارة تفوح منها رائحة السيجار، وكان ويزنويسكي يحمل هذه الرائحة معه أينما ذهب.

التفت ويزنويسكي بوجهه المستدير نحو بيلي وسأله: "كم عدد الموجودين داخل المبنى؟".

قال بيلي: "رأينا اثني عشر شخصًا يدخلون المبنى، لكن لم يدخل اثنان منهم معًا، ويبدو أن الأمور تتم بتنسيق محكم؛ فلا أحد يرى الآخر، وكل شيء يجري في سرية تامة. لم نستطع تحديد هوية سبعة منهم، لكن أحدهم مشتبه به في قضية مقتل الطالبة الجامعية، ويعمل تاجرًا. وهناك شخص آخر يعمل ناقدًا سينمائيًّا ويقدم برنامجًا تليفزيونيًّا، اسمه برادي ويلسون. وهناك آخر وهو رجل أسود يقول شريك سوش إنه مغني راب اسمه شوكولات كيو".

"وما معنى هذا الاسم؟".

نظر بيلي نحو ويزنويسكي قائلًا: "عندما أقبض عليه، سأسأله".

فرك ويزنويسكي عينيه وقال: "وهل أنت متأكد بشأن كبير رجال الدين؟".

"تمامًا".

"والعـ..."، أطبق ويزنويسكي شفتيه لينطق حرف الميم، لكن لم تطاوعه نفسه على أن ينطق الكلمة.

"إنــه العمدة. لا شك في ذلك. أوصلــه حراسه الأمنيون إلى المنزل، لكنهم لم يدخلوا. والسيارة الآن متوقفة أمام المبنى. كم عدد رجال الشرطة المتاحين لديك الآن؟".

قال ويزنويسكي: "لديَّ عشرة رجال شرطة جاهزون للتدخل".

عشرة رجال وستة محققين عدد كاف.

أردف ويزنويسكي: "أنت لست مضطرًّا لفعل هذا، أنت تعلم هذا".

كان يعنــي أن بيلــي ليس مضطرًّا لإلقــاء القبض على الجميــع؛ حيث يكفيه أن يفعــل ما جاء لأجله، وهــو القبض على المشتبه به فــي جريمة مقتل الطالبة الجامعية، ويغض الطرف عن الأشياء الأخرى.

أيهـا الجبان! قالها بيلي فــي نفسه وهو يعلم أن ويزنويسكــي دائمًا ما يفكر فــي الغد، ودائمًا ما يتطلــع لارتقاء السلــم الوظيفي، ودائمًا ما يضــع السياسة فــي الاعتبــار. كان بيلي يــدرك أن هــذا الموقف قد يــؤول إلى إحــدى نتيجتين متعارضتين؛ فالعمدة هو من عيَّن رئيس الشرطة، ولذا لن يسعد رئيس الشرطة بالقبضــ على العمدة، لأنه إذا سقط العمدة، سيسقط رئيس الشرطة أيضًا. قد يحصل بيلي علــى ميدالية تكريم نظير فعله هذا، أو يكتب بيديه نهاية لمسيرته المهنية في القسم. والأمر نفسه ينطبق على ويزنويسكي. فهذه القضية قد تكون أفضل شيء يحدث في مسيرتهما المهنية، أو أسوأ شيء على الإطلاق. وشخص مثل ويزنويسكي دائمًا ما يقيم العواقب السياسية ويتجنب مخاطرة مثل هذه.

لكــن طبيعة بيلي كانت تختلف عن طبيعة ويزنويسكي؛ فالأمر بالنسبة لبيلي بسيــط، ويتلخص في كلمتين: *قم بعملك*. فأيــة اعتبارات خلاف هذا ستجعلك تفقــد شجاعتك، وتشوش على تركيزك، وتجعلك أقل مما يفترض أن تكون عليه كشرطي.

قــم بعملك. كان لدى بيلي سبب وجيــه للاعتقاد أن جريمة ما تحدث، وهذا هو الشيء الذي يحظى باهتمامه.

سأله بيلي: "هل تطلب مني الانسحاب؟".

أجابه ويزنويسكي مشيحًا بيده: "كلا، كلا، بالطبع لا".

بالطبــع لا، لأنــه من الأســوأ بالنسبــة لويزنويسكي أن يطلب مــن محقق ألا يحقــق في جريمة لأنها تتضمن مسئوليــن حكوميين رفيعي المستوى؛ فقد يؤدي هــذا إلى طــرده من العمــل، بل وربمــا يصــل الأمر إلــى قضية جنائيــة. وكان

ويزنويسكي سياسيًّا حذرًا، ولا يمكن أن يسمح لشيء كهذا بأن يوضع في سجله الوظيفي.

قال ويزنويسكي: "كل شيء ستفعله منذ هذه اللحظة سيتم فحصه بعناية من قِبَل الصحفيين، ومكتب الشئون الداخلية، والمفتش العام للشرطة، ومحامي الدفاع. سوف يضعك الجميع تحت الميكروسكوب. أنت تدرك ذلك، أليس كذلك؟ لقد قصدت بكلامي أنه لا بأس لديّ إذا لم تفضل الخوض في هذا، واكتفيت بالمشتبه به في جريمة القتل، وتركت الباقين. نحن لسنا شرطة الآداب، والقبض على هؤلاء ليست وظيفتنا".

لم يجب بيلي، بل انتظر أن يدلي ويزنويسكي بكل ما لديه.

فأردف ويزنويسكي: "إذا أفسدت الأمور في هذه القضية، فقد تكون هذه آخر عملية اعتقال تقوم بها على الإطلاق، بل وربما تلطخ سمعة أبيك، وأختك أيضًا. ستضع نفسك في ورطة أنت في غنى عنها، وأنت أمامك مستقبل مشرق، يا بيلي".

عندما بدا واضحًا أن ويزنويسكي لم يعد لديه ما يقوله، التفت إليه بيلي قائلًا: "هل يمكنني القيام بعملي الآن؟".

صرفه ويزنويسكي بنظرة متجهمة وإشارة باليد.

فخرج بيلي من السيارة إلى البرد القارس، متجهًا نحو المبنى الحجري.

الفصل
5

اقتـرب بيلي وشريكته ـ المحققة كيت فنتـون ـ من السيارة السوداء الواقفة عند ناصية الشارع، والخاصـة بالحراس الأمنيين للعمدة. اقترب بيلي من باب السائق وهو يحمل شارته في يده.

نـزل زجـاج النافذة المعتـم، ليكشف عن رجـل ضخم البنيـة في منتصف العمر، والذي نظر إلى المحققيْن في ضيق.

قال بيلي: "سيارتك تقف أمام حنفية الحريق".

"نحن الحراس الأمنيون للعمدة".

"وهل هذا يجعلكم غير خاضعين لقانون المرور؟".

فكَّر الرجل للحظات قبل أن يجيب: "أتريد منا أن ننتقل من هنا؟".

"*أريدك* أن تخرج أنت وفريقك من السيارة".

"ولِمَ نخرج من السيارة؟".

قال بيلي: "ستخرج من السيارة لأن شرطيًّا أمرك بهذا".

أنـزل الرجل الذي يجلـس خلف السائق زجاج النافذة، وقـال: "أنا لاديس، وكنت أعمل سابقًا في قسم شرطة شيكاغو".

"هذا رائع؛ إذن يمكنك أن تشرح لصديقيك أهمية إطاعة أوامر الشرطة".

استغـرق الأمر دقيقة لينزل الرجال الثلاثة من السيارة، وقرر بيلي أن يكون حديثه مع الشرطي السابق، لاديس. سأله: "كيف تتواصلون مع العمدة؟ أو كيف يتواصل العمدة معكم؟".

لاديـس لم يعجبه السؤال، لكنه أجاب على مضض: "العمدة يضغط على زر الشباك في هاتفه مرتين، أو نفعل نحن الشيء نفسه".

"من لديه ذلك الهاتف؟".

نظر لاديس إلى الحارسين الآخرين، وقال: "العمدة وكل فرد منا".

"أعطوني هواتفكم. أعطوني الهواتف الثلاثة".

"لا يمكننا فعل هذا".

اقترب بيلي خطوة من لاديس، وقال: "نحن بصدد مداهمة هذا المبنى، ولا نريد لأي شخص بالداخل أن يعلم ذلك مسبقًا؛ سلموني هواتفكم وإلا اعتقلتكم بتهمة إعاقة تحقيقـات الشرطة وعدم الامتثال للقوانين وأي تهمة أخرى تخطر على بالي من الآن وحتى أسلمكم إلى قسم الشرطة؛ حيث سيكون بانتظاركم ما لا يقل عن عشرة صحفيين".

وجد لاديس كلام بيلي مقنعًا، فسلم هو والاثنان الآخران هواتفهم. واقترب مـن السيارة بخطـى متسارعة شرطي شـاب يرتدي زيه الرسمـي. فقال بيلي: "هـذا الشرطي سيظل معكم فـي السيارة، وسيغضب كثيـرًا إذا حاول أي منك استخـدام أي شـكل من أشكال التواصـل، سواء أكانت رسائـل نصية أم رسالة بريـد إلكترونـي، أم مكالمـة هاتفيـة، أم أي شيء علـى الإطـلاق. اجلسوا في السيارة واستمعوا إلى الراديو وحسب، اتفقنا؟"

قال لاديس: "اتفقنا".

قال بيلي: "هناك شيء آخر، أعرني معطفك".

اقتـرب بيلـي من البيت الحجـري، وصعد الدرج، وضغـط زر جرس الباب، وانتظر.

جاءه صوت عبر سماعة الجرس يقول: "مرحبًا".

قال بيلي، وقد تأكد من أن الشعار الموجود على المعطف واضح وظاهر لأية كاميرات مراقبة ترصده: "أنا الحارس الأمني للعمدة، وأحتاج للتحدث معه".

"العمدة ليس هنا".

"لقد صحبناه بالسيارة إلى هنا، أيها الأحمق، وأنا أحتاج للتحدث إليه".

أُضيء نور الردهة، واقترب من الباب رجل طويل وعريض، وكان هناك جزء منتفخ من سترته عند الفخذ؛ ما يعني أنه مسلح، وهو على الأرجح لم يرقه وصفه بالأحمق.

فتح الرجل الباب ببطء، وقال: "لماذا لا تتصل بالعمدة؟".

فأجابه بيلي: "تلك هي المشكلة"، ثم مال بجسده، ودفع الباب؛ ففتحه على مصراعيه، وتقدم خطوة للأمام وسدد لكمة مباغتة في حلق الرجل، فأطلق الرجل حشرجة، قبل أن يفقد القدرة على إصدار أي صوت.

قال بيلي عبر جهاز الإرسال المثبت بمعطفه: "يمكنكم التقدم الآن"، وأحكم سيطرته على الرجل الضخم من خلال تثبيته إلى درابزين السلم بينما أبقى الباب مفتوحًا بقدمه.

هرع المحققون الآخرون نحو الباب، يتبعهم رجال الشرطة.

قال بيلي للرجل الضخم: "لا ترفع يديك عن الدرابزين، وأبعد قدميك عن بعضهما"، ثم قال لشرطي قبل أن يسلم الرجل الضخم له: "لديه سلاح ناري مثبت على فخذه اليسرى".

ولديه حلق محتقن.

قاد بيلي الطريق إلى داخل المبنى؛ حيث كانت الإضاءة خافتة، والهواء محملًا بعبق البخور. كان الدرج يقود إلى الطابق الثاني، وبجانبه باب لما يبدو أنها خزانة ملابس، وكان هناك صوت لموسيقى خافتة قادمة من أسفل.

قال بيلي: "كراولي، فتش الدور الأرضي، وأنت يا سوش، قم بـ ...".

وفجأة ظهر رجل من خلف الستارة أمامهم مباشرة، مصوبًا بندقية إليهم. وقبل أن يقول بيلي *شرطة، قف مكانك*، كانت كيت قد انقضت عليه؛ فأخذت السلاح، وضربته بركبتها بين ساقيه. وعندما انحنى الرجل للأمام متألمًا، ناولته ضربة أخرى بركبتها في بطنه؛ فتكوم الرجل على الأرض في صمت تام، وأمسكت كيت بندقيته في انتصار.

حسنًا، *هذا الأسلوب ينفع أيضًا.*

ثم ظهر رجل آخر من خلف الستارة، وبدا الأمر كأنه مهرجان في سيرك. ومرة أخرى، قبل أن ينطق بيلي بشيء، قذفت كيت بالبندقية نحو الرجل، لتصطدم مؤخرتها برأس الرجل، ويسقط على ظهره.

لا تعبث مع كيت.

وجـه بيلي بعض رجال الشرطة للبحث في الجـزء الأمامي والطابق العلوي، بينمـا اتجـه هو نحـو الباب المجـاور للسلم وفتحـه. لقد كانـت خزانة ملابس بالفعل، لكنها خزانة غريبة؛ إذ لم يكن فيها قضبان أفقية لتعليق المعاطف، ولا يوجد شيء على أرضيتها، ولا توجد خطافات لتعليق الملابس حتى.

لكن كان صوت الموسيقى الخافتة يرتفع أكثر.

دخـل بيلي الخزانة، ووضع يـده على الجدار الخلفـي، ودفعه؛ فتحرك على الفور، ليتبين أنه حائط مزيف، بل هو باب يؤدي إلى الطابق السفلي.

أشـار بيلي لبعض رجـال الشرطة أن يتبعوه، وبدأ هبـوط الدرج إلى الطابق السفلي ببطء، وهو شاهر سلاحه. كانت الموسيقى تدوي بقوة في أذنيه.

تساءل بيلي في نفسه: *هل سمعوا الجلبة التي حدثت فوقهم؟*

لكنه رجَّح عدم سماعهم، لأن المكان بدا أنه عازل للصوت.

كانـت الموسيقـى صاخبـة، وكان صوت المغنيـة مثيرًا، يـكاد يكون مجرد تأوهـات تختلـط بالموسيقى الصاخبة. وصـل بيلي لآخر السلـم، واستدار وهو ممسك بسلاحه.

كانـت الإضاءة خافتـة، مجرد وهج أرجوانـي اللون، وفـي منتصف الغرفة كان هنـاك عمـود معدني، وامـرأة رشيقة تتشقلـب وتلف ساقيها حـول العمود المعدنـي اللامع، وحولها من جميـع الجهات توجد نساء يرتدين ملابس مثيرة، وقـد تقمصن شخصيات، منهـا الممرضة المثيرة، وطالبـة المدرسة الثانوية، والمـرأة السادية. أما الرجال فـكان بعضهم يرتدي أزياء تنكرية، لكنهم جميعًا كانوا يرتدون أقنعة لإخفاء وجوههم.

لـم يلاحظ أحـد وجود بيلـي؛ نظرًا لاستغراقهـم في نزواتهـم، لكن مقدم المشروبات، الواقف عند اليمين، كان أول من لاحظه، وكان يمثل تهديدًا، حيث كان مختفيًا خلف بار المشروبات الصغير.

صـاح بيلي، مصوبًـا سلاحًا نحو مقدم المشروبـات: "شرطة، لا تتحرك"؛ فما كان من الرجل إلا أن رفع يديه بينما كان بيلي يتقدم ناحيته ببطء.

ثم ساد الارتباك بين الحضور بعدما حضر فريق بيلي، وأمروهم بالانبطاح أرضًـا. لم يكن لدى المشاركيـن في الحفل منفذ للهرب؛ فالشرطة تسيطر على المخـرج الوحيد للمكان، ولم يكن أي منهم فـي موضع يسمح له بتحدي سلطة نصف دستة من رجال الشرطة الذين صوبوا أسلحتهم إليهم.

عد بيلي الحاضرين فوجدهم ستة، لكنه قد رأى اثني عشر شخصًا يدخلون المبنى.

تحدث عبر جهاز الإرسال: "ما الوضع عندك، يا كراولي ؟".

"لا شـــيء في الطابق الأرضي، فكيـت تولت أمر الأحمقين الوحيدين اللذين وجدا فيه".

"سوش، ماذا عن الطابق العلوي؟".

"خالٍ تمامًا، باستثناء امرأة واحدة وهي المديرة".

اثنـا عشر رجلًا دخلـوا المبنى، ليس مـن ضمنهم الحمقـى الثلاثة الذين أخـذوا نصيبهم من الضـرب واللكمات. فإن لم يكن بقيـة الرجال الاثني عشر موجودين في الطابق العلوي ولا الطابق الأرضي، فأين ذهبوا إذن؟

وبينما يفكر بيلي في ذلك، لاحظ وجود باب آخر في ركن الغرفة.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل
6

دفع بيلي الباب بقوة وفتحه. كان الباب سميكًا، مثلما كان الحائط، وخمَّن بيلي أن الهدف من ذلك هو عزل الصوت بصورة أكبر، وهي مسألة تبدو منطقية بالنسبة لبيت مشبوه... أو أيًّا كانت ماهية هذا المنزل اللعين!

ثم سار في رواق طويل، توجد به ثلاثة أبواب على كل جانب.

وهذا يعني العثور على ستة رجال آخرين في ست غرف نوم.

أشـار بيلي لـ سوش وكيت وبعض رجال الشرطـة لكي يدخلوا الرواق؛ فوقف كل شخص أمام باب من الأبواب، وأمسك الجميع بأسلحتهم، وتأكد المحققون من أن هويتهم معلقة في رقابهم.

أومأ بيلي لهم، وفي لحظة واحدة، إذ بستة من قسم شرطة شيكاغو يركلون ستة أبواب مختلفة.

"شرطـة، لا تتحركـوا!"، هكذا قـال بيلي وهـو يدخل غرفة مظلمـة إلا من ضـوء خافت يتسرب إليها من مصبـاح في الشارع، ثـم رأى حركة على سرير؛ فكـرر عبارتـه مرة أخرى وهـو يضيء نـور الغرفة، فشاهـد شخصين يحاولان تغطيـة نفسيهما في ارتباك، لكنهما لم يكونا مسلحيـن، ولا يمثلان تهديدًا، إلا لكرامتهما المهدرة.

كانت الشابة تبدو صغيرة، صغيرة جدًّا، وربما كانت تحت السن القانونية، أما الرجل فيبدو أن عمره ثلاثة أضعاف عمرها.

"انبطحا على الأرض، كليكما!".

امتثل الاثنان لكلامه، وقام بيلي بتقييد يدي الرجل خلف ظهره، ثم سأل الشابة: "كم عمرك، يا آنسة؟".

أجابته بصوت مرتجف: "اثنتان وعشرون سنة".

قام بيلي بتقييدها أيضًا رغم أنه لم يكن يود ذلك، وقال: "إذا كنتِ في الثانية والعشرين، فأنا ملك إسبانيا. وأنت يا سيدي، ما اسمك؟".

"ماذا؟".

"ما اسمك، يا سيدي؟".

"اسمي ... جون بارنز".

جثا بيلي على ركبتيه بجوار الرجل، وقال: "أتقول إن اسمك جون بارنز؟".

"نعم ...نعم".

"حسنًا، أعتذر عن خطئي؛ فقد ظننت للحظة أنك رجل الدين فيلان، لكن هذا الرجل صاحب الرتبة العليا في دار عبادة المدينة لن يُقدِم على إغواء فتاة، خاصة إذا كانت - مثلما يبدو لي - تحت السن القانونية؛ لأن التهمة حينئذ لن تكون ممارسة الفجور، بل ستكون استغلال قاصر والتعدي عليها".

"أوه، لا، يا إلهي. ساعدني يا إلهي..."

"لكن من الجيد أنك جون بارنز، ولست رجل الدين فيلان".

تراجع بيلي ونظر إلى الرواق الذي كان ممتلئًا حينئذ برجال الشرطة، وأشار لأحدهم بأن يحرس الغرفة.

خرج المحقق سوش من غرفة أخرى وأومأ إلى بيلي، ثم قال بابتسامة عريضة تعلو وجهه: "العمدة يريد التحدث مع الشخص المسئول".

أطل بيلي برأسه داخل الحجرة، فرأى العمدة - فرانسيس ديلاني - جالسًا قبالة السرير، وملاءة السرير ملفوفة حول خصره، ويداه مقيدتان خلف ظهره، وما تبقى من شعر رأسه منكوش. كانت بشرته الحمراء في الأصل قد ازدادت احمرارًا، ربما بسبب ما كان يفعله مع الفتاة، أو ربما، على الأرجح، بسبب الإهانة التي وقع بين براثنها في لحظة.

سأله العمدة: "هل أنت المحقق المسئول؟".

"أجل".

"أيمكنك أن تغلق الباب؟".

أجابـه بيلـي وهو يهـز كتفيـه: "بإمكاني ذلـك، لكنني لن أفعـل؛ فأنت نلت نصيبك من المتعة الليلة، وبصراحة، أنت لست نوعي المفضل".

لم يستسغ العمدة دعابة بيلي، وقال: "هذا ... هذا موقف حساس".

"هو كذلك لأحدنا".

"حسنًا ... أتمنى أن تضع اعتبارًا لحساسية منصبي".

"أضـع اعتبـارًا؟ *أنا أضع اعتبـارًا* لكونـك شخصًا أحمـق يعرض وظيفته للخطـر من أجل نزوة رخيصة، *أضع اعتبارًا* لكونـك شخصًا حقيرًا أنانيًّا، قام بخيانة الناس الذين انتخبوه. هل هذه الاعتبارات كافية".

نكس العمدة رأسه، وقال: "أنا عمدة جيد لهذه المدينة. أنا كذلك بالفعل".

"أتعني عندما قلصت معاشات رجال الشرطة لتوازن الميزانية؟".

رفـع العمدة رأسه، وقد أحس بأن هنـاك فرصة للتفاوض؛ فقال: "ربما يجب أن نتحدث عن ذلك".

"لِمَ لا؟ دعنا نحتسِ القهوة معًا يومًا ما".

"لا، أعني ... هذا الموقف يمكننا التوصل لحل فيه الآن".

انحنى بيلي قليـلًا بحيث أصبح وجهه مقابلًا وجه العمدة مباشرة، وسأله: "أتقول إنني إذا تركتك تغادر، ستغير موقفك حيال معاشنا؟".

نظـر العمدة، وهو رجـل سياسي حتى النخاع، إلى عينـي بيلي في أمل، وقد استعـاد وجهه المستدير المكتنز بعضًا من نضارته، وقال: "حسنًا، ماذا لو قلتُ ذلك؟".

أجابـه بيلي: "لو قلتَ ذلك، ستواجه تهمة أخـرى أيضًا، وهي محاولة رشوة ضابط شرطة".

ثـم ترك بيلـي الغرفة، ووجـد سوش الـذي كان جبيناه البـارزان يتصببان عرقًا، وقد خلفت أحداث الليلة إحساسًا هائلًا بالإثارة داخله. قال سوش: "وأنا الـذي كنت أعتقد أنها ستكون عملية مراقبة مملـة! هل تريد مقابلة مديرة هذا المكان؟ إنها امرأة من طراز رفيع".

الفصل
7

قضى بيلي الساعة التالية في الإشراف على تفتيش المكان، والتأكد من أنه تم تصوير المشهد بالقبو بالفيديو، وأن المقبوض عليهم قد تم تصويرهم كل على حدة، وأنه تم الكشف عن أسمائهم (ولم يكن من المفاجئ أن بعضهم قد استخدموا أسماء مزيفة)، كما تأكد من بدء البحث عن سجلات في المكان.

بعد أن تم وضع المقبوض عليهم جميعًا في سيارات الشرطة، وتلقى رجال الشرطة أمرًا بمغادرة المكان، وجد بيلي نفسه مع سوش في الطابق الأرضي.

قال بيلي: "لنذهب لرؤية المديرة".

وبينما كانا يصعدان السلم، قابلا جولدي - أو الملازم مايك جولدبيرجر، وهو الشخص الأقرب لبيلي في قسم الشرطة، والمؤتمن على أسراره، وأحد القلائل الذين يثق بهم - هابطًا من الطابق العلوي.

قال جولدي، وهو يضرب كفه بكف بيلي: "*ها* أنت ذا. إنها ليلة كبيرة لك. تهانينا. لقد اعتقدت أنك ستكون بالطابق العلوي تتلقى الثناء والإشادة!".

"بالطابق العلوي؟"

"أجل؛ فنائب رئيس الشرطة موجود بالطابق العلوي".

"حقًّا؟".

"طبعًا، فالخبر قد انتشر كالنار في الهشيم، وويزنويسكي جعل الأمر يبدو كأنه من خطط للعملية برمتها، وأنه بطل الليلة الأول".

قال سوش: "يا له من حقير!".

قال جولدي: "اصعد وأطلعهم على ما أنجزت، لقد حاولتُ طرح اسمك، لكن ويزنويسكي كان مستميتًا في لفت الأنظار إليه. تهانينا مرة أخرى، يا صديقي".

جولدي شخص جدير بأن يُحَب. اتجه بيلي وسوش للطابق العلوي.

وكما قال جولدي، كان نائب رئيس الشرطة موجودًا بالطابق العلوي، وتعلو وجهه ابتسامة عريضة، ويصافح ويزنويسكي بإحدى يديه، ويربت كتفه بالأخرى؛ وذلك لأن العمدة كان قد تخطى نائب رئيس الشرطة في الترقية لمنصب رئيس الشرطة، ولذا كان النائب من أكثر الناس سعادة بسقوط العمدة، شأنه في ذلك شأن رجال الشرطة الآخرين بعد أن حاول العمدة تقليص معاشهم.

أومأ ويزنويسكي لبيلي وسوش، لكنه لم يقل أي شيء، ولم يُشِد بدوريهما أمام نائب الرئيس. فتمتم سوش بسباب خافت، لكن بيلي لم يكن يبالي بالأمر. فقناعته الدائمة هي: *قم بعملك، وخذ الأمور ببساطة.*

ثم مرَّا بغرفة مكتب، فتوقف بيلي للحظات، ونظر داخلها، ليجد غرفة منمقة للغاية، بها مكتب جميل، توجد عليه عدة أكوام من الورق المنظمة بعناية، لكن لم يكن فيها حاسب آلي. كانت كيت موجودة بصحبة عدد من رجال الشرطة يفتشون المكان تفتيشًا كاملا، ويفحصون كل خزانة، ويتصفحون الكتب الموجودة على الرفوف، ويرفعون السجادة، ويفتشون كل ما يمكن تفتيشه.

قال بيلي: "ما الوضع عندك؟".

فذهبت كيت إليه وقالت: "أنت تعلم أن ويزنويسكي يقف هناك وينسب كل الفضل في عملية المداهمة إلى نفسه".

هز بيلي كتفيه، وسألها: "هل وجدتِ أي شيء في حجرة المكتب؟".

هزت كيت رأسها نفيًا، وقالت: "لا سجلات، ولا حاسب، حتى آلة تمزيق الأوراق خالية. هناك الكثير من الأموال النقدية وحسب".

لم يكن هذا أمرًا مفاجئًا؛ فالسجلات على الحاسب تمثل تهديدًا بقدر رسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية. فبمجرد إنشائها، لا يمكن محوها تمامًا. هؤلاء الأشخاص محترفون، وبالطبع لديهم سجلات، لكنها جميعًا مكتوبة يدويًّا.

سألها بيلي: "ولا دفتر سريًّا ببيانات الزبائن؟".

هــزت كيــت رأسها نفيًا وقالــت: "ولا دفتر سريًّا ببيانــات الزبائن. لا بد أن هناك دفترًا كهذا، لكنه ليس هنا".

أشار بيلي برأسه ناحية الغرفة المجاورة، وقال: "لنذهب لمقابلة المديرة".

ثم انتقلا إلى غرفة مجاورة كان يجلس فيها كراولي مع امرأة بدت متجهمة. كانــت امرأة حسنة المظهر، نحيلة القوام، في منتصف العمر، ذات شعر أشقر مائل إلى الأبيض، وترتدي بذلة زرقاء أنيقة.

كان كراولــي يبدو كشخص ظل مستيقظًا لوقت متأخر عن موعد نومه، وهو علــى الأرجــح كان كذلك بالفعل. وعلــى الفور، قال: "أقدم لكــم رامونا ديلافو، مديرة هذا المكان. أليس هذا صحيحًا، يا رامونا؟"

أجابته وهي تعقد ذراعيها: "تبًّا لك. أنا لست مضطرة لإخبارك بأي شيء".

قلب كراولي عينيه وقال: "لقد قرأت عليها حقوقها، لكنْ لديَّ إحساس بأنها تعرفها بالفعل".

اقترب بيلي من المرأة، وسألها: "أين الحاسب الخاص بك؟".

"لستُ مضطرة للإجابة عن هذا".

قــال بيلي: "سنجــده على أية حال، لكــن من الأفضل لــكِ أن تخبرينا"، ثم أخــرج من جيبه دفترًا صغيرًا ملصقًا به قلم، وأردف: "وسأكتب ملاحظة بأنكِ كنت متعاونة معنا، وسأرسم وجهًا مبتسمًا بجانبها".

فقالت له: "اذهب إلى الجحيم!".

"إذن، ماذا عن دفترك؟".

"ماذا تقصد بالدفتر؟ الكتاب السماوي؟".

حركــت كيت كرسي المــرأة بقدمها لينحرف قليلًا ناحيتهــا، وقالت: "هيًّا، أخبرينا".

"ليس لديَّ حاسب، وليس لديَّ دفتر".

قالت كيت: "اسمعي يا امرأة".

قاطعتها المــرأة: "اسمي ليس امرأة، اسمي رامونــا، وسأناديكِ بالشرطية الفاسقة".

عضَّ سوش مفصل أصبعه في ترقب؛ فهو يعــرف أن كيت ليست من نوعية الأشخاص الذين يمكن العبث معهم.

أردفت رامونا: "لا، لن أناديكِ بهذا؛ فأنتِ على الأرجح لن تجدي شرطيًّا واحدًا يرضى بك".

جفل بيلي وأغلق سوش عينيه في ترقب...

قالت كيت: "أتفهم وجهة نظرك. لكن من الناحية الأخرى...".

ثم صفعت المرأة على وجهها صفعة قوية أسقطت المرأة من فوق الكرسي.

وقالت: "هذه هي وجهة نظري".

تدخل بيلي بين كيت ورامونا، التي كانت مستلقية على الأرض حينئذ، وقال لكيت: "اهدئي".

صاحت رامونا: "سأقاضيكِ! سأقاضيكِ أيتها الفاسقة!".

مد بيلي يده إلى المرأة، فرمقته بنظرة ساخطة، قبل أن تمسك بيده، وتعود إلى كرسيها. قال لها: "رامونا، يمكننا أن نقلب المكان رأسًا على عقب بحثًا عن الدفتر، أو يمكنك أن تخبرينا بمكانه فلا نضطر لذلك. أعلم أنكِ تعملين تحت إمرة رئيس، أتعتقدين أنه سيكون سعيدًا إذا هدمنا الجدران ومزقنا السجاجيد؟".

لم يكن بيلي وكيت بحاجة للقيام بتمثيلية الشرطي الطيب والشرطي الشرس، لأنهما كانا كذلك في الحقيقة.

كانت رامونا لا تزال تتألم من الصفعة التي تركت احمرارًا بارزًا على خدها. فهزت رأسها على نحو ينم عن الإنهاك، وقالت: "لن تجدوا دفترًا سريًّا".

"إذن الخطوة التالية هي تفتيش منزلك، لم تتركي لنا خيارًا آخر".

فقالت: "أريد محاميًا".

كانت هذه الجملة نهاية المحادثة مع المرأة.

قال بيلي لسوش: "اجعل رجال الشرطة يستمرون بالبحث عن الدفتر، وسأجد قاضيًا يمنحنا مذكرة تفتيش لمنزلها، سنجد ذلك الدفتر السري عاجلًا أم آجلا".

الفصل 8

لا بـد لعمليـة مداهمة كبيرة كهذه أن يتبعها احتفال كبير. فذهب بيلي وكيت إلـى هـوول إن ذا وول، وهو مقهى لرجـال الشرطة بشـارع روكويل، بالقرب من محطـة قطار بـراون لاين. كانت مجموعة مـن رجال الشرطـة المتقاعدين قد اشتـروا ذلـك المقهى منـذ عشر سنـوات، وجـددوه، واشتهر المقهـى بتقديم خصومـات على المشروبـات لرجال الشرطة، وحظي المـكان بإقبال هائل منذ اليـوم الأول. وبعد بضع سنـوات، قاموا ببناء مسرح في أحـد الأركان، ووضعوا مكبـر صوت، وسمحوا لرواد المقهى بالصعـود وتقديم عروض فنية، وهو الأمر الـذي راقهم كثيرًا، لدرجـة أنه أصبح تقليدًا متبعًا. ومـع الوقت، أصبح المكان يجـذب نوعية أخـرى غير رجال الشرطة ومعجباتهم؛ فـكان بعض الناس يأتون من أجل العروض الكوميدية؛ حيث إن الكثير من الأشخاص - بمن فيهم بيلي - يعتقدون أن هذا المكان ينافس كبرى النوادي الكوميدية.

عندمـا دخل بيلي وكيت، تمت تحيتهما كالملوك، والتف حولهما الحاضرون سريعًـا، وأمسـك الجميـع ببيلي، وأخذوا يمزحـون معه، بالضـرب على ظهره، ويضعـون رأسه بين أذرعتهم، ويحملونه بين أيديهم، ويحتضنونه بقوة، ويعبثون بشعـره، ويتجرعون الشراب على شرفه - وقبِل بيلي كل هذه التصرفات بالطبع لأنـه لا يريـد أن يبدو وقحًا. وعندما تمكن بيلي وكيت أخيرًا من أن يجدا طاولة،

كان بيلي شبه غائب عن الوعي، وشعره منكوش كشعر طفل صغير، وكان متأكدًا من أنه مصاب بشد في عضلة أو اثنتين.

قال بيلي لكيت التـي كان شعرها منكوشًا أيضًا: "أعتقد أنهم سمعوا بعملية المداهمة!".

وضع شخص أمامهما كوبين من الشراب على الطاولة الطويلة، وقال بلهجة صارمـة إنـه "غير مسموح لهما" أن يدفعا مقابل أي شـيء يتناولونه الليلة. رفع بيلـي الكوب، وشـرب جرعة كبيرة، وتذوقها في استمتـاع. إنها ليلة كبيرة حقًّا. كان الصحفيون يغطون كل تفاصيل الواقعة. كبير رجال الدين؟ عمدة شيكاغو؟ هذه ليلة أكبر من أن يفوّتها أي شخص؛ فنصف رجال الشرطة في المقهى الآن يتناقلون الخبـر على الهواتف الذكية، ويقرأون مقالات إخبارية ومنشورات على فيسبـوك وتويتر عن العملية. لم يكن العمـدة شخصًا داعمًا لنقابة الشرطة ولا لمعاشهـم؛ ولذا لم يذرف أحد دمعة واحدة على سقوطه، أما كبير رجال الدين فكان قصة أخـرى؛ حيث كان بعض الأشخاص غاضبين، لاسيما المتدينين من رجـال الشرطة، بينمـا استغل آخـرون الفرصة ليمطروا دار العبـادة بوابل من السخرية اللاذعة.

كانـت كيت تستمتع بعملها، فهي مدمنة على الحركة والإثارة، وبدرجة تفوق بيلـي بكثيـر. وإذا أعطيتَ هذه المرأة عمـلًا مكتبيًّا، ستطلق النـار على نفسها في غضون سـاعـة. كانت تستمتع بتقصي الحقائق، لكنهـا كانت أكثر استمتاعًا بالمداهمـات والمواجهـات وإثـارة المطاردات. لقـد أصبحـت شرطية للسبب الصحيح وهو التصدي للأعمال الشريرة، لكن الأمر كان أكثر من هذا بالنسبة لها؛ إذ كان بمثابة رياضة جسدية.

نظر بيلي إليها وهي تقف بجوار الطاولة التي كانوا يجلسون عليها، وعيناها على التلفزيون المعلق في أحد أركان المقهى، والذي كان يعرض تغطية مستمرة لعمليـات الاعتقـال التي قاموا بها. كانت كيت ترتدي سـتـرة رقيقة مفتوحة عند أعلى الصدر، وبنطلون جينـز أزرق ضيقًا، بدت فيهما أكثر جمالًا وتألقًا. كانت نجمـة في الكـرة الطائرة في جامعة جنوب إيلينوي، ورغـم مرور عشر سنوات، لا تـزال تحتفظ بمظهرها الرياضـي، وربما ساعدها في ذلك دروس التايكوندو والملاكمـة التي أخذتهـا، وكذلك مسابقات الجري التي شاركـت فيها. وأحيانًا يصاب بيلي بالإرهاق وهو يفكر في كل الأشياء التي فعلتها كيت.

لكنه في هذه الليلة لم يكن مرهقًا، بل كان مفعمًا بالإثارة - مثل كيت - بسبب عمليات الاعتقال التي قاموا بها. كان دائمًا يقول لنفسه إن عمليات الاعتقال عنده سواء؛ فهو يقوم بعمله وحسب، لكنه لم يستطع أن يحرم نفسه من لذة الإثارة جراء أحداث الليلة.

أخذ رجال الشرطة يتوافدون إليه ويهنئونه ويلقون الدعابات بشأن العمدة وكبير رجال الدين، وازدادت الدعابات وقاحة مع استمرار تدفق المشروبات. وفي لحظة ما، التفت بيلي نحو كيت، ورأى ويزنويسكي واضعًا ذراعه على كتفها ويهمس في أذنها. وكانت كيت ترسم ابتسامة على وجهها، لكن بيلي كان يعرفها مثلما كان يعرفها الجميع، وخمَّن من لغة جسدها المتصلبة وابتسامتها المفتعلة أنها بعد وقت قصير ستفضل الحصول على حقنة شرجية بدلًا من التعامل مع مغازلات ويزنويسكي.

أجل، إنه ويزنويسكي؛ الشخص نفسه الذي حاول أن يثني بيلي عن القيام بعمليات الاعتقال في البداية، والسياسي الذي كان يخشى أن تفسد عملية المداهمة وضعه الراهن، والذي غيَّر موقفه تمامًا بعد ذلك ونسب الفضل إلى نفسه بالكامل أمام نائب رئيس الشرطة، وها هو يتلوى على أنغام الموسيقى وكأنه أحد رجال المداهمة.

"ها أنت ذا، يا رجل الساعة".

هكذا صاح مايك جولدبيرجر - جولدي - الذي حضر بشحمه ولحمه إلى المقهى. كان جولدي شخصًا هادئًا، وعلى عكس بيلي ورفاقه، لم يكن يحب الإسراف في تناول المشروبات الكحولية؛ ولذا لم يكن من المألوف رؤيته في هذا المكان.

أردف جولدي، وهو يشير بأصبعه إلى بيلي: "لا تسرف في الشراب؛ فربما تكون جزءًا من مؤتمر صحفي غدًا".

كان بيلي يتصور أنه ستُعقد مؤتمرات صحفية على مدار الأيام القليلة القادمة، لكنه كان متأكدًا من أن ويزنويسكي سيكون هو الشخص الذي سيقف بجوار رئيس الشرطة، وليس هو.

سأله جولدي: "كيف تشعر حيال كل ما حدث؟ هل سارت عملية المداهمة على ما يرام الليلة؟".

أومـأ بيلي قائلًا: "أعتقد هذا. كل شيء سار على أفضل ما يكون. لاشك في أننا نجحنا بنسبة مائة في المائة".

لـم يبد جولـدي متفاجئًا وهـو يقول: "حسنًـا"، إذ كانت هنـاك الكثير من الأسباب المبررة لتفتيش المكان، ثم أردف: "هل حدث شيء غير عادي؟".

"لقد حاول العمدة أن يقدم لي رشوة".

جفل جولدي وقال: "حقًّا؟".

"كان علـى وشـك فعل هذا؛ حيث قال لـي إن بإمكاننا حـل مسألة معاشات ضبـاط الشرطة، وإنني إذا تركته يغادر من البـاب الخلفي، فسيغير رأيه بشأن تقليصها".

فقال جولدي بوجه جامد: "ربما كان يجب أن توافق".

"لقـد حاولت أن أحصل منه علـى بعض التذاكر المجانيـة لمباريات فريق بلاك هاوكس لنفسي".

فجذبه جولدي إليه وقال: "إياك... إياك حتى أن تمزح في هذا الأمر".

"أعلم، أعلم".

خفضـ جولدي ذقنه، ونظـر لبيلي بطرف عينيه، وقـال: "أعلم بأنك تعلم، ولكننـي أتحـدث جادًّا. هذه الأمور قد تصير قبيحة يـا بيلي. لقد تلطخت الليلة سمعـة بعض من أقوى الأشخاص في المدينـة، وفي حال لم تلاحظ، فإن رجال السلطـة لن يتركـوا الأمر يمضـي بسهولة؛ حيـث سيفعلون ما يرونـه ضروريًّا، وسيطاردون من يضطرون لمطاردته، بمن في ذلك رجال الشرطة".

"تبًّا لهم".

قـال جولدي: "أنـا بالفعل أسمع أسئلة يتم طرحهـا؛ أسئلة عن جرد الأدلة، أسئلـة مثـل: أيـن الدفتر السري الـذي يحوي بيانـات المـكان؟، وكيف اختفى هكذا؟".

"لقد فتشنا المكان تفتيشًا دقيقًا، ولم نجد...".

"أنا أعرف ذلك يا بيلي، أنا في صفك".

كان بيلي يعرف هذا جيدًا؛ حيث كان جولدي بمثابة الملاك الحارس له منذ انضمامه إلى الشرطة. ربما كان جولدي يبالغ في ردة فعله، لكنه كان قادرًا على استشعار هذه الأشياء في القسم.

قال جولدي، وهو يهمس في أذن بيلي: "انتبه لنفسك. منذ هذه اللحظة فصاعدًا، لا تتجاوز السرعة المسموح بها وأنت تقود، وساعد السيدات كبار السن في عبور الطريق، وأنقذ الكلاب الصغيرة التي تغرق في بحيرة ميتشجان".

ثم ربت بقوة على صدر بيلي، وقال له: "أنت تحت الميكروسكوب يا صديقي؛ فلا تعط أحدهم مبررًا لإيذائك".

الفصل 9

شاهدت باتي هارني أخاها بيلي وهو يسير بخطوات متعثرة نحو مسرح المقهى. كان بيلي رجل الساعة، رغم أنه لم يسع لجذب الأضواء في هذه القضية، ولا في أي قضية قبل ذلك، ولا تتذكر باتي أنه في مرة حاول لفت الانتباه أو التفاخر بنفسه أو الترويج لها، لكن الاهتمام الذي يناله يأتي من دون محاولة منه؛ باختصار، لقد كان الناس ينجذبون إلى أخيها التوأم أكثر مما ينجذبون إليها.

جذب شرطيان بيلي نحو الميكروفون، لكنه لم يكن في حالة مناسبة لذلك هذه الليلة؛ حيث كان قد احتسى الكثير من المشروبات، غير أن كل شيء كان بيلي يفعله كان يبدو كأنه يفعله دون جهد، مثلما يحدث الآن وهو يمسك بالميكروفون ويلقي النكات دون تحضير مسبق. كانت بيتي تصاب بالهلع إذا وُضعت في موقف كهذا، لكن بيلي كان لا يبالي بشيء. أحقًّا خرجت باتي من الرحم نفسه الذي خرج منه بيلي وكان الفارق بينهما سبع دقائق فقط؟

قال بيلي في الميكروفون بعد أن بدأ الجمهور في الهدوء: "أنا هارني. تعرفون أن على المرء أن ينال قسطًا من الضحك في هذه المدينة اللعينة، وإلا سيصاب بالجنون. لذا، دعونا نضحك قليلا".

"أنت رجل الليلة!"، قالها رجل شرطة يقف على بعد أمتار قليلة من بيلي، وهو شرطي دورية يغطي الجانب الغربي من المدينة. كان رجلًا ضخم البنية،

يشبه أبطال كمال الأجسام، وقد أشار إليه بيلي بأن يصعد المسرح. أيًّا كان ما يرتديه هذه الضابط الضخم عندما وصل إلى المقهى الليلة، فإنه قد خلعه ولم يتبق عليه سوى قميص داخلي ضيق يبرز عضلاته المفتولة ورأسه الأصلع اللامع.

وضع بيلي ذراعه حول الرجل وقال: "أريد أن أشكر مستر ماسل على قدومه الليلة".

انفجر رجال الشرطة الكبار في الضحك، بينما لم يفهم الضباط الشبان لماذا أطلق بيلي على الضابط اسم مستر ماسل.

فأردف بيلي: "إن مستر ماسل هذا ينظف المدينة من حثالة المجرمين منذ عقود طويلة".

تساءلت باتي في نفسها: *"كيف يرتجل شيئًا كهذا؟"*، ثم شقت طريقها بين الزحام ووجدت المحققة كاثرين فنتون، التي كانت تقف بجوار طاولة طويلة، تضحك وتشاهد شريكها على المسرح.

حيَّتها باتي: "مرحبًا، كيت".

فتغير وجه كيت قليلًا لرؤيتها، قبل أن تتدارك نفسها وترسم ابتسامة مفتعلة على وجهها، وتجيبها: "مرحبًا، باتي".

في الظاهر، كانت كاثرين فنتون شريكة جيدة لبيلي. فأحدهما يكمل نواقص الآخر؛ فكيت حادة الطباع وعنيفة، بينما بيلي وديع وأقل نزوعًا للعنف، وأكثر استرخاء وطمأنينة، ودائمًا ما يتحلى بروح الدعابة في تعامله مع المواقف.

لكن لم يكن هناك ودٌّ بين باتي وكيت أبدًا، وكان من الصعب على باتي أن تضع يديها على السبب؛ فباتي دائمًا تتعامل مع كيت في حدود الأدب ولم تقل لها يومًا كلمة جارحة واحدة، ولم يكن بوسعها أن تحدد شيئًا واحدًا فعلته يجعل كيت تبغضها.

غير أن هناك شيئًا كان يخطر ببالها، وهو أنه توجد بطريقة ما منافسة بينهما على بيلي؛ فقد أرادت كيت أن تكون أقرب شخص لبيلي، لكنها لم تستطع ذلك بسبب أخته التوأم.

لن تعرفيه بقدر ما أعرفه، يا كيت، لن يحدث هذا أبدًا.

قالت باتي لكيت: "تهانينا على إنجاز الليلة الكبير".

فردت كيت وعيناها لا تزال على المسرح: "شكرًا".

قال بيلي مكملًا حديثه مع الحاضرين: "إنني أذهب لدار العبادة على الأقل مـرة فـي الشهر لأسمع الوعظ من رجل الدين، لكن الليلـة كانت أول مرة أعظه أنا".

ضحك الجمهور للنكتة، وعلا هتافهم وصيحاتهم. الجميع يحبون بيلي. لكن بيلي لم يكن يقدم عرضه للحاضرين وحسب؛ فقد وضع هاتفه في مكان ما على المســرح ليسجـل دعاباته التي ألقاهــا، ثم نشرها على صفحــة على فيس بوك كان يتشاركهــا مــع ستيوارت، وهو شخص قابله بيلي فـي المستشفى منذ ثلاث سنوات، عندما وقعت لبيلي تلك الحادثة المروعة.

يــا إلهي، هــل مرت ثلاث سنوات على ذلك؟ ورغم ذلــك لا تزال باتي تشعر بأجوائها. لكن انظر إلى بيلي، لا يزال صامدًا بعد تلك الواقعة المريرة التي مر بها، وهي مأساة كفيلة بأن تحطم معظم الناس، كفيلة بأن تحطم *باتي* شخصيًّا. لكن بيلي اجتازها ومضى في حياتــه محتفظًا بملامحه الهادئة، وكأن العاصفة الهوجاء التي ضربت حياته قد تلاشت دون أن تخلف مشكلات أو همومًا.

لكــن الواقعــة غيرته، لا بد أنها فعلت ذلك، وبطرق لــم تستطع باتي فهمها، لكن بيلي لم يكن ليتحدث في ذلك، حتى لو صوبت بندقية إلى رأسه.

ظلت باتي تراقب كيت وهي تشاهد بيلي، ولم يرقها ما رأته؛ إذ كان عليها أن تقر في نفسها بأن مظهر كيت رائع الجمال، بشعرها البني المائل إلى الاحمرار المسحــوب إلى الــوراء، وعينيهــا الخضراويــن الواسعتين، وقوامهــا الرياضي الممشــوق. هذا القدر من الجمــال يجعلها عصية على معظم الرجال. بيلي كان ذا مظهــر محبب أيضًا؛ إذ كان طويــلًا، قوي البنية، وذا ابتسامة طبيعية آسرة. وقــد خطر لباتــي أكثر من مرة أنه من الــوارد أن تنشأ علاقة بيــن بيلي وكيت، لكنها لم تر أيًّا منهما من قبل يظهر أية علامة على ذلك إلا في تلك الليلة، وفي هذه اللحظة، عندما نظرت في عين كيت وهي تشاهد بيلي على المسرح.

أجــل، كان الأمــر جليًّــا في عينيها، فــي لحظة تخلت فيها عــن حذرها، في لحظة تأججت فيهــا عواطفها بفعل الشراب، في لحظة اعتقدت أنه ليس هناك من يراقبها.

لكني *أراقبك، يا كيت*.

عندمـا انتهى بيلي، رفع كوب الشراب لتحيـة الحاضرين، ورد عليه الجميع بالتصفيـق، وعندما هـدأ الصخب، وضعت باتي شرابها علـى الطاولة بالقرب من كيت.

كانـت باتـي على مقربـة من كيـت؛ لدرجة أن كيـت كانت ستبـدو وقحة لو تجاهلتها، فالتفتت إلى باتي على مضض، رافعة حاجبيها.

فقالت باتي: "بيلي شخص رائع بحق".

فوافقتها كيت قائلة: "من أروع الاشخاص".

"إنه لا يزال يتعافى مما حدث، أنتِ تعلمين هذا".

أخذت كيت رشفة من الشراب، وقالت: "أعلم هذا".

"أحقًّا تعلمين؟".

"أجل، يا باتي، أعلم".

قالت باتي: "لا تؤذيه... لا تؤذي أخي الصغير".

رجعت كيت بظهرها إلى الوراء وقالت: "ماذا تقصدين *بكلامك هذا*؟".

"أنتِ تعرفين ما *أقصده*، ومن الأفضل أن تعلمي أنني جادة في كلامي".

أرادت باتـي أن تقـول المزيد، لكنها كانت قد احتسـت الكثير من الشراب، ومَـنْ يعلـم ما قد يتلفظ بـه فمها إذا لم ترحـل؟ فوضعت الكـوب على الطاولة واتجهت مباشرة إلى باب الخروج وهناك نار تتأجج بداخلها.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل
10

جلس بيلي إلى إحدى الطاولات في مؤخرة المقهى، وتأمل أكواب الشراب الموجودة أمامه. لم يستطع تذكر آخر مرة أسرف فيها بهذا القدر. كان هناك شخص قد وضع طبقًا من البطاطس المقلية أيضًا، لكن بيلي لم يستطع حتى تخيل أن يأكلها؛ فالزيت الموجود فيها سيجعله يتقيأ على الأرجح.

جلست كيت بجانبه، فتحرك قليلًا ليفسح لها المكان. كان الهدوء يسود المقهى؛ فقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحًا، والمكان يغلق في الرابعة. أعلن النادل أن هذه آخرة مرة تُقدم فيها المشروبات قبل الإغلاق.

قال لها: "يا لها من ليلة صاخبة!".

فأجابته "ليلة مجنونة بالفعل!"، ثم لمست يدها ساقه تحت الطاولة.

"مرحبًا"، قالها شخص يترنح - وفي هذه المقهى، وصف الشخص بأنه يترنح يعد إطنابًا لا حاجة له - ثم جلس هذا الشخص قبالتهما وسألهما: "كيف كان العمدة يبدو؟".

قال بيلي: "كان رجلًا مهذبًا خلال عملية المداهمة برمتها، وتقبل مصيره بكياسة وكرامة".

ضحك الرجل، وكذلك كيت.

ظلت يدها تداعب ساقه كان بيلي منهكًا، لكن الإثارة بدأت تدب في جزء آخر من جسده.

قال الرجل: "لا بد أن القبض عليه في مثل هذا الوضع كان أمرًا مثيرًا".

التفتت كيت إلى بيلي الذي لم يكن متأكدًا من التعبيرات التي بدت على وجهه في تلك اللحظة، وسألته: "حقًّا؟ هل كان الأمر مثيرًا، أيها المحقق؟".

فنظر بيلي إلى عيني كيت، وقد صار متأكدًا أن تحرك يدها ليس مصادفة.

قال: "لقد كانت مفاجأة بالنسبة لي".

تحركت يدها مرة أخرى.

وسألته: "مفاجأة جيدة أم سيئة؟".

فقال بيلي وهو ينظر إلى الرجل الجالس قبالته: "قد تكون مفاجأة سيئة"، لكن الشرطي الثمل كان مهتمًّا أكثر بالبطاطس المقلية.

فقالت كيت: "هذا صحيح"، وهي تومئ برأسها كأنه لا شيء يحدث تحت الطاولة، ثم أردفت: "قد تكون مفاجأة سيئة *للغاية*". وإذا استمرت كيت فيما تفعله، فإن الموقف سينفجر لا محالة.

قال الرجل الثمل: "سأذهب إلى الحمام"، ثم نهض من مقعده وتركهما بمفردهما.

قال بيلي: "لكن الأشياء السيئة قد تكون جيدة في بعض الأحيان". ثم أنزل يده اليمنى لتبحث عن ساق كيت حتى وجدها.

قالت كيت: "لو حدثت المفاجأة لمرة واحدة فقط، ولم يتبعها أية تعقيدات...".

كان بيلي يجد صعوبة في التنفس حينذاك. هو لم يكن أعمى، ويدرك أن كيت رائعة الجمال، لكنه لم يكن يسمح لنفسه بتجاوز حاجز الزمالة، لقد كانت كيت شريكته في العمل، وكان بيلي يصرف ذهنه عن التفكير فيها خارج هذا النطاق.

لكن هذا الحاجز يتهاوى في تلك اللحظة. لا شك في أن فكرة إقامة علاقة مع كيت قد خطرت بباله. فلا يمكن لرجل أن ينظر إلى كيت كل يوم، ويقضي معها مناوبة تلو الأخرى، لمدة ثماني ساعات كل يوم، دون أن تخطر الفكرة بباله. يكفي فقط أن ينظر إليها.

وها هو ينظر إليها بالفعل، لكنه في تلك اللحظة لم يكن ينظر إلى المحققة كاثرين فنتون، بل كان يتخيل كيت وهي بين أحضانه.

قالت: "نحن لا نريد تعقيدات، أليس كذلك يا شريكي؟".

"لا... لا تعقيدات"، تمكن بيلي من أن يتلفظ بهذه الكلمات بصعوبة من فرط الإثارة.

لكنهما لوَّحا بأيديهما لمن تبقوا في المقهى واتجها نحو باب الخروج.

قال: "مرة واحدة فقط ليست بالأمر الجلل".

كان هناك صف من سيارات الأجرة التي تنتظر بالخارج، فركب الاثنان أول سيارة.

وقال بيلي: "هذا ليس أمرًا كبيرًا".

قالت كيت: "حقًّا؟"، ثم أعادت يدها إلى ساقه، وأردفت: "أشعر بأنه كبير بالنسبة لي".

عندما انطلقت سيارة الأجرة بعيدًا عن المقهى، عانقها بيلي.

وقال لنفسه: *مرة واحدة فقط ليست بالأمر الجلل.*

الفصل 11

"أوه، تبًّا، اللعنة".

تحـرك بيلي في السرير، وتـأوه، وتقلب، وفتـح عينيه قليـلاً، وأحسَّ بالألم يخترق رأسه.

"عليك أن ترى هذا، يا هارني".

شعـر بيلي بأن السريـر ينخفض، وكيت تسقط فوقـه. كانت ترتدي ملابس الركض، وكان القميص القطني الذي ترتديه مبللًا بالعـرق من عند الصدر، وشعرها مسحوبًا للوراء، ولا تزال ترتدي حذاءها الرياضي.

سـواء كان الطقس ممطـرًا أم مشمسًا، وسـواء أسرفت فـي الشرب الليلة الماضية أم لا، كانت كيت تستيقظ عند الفجر لتركض كالمعتاد.

قالت كيت وقد وضعت هاتفها المحمول أمام وجه بيلي: "انظر إلى هذا".

كان بيلـي في هذه اللحظة يجد صعوبة في التلفظ باسمه، ناهيك عن قراءة شيء علـى شاشة صغيرة. كانت نوبات الألم الشديد التي تتواتر في مخه تجعله يشعر كأن هناك حربًا ضروسًا تدور داخل رأسه.

استطـاع بيلي أخيرًا أن يركز عينيه علـى الشاشة، وكان رد فعله موافقًا لرد فعل كيتي المبدئي: تبًّا.

كانـت الشاشـة تعرض عنوان مقـال في جريـدة إخباريـة إلكترونية معنية بتغطيـة الأحداث السياسيـة والجرائم فـي شيكاغو، تسمـى *شيكاغو بي سي*،

وكاتبة المقالة هي كيم بينز، وهي مراسلة صحفية قابلها بيلي في عدة مناسبات غير سارة. وعبارة *"غير سارة"* هي توصيف ملطف لهذه المناسبات.

كانت كيم بينز عنيدة كالثور، وساحرة كالأفعى الجرسية.

كان العنـوان يقول: هل الظهير الربعي لفريق جرين باي باكرز زبون منتظم في أحد نوادي الفجور؟

قال بيلي في نفسه: *واو، لم يستغرق الأمر طويلًا*.

قالت كيت: "مقاطع فيديو. يقول المقال إن لديهم مقاطع فيديو له وهو يزور المبنى الحجري".

فقـال بيلي وهو يطالع المقال: "لكن ليس ليلة الأمس، فهذا اللاعب لم يكن موجـودًا ليلة أمسـ". كان المقال يقول إن مدونة *شيكاغو بي سي* قد "حصلت" علـى مقاطـع فيديو للظهيـر الربعي المبتدئ فـي فريق جرين بـاي وهو يدخل المبنى الحجري في وقت ما الصيف الماضي.

كمـا وعد المقال بالكشف عن المزيد من مقاطع فيديو لمشاهير آخرين في الفترة القادمة.

قالـت كيت: "هـذا ليس جيدًا؛ فالاهتمام سينصب كلـه على الدفتر السري الـذي يحوي بيانات الزبائن الـذي لم نجده. أنت تعرف أنهـم بالفعل يطرحون أسئلـة بشأنـه، أليسـ كذلك؟ حتى الوغـد الحقير ويزنويسكـي سألني عن هذا الدفتر ليلة أمس".

جولدي قال الشيء نفسه لبيلي، لكن السؤال الأهم بالنسبة له هو: من الذي قام بتصوير مقاطع الفيديو هذه؟ ولماذا؟

قالت كيت: "هذا خبر سيئ".

فرد بيلي: "انظري إلى الجانب المشرق منه".

"أهناك جانب مشرق؟ ما الجانب المشرق؟".

"هذا الخبر قد يعزز من فرص حصول فريق شيكاغو بيرز على بطولة دوري كرة القدم هذا العام".

فقالت كيت وهي تلوِّح بأصبعها: "بحقك يا بيلي، ألا ترى هذا الأمر على أنه مشكلة؟ سيبدو هذا تقصيرًا مني ومنك؛ فنحن كنا المسئولين عن التحقيق".

صحح بيلي كلامها قائلًا: "كنت أنا المسئول؛ فالتقصير سيكون مني".

"لكنني كنت مسئولة عن عملية الجرد والتفتيش".

كانت محاولة إثناء كيت عن القلق بشأن أمر ما لا تقل صعوبة عن إيقاف قطار شحن منطلق بسرعة صاروخية. فقد كانت كيت تفعل كل شيء بسرعة وقوة، ولم يكن التأني من صفاتها.

قالت: "العمدة يحتاج إلى صرف الأنظار عنه، ويريد أن تتمحور القصة حول شيء ما غيره، أن تتمحور حولنا".

فقال بيلي: "إذن سنجد الدفتر السري اليوم في بيت المديرة". فبعد أن استجوبوا مديرة البيت الحجري - رامونا ديلافو - ليلة أمس، وفتشوا المبنى دون أن يحالفهم الحظ في العثور على ما أرادوه، أرسل بيلي بعض رجال الشرطة إلى منزل ديلافو للتحفظ عليه.

قالت كيت وهي تقفز من فوق السرير: "من الأفضل لنا أن نجده، وإلا فسوف ينتهي أمرنا".

الفصل 12

قالت كيت: "لقد انتهى أمرنا"

رد بيلـي، وهو ينزع القفاز المطاطي من يده: "لم ينته بعد. أنتِ تبالغين في ردة فعلـك". كان بيلي يقف فـي بهو منزل رامونا ديلافو بضاحية لينكون بارك. لا بـد أن إدارة بيت كهذا أمر مربح للغايـة؛ لأن منزلها المكون من ثلاثة طوابق بشـارع بيلدن كان فخمًا للغايـة؛ إذ كانت أرضيته من الخشـب الصلب اللامع، وكان يحتـوي على تحـف فنية ثمينة، وأدوات وأجهزة حديثـة، وشاشة تليفزيون بحجـم شاشة السينما فـي القبو، أمامها صفوف مـن المقاعد التي تجدها في قاعـات السينما، وحمام رئيسي به جاكوزي كبير، وحوض للاستحمام في حجم غرفـة المعيشـة بشقة بيلي. باختصـار، كان المكان يحـوي أي شيء يرغب فيه المرء.

أي شيء باستثناء الدفتر السري.

أخبـر بيلـي رجال الشرطة والخبـراء الفنيين المشاركين فـي التفتيش بأن *الدفتـر ليس له شـكل محدد*. فقد يكون دفتـرًا ورقيًا، أو قد يكـون على حاسب أو جهـاز لوحي أو وحـدة تخزين متنقلة أو بطاقة ذاكـرة، وربما يبدو على شكل دليـل هاتف أو دفتر حسابات، وقد يكون مكتوبًا بشكل مشفر، وربما يكون عبارة عـن جمل مكتوبة بالقلـم الرصاص على الصفحات الخلفيـة من رواية موجودة

بيـن الكتب على الرف. قد يتخذ الدفتر أي شكل من الأشكال، وقد يوجد في أي مكان.

لكن بعـد ثماني ساعات من التفتيش، لم يجـدوا شيئًا. كانت رامونا ديلافو تمتلك جهاز آي باد وحاسبًا شخصيًّا، فقام الخبراء التقنيون بنقل محتويات كل منهمـا إلى وحدة تخزيـن خارجية ليتم فحصها لاحقًا، لكـن الفحص المبدئي الذي قام به أحد الفنيين لم يسفر عن شيء مفيد.

شـرب بيلي زجاجة أخرى من الماء، حيث كان حلقه جافًّا كصحراء قاحلة، وحـاول أن يفكر بشكل إستراتيجي، واضعًا نفسه مـكان رامونا ديلافو. *إذا كان لـدي شيء بالـغ الأهمية كهذا، شيء أريد الاحتفاظ بـه في مكان سري لا يمكن تعقبـه، لكن دون أن يضيع فـي الوقت نفسه، أين سأضعـه؟* المشكلة أن أفكاره وتحليلاته كانت تبحر في رأسه وسط عاصفة من الصداع والألم. لقد كان هذا أسوأ صداع شراب يعانيه في حياته.

"أوه، هذا رائع. انظر إلى هذا".

قالتهـا كيت، وأعطت هـاتفهـا لبيلي. هذه المرة كانت مقالـة على الإنترنت فـي إحدى الصحـف الرئيسيـة بالمدينة وهـي *شيكاغو تريبيـون*. تصفح بيلي العناوين، وكانت تدور جميعها حول عملية المداهمة.

هل سيستقيل العمدة؟

تأهب المرشحين لمنصب العمدة

بيان دار العبادة غير واضح

لكن بين تلك العناوين، كانت هذه الصاعقة:

تساؤلات بشأن تصرفات الشرطة

لـم يكن هنـاك الكثير مـن الأخبـار الجديدة في هـذا المقـال؛ حيث كان النصـف الثاني منقـولًا بالنص من مقـالات أخرى، ويحتوي علـى ملخص عن عمليـة المداهمـة وكل الأشخاص البارزيـن الذين تم القبض عليهم، لكن أول ثـلاث فقرات كانت تتحدث عن تعييـن العمدة لمحامٍ داهية، والذي كان النائب

العـام للبلاد في أثناء ولاية جـورج بوش الأب، والذي ادعـى أن الشرطة حولت "تصرفًا بريئًا إلى سلوك إجرامي، واقتحمت منزلًا خاصًا دون مبرر قانوني".

ابتسم بيلي وهز رأسه، وكان هذا رد فعله المعتاد على الأخبار السيئة. كانت نظرتـه العامـة للأشياء بعد مرور ثـلاث سنوات على الحادثة، هـي أن أسوأ ما يمكـن أن تصيبـه به الحياة قد حدث؛ ولذا فـإن كل ما سيحدث بعد ذلك يمكن التعامل معه.

لكـن هذا الأمـر كان متعلقًا بوظيفته، والتي هي شيء مهـم بالنسبة له؛ لأن عملـه هـو كل ما تبقى لـه الآن. وعلـى الرغم من أن كيـت تميـل بطبيعتها إلى المبالغـة، فإنها لم تكن الوحيدة التـي يراودها القلق بشأن ما قد يحدث الفترة القادمـة. جولدي كان قلقًا أيضًا، وكان بيلي يعـرف أن جولدي هو أكثر شخص لديه القدرة على استشعار هذه الأمور.

"كل شـيء سيكون على ما يرام، يا كيـت"؛ هكذا قال بيلي وهو يحاول إقناع نفسه بذلك وإقناعها.

ثـم انطلق أزيز من هاتف كيت الموجود فـي يد بيلي، ومن حزام بيلي نفسه حيـث يضـع هاتفه. لقد تلقى كلاهمـا رسالة نصية في الوقـت نفسه بالضبط؛ فشعر بيلي بقشعريرة تسري في بدنه.

أعاد بيلي هاتف كيـت إليها، وتفقد هاتفه. لم تستغرق قراءة الرسالة سوى ثانية، وأدرك الاثنان أنهما تلقيا الرسالة نفسها.

وكانت رسالة من ويزنويسكي:

احضر إلى الطابق الخامس في مركز ديلي خلال ساعة.

الطابـق الخامس في مركز ريتشارد جيـه. ديلي هو المقر الرئيسي للمدعي العام بمقاطعة كوك، وهو المحامي العام المشرف على كل الجرائم في شيكاغو والضواحي المحيطة بالمقاطعة.

نظرت كيت إلى بيلي وقالت: "نحن في عداد الأموات".

الفصل 13

فتح الرجل الباب الخشبي الأصفر، وقال: "المدعي العام سيقابلكما الآن".

كان أول شيء يراه بيلي عبر النافذة الموجودة بالمكتب الكبير هو الظلام بالخارج، ثم وقعت عيناه على صور فوتوغرافية وتذكارات مصفوفة على الحائط؛ لم يكن غريبًا على السياسيين تعليق صور مثل هذه من أجل التباهي.

ثم رأى رجلين في الغرفة: رئيس الشرطة والمدعي العام لمقاطعة كوك.

رئيس الشرطة الذي عيَّنه العمدة هو رجل اسمه تريستان دريسكول، وكان العمدة قد قام بترقيته لهذا المنصب من وظيفته السابقة، حيث كان رئيس قسم شرطة مدينة نيو آرك، بولاية نيوجيرسي. كان شقيق دريسكول ينتمي لإحدى جماعات الضغط، وقد أسهم في جمع ملايين الدولارات للعمدة فرانسيس ديلاني من أجل الانتخابات الأخيرة. وبهذه الطريقة، ورغم أن العمدة قد أعلن أنه عيّن شخصًا "من الخارج" من أجل "تنظيف" قسم شرطة شيكاغو، فإنه قد عيّن شقيق أحد الأشخاص الذين يدين لهم بالكثير في فوزه بفترة أخرى. مرحبًا بك في شيكاغو.

بجانبه، كانت تجلس المدعي العام مارجريت أولسون، التي عملت عضوة في مجلس المدينة لثلاث فترات، قبل أن تقرر السعي لمنصب المدعي العام للمقاطعة. لم تمارس مارجريت المحاماة سوى بضع سنوات، لكنها فازت بالمنصب بعد أن تلقت دعمًا هائلًا - خمن مِنْ مَنْ؟ من العمدة فرانسيس ديلاني.

ولأنهــا كانت تعلم أن هناك الكثير مــن المشككين في أهليتها للوظيفة، فقد قــررت أن تكــون أقسى وأشرس مدعٍ عــام عرفته المقاطعة؛ فلــم تُسقط دعوى أبــدًا، وكانت ترفض دائمًا صفقات تخفيضــ العقوبة. وسرعان ما حصلت على لقب "مارجريت القصوى" لسعيها الدائم وراء أقصى العقوبة في كل الجرائم. كرهها القضاة، واحتج عليها مناصرو الحقوق المدنية، ولم يرض رجال الشرطة عــن حقيقة أنه مع كل قضية، مهما كانت مضمونة النتائج ومهما كانت صغيرة، كان لا بد من الإدلاء بشهادتهم في المحكمة؛ لأن مارجريت ترفض عقد صفقات مع المتهمين. لم يحبها سوى محامي الدفاع؛ لأن تصرفات مارجريت القصوى كانت تجلب لهم المزيد من القضايا.

كان بالغرفة شخص ثالث، امرأة شابة - على الأرجح في سن بيلي - ترتدي ملابســ أنيقة، وتركز بصرهــا على الآخرين كأنه شعاع ليــزر، وتحدق في بيلي بقوة، لدرجة أنه اعتقد أنها تحاول قراءة أفكاره.

إذا أمكنها قراءة أفكاره، فهذا هو ما ستستخلصه:

رئيســ الشرطــة دريسكــول ما هــو إلا أحمــق بــلا روح، أما المدعــي العام مارجريت أولسون فهي شخصية سياسية انتهازية مستعدة لأن ترفع قضية على أمها إذا كان هذا سيعزز مصالحها بنسبة واحد في المائة. وكلاهما حصل على منصبه بفضل العمدة الذي قمتُ لتوي بإهانته وتدميره. وأنتِ، ما أصولك، أيتها الشابة الرائعة؟ هذا الشعر الحريري الأسود الفاحم وهاتان العينان السوداويان الآسرتان صفات تشي بأصول إيطالية، وربما يونانية. إنك تشبهين الممثلة كيت بيكينسيل، ولكن مع شهادة في القانون. هذا هو الشيء الجيد، أما الشيء السيئ فهو أنني أظن أن شخصيتك لا تقل بشاعة عن الأمراض المستعصية.

قالت مارجريــت أولسون وهي تجلس خلف مكتبهــا البني بشعرها الرمادي القصير: "أيها المحققان، أنتما تعرفان رئيس الشرطة بالطبع".

قال بيلي في نفسه: *بالتأكيد أعرف تريستان. مرحبًا، يا تريستان. أي نوع من أسماء رجال الشرطة تريستان هذا؟ هل كان والداك يتمنيان فتاة بدلًا منك؟*

ثم قال بيلي: "بالطبع"، بينما اكتفت كيت بإيماءة من رأسها دون أن تتحدث.

قالــت أولسون وهي تشير برأسها إلى الشابــة رائعة الجمال ذات التعبيرات الجامدة الجالسة في الركن: "هذه مساعدة المدعي العام، إيمي لنتيني".

فكر بيلي : *ذات أصول إيطالية*، كان هذا تخميني الأول.

أردفت أولسون: "وهي المسئولة عن التحقيقات الخاصة في مكتبي. اجلسا أيها المحققان، اجلسا".

جلس بيلي وكيت على المقعدين المواجهين للمكتب؛ فأصبحا كالمحاصرَيْن؛ إذ كان رئيس الشرطة عن يسارهما، والمحامي العام أمامهما مباشرة، والمحققة الخاصة إيمي لنتيني عن يمينهما".

قال بيلي في نفسه: *حسنًا، أعلم أنكم متحمسون جميعًا لشكرنا على حسن صنيعنا ليلة أمس. من يريد أن يبدأ؟ ارفعوا أيديكم!*

ألقى بيلي نظرة خاطفة على كيت التي كانت متوترة بوضوح، فانتقل هذا التوتر إليه. غضب بيلي من معاملتهما بهذه الطريقة، ومن هذه المحاولة الواضحة لإرهابهما، وشعر بغريزة الحماية تتملكه؛ فمد يده ليمسك يد كيت، لكنه تراجع، مفضلًا عدم فعل ذلك.

قالت إيمي لنتيني: "لدينا بعض التساؤلات لنطرحها عليكما بشأن ليلة أمس، ونعتقد أنكما ستساعدننا في فهم بعض الأشياء".

كانت هذه طريقة جيدة لتوصيل الرسالة، وقد قيلت بطريقة ودية تضامنية على لسان امرأة تبدو كمن يريد اقتلاع رأسيهما.

سألتهما: "لماذا ذهبتما إلى هناك من الأساس؟ إن منطقة جولد كوست ليست ضمن نطاق عملكما".

قال بيلي: "إنني أحقق في جريمة قتل فتاة عُثر عليها مخنوقة بجوار حرم جامعة شيكاغو، وكنت أراقب مشتبهًا به في الجريمة، ورأيته يدخل هذا المبنى الحجري قبل أسبوع، واكتشفت من مراقبتي الطويلة للمكان أنه مبنى خاص".

فقالت: "إذن فهي قضية آداب".

"بالتأكيد، قضية آداب، لكني لم أكن هناك لأحقق في قضية آداب، بل لأنني أردت القبض على المشتبه به في قضيتي في هذا المكان".

"لماذا؟".

"هل عملتِ كشرطية من قبل، يا آنسة إيمي؟".

بدا على إيمي الامتعاض، ولم يدر بيلي ما الذي أزعجها أكثر: أنه أصبح السائل وهي المجيبة أم أنه خاطبها باسمها الأول.

أردف قائـلًا: "انظري، يا إيمي. عندما يكون لديكِ مشتبه به فاحش الثراء مثل الذي في قضيتي، فلن يكون من السهل أن تدفعيه إلى الكلام إلا إذا كان لديكِ شيء تضغطين به. وأنا إذا قبضت عليه في مكان كهذا، سأتمكن من الضغط عليه بقوة".

فتحـت إيمي يديها فـي استغراب وقالت: "أنت تعتقد أنـك إذا قبضتَ عليه متلبسًا مع امرأة سيئة السمعة، فإنه سيعترف بارتكابه جريمة قتل".

"ها أنت قد أجبتِ عن سؤالي".

"أي سؤال ذلك الذي أجبت عنه؟".

"إنك لم تعملي في الشرطة من قبل"، قالها بيلي وعاد بظهره إلى الوراء في مقعده، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى.

قـال رئيس الشرطـة تريستان دريسكـول، مدير بيلي الأعلـى: "سيكون من الأسهل أن تتعاون معنا".

فكَّـر بيلـي: *ماذا عنك، يا تريستـان - هل كنت شرطيًّا في يـوم من الأيام؟ أعني شرطيًّا بالمعنى الحقيقي للكلمة؟*

سعـل بيلـي في قبضة يده، وقـال: "إذا قبضتُ على هذا الرجـل في الشارع، فإنـه سيوكل محاميًا للدفاع عنه في ثانيتين، لكن إذا بدأت المحادثة وهو خائف مـن أن تعلـم زوجته وأولاده بأمر فجوره، فيمكننـي أن أقدم له عرضًا لا يستطيع رفضه. فإذا أجاب عن بعض الأسئلة التي أطرحها عليه، فربما أتغاضى عن أمر تلـك المـرأة. هو بالطبع لن يجيب عن السؤال *الأهـم: إذا كان هو قاتل الفتاة أم لا. لكننـي يمكننـي أن أجعله يعترف بأنه كان يعرف الفتاة، وأنه بعث لها برسائل نصية، ومثل هذه الأشياء. بإمكاني وضع أساس لقضيتي بناء على هذه الأمور*".

كانـت لنتيني تحدق فيه وهو يتحدث ولم تطـرف عيناها سوى مرات قليلة، ولمَّا انتهى سألته: "كيف سارت خطتك؟ هل نجحت؟".

اعترف بيلي قائلًا: "لا"

قالـت بصوت يحاكـي صوته: "لا، لم تنجح؛ لأن الأخبـار وصلت إلى وسائل الإعـلام عن عملية المداهمة الكبيـرة للنادي وما تبعها من عمليات اعتقال قام بهـا محقق *جنائـي*، قبل أن يبلغ بها قسم الشرطة، ولهـذا فإن الخوف الذي قد ينتاب المشتبه به من معرفة زوجته بالأمر أصبح ليس له وجود".

كان كلامها صحيحًا، لكن بيلي عندما رأى كل هؤلاء الرجال يدخلون المبنى الحجري، لم يستطع تجاهلهم. كان من *المفروض* أن يتجاهلهم، لكنه في النهاية شرطي يشهد جريمة تقع أمامه.

لكن لنتيني أثبتت وجهة نظرها؛ حيث إنه بمجرد أن قبض بيلي على كل هؤلاء الرجال والسيدات، فإن خطته بشأن استجواب المشتبه به في جريمة القتل قد فشلت.

أفحمته لنتيني بكلامها، ولاحظ جميع من في الغرفة هذا.

شعر بيلي بالقشعريرة الأولى تسري في جسده.

قالت لنتيني: "حسنًا، لنتحدث عن الدفتر السري".

الفصل 14

سألتهما إيمي لنتيني: "أين هو؟ ألم تستطيعا تحديد مكانه؟ هل هناك أية خيوط تؤدي إليه؟"؛ كانت إيمي تسأل كأن بيلي يعرف الإجابة بالفعل.

فأجابها بيلي: "لا أعرف، لقد فتشنا المبنى ومنزل مديرة المبنى، وفحصنا الحاسب المحمول الخاص بها وهاتفها. لا بد من وجود دفتر يحتفظون فيه ببيانات الزبائن، ربما ليس دفترًا ورقيًا، بل أسطوانة مدمجة أو وحدة تخزين متنقلة أو حتى دفتر ملاحظات. لا بد من وجود شيء ما".

"أتفق معك".

قال بيلي: "عظيم، أنا سعيد لأننا اتفقنا على شيء".

لم تستسغ لنتيني دعابة بيلي.

فقالت: "لدينا سبب للاعتقاد أن الدفتر كان هناك، في البيت الحجري".

"حقًّا؟ كيف ذلك؟".

"لا يمكننا مناقشة ذلك".

كاد بيلي أن ينهض من مقعده، وقال: "لا يمكنكم ماذا... ما الذي تعنيه بأنه لا يمكنكم مناقشة ذلك؟ أنا المحقق في هذه الجريمة. إذا كان لدينا خيط، فلا بد أن أعرفه. المفروض أننا نعمل معًا".

لم تجبه إيمي، ولم يبد على وجهي رئيس الشرطة والمدعي العام سوى تعبيرات جامدة.

حينئذ نهض بيلي من مقعده، وقال: "ما هذا بحق السماء؟ منذ متى لا يتشارك مكتب المدعي العام والشرطة المعلومات؟".

قالت كيت: "منذ الآن، على ما يبدو"، وكانت هذه أول جملة تقولها، وقد بدا على وجهها الشحوب.

قالت لنتيني: "لم تعد القضية قضيتك. لقد استُبعدت منها".

"ليس من حقك أن تقرري هذا؛ فالمدعي العام لا ...".

قاطعه رئيس الشرطة: "كان هذا قراري".

نظر بيلي إلى تريستان دريسكول، وقد أحس بأن نارًا تتأجج في صدره.

وسألته لنتيني: "ماذا تعرف عن مقطع الفيديو الذي انتشر اليوم، والذي يظهر فيه الظهير الربعي لفريق باكرز وهو يدخل المبنى الحجري الصيف الماضي؟".

أخذ بيلي لحظات ليستوعب ما يحدث، فقد كان يشعر بأنه لا يقف على أرض ثابتة.

تذكَّر بيلي تحذير ويزنويسكي حين قال له إن هذه *قد تكون آخر عملية مداهمة يقوم بها في حياته.*

قال: "لقد شاهدتُ مقطع الفيديو على الإنترنت، هذا كل ما أعرفه".

"*هل صورتَ* هذا المقطع، أيها المحقق؟".

رفع بيلي عينيه أخيرًا عن رئيس الشرطة، والتفت إلى لنتيني قائلًا: "ما الذي تتحدثين عنه بحق السماء؟ ولماذا أصور هذا المقطع؟".

"هل توافق على تفتيش منزلك ومتعلقاتك الشخصية؟".

تحرك بيلي باتجاه المحققة الخاصة التي وقفت عندما اقترب منها، حتى صار وجهه أمام وجهها مباشرة؛ لدرجة أن أنفيهما كادا أن يتلامسا، وكأنها كانت تتحداه أن يفعل أي شيء، أن يتخذ موقفًا يزيد موقفه السيئ سوءًا. شعر بيلي بأن أصوله الأيرلندية تنشط داخله، متجسدة في الغضب الذي جعله يعتصر قبضته، وجعل الدم يغلي في عروقه.

قال بيلي بصوت بدا كالفحيح: "لِمَ تريدين تفتيش منزلي، يا إيمي؟".

حينئذ انفتح باب المكتب، وإذ بالملازم مايك جولدبيرجر يدخل ومعه رجل اخر يرتدي حلة. خمَّن بيلي أن الرجل مدني.

قال بيلي في نفسه: *ما الذي يفعله جولدي هنا؟*

قال: "أنا آسف على المقاطعة يا سيادة رئيس الشرطة، ويا سيادة المدعي العام".

بدا رئيس الشرطة عابسًا وهو يقول له: "أيها الملازم، ما الذي ...".

"لقد سمعتُ بهذا الاجتماع، وقد أردت فقط الاطمئنان على أنه يجري حسب القواعد، يا سيدي"، ثم أشار إلى الرجل الذي بجانبه وأردف: "هذا أحد ممثلي نقابتنا، وبما أن هذا الاجتماع هو استجواب متعلق بتصرف سلكه رجال شرطة، فمن الواضح أنه يحق للمحققيْن هنا الحصول على تمثيل نقابي قبل أن يتم استجوابهما. أنا لا أريد أن يكون هناك أي مبرر يتم انتقادك بسببه يا سيدي".

برغم كل ما يحدث، لم يستطع بيلي منع نفسه من الابتسام. لقد جاء جولدي مسرعًا ومعه محامٍ لإنقاذهما، لكنه تظاهر بأنه يفعل ذلك من أجل مصلحة رئيس الشرطة.

قال رئيس الشرطة: "هذا... هذا... لقد تجاوزت حدودك، أيها الملازم. ولمعلوماتك، هذا ليس استجوابًا متعلقًا بقسم الشرطة".

رد ممثل النقابة - وهو رجل قصير ذو تسريحة شعر قصيرة وملامح حادة - قائلًا: "إذن ماذا تسمي هذا؟ إنه يبدو استجوابًا صريحًا بالنسبة لي".

قالت إيمي لنتيني: "هذا تحقيق يجريه مكتب المدعي العام".

"لكن في حضور رئيس الشرطة. أوه، أنتِ إذن تحاولين الالتفاف حول حق المحققيْن في تمثيل نقابي من خلال تسمية هذا الأمر ظاهريًّا بتحقيق يجريه *المدعي العام!*".

أدرك بيلي *أن هذا هو ما يفعلونه بالضبط.*

وقال جولدي: "هذا... هذا التصرف لن يكون مقبولًا أيضًا، ولهذا فكرتُ أنه من الأفضل حمايتك، يا سيدي رئيس الشرطة".

تعجب بيلي من قدرة جولدي على الحفاظ على تعبير صارم على وجهه خلال كل هذا. وقال في نفسه إنه *يتمنى أن ينضج ويصبح مثل جولدي.*

قدم جولدي اقتراحًا: "ربما من الأفضل أن نحدد موعدًا لاجتماع آخر حتى يتسنى لنا التأكد من وضع النقاط على الحروف".

نظر دريسكول إلى المدعي العام ولنتيني.

ثم خرج بيلي وكيت مع جولدي وممثل النقابة.

نادت إيمي لنتيني: "هارني"، ثم تبعته إلى الردهة.

توقف بيلي والتفت إليها، وفعلت كيت مثله.

قالت له: "إذن فأنت شخص كوميدي، أليس كذلك؟ سنرى كم ستكون مضحكًا عندما أنتهي منك".

قررت كيت التي كانت شاحبة للغاية أن ترد عليها دون كلام؛ فرفعت أصبعها في وجهها.

قال بيلي: "هذا هو الرد المناسب"، وفعل الشيء نفسه قبل أن يغادر الاثنان.

الفصل
15

قال سوش وهو يضع قدح الشراب الكبير على الطاولة بقوة جعلت قطرات تتناثر منه: "مباريات التصفيات مختلفة تمامًا. يجب أن يكون لديك مهاجم جيد وحارس مرمى متمرس. لدينا كين، لكنني لست متأكدًا من قدرات كروفورد".

كان الحديث عن فريق بلاك هاوكس لهوكي الجليد هو الموضوع المفضل في مقهى هوول إن ذا وول. وكان المحقق سوش يعطي بيلي درسًا تعليميًّا حول سر الفوز ببطولات الهوكي، وكانت هذه هي المحاضرة نفسها التي ألقاها على بيلي الأسبوع الماضي، لكن سوش كان لا يتذكر ذلك.

كانت الأجواء صاخبة كالعادة في المقهى، ورغم برودة الجو القارسة، لم يتخل رجال الشرطة عن حقهم في الاستمتاع والشراب. كان رجال الشرطة يتسكعون معًا هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى بسبب الهجوم المتزايد عليهم، لاسيما الآن مع انتشار الهواتف الذكية المزودة بكاميرات. ففي مقابل كل مرة يتم فيها تصوير شرطي وهو يتعامل بعدوانية، هناك عشرات المواقف التي لا يتم تصويرها، والتي يقوم الشرطي فيها بمطاردة مجرم في زقاق مظلم أو يقتحم باب منزل وهو لا يعلم إذا ما كان هناك شخص بالداخل ينتظره حاملًا سلاحًا ناريًّا أم لا. من السهل للغاية أن تحكم على سلوك شرطي، لكن من الصعب للغاية أن تتفهمه.

لـم يشرب بيلي على مدار الليلـة سوى القليل من شراب الشعير، وامتنع عن الكحوليات والسوائل الشفافة، بينما كانت كيت في مكان ما في المقهى، عابسة الوجـه وتراودها مخـاوف بشأن وقوع أسـوأ العواقب لما حـدث الليلة الماضية فـي مكتب المدعي العـام. فتوقع الأسوأ عادة لديها، وهـي دائمًا تقفز إلى أسوأ السيناريوهات.

قـال بيلي بوجه جامد: "يجب أن تكون أنـت المدرب، يا سوش، أنا لا أمزح، يجب أن تسلم شارتك وتدرب فريق هوكي".

فقـال سوش كأن بيلـي يتحدث بجديـة: "لا أعرف ما يكفي عـن أساسيات اللعبة".

"هذا لم يمنعك من أن تكون شرطيًّا".

لـم ينتبه سوشـ لآخر جملة قالها بيلي، إذ كان مركـزًا في شيء آخر. فقال لبيلي بعد أن خفض رأسه: "هنـاك امرأة على اليمين تنظر لك نظرات مثيرة".

لم يفهم بيلي أبدًا النساء اللاتي ينجذبن لرجال الشرطة. لِمَ تريد أي امرأة أن تكون علـى علاقة مع شرطي؟ إن رجال الشرطة يتعاملون مع حثالة المجتمع والموت والعنف والمآسي طوال اليوم. فهل يُتوقع منهم أن يعودوا للبيت ويقولون: *أهلًا يا حبيبتي، كيف كان يومكِ؟ اللحم الذي تطهينه تفوح منه رائحة لذيذة!؟*

هذا ما كان بيلي يخبر به نفسه دائمًا؛ ولذا قرر ألا يتزوج ثانية.

رفع بيلي كوب الشراب، ونظر إلى يمينه.

قال سوش: "الناحية الأخرى، جهة اليمين يا أينشتاين".

احتسـى بيلي الكوب حتى آخـره، ووضعه على الطاولة، وقـال: "أعتقد أنك تقصـد يمينك أنت، فيمينك هو يساري، هـل فهمت؟ نحن نجلس قبالة بعضنا. ربما يجب أن تتناول كوبًا آخر من الشراب".

"سأذهـب للتبول، وإذا لم تذهب إليها، سأذهـب أنا، إنها تبدو مثل نجمات السينما".

كاد سوش يسقط من فوق كرسيه. نظر بيلي إلى يساره، أو يمين سوش.

فوقعت عيناه على امرأة جميلة تصوب عينيها إليه مباشرة.

كانـت هـذه المرأة هـي مساعـد المدعي العـام إيمي لنتينـي. كان شعرها مصففًا للوراء، وترتدي ملابس سهرة.، فبادرته بابتسامة، ثم رفعت له أصبعها كما فعل معها من قبل.

حرص بيلي على التظاهر بالاندهاش، بل ونظر خلفه، وكأنه يعتقد أن الإشارة موجهة إلى شخص آخر، ثم نظر إليها مرة أخرى، ووضع يده على صدره وكأنه يقول لها: *أتقصدينني أنا؟*

لكن كلا، هو لن يبتلع الطعم. إذا كانت إيمي لنتيني موجودة هنا من أجله - ولا بد أنها كذلك، فهي ليست من نوعية النساء اللائي يحضرن إلى مقهى هوول إن ذا وول - إذن لتقم هي بالخطوة الأولى.

"ما الذي تفعله *هذه المرأة* هنا؟".

كان هذا جولدي، وقد جاء لتنبيهه كالعادة.

قال بيلي: "هي تعتقد أنني شرطي قذر. يمكنك أن تقدر ذلك".

بدأ الملازم مايك جولدبيرجر يدير مكتب الشئون الداخلية منذ بضع سنوات، وكان هذا المكتب هو القسم الأقل شعبية بين إدارات شرطة شيكاغو؛ لكونه المسئول عن محاسبة ضباط الشرطة، لكن جولدي عُرف عنه أنه شرطي عادل وواضح. إذا أخطأ الشرطي، فإنه سيُحاسب، لكنه لن يتعرض للظلم. لم يتم اختيار جولدي شرطي العام أبدًا، لكن رجال الشرطة بوجه عام يحترمونه لأسلوبه في العمل".

قال: "أنا أحاسب رجال الشرطة السيئين، لكنني لا ألطخ سمعة رجال الشرطة الصالحين. هذا هو الفرق بيني وبينها".

فقال بيلي: "ليس هذا هو الفرق الوحيد بينكما؛ فهي لا تفقد شعرها".

قال: "لا تتحدث معها، فهي ستحاول النيل منك إذا تخليت عن حذرك".

نهض بيلي لملء كوبه وكوب سوش أيضًا، وقال: "هل تعرف عني أنني أتخلى عن حذري؟".

"لا أعتقد أنك تعرف كيف يتخلى المرء عن حذره من الأساس".

قال بيلي: "بالضبط". لكن لسانه تلعثم وهو ينطق الكلمة. فقال في نفسه إنه تناول الكثير من الشراب، إذن فتناول قدح آخر لن يحدث فارقًا كبيرًا.

وبجانب المشرب، وجد بيلي كيت وهي تتحدث مع بعض أفراد شرطة الدوريات، جميعهم من الرجال كالعادة. كان الرجال يحاولون واحدًا تلو الآخر إثارة إعجاب كيت؛ ويشحذون أفكارهم محاولين الإدلاء بالتعليقات الحكيمة التي تجعل كيت تميل إليهم. لن تفلح محاولاتهم، لكن كيت كانت تفعل هذا

كوسيلة تلهيها عن مخاوفها بشأن كل شيء - على الأقل سيحتفظ كل هؤلاء الرجال بألسنتهم داخل أفواههم.

نظرت كيت إلى بيلي نظرة ذات معنى، وأشارت بعينيها ورأسها في اتجاه إيمي لنتيني. فرد عليها بيلي بإشارة أخرى وهي تحريك يده أمام فمه كأنه يغلق سحّابا، معطيًا إياها النصيحة نفسها التي أعطاه إياها جولدي، وهي ألا تتحدث مع إيمي.

كان جولدي محقًّا؛ فقد كانت إيمي تحاول الهجوم عليه عندما يتخلى عن حذره. كان جولدي على حق تمامًا عندما أخبره بأنه يجب ألا يتحدث معها، بأي حال من الأحوال.

سمع بيلي شخصًا ما يهتف باسمه، ثم شخصًا آخر، ثم تغنى الجميع باسمه "هارني! هارني!". كان بيلي يعلم أنه سيستسلم لرغبتهم عاجلًا أم آجلًا، لكن إذا فعل ذلك آجلًا، وفي ظل المعدل الذي يتناول به الشراب، فلن يتذكر حتى اسم عائلته.

في طريقه نحو الميكروفون، مر بيلي بطاولة إيمي التي كانت تصفق مع بقية من في المقهى.

فقال في نفسه: *بعد أن أقدم عرضي على المسرح، سأتحدث إليها.*

الفصل 16

قال بيلي في الميكروفون: "بالمناسبة، أنا آسف لأنني جئت متأخرًا هذه الليلة. لقد كانت هناك حالة احتجاز رهائن في نقابة المحامين. كانت النقابة تعقد مؤتمرها السنوي، وإذا بمجموعة من الأشخاص يقتحمون المكان ويأخذون جميع المحامين كرهائن. كانت مطالبهم صعبة للغاية؛ حيث قالوا إنهم إن لم يحصلوا على مليون دولار وطائرة إلى المكسيك، فإنهم سيطلقون سراح أحد المحامين كل ساعة".

بدا أن الدعابة راقت الحاضرين. فأخذ بيلي رشفة من كوب الشراب ووضعه في مكان لا يحجب المنظر أمام هاتفه الذي وضعه على الكرسي المقابل لتصوير عرضه، وهو أمر صار روتينيًّا بالنسبة له، وأردف: "كلا، في الواقع لقد جئت من المقابر حيث كنت أزور قبر أحد أصدقائي. وفي طريق عودتي إلى السيارة، رأيت شاهد قبر مكتوبًا عليه: "هنا يرقد محامٍ ورجل عاش صادقًا". فتعجبت كيف اتسع هذا القبر لشخصين".

لا يوجد ما هو أسهل من إيجاد نكات عن المحامين.

أكمل بيلي: "لا بد أن يكون الإنسان لطيفًا حتى لا يجرح مشاعر الآخرين. صباح اليوم، صرخت في وجه أحد المحامين خارج المحكمة قائلًا: "كل المحامين حمقى!"، فجاء شخص آخر إليَّ وقال لي: "هذا التعليق يمثل إهانة حقيقية لي"، فقلت له: "أنا آسف، هل أنت محامٍ"، قال: "لا، أنا أحمق".

شعر بيلي بثقل لسانه وخروج الكلمات بصعوبة، فوضع الميكروفون، وأمسك هاتفه وضغط على زر ليرفع مقطع الفيديو مباشرة على صفحة فيس بوك التي يتشاركها مع ستيوارت.

ستيـوارت هو ذلك الرجل العجوز الذي كان يمكث معه في المستشفى طوال كل تلـك الليالي منذ ثلاث سنوات. لم يكن هناك مجال للضحك حينذاك، لكن لاحقًـا، بدأ بيلي زيارة ستيوارت في دار الرعاية التي يمكث بها، وكانا يضحكان حتى القهقهة طوال الوقت. بدأ بيلي رفع كل هذه الفيديوهات بشكل روتيني على صفحتهمـا المشتركـة، بينما قامت حفيـدة ستيوارت بتعليمـه كيفية استخدام الموقـع. قالـت حفيـدة ستيوارت لبيلي ذات مـرة إن أول شـيء يفعله جدها كل صباح هو تفقد إذا ما كان هناك فيديو جديد على الصفحة.

نزل بيلي عن المسرح، وقد عادت رؤيته إلى طبيعتها، ووجد نفسه يتجه إلى طاولة إيمي لنتيني.

قال وهو يقترب منها: "هل أنتِ تائهة أم تتسكعين وحسب؟".

أجابته بابتسامة. لم تكـن ابتسامة دافئة، لكنها لم تكن ببرودة الطقس في الخارج.

قالت: "سمعتُ أن هناك عروضًا كوميدية جيدة تقام هنا".

هـز بيلي كتفيه وقال: "هل يجب أن أحضر محاميًا للدفاع عني عما قلته في العرض، يا إيمي؟".

قالت: "أنا محامية، ومحامٍ واحد يكفي".

"بل محام واحد أكثر من اللازم".

"أجل، لقدّ أوضحتَ هذا في كلامك على المسرح. كان عرضًا طريفًا للغاية بالمناسبـة. أنت تستحـق سمعتك عن جـدارة"، ثم مالت نحـوه وقالت: "لسنا مضطرين لنكون أعداء، أنا فقط أريد الحقيقة".

قـال فـي نفسـه: *أوه، أتريديـن ممارسة لعبـة "الشرطي الجيـد والشرطي الشرير" معي، يا إيمي؟ أنا من اخترعت هذه اللعبة.*

"وهل أنتِ متأكدة من أنك تعرفين ما الحقيقة؟".

قالت: "متأكـدة للغاية"، ثم وضعت ماصة الشراب في فمها، ليرتفع شراب رائع الألوان والنكهة.

يـا له من فم جميل! هذه هي المـرة الأولى في حياة بيلي التي يتمنى فيها لو كان ماصة شراب.

كانت ترتدي ثيابًا رائعة، وأرقى من أن يتم ارتداؤها في هذا المكان.

سألتـه: "هل تريـد التأكد من أنني لا أدس جهـاز تسجيل في ملابسي، أيها المحقق؟".

نظـر لها بطرف عينـه، ثم نظر بعيدًا، مـن الأفضل لـه ألا يجيب عن ذلك السؤال.

نهضت إيمي من فوق مقعدها، ووضعت حقيبتها على كتفها، وفردت ذراعيها قائلة: "هل تود تفتيشي؟".

قـال بيلـي في نفسه: *يا لك من فتاة مذهلة! إنـك تستخدمين كل خدعة في جعبتك الليلة، أليس كذلك؟*

قال بيلـي: "إذن فأنتِ تعتقديـن أنني كنت أصور البيـت الحجري بالفيديو لابتزاز الناس".

انفرج هذا الفم الخطير عن ابتسامة أخرى.

فـأردف بيلي: "لماذا أفعـل هذا بالعمدة؟ وبرجل الديـن؟ اسمعي يا إيمي، بمجـرد أن تقبضي على المرء، لن تستطيعي ابتزازه بعد ذلك. فما الفائدة التي ستعود عليَّ من تصوير المكان؟".

قالـت: "حسنًا، لنلعب بطريقتـك: أنا لم أقل مطلقًا إنـك أنت الفاعل، أيها المحقق، لكن الفاعل من الشرطة بالتأكيد".

"حسنًا، أنا أريد الإطاحة بهذا الرجل مثلك تمامًا".

"ومن قال إنه رجل؟".

لم تكن لدى بيلي إجابة عن هذا السؤال، ولو كانت لديه إجابة لما قالها لها علـى أية حال. كانت إيمي تحاول الوقيعة بينـه وبين شريكته كيت، كانت تحاول العبث بتفكيره.

كانـت إيمي أيضًـا تستمتع بما تفعله بـه، وقد علت وجههـا ابتسامة خبيثة. مـا مقصدهـا من وراء مـا تفعله بحق السمـاء؟ هي لا تتوقـع أن ينفتح لها بيلي ويعتـرف؛ هـذا إن كان لديه شيء ليعترف به. إذن يظـل السؤال: ما الذي كانت تأمل إيمي في حدوثه الليلة؟ كانت تنظر له بعينين مفعمتين بالإثارة.

شعر بيلي بالحرارة تتدفق إلى وجهه، لقد كانت إيمي بارعة فيما تفعله.

مال بيلي نحو أذنها؛ فشم رائحة شعرها التي كانت تشبه رائحة التوت.

قـال لها: "هذه الملاطفة التـي تقومين بها لن تجدي نفعًـا. ما تريدينه لن يحدث، وكلانا يعرف هذا".

"بربك يا بيلي، لا تكن بهذا التشاؤم".

عاد بيلي بظهره للوراء مبتعدًا عنها، وقال في نفسه: *ما خطب هذه المرأة؟*

"أنتِ تحبين العيش في خطر، أليس كذلك؟".

فأجابته وهي تزال تنظر في عينيه: "مثلك تمامًا".

"أنتِ تعتقدين أنني أكذب".

"أعرف أنك تكذب، لكن أتعلم ما هو أفضل جزء في الموضوع؟".

"أخبريني به، يا إيمي؟".

"أفضـل جزء هو أنك ستعتـرف لي بما تخفيه. ستفصح لـي بكل شيء بعد ثمانٍ وأربعين ساعة على أقصى تقدير. أنت أو كيت. أحدكما سيتوسل لي طالبًا الرحمة، وهذا سباق أنت لا تريد أن تحل ثانيًا فيه، يا بيلي".

كان بيلـي قـد قال كلامًا شبيهًا بهذا مئات المـرات لمشتبه بهم في قضايا. *أول من يتحدث يحصل على أفضل صفقة.*

قال بيلي: "أنتِ لا تعرفينني جيدًا".

"أوه، أنا أعرفك أفضل مما تظن، أنت لا تقدم على خطوة إلا وأنا أتوقعها".

فقـال بيلي وهو ينهض: "هل أنتِ متأكـدة من هذا؟"، ثم غمز لها وهو يشق طريقـه بيـن الحضور، وأخذ معطفه وخـرج من المقهى. أحسـ باعتدال الجو، مؤقتًا على الأقل، فسار بخطوات بطيئة ودس يده في جيبه وانتظر، وهو يعلم أن انتظاره لن يطول طويلًا.

بعـد دقيقة، خرجت إيمي لنتيني مسرعة مـن المقهى وهي تنظر حولها في تلهف إلى أن رأت بيلي. قالت له: "حسنًا، أين هي؟".

"أين ماذا، يا إيمي؟".

قالت: "شارتي. لقد كانت في حقيبتي واختفت".

"أوه، لقد رأيتُ شارة تخص مكتب المدعي العام هناك في هذا الوحل. هل هي ما تقصدين؟.

رمقته بنظرة حادة، ثم انحنت وأخرجت من الوحل شارتها التي كانت داخل غلافها الجلدي، وأمسكتها بأصبعين.

ثم قالت له: "سيكون من دواعي سروري أن أرسلك إلى سجن ستيتفيل".

فأجابها بيلي وهو يشير إلى سيارة أجرة: "لقد سمعتُ أن سجن جوليت يكون لطيفًا في هذا الوقت من العام". وبينما كانت إيمي في طريقها لداخل المقهى، ناداها بيلي: "اسمعي، يا إيمي".

فالتفتت إليه.

قال: "إذا كنت تنوين توجيه ضربة لي، فمن الأفضل أن تكون ضربتك قوية".

"لماذا؟".

"لأنني أرد الضربة بضربة أقوى"، ثم استقل سيارة الأجرة.

الفصل 17

طاف بيلي الشوارع المتعرجة لمنطقة هايد بارك، بالقرب من حرم جامعة شيكاغو. كانت جامعة شيكاغو منارة للرقي، فهي مؤسسة تتمتع بشهرة عالمية وذات مرافق على أحدث طراز، لكنها محاطة بأحد أخطر الأحياء في شيكاغو. كان يتوافد إليها بعض من ألمع العقول في العالم للدراسة والتعلم، واكتشاف آفاق جديدة في العلوم والرياضيات والقانون والطب، لكنهم كانوا بحاجة لحراسة أمنية ترافقهم إلى سياراتهم حتى لا يتعرضوا للسرقة بالإكراه.

كان بيلي وكيت لا يزالان يحققان في مقتل الطالبة الجامعية التي كانت في السنة الثانية، والتي تم خنقها على بعد ٤ مربعات سكنية من المكان الذي كانا يتجولان فيه بالسيارة. كان بيلي يحاول إعادة رسم تحركاتها في اليوم الذي قُتلت فيه، وقام هو وكيت بزيارة هذا المكان للتحدث مع أحد أفراد هيئة التدريس في قسم الأحياء، والذي بعث ببضع رسائل غامضة إلى الضحية قبل أسبوع من مقتلها.

لم تسفر الزيارة عن شيء مفيد، وعاد الاثنان خاليا الوفاض. كانت كيت لا تزال مشتتة، وأخذت تعبث بهاتفها وتقرأ الخبر تلو الآخر عن الفضيحة الجنسية التي هددت بإسقاط إدارة العمدة فرانسيس ديلاني، وتقويض دار العبادة، ناهيك عن إنهاء المسيرة المهنية للمحققين بيلي هارني وكاثرين فنتون.

قال بيلي: "ستصابين بالجنون جراء قراءتك لهذا الهراء".

قالــت بيلي دون أن ترفع عينيها عن هاتفها: "كيف يمكن للعمدة ألا يستقيل حتى الآن؟".

"إنه يتذرع بذريعة بيل كلينتون حين قال: *لقد انتخبني الناس للقيام بوظيفة، ولن أخذلهم فيما يتعلق بهذه الوظيفة*. وكأنه يستمر في منصبه من أجلنا".

"أظن ذلك".

"بمــا أننا سنبقى هنــا لفترة طويلة، لنذهب إلى مطعــم موريس؛ فأنا جائع لدرجة أنني مستعد لالتهام أي شيء".

"موريس؟ أتريد تناول النقانق؟". كانت كيت تتجنب الأطعمة السريعة قدر الإمكان، متبعة حمية غذائية صارمة؛ وذلك لأنها كانت تنظر إلى جسدها باعتباره شيئًا مقدسًا، إلى نهاية تلك الأفكار الغريبة.

"لمعلوماتك أيتها المحققة، لم أكن أنوي طلب شطيرة نقانق".

"حقًّا؟ ماذا كنت ستطلب إذن؟ سلطة زبادي بالفواكه؟".

"كنت أفكر في طلب شطيرتي نقانق".

ردت كيت: "أنا لا أفهم كيف تفكر في الطعام، على أية حال". كانت كيت تهز ركبتيهــا، وتحرك قدميها على أرضية السيارة فــي إيقاع منتظم. كانت متوترة، ولم تستطع صرف ذهنها عما يحدث.

قال بيلي: "يجب أن أحافظ على قوتي كي أستطيع مقاومة الجريمة وأنا يقظ".

"ألا يوجد ما يقلقك أبدًا؟".

ألقى بيلي نظرة خاطفة إليها. كان يعرف كيت جيدًا، لكنه لم يكن معتادًا رؤية هــذا الجانب منها. كانت قوية الشخصية، مدمنــة على الخطر، رائعة المظهر، لكــن الجانب الضعيف منها بدا مختلفًــا كثيرًا. ولسبب ما، مس هذا شيئًا داخل بيلي؛ فجعله ينظر إليها على أنها شخص مختلف تمامًا.

قــال لنفســه: *لا تبدأ، يا هارنــي، ولا تفكر حتى في أن تبــدأ. كانت هذه مرة واحدة وانتهينا*.

قال لها: "سنكون على ما يرام، نحن لم نرتكب خطأ".

فصدرت منها ضحكة مريرة، ضحكة تقول الكثير، ربما أكثر مما يمكن لبيلي أن يفهمه. كانت كيت تريد أن تقول له إن الأمر ليس بهذا البساطة؛ حيث إن فعل الشيء الصائب قد يفقد أهميته إذا حدث في المكان الخطأ والتوقيت الخطأ.

فقال بيلي: "لن أدع أي مكروه يحدث لكِ يا كيت. هذا وعد مني".

ثـم التفت إليها، ونظر كل منهما في عين الآخـر، كانت نظرة خاطفة ولكن ذات معنـى؛ فبيلي لم يكن يريد أن يفقد السيطرة على سيارته في هذه الشوارع الخطرة.

وفكر: *لا تعد الكرّة، يا هارني. كانت مرة واحدة وانتهينا.*

كانت مرة رائعة بحق، لكن مرة واحدة فقط.

نظـر بيلي إليها مرة أخـرى، فوجدها لا تزال تنظر إليـه، لكن نظرتها هذه المرة كانت تقول الكثير.

فقال في نفسه: *حسنًا، أعترف بأنها كانت مذهلة بحق.*

قالت له: "نحن نحفظ أسرار بعضنا، أليس كذلك، يا شريكي؟".

أومأ بيلي برأسه إيجابًا.

فقالـت: "لقد تضايقتُ من الطريقة التـي كنت تنظر بها إلى تلك المحامية ليلة أمس، وشعرتُ ببعض الغيرة".

"إنها سمكة قرش مفترسة"

"أجل، لكنني أعلم أنك تحب السباحة في المياه العميقة".

"القليل من الخطر قد يكون ممتعًا".

"صحيح، خصوصًا في استراحة الغداء، قبل أن يُلاحظ أحدهم غيابنا".

قال بيلي في نفسه: لا، يا هارني، إياك أن تفعل هذا، إياك.

ثم قال لها: "الخطر يصرف ذهننا عن بعض الأشياء".

"هذا صحيح".

"إنه بمثابة علاج نفسي".

"بالضبط، هل تريد الحصول على جلسة علاج".

غيَّر بيلي مساره، واتجه بسيارته إلى طريق لايك شور درايف.

كانت كيت تمتلك شقة في مبنى قريب من طريق لايك شور درايف، وسط حي لايك فيو. كانت مساحة الشقة لا تزيد على مائتي متر مربع، لكن إطلالة البحيرة مـن الشقة كانت بديعة. كان المنظر في ذلك اليوم جميلًا، حيث كانت البحيرة هادئة ومهيبة - لكن كيف لبيلي أن يستمتع بهذا المنظر، وهو لم ينظر أصلًا من النافذة؟ فمن لحظة دخولهما الشقة، كانا منهمكين في شيء آخر أكثر إمتاعًا.

الفصل 18

حسنًا، كان هذا مثيرًا.

نظـر بيلي إلى سقف غرفة كيـت، وكان مستنزفًا ومرهقًا لدرجة أنه لم يكن متأكدًا من قدرته على النهوض من على السرير.

قالت له: "هذه آخر مرة نفعل فيها ما فعلنا".

"بكل تأكيد، لن يتكرر هذا".

"إذا كررنا هذا، فسوف تتعقد الأمور".

"لا شك في هذا. أنا سعيد أننا متفقان في ذلك".

نظر إليها، ونظرت إليه. ولم يظهر أي منهما تعبيرات جادة بشأن هذا.

قال: "أنا جاد فيما أقول".

"وأنا جادة أيضًا".

ثم انطلق أزيزان متزامنان من هاتفيهما المحمولين، كانت هذه إشارة غير مستحبـة؛ فآخر مرة وردت فيها رسالتان لهما في التوقيت ذاته، كانت استدعاء إلى مكتب المدعي العام.

تفقد بيلي هاتفه، وقال في نفسه: *سحقًا*.

وقالت كيت بعد أن قرأت الرسالة: "نحن في ورطة كبيرة".

"اهدئي يا شريكتي، لا تقفزي إلى أسوأ الاحتما...".

"لقد تم استدعاؤنا إلى مكتب رئيس الشرطة، يا هارني، أتعتقد أن هذا خبر جيد؟".

لا، لم يكن بيلي يعتقد أنه خبر جيد. كانت كيت طوال الطريق تطرح نظرية تلو الأخرى، وتعيد سرد الحادثة بأكملها، وتحاول تبين الدوافع المختلفة لأطراف القصة. لكن بيلي لم يجزع؛ فأيًّا كان ما سيحدث، فسوف يحدث، سواء كان موافقًا لتوقعاتهما الدقيقة أم لا. لقد تعلم بيلي منذ وقت طويل أنه إذا كان مقدرًا لشيء سيئ أن يحدث، فسوف يحدث لا محالة.

انتظر الاثنان خارج الغرفة الضخمة لمكتب رئيس الشرطة، بينما كان صاحب المقام الرفيع في مكتبه المغلق. وعندما انفتح الباب، أطلت إيمي لنتيني برأسها منه.

وقالت مخفية استمتاعها بما يحدث: "رئيس الشرطة سيقابلكما الآن".

كان رئيس الشرطة تريستان دريسكول جالسًا خلف مكتبه، مرتديًا زيه الرسمي، والله وحده يعلم سبب هذا، لعله أراد أن يبدو كأحد رجال الشرطة الحقيقيين.

"المحقق هارني، المحققة فنتون".

لم يطلب منهما الجلوس؛ فلم يجلسا.

"أنتما الاثنان محالان إلى إجازة إدارية مدفوعة الأجر لحين انتهاء التحقيق الذي يقوم به مكتب المدعي العام".

حركت كيت رأسها في عدم تصديق، لكن بيلي لم يصدر أية ردة فعل.

"سلماني شارتيكما".

بدا على كيت أنها تنتظر ما سيفعله بيلي.

قال بيلي: "لقد كنت المسئول عن عملية المداهمة، وليس كيت. خذ شارتي، لكن لا تأخذ شارتها".

نظر دريسكول إليه بعينين ضيقتين، وقال: "سلماني شارتيكما".

قال: "نسلماهما إلى رجل شرطة".

أدار رئيس الشرطة رأسه وكأنه لم يصدق ما سمعه، وسأله: "هل تلمح إلى أنني لست *رجل شرطة*، أيها المحقق؟".

قال بيلي: "أنا لا ألمح لشيء. أنا أتحدث بكل صراحة".

احتقن وجه دريسكول بالدماء سريعًا لدرجة أن رأسه بدا كأنه قد خرج للتو من ميكروويف. وقال لبيلي: "أنت تريد الحصول على إجازة غير مدفوعة الأجر، *أليس كذلك أيها المحقق؟*".

تقدم بيلي للأمام ووضع يده على مكتب رئيس الشرطة وقال: "أنت لا تمتلك سببًا لتحيلني إلى إجازة غير مدفوعة الأجر، لو كان لديك سبب، لكنت فعلتَ ذلك بالفعل. حاول أن تفعل هذا وستضع نفسك في موقف محرج، أنت مجرد سياسي يحاول إنقاذ نفسه؛ لأنه إذا سقط العمدة، ستفقد وظيفتك. أنت لست رجل شرطة، أنت جبان حقير".

وضع بيلي شارته على المكتب بقوة شديدة؛ لدرجة أنها ارتدت وسقطت على الأرض. وشاهد كيت في ألم وهي تسلم شارتها أيضًا دون أن تنبس بكلمة.

قالت إيمي وعيناها تبرقان في سعادة: "أخبرني عندما تكون جاهزًا للتحدث".

فأجابها بيلي وهو في طريقه للخروج: "سنواصل يا إيمي، تأكدي من هذا".

الفصل 19

وقـف بيلـي داخل مقهي بشـارع أوهايو، محدقًـا في وكالة عقـارات في الجهة المقابلـة مـن الشـارع. كان يـرى عبر النـافـذة صـورة لعائلة سعيـدة مختلطة الأعراق، يصـافح فيها الأب وكيل العقارات الذي باعه للتو منزلًا ذا سياج خشبي أبيض. كانت العائلة تبدو كأنها بصدد العيش في سعادة أبدية.

تذكـر بيلـي السعادة التي ظن أنها ستستمر إلى الأبـد، لكنها لم تدم طويلًا للأسف.

مـر جولدي بجانب النافذة وهو يسير بحذر علـى ممر المشاة الذي لا يزال زلقًا بفعل الثلج، وكانت أنفاسه تتبعه مثل دخان صادر من محرك.

سار جولدي حتى المقهى، ووقف بجانب بيلي دون أن يتحدث.

ثم قال: "يوم صعب. يؤسفني ما تمر به من مشكلات".

"لا بأس، فقد كنت أبحث عن فرصة لصقل مهارتي في التطريز".

سأله: "ألم تتحدث مع أبيك بعد؟".

"بعث لي أربع رسائل صوتية".

"إنه قلق للغاية عليك، يجب أن ترد على رسائله".

كان دانيال هارني، والد بيلي وكبير المحققين، يفخر بشيئين: الأول أن ابنه وابنتـه كلاهما محقـق شرطة، والثاني هـو أن كليهما حصل علـى وظيفته دون

وساطـة منه. *كل شيء ستحصل عليه، ستحصـل عليه لأنك تستحقه، ليس لأن والدك كبير المحققين.*

لم يعترض بيلي على هذا، ولم يكن يريد للأمور أن تسير على خلاف ذلك. لكـن في بعض الأحيـان، كان الأب يبالـغ في هذا؛ حيـث إن رغبتـه في تجنب الوساطـة مهمـا تكلف الأمـر أوجدت مسافة وفجـوة بينهما. فعندمـا قام بيلي بعملية المداهمة الكبيرة في بداية هذا الأسبوع، أمطره كل شرطي يعرفه بوابل مـن المـدح، سواء في المقهـى أو عبر رسالة نصيـة أو مكالمة هاتفيـة أو بيان شكر؛ الجميع فعل ذلك باستثناء والده.

قال بيلي: "على أية حال، هل لديك أخبار تخصني؟".

صـدرت من جولدي تنهيـدة مفادها أنه ليست لديه أخبـار بشأنه. ثم قال: "تـم تضييق الخنـاق على المكان بشدة، لكن أفضل تخمين لديَّ هو ما كنا نفكر فيـه من قبل، وهو أن رئيسـ الشرطة يحاول إنقاذ العمـدة، والطريقة الوحيدة التي يراها مناسبة لذلك هي تقديمك أنت وكيت ككبشي فداء".

قال بيلي: "أنا لا أفهم ذلك، حتى إذا كنتُ سرقتُ دفترًا سريًّا، فهذا لا يغير حقيقة أن العمدة كان في مكان مشبوه وخالف القانون".

لم يرد جولدي، ولم يبدِ أية رد فعل حتى؛ ما جعل بيلي ينظر إليه.

قال جولدي محاكيًا صوته: "حتى لو! أتقصد أننا سنكمل حديثنا على سبيل الافتراض".

نظـر بيلي مـرة أخرى مـن النافذة فـرأى النـاسـ يتدثـرون بالملابس من رءوسهم وحتى أصابع أقدامهـم، وقد ضموا أكتافهم وخفضوا رءوسهم وكأنهم يتعرضون لهجوم في هذا الطقس.

قال جولدي: "حتى *لو* كنتَ سرقتَ دفترًا سريًّا".

كان الملازم مايك جولدبيرجر أذكى شخص يعرفه بيلي.

أردف جولدي: "دعني أطرح عليك سؤالًا: إلى أي مدى تعرف كيت؟".

"أكثر مما تعرف هي نفسها".

"أتثق بها؟".

استغـرق بيلي وقتًا أطول في التفكير في هـذا السؤال، ثم أومأ برأسه وقال: "أجل، أثق بها".

"ألا تعتقد أنها من أخذ الدفتر السري؟".

"لا أعتقد هذا؛ فأنا لم أره معها".

"كانت لديها الفرصة لتأخذه؛ فهي من فتَّش المكان، أليس كذلك؟".

هــذا صحيح. تذكر بيلي أنــه رأى كيت في غرفة المكتـب بالدور العلوي في المبنى الحجري وهي تفتش الخزائن والأدراج.

قال بيلي: "أنا لا أفهمك".

"ما مدى معرفة كيت بك؟".

اكتفى بيلي بأن هز كتفه.

فقال جولدي: "أنت تعرف ما أسأل بشأنه".

هز بيلي رأسه قائلًا: "هي لا تعرف الشيء الذي تقصده. لا أحد يعلم الأمر سوى أنت وأنا".

خــارج المقهــى في شــارع أوهايــو، توقفت سيــارة فجأة وكانــت على وشك الاصطدام بشاحنة أمامها؛ فأحدثت عجلاتها صريرًا عاليًا.

قال جولدي: "هل أنت متأكد من هذا؟".

"أجـل، يا جولدي. أعتقد أنني كنت سأتذكر لو أخبرت شريكتي بأنني عميل متخفٍّ لمكتب الشؤون الداخلية. أعتقد بأن شيئًا كهذا لا يُنسى".

وضــع جولدي يده علــى كتف بيلي وقبضـ عليها بإحكام، وقــال: "ماذا عن أختك؟".

فأجاب: "كلا، باتي لا تعرف".

"والدك؟".

"أنت أدرى بذلك، يا جولدي".

عاد جولدي بظهره إلى الوراء وقال: "لو علم أبوك بأنك عميل لي في مكتب المحققين، سيمثل بجثتي في ميدان عام".

نظــر بيلي إلى جولدي، وقال: "أنت تعتقــد أن كل ما يحدث معي سببه هذا، أليــس كذلــك؟ أتعتقد أن شخصًا ما يعرف أنني أعمــل معك؟ تعتقد أن موضوع العمدة هو مجرد مبرر لإيقافي؟".

كان هــذا بالطبع سؤالًا يساوي مليون دولار، وقد استقبله جولدي بوجه خالٍ من أية تعبيرات.

ثــم قــال جولدي: "أتمنى ألا يكــون هذا هو السبب؛ لأنه لــو كان كذلك، فإن فقدان وظيفتك سيكون أقل شيء تقلق بشأنه".

الجزء الثالث

الوقت الحاضر

الفصل 20

قالت باتي وهي تتحرك بخطوات سريعة جيئة وذهابًا: "هذا غير منطقي على الإطلاق". كانت في حالة جنونية، غير قادرة على احتواء أفكارها أو التحكم في مشاعرها، وكانت تشعر خلال الأسبوعين الماضيين كأنها طيار يقود طيارته عبر نيازك تتقاذف نحوه من كل اتجاه. ورغم أن الوقت كان منتصف شهر يونيو، لم تر باتي ضوء الشمس منذ أكثر من أسبوع، وأحيانًا تفقد إحساسها بالوقت وبما إذا كان هناك ليل أم نهار.

قال أخوها براندون: "هذا بالتأكيد ليس تخصصي". براندون هو الابن الأكبر في الأسرة، ويعمل خبير تخطيط مالي، وكان قد انتقل إلى مدينة دالاس عندما وقع في حب فتاة من ولاية تكساس بعد تخرجه في الجامعة. كان عابس الوجه ويلف رقبته يمينًا ويسارًا بعد أن استيقظ من نومه، هذا إذا اعتُبر التمدد على كرسي والغفوة لبضع ساعات "نومًا". كان يلبس قميصًا ارتداه على مدار اليومين الماضيين، وقد خلّف العرق آثارًا على ياقة القميص وتحت الإبطين، أما شعره فكان منكوشًا مثلما كانت حاله في مرحلة الطفولة، بعد الانتهاء من مباراة مصارعة مع ثاني أكبر الإخوة، وهو أيدن. كانا معتادَين قضاء النهار بالكامل في القبو يحاول كل منهما طرح الآخر أرضًا وتثبيته.

وعلى ذكر أيدن، ها هو يخرج من الحمام بعد أن نثر بعض الماء على وجهه وغسل شعره الذي كان أطول من اللازم حسب ذوق باتي، كأن هناك من يبالي

برأيهـا فـي ذلك. أيدن مطلّق ويعيشـ في مدينة سانت لويسـ حيث يدير صالة ألعاب رياضية.

لم تفهم باتي لماذا لم يعد أيدن إلى شيكاغو بعد انفصاله عن زوجته.

سأل أيدن شقيقه براندون: "ما هذا الذي ليس من اختصاصك؟".

فأجابه: "كيف حدث كل هذا؟ تبادل إطلاق النار".

"أما زلنا نتحدث عن هذا؟".

قـال براندون مشيرًا بيده نحو باتـي: "هي لا تزال تتحدث، وأبي يقول إن ما حـدث كان واضحًا، حيث دخلـت كيت على بيلي وهو مع هذه المرأة في غرفتها، إيمـي، فجن جنونهـا وبدأت في إطلاق النـار. فقتلت إيمي، لكـن بيلي نجح في تفادي طلقة قبل أن تصيبه كيت بأخرى".

قالت باتي: "لا يمكنني تصديق هذا، لا أستطيع".

فقـال أيدن وهو يمسح وجهه بمنشفة: "وهل هذا يهم؟". كان أيدن مهووسًا بالتمارين الرياضية، الأمر الذي يجعل إدارة صالة ألعاب رياضية عملًا مناسبًا لـه. وكان القميصـ القطني الرمـادي الذي يرتديـه أصغر مـن مقاس جسمه بدرجتين تقريبًـا. كانت أذنه ملتوية كأذن مصارع سابق، ومظهره يوحي بأنه لا يزال بإمكانه أن يكون مصارعًا. اتجه أيدن إلى السرير الموجود بالغرفة، ورفع كاحـل بيلي برفق فوق الشراشف، وقال: "المهـم أن أخانا كان أقوى من أن يدع رصاصة واحدة تقضي عليه".

نظرت باتي إلى بيلي الذي كان يبدو مثل شخص آخر. هذا ليس أخاها، ليس بيلـي. كان رأسـه ملفوفًا، وتتصل به أنابيب وأجهـزة وشاشات. كان الأطباء قد أزالوا جـزءًا من جمجمته لتقليل الورم الموجود بالمخ. هذا المستشفى يحتفظ بالفعل بجزء من جمجمته، موضوع في الثلج.

عد إلينا يا بيلي، أرجوك. لقد صمدتَ من قبل في مواضع كثيرة ونجوتَ من أهوال كبيرة.

لقـد مر شهـران ونصف الشهـر على الحادثـة، أُجريت خلالهمـا عمليتان جراحيتـان لبيلـي، لكن التوقعـات ليست كبيرة. شـرح الطبيب الأمـر للأسـرة بأكملهـا، بمن في ذلك باتي وإخوتها وأبوها، وكأنه يلقي محاضرة. قال لهم *إنه فـي العمليات الجراحية التي تُجرى في المخ، الأمر أشبه بالعقارات؛ حيث يكون أهم شيء هو الموقع.*

لم يثر هذا الكلام في نفوسهم إلا القلق.

لكن الطبيب أخبرهم *بأن هناك أنباء سارة وهي أن الرصاصة سلكت مسارًا مستقيمًا من الأمام للخلف؛ فلم تعبر الخط الناصف، ولم تصب جذع المخ أو المهاد. ويبدو أنها أصابت نصفًا واحدًا وفصًّا واحدًا فقط من المخ. كانت طلقة منخفضة السرعة، سلكت طريقًا مستقيمًا إلى حد كبير، دون انحرافات. فكر في الفرق بين كرة تتحرك في الهواء في إطار حلزوني ضيق النطاق وأخرى تتمايل. كانت الطلقة تسير في إطار حلزوني ضيق النطاق لكن دون تمايل.*

كانت باتي تدون هذه الكلمات بحماس كبير كأنها سكرتيرة تتلقى تعليمات من مديرها. لم تكن تفهم تمامًا ما يقوله الطبيب، لكن العبارة التي استحوذت على اهتمامها هي: *هناك أنباء سارة.*

لكن الطبيب قال إن هناك أيضًا أنباء سيئة وهي أن نشاط مخ بيلي توقف لبعض الوقت، لمدة ثلاثين دقيقة تقريبًا، وهذا هو السبب في أن رجال الشرطة والمسعفين ظنوا في البداية أنه مات، وهو *كان* شبه ميت بالفعل، ثم عادت وظائفه الحيوية للعمل مرة أخرى. قال الطبيب إن هذا الأمر وارد الحدوث، لكن ليس كثيرًا.

باختصار، تغلب بيلي على التوقعات، لكن في الحقيقة، احتمالية نجاته ضعيفة للغاية. وحتى إذا نجا، فليست لدينا طريقة نعرف بها مدى الضرر الذي لحق بالمخ. يمكننا التخمين، لكننا لن نتأكد إلا بعد أن يستعيد بيلي وعيه.

قالت باتي: "سينجو وسيصبح أفضل مما كان في السابق".

وقال أيدن: "بالتأكيد".

وأضاف براندون: "أرجح أنه سيكون مزعجًا أكثر من ذي قبل".

قالت باتي: "ربما يصبح عبقريًّا مثل رجل المطر؛ ويقوم بعمليات حسابية مركبة في رأسه في ثوانٍ. سوف يخرج من هذه الأزمة أكثر عبقرية، كأنه لا يكفيه أنه بالفعل أذكي من بقيتنا مجتمعين".

كانت آخر عبارة في الجملة حقيقية؛ حيث كان بيلي يمتلك عقلًا لا يكف عن إجراء الحسابات، وكان دائمًا ما يسبق الآخرين بعشر خطوات في التفكير ...

نعم، *كان* يمتلك ذلك العقل بالتأكيد، لكن احتفاظه به *ليس* مؤكدًا. كانوا يقولون لأنفسهم إن *بيلي سيعود كما كان. حتمًا سيعود.*

قالت باتي: "لا يمكنني أن أجلس هكذا دون أن أفعل شيئًا".

قال براندون: "أنتِ تفعلين شيئًا، أنتِ تمكثين مع بيلي للاطمئنان عليه".

قالت: "سأخرج لاستنشاق بعض الهواء"، ثم فتحت الباب، فصادفت أباها في الرواق.

كان يتحدث في هاتفه: "تأكد مرة أخرى. قلتُ لك تأكد مرة أخرى. لا أهتم بذلك. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا"، ثم أنهى المكالمة، والتفت فرأى باتي، فقال: "أوه، عزيزتي ...".

"ما الذي لا يمكن أن يكون صحيحًا؟".

وضع الأب هاتفه في جيبه، وكأن إخفاء الهاتف سيخفي السر.

"باتي، اذهبي للبيت واستحمي وخذي قسطًا من النوم، وأعدكِ بأن ...".

قاطعته في إصرار: "ما هذا الذي لا يمكن أن يكون صحيحًا؟".

بدا الأب في حالة مزرية، ووصل إلى حالة شديدة من الإرهاق مثل بقية أفراد أسرته. فالأسبوعان الماضيان جعلا علامات التقدم في السن تظهر عليه بوضوح.

قال: "خبراء القذائف. لا بد أن هناك خطأ ما".

"أخبرني يا أبي".

قال: "إنني... إنهم... لقد..."، ثم أخذها بين ذراعيه. لقد احتضنها أبوها على مدار الأسبوعين الماضيين أكثر مما احتضنها على مدار حياتها، حتى عندما ماتت أمها منذ ست سنوات.

همس في أذنيها قائلًا: "أنا متأكد أن الأمر فيه خطأ ما. لقد عاد خبراء القذائف إلى المكان الذي جرى فيه تبادل النار، ووجدوا أن الطلقة التي أصابت إيمي لنتيني ليست من مسدس كيت، بل من مسدس بيلي".

دفعت باتي نفسها بعيدًا عن أحضان والدها، وقالت: "ماذا؟".

أومأ الأب، وأطرق برأسه إلى الأرض، ثم قال: "يقولون إن أول من أطلق النار في الغرفة كان بيلي؛ حيث أطلق النار على إيمي، ثم صوّب سلاحه إلى كيت التي بادلته إطلاق النار في الوقت نفسه".

فقالت باتي وهي تتراجع إلى الوراء: "لا... لا... أنا... لا".

قال كبير المحققين، وهو يمرر يده عبر شعر ابنته الفوضوي: "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، لا يمكن".

الفصل 21

فقدت باتي الإحساس بالوقت وهي تمشي في أروقة المستشفى. كانت لا تريد الابتعاد عن بيلي، لكنها في الوقت نفسه غير قادرة على الاكتفاء بالجلوس دون فعل شيء.

لا شيء من هذا صحيح. المشهد بأسره في شقة إيمي مريب. والآن يدّعون أن *بيلي* هو أول من أطلق النار؟ بيلي قتل إيمي لنتيني؟

لا، هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. كانت باتي متأكدة من هذا.

يجب أن تستعيد وعيك الآن، يا بيلي. يجب أن تحكي ما حدث. يجب أن تبرئ نفسك. لا يمكنك أن تسمح بأن تكون هذه هي النهاية التي سيتذكرك الناس بها. يجب أن تستعيد وعيك، يجب أن تستعيد وعيك، وإلا سيكون الأمر برمته خطئي.

فجأة خطر شيء ببالها. منذ متى... منذ متى وهي خارج غرفة بيلي؟ ماذا لو حضر الطبيب في غيابها؟ سيكون هذا من حظها السيئ: أن تجلس في تلك الغرفة البغيضة لأكثر من عشر ساعات، ثم يأتي الطبيب اللعين خلال هذه المدة القصيرة التي تكون فيها خارج الغرفة. *أراهن أن هذا ما حدث. أراهن أن الطبيب قرر أن يدخل الغرفة بمشيته المستفزة وأنا غير موجودة...*

وجدت باتي المصعد، فضغطت الزر بعنف كأنها تسدد طعنات لشخص تحرص على ألا تتركه حيًّا.

صاحت في باب المصعد: "أسرع!"، فالتفت إليها المارة.

سحقًا لكم أيها الأشخاص. لو كان أي منكم لديه أخ يضيع من بين يديه، وهذا الأخ هو الشخص الوحيد الذي يفهمه بحق، الشخص الوحيد الذي يثق به في هذا العالم البائس - لتفهّم ما أنا فيه الآن.

انفتح باب المصعد، وخرج منه مريضان من كبار السن، يجلس كل منهما على كرسي متحرك، ومعهما أفراد عائلتيهما الأصغر سنًّا.

أرجوك يا بيلي، لا تتركني. أعلم أن الأشياء التي يقولونها عنك الآن ليست حقيقة. لكن ساعدني على تبرئة اسمك. عد إليّ، يا بيلي. استعد وعيك، أرجوك، استعد وعيك ، وإلا سيكون الأمر برمته خطئي...

عند باب غرفة بيلي، شاهدت باتي امرأة من أصول أفريقية، نحيلة القوام، ترتدي زي المستشفى.

نادتها: "أيتها الطبيبة؟".

التفتت المرأة، والتي اتضح أنها ليست طبيبة بالرغم من ارتدائها زي الجراحين.

كانت المرأة هي كيم بينز، الصحفية بجريدة *شيكاغو بي سي*، وهي صحيفة إلكترونية معنية بتغطية الأمور السياسية والجريمة في شيكاغو. هذه هي الصحيفة الصفراء التي قامت على مدار الشتاء الماضي والربيع الحالي بذكر اسم واحد في كل يوم لأحد المشاهير الذين تم تصويرهم وهم يترددون على البيت الحجري سيئ السمعة بحي جولد كوست، والذي قُبض فيه على العمدة.

قالت: "باتي؟ مرحبًا!".

فأجابت باتي وقد تكورت يدها على شكل قبضة: "أنتِ".

كيم امرأة جميلة قُدِّر لها فيما مضى أن تكون نجمة لامعة في البرامج الإخبارية بشيكاغو قبل أن تُكتشف علاقتها المشبوهة بقضية اختطاف كانت تقوم بتغطيتها. ولذا فهي على الأرجح وجدت في قصة البيت الحجري طريق العودة إلى أضواء الإعلام الإخباري بشيكاغو.

لو كان تسريب أسماء المشاهير المترددين على هذا البيت هذا هو كل ما فعلته كيم، لكانت باتي اعتبرتها مجرد شخصية إعلامية انتهازية وحسب.

لكنها لن تسامحها أبدًا على ما فعلته ببيلي.

"اهدئي يا باتي، أنا في صفكم".

اقتربـت منها باتي حتى كادت تلامس جسدها، وقالت: "أنتِ لستِ في صف أحد سوى نفسك. أمامكِ خمس ثوانٍ لتغادري المكان وإلا قبضت عليكِ".

"هل ستقبضين على مراسلة صحفية؟".

"بل أقبض على امرأة متنكرة في زي طبيب تنتهك حرمة الآخرين، مراسلة صحفيـة ليس لها الحـق في الدخول بشـكل متطفل في وحـدة العناية المركزة لإجراء حوار مع عائلة أو تصوير المريض وهو في حالة غيبوبة...".

"أنا أريد فقط أن تخبريني بجانبك من القصة".

قالت باتي: "أمامكِ خمس ثوانٍ. واحد ...اثنان... ثلاثة...".

"باتي ...".

"أربعة ...".

"اسمعيني، يا باتي".

صفعـت باتي كيم صفعة قوية براحة يدها، فـكادت كيم تسقط على الأرض إثر الصفعة؛ ونظرت إلى باتي بعينين تتقدان نارًا.

وقالت باتي: "خمسة".

فقالت كيم: "يمكنني أن أصبح صديقتك أو عدوتك. لا تنسَيْ ذلك".

شاهـدت باتي كيم وهــي تسير حتى المصعـد وتدخله. ثـم تنهدت ودخلت الغرفة.

فوجدت أيدن و براندون يضحكان...

كان براندون يجلس على الجانب الأيمن من السرير ممسكًا يد بيلي اليمنى، بينمـا كان أيدن يجلس على الجانب الأيسر مـن السرير، ويمسك هو الآخر بيد بيلـي اليسرى. كان براندون يقول: "... وكانت باتـي تلعب دور المرأة الصالحة وتحمل وليدها، وأنت كنت الراعي الصالح، وكل ما كان عليك فعله في المسرحية هو أن تجلس وتشاهد الحكماء الثلاثة وهم يقدمون هداياهم إلى الرضيع. أنا لا أتذكر أنك تلفظت بكلمة في المسرحية، أليس كذلك؟".

لم يستطع أيدن حتى التحدث من فرط الضحك.

شعرت باتي بالدفء يتسلل إلى وجهها. هي تتذكر كل هذا جيدًا، حين كانت هــي وبيلي في السادسـة من عمرهما، ويقدمــان مسرحية صغيـرة أمام أولياء الأمـور في المدرسة بمناسبة احتفالات رأس السنة. وكان كل المطلوب من بيلي أن يجلس صامتًا طوال المسرحية.

"وفــي أثنــاء المسرحية، كانــت السيدة جنجر تهمس لكم بمــا عليكم فعله، بينمــا كان أولـيــاء الأمــور يشاهــدون المسرحية فــي تلك المقاعــد المتهالكة. وفجــأة، قمتَ برفع يــدك، وقلت: *لو سمحت يا سيدة جنجر، كيف أنجبت المرأة الصالحة وهي عذراء*".

فانفجــر أيــدن وراندون بالضحــك. وباتي أيضًــا. شعر الجميــع باسترخاء وبإحساس أفضل.

ترقرقت الدموع في عيني أيدن، ومع خفوت موجة الضحك، كان من الحتمي أن يتبعهــا فيض مــن العواطف. فقام براندون - الأخ الأكبــر الذي يحاول دائمًا الشد من عضد بقية إخوته - بالتربيت على ذراع بيلي، وقال: "أنت تتذكر ذلك، أليس كذلك يا صاحبي؟ لقد تسببت في جلبة في المسرح بأسره".

سحب أيدن نفســه بعيدًا عن السرير والدموع تنهمر من عينيه. رجل ضخم مفتول العضلات مع دموع تتدفق على خديه - تتذكر باتي صورته هذه وهو يبكي عندما ماتت أمهم، لكنها لا تتذكر أنه فعل ذلك في أي وقت آخر. قالت: "أشعر كأنه البارحة عندما كان بيلي يمكث في مستشفى مثل هذا".

فقــال براندون: "أشعــر بذلــك. كان هــذا مثل ثــلاث سنــوات كريهة. هل تصدقون هذا؟".

هز أيدن رأسه وقال: "كان قد بدأ في العودة إلى سابق عهده، أليس كذلك؟ كان يتعافى من كل ما حدث، ثم وقع هذا".

"هــا قد تجمــع المهرجــون الأربعة"، قالهــا مايك جولدبيرجــر وهو يدخل الغرفة، مذكرًا إياهم بالاسم الذي كان يُطلقه عليهم وهم أطفال.

قــام إخوتها بتحيــة جولدي الــذي كان يعرفهم منذ سنوات. فقــال لهم إنه سيقوم بالمناوبة التالية على بيلي، وإن عليهم الذهاب لتناول بعض الطعام.

أمســك براندون بكاحل بيلي وقــال: "ابق مكانك ولا تبرحه في أثناء غيابي، يا أخي الصغير، وإلا أوسعتك ضربًا".

عندما غادروا، ألقى جولدي نظرة سريعة على باتي.

وقال لها: "والدك أخبركِ بشأن خبراء القذائف".

أومأت بالإيجاب.

فقال: "الوضع سيئ، وعلى وشك أن يزداد سوءًا".

الفصل 22

قال جولدي: "كيف حال فتاتنا الآن؟".

أجابته باتي: "أوه، أنت تعرف الأطباء هذه الأيام؛ كل ما يقدمونه هو احتمالات وتمهيد لملاحظات. بصراحة، وبقدر ما أكره قولها، إنهم يقولون إن بيلي لن ينجو".

قال بيلي وهو في غيبوبته: *حسنًا، هذا لا يبدو جيدًا.*

أردفت باتي: "يقولون إن بقاءه حيًّا إلى الآن شيء يشبه المعجزة. أعني أنه فارق الحياة فعلًا لبعض الوقت".

قال بيلي: *هل كنت ميتًا بالفعل؟*

رد جولدي: "أجل، أتذكر هذا".

قال بيلي: *حسنًا، أعتذر لمارك توين عن اقتباس مقولته، ولكن أنباء موتي مبالغ فيها.*

فبالرغم من أنني لا أشعر بالحياة تدب في جسدي، ولا أشعر بأي شيء، بما في ذلك ذراعيَّ ورجليَّ، ولا أرى أيضًا، فإن بإمكاني سماعهما، لكن أصواتهما تبدو مكتومة وكأنني أسمعها من داخل مكان مغلق. أشعر كأنني جنين يطفو داخل رحم.

قالت باتي: "ويقولون إنه حتى لو نجا، فلا أحد يعرف الحالة التي سيكون عليها".

قال بيلي: *شخص يسيل اللعاب من فمه مثلًا؟*

"وقد تصبح لديه شخصية مختلفة تمامًا".

قال بيلي: *بعض الناس قد ينظرون إلى هذا على أنه تحسن.*

أردفت باتي: "وربما يفقد ذاكرته تمامًا".

قال بيلي: *أنا أتذكرك يا باتي، وأتذكر جولدي ومارك توين،*

وأتذكر رقم شارتي، وأحفظ جدول الضرب من ١ إلى ١٠.

لكنني لا أتذكر كيف جئتُ إلى هنا.

قال جولدي: "سمعتُ أن العملية الجراحية سارت على ما يرام".

ردت باتي: "على قدر استطاعتهم. أنت تعلم أنهم أزالوا جزءًا من مؤخرة جمجمته للحد من الورم".

قال بيلي: *انتظري... أنت تقولين إن جزءًا من جمجمتي مفقود؟ ما الذي حدث لي بحق السماء؟ أنت، يا باتي العزيزة، هلا سردت خلفية صغيرة عما حدث لهؤلاء الذين يسمعون الخبر لأول مرة، بمن فيهم أنا؟*

قالت باتي: "يقولون إن الطلقة لم تصب النصف الأيسر من المخ، وهو الجزء الذي يتحكم في الكلام واللغة".

قال بيلي: *حسنًا، لقد أصابت الطلقة مخي؟ الجانب الأيمن على ما يبدو.*

إذن سأعيش على كرسي متحرك لآخر حياتي، لكن على الأقل سأحتفظ بالقدرة على "الكلام واللغة" حتى أستطيع أن أطلب بوضوح من الممرضة أن تحضر لي عصير التفاح.

رد جولدي: "حسنًا، هذا جيد".

قال بيلي: *أيتها الممرضة! أريد المزيد من عصير التفاح! من الذي يتعين عليّ قتله هنا للحصول على المزيد من عصير التفاح؟*

قالت باتي: "على أية حال، لقد أخبرني أبي بموضوع خبراء المقذوفات. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. لا يمكن، يا جولدي".

قال جولدي: "أعلم هذا وأفهمك. لقد أمر والدك خبراء المقذوفات بإعادة الفحص مرة أخرى، لكن منذ متى يخطئ خبراء المقذوفات؟".

قالت: "لا يمكن أن يكون بيلي هو من أطلق النار".

قال بيلي: *أنا أطلقت النار على شخص ما؟ من هذا الذي أطلقت النار عليه؟ أتمنى أنا أكون أطلقت النار على شخص بادر بإطلاق النار عليّ.*

قـال جولدي: "أنا متأكد من أن العمدة سيفرح بهذا الخبر، أو محاميه على الأقل".

قـال بيلي: *العمدة؟ ولِمَ يهتم العمدة فرانسيـس ديلانـي بشأني؟ هل أطلقتُ النار عليه؟*

ارجع بذهنك للوراء، يا فتى. ما الذي تتذكره؟

أتذكـر ... حادثة قتـل؟ طالبة جامعية، جامعة شيكاغو، علـى ما أعتقد ... ثم ... ثم ماذا؟

ثم... لا شيء، لا شيء سوى رؤية ضبابية.

أتذكر ستيوارت...

أحيانًا خلال الأوقات الصعبة، كنت أضع يدي على يديه دون أن ينظر أحدنا إلى الآخر ... كان كلانا يحبس دموعه وتمنعه الكبرياء من تركها تنهمر ...

أمـا عن النكات، فكان العجوز يضحك بشدة، لدرجة أن صوت ضحكته كان يشبه محرك سيارتي المعطل، وكأنه كان على وشك على أن يلفظ إحدى رئتيه...

كنا نضحك حتى لا نبكي...

أتذكر عندما انتهى الأمر، شعرتُ بأنني...

أنني أردت الموت أيضًا.

لا أريد أن أتذكر بعد الآن، لا أريد أن أتذكر أي شيء.

قـال جولـدي: "ما هـذا؟ هل سمعـتِ شيئًا؟ هل هـذا الصـوت كان من ... بيلي؟".

فقالت باتي: "بيلي! بيلي! هل تسمعني؟".

قال بيلي: *أسمعك، يا باتي، لكنني أريد الابتعاد الآن...*

قـال جولدي: "ستيوارت، أعتقد أنني سمعته يقـول ستيوارت. مَنْ ستيوارت هذا؟".

قالـت باتي: "ستيوارت هو ذلك العجوز الذي كان في المستشفى، أتتذكره؟ عندما كان بيلي شبه مقيم بمستشفى تشيلدرين التذكاري للأطفال...".

"أتذكره، بالطبع".

قالـت باتـي: "كان ستيوارت هنـاك لأن حفيده صدمته سيـارة، وقد انتظر الاثنان معًا لأسابيع، وتوطدت العلاقة بينهما".

قال بيلي: *لا أريد أن أتذكر هذا...*

قال جولدي: "بيلي، هل تسمعني يا صديقي".

قالت باتي: "بيلي، أنا أختك، هل تسمعني؟".

قال جولدي عبر الهاتف: "هالو، براندون، أنا جولدي، أعتقد أننا سمعنا بيلي يتحدث. حسنًا، أسرع".

قالت باتي: "بيلي، نحن بحاجة إليك. أرجوك يا بيلي، بإمكانك فعلها".

قال بيلي: *لا أعرف كيف... لا أعرف إذا كنت أريد...*

صاحت باتي: "افعل هذا من أجلي، يا بيلي. أنا بحاجة إليك. أنا أحبك يا بيلي. الأسرة بأسرها هنا. براندون وأيدن هنا. أبي هنا، وجولدي هنا. عد إلينا، يا بيلي. نحن في أمسّ الحاجة إليك".

قال بيلي: *أشعر بشيء ما.*

أشعر بدموع باتي تنهمر على خدي.

وبضوء ... ضوء حارق شديد في عيني.

الفصل 23

قالـت باتـي والدمـوع تنهمـر مـن عينيهـا: "كنـت متأكدة، كنـت متأكـدة أنك ستعود".

قــال بيلي: عينــاي تتحركان في أرجاء الغرفة ببــطء، كأنها مليئة بالرمال، فرأيتُ براندون وأيدن وأبي وجولدي؛ كانوا جميعًا يحيطون بي، وكلهم يلمسونني كأنهم يريدون أن يحتضنوني بقوة، لكن معرفتهم بسوء حالتي تمنعهم من ذلك.

شعــرت بأنني منفصل عن جسمي، وكأن ما أشاهــده يحدث لشخص آخر. كانت عائلتي تحيط بي، ويضع كل منهم يده عليّ كأنهم يفحصون شيئًا معروضًا في متحــف مكتوب تحته: "يُسمح بلمسه" أو يمارسون طقسًا روحيًّا للشفاء من خلال اللمس.

حاولتُ التحدث، لكن لا شيء يصدر عن فمي.

هل أنا ميت؟

كل شيء يتحول إلى الأسود.

انفتحــت عيناي مرة أخرى، فوجدت الأشخاص أنفسهم يحيطون بي. كانت باتــي لا تزال تبكــي، وعينا أيدن - صاحب العضــلات المفتولة والقلب الكبير - تذرفان الدموع.

قالت باتي: "أنت موجود بالمستشفى؛ فقد أصبت بطلق ناري، لكنك ستكون على ما يرام".

لقد سمعتُ هذا الكلام من قبل. على الأقل الجزء المتعلق بالإصابة بطلق ناري. وإذا أسعفتني الذاكرة، يا باتي، فأنتِ أخبرتِ جولدي بأنني لن أعود لسابق عهدي مرة أخرى.

قال براندون، الأخ الأكبر والشخص الذي يرفع معنويات الأسرة دائمًا: "لا يمكن لطلقة أن تقضي على هذا الرجل".

كل شيء يتحول إلى الأسود مرة أخرى.

هل أنا ميت؟

عاد الضوء مرة أخرى، وحاولت عيناي التكيف معه. الأشخاص أنفسهم في الغرفة: أبي والمهرجون الثلاثة، بالإضافة إلى المهرج الرابع وهو أنا، ثم جولدي. الجميع ملتفون حولي.

قالت باتي: "ليس الآن".

قال براندون: "إنها محقة".

بشأن ماذا؟ حاولتُ التحدث لكنني لم أستطع. يمكنني التفكير بشكل جيد، لكنني لا أستطيع ترجمة التفكير لكلام يخرج من فمي.

قال الأب: "نحن بحاجة لأن نعرف".

قالت باتي بمزيد من الحزم: "*ليس الآن*، إنه لا يزال يستفيق".

مال أيدن نحوي، وقال: "*كيف حالك يا صديقي؟*"

لم أستطع الإجابة.

قال براندون: "قل شيئًا من أجلي. قل: *فريق شيكاغو كابز فاشل*. قل: *أنت رهن الاعتقال*".

فقال أيدن: "ما رأيك في أن تقول: مرحبًا *أيها الأحمق الكبير*".

قال براندون: "لقد قطعتُ كل هذا الطريق من دالاس إلى هنا؛ فعلى الأقل، قل مرحبًا لأخيك الكبير، وإلا لقنتك درسًا قاسيًا على ذلك".

فقال أيدن: "لا تستمع لهذا الناكر للجميل. لقد أسديتَ إليه معروفًا بأن جلبته إلى هنا. هل ذهبت من قبل إلى دالاس؟ إنهم يرتدون أحذية وقبعات رعاة البقر هناك".

"هكذا يقول الرجل الذي يرتدي قميصًا قطنيًا بلا أكمام وسروالًا قصيرًا وهو ذاهب إلى العمل".

"على الأقل، أنا لا أتحدث بلهجة تكساس الغريبة".

هذه هي عائلتي بكل تأكيد.

قالت باتي: "بيلي، يمكنك أن تسدي لنا جميعًا معروفًا، وتخبر أخويك التافهين بأن يخرسا".

قال براندون: "مَنْ هذا الذي تصفينه بالتافه؟ لقد تخرجتُ الأول على دفعتي".

فقال أيدن بلهجة ساخرة: "في جامعة ويسليان!".

"ألا تعجبك؟ ماذا عن جامعة روزفلت التي تخرجتَ فيها؟ أهي تنافس هارفارد أو شيئًا من هذا القبيل؟".

هذه هي عائلتي من دون شك.

انفرجت شفتاي، ولما لاحظت باتي - التي كانت ترقب كل حركة أقوم بها - ذلك، رفعت يدها لكي تسكت الجميع.

شعرتُ بأنني طفل يحوم والداه حوله في انتظار أن يتلفظ بكلمة.

ثم تلفظت بأولى كلماتي، وقد كانت الأعين كلها موجهة إلَّي، بينما مالوا جميعًا نحوي استعدادًا للحظة المهمة.

أقول: "تا....تا....تا....".

لم يعرف أحد كيف يتفاعل مع هذا؛ حيث ظلوا متسمرين في مكانهم، مرتبكين، حواجبهم مرفوعة ومعقودة، وقد حبسوا أنفاسهم جميعًا.

فتحتُ فمي مرة أخرى؛ فمالوا نحوي أكثر، وكأنهم يفحصون شيئًا عبر ميكروسكوب.

فقلت: "لقد... لقد كنت أمزح فقط".

ساد ارتياح جماعي واكتسحت روح الدعابة الغرفة.

فقال أيدن وهو يهز رأسه والدموع تنهمر من عينيه: "أيها القذر".

وقال براندون وهو يهز ذراعي برفق: "لقد عدتَ بكل تأكيد، لقد عاد! المهرج عاد!".

وهمست باتي والمشاعر تغمرها: "لقد فعلتها. لقد فعلتها يا بيلي".

الفصل 24

أخـذتُ أستعيـد الوعـي وأفقده، وأتنقل بيـن النور والظلام، فاقـدًا الإحساس بالوقـت؛ فلم أعد أعرف فـي أي ساعة من اليوم أكون، ولا فـي أي يوم من أيام الأسبوع، مع عدم وجود أي من المصادر المعتادة لتحفيزي. رؤيتي ليست جيدة بما يكفي لأتبين المكتوب على الساعة الرقمية على الحائط المقابل. أنا موجود في غرفة معزولة داخل وحدة العناية المركزة؛ فلا أرى ضوء الشمس، ولا أشعر بحلـول الليل. يتم إطعامي عبر أنبوب؛ فليس مـن بين وجباتي بيض مخفوق ولا دجاج مـع الأرز. لا يزال من الصعب عليّ أن أستجمـع قوتي وتركيزي للتحدث؛ ولذا قررت أن أوفر القوة والتركيز لأسئلة أهم مما إذا كان الوقت الثالثة عصرًا أم الثانية صباحًا.

وبدلًا من ذلك، أنا أقيس مرور الوقت من خلال تغيير أختي لملابسها. فمنذ اليـوم الأول الذي فتحتُ فيه عينيَّ، ارتدت باتي ثلاثـة أطقم مختلفة، وهذا إما يعنـي أنني أفقتُ مـن الغيبوبة منذ ثلاثة أيام، أو أن باتـي تحب تغيير ملابسها كثيرًا.

أبـي لا يزورني كثيرًا؛ فوظيفة كبير المحققين حساسة، ولا يمكنه أن يفوض سوى المهام اليومية. يمكث شقيقاي في المستشفى، لكنهما يقضيان الكثير من الوقت في الرواق، يتصلان بمنزليهما، أو يرسلان ويستقبلان رسائل من دالاس وسانت لويس وإليها.

الاثنان اللذان أجدهما بجانبي في كل مرة أفتح فيها عينيَّ تقريبًا هما جولدي وباتي.

الجميع يخفون عني الأمر رفقًا بي، وقد طرحتُ أسئلة لكني لم أتلقَّ إجابات، بل الكثير من الردود المراوغة، مثل *اهتم الآن بصحتك وسنتحدث في الأمر لاحقًا*.

سألتهم عما حدث وأوصلني إلى هنا.

سألتهم من الذي أطلق النار عليّ، وسألتهم من الذي أطلقتُ عليه النار.

لكن أكثر سؤال كنت أسأله هو أين كيت؟

أستطيع تكوين جمل كاملة في ذهني - على الأقل كنت أستطيع هذا، لكنها تأبى الخروج من فمي. تشبه العلاقة بين مخي المصاب وفمي الإشارة التي يتلقاها هاتفي المحمول عندما أكون في مكان مغلق؛ أحيانًا يلتقط الإشارة واضحة، وأحيانًا تكون الإشارة مشوشة، وأحيانًا يفقد الإشارة بالكامل.

كما أنني لست مشلولًا أيضًا؛ فكل الأعضاء تعمل بشكل جيد، وإن كانت لم تعد لكفاءتها المعتادة بعد.

أتذكر الآن أنني قبضت على العمدة، وقد استرجعتُ تلك الذكرى عندما كانت أختي ترتدي قميصًا قطنيًّا أخضر، واليوم هي ترتدي شيئًا بنيًّا؛ ولذا أعتقد أن هذا كان بالأمس. تذكرتُ بالأمس عملية مداهمة البيت والعاصفة الهوجاء التي تبعتها. أتذكر أن رئيس الشرطة كان غاضبًا، وأن المدعي العام عينت امرأة - داهية حقيقية - للتحقيق معي ومع كيت من أجل اكتشاف إذا ما كنا سرقنا الدفتر السري من البيت الحجري أم لا.

ومع كل يوم، مع كل مرة تغير فيها باتي ملابسها، أتذكر بضعة أشياء أخرى.

أتذكر اسم المحققة: إيمي لنتيني.

أتذكر أيضًا إيقافي أنا وكيت عن العمل.

أتذكر حديثي مع جولدي في مقهى، واعتقادي أن الأمر برمته أكبر بكثير من مجرد دفتر سري حقير، وأنه كان مبررًا للنيل مني. أتذكر اعتقادي أن شخصًا ما اكتشف أنني أعمل متخفيًا لصالح مكتب الشئون الداخلية، وأن هذا الشخص استخدم حادثة القبض على العمدة مبررًا لإسكاتي.

توقف تذكري للأشياء عند هذا الحد، وما تلا ذلك تحجبه سحابة من الدخان، وكأنني أهرول على قدميَّ محاولًا اللحاق بسيارة ذاكرتي المنطلقة بسرعة كبيرة.

قال طبيبي - وهو رجل هندي يدعى بامريش - إن معظم الأشياء ستعود إلى ذاكرتي عاجلًا أم آجلًا، لكن ليس من ضمنها على الأرجح الأحداث المأساوية التي أدت للإصابة. قال لي لن تتذكر على الأرجح وقت تبادل إطلاق النار أو اللحظات التي سبقته، وهذا يسمى فقدان الذاكرة الرجعي.

باتي منهمكة في هاتفها، وتتمتم بينها وبين نفسها، غير مدركة أنني فتحت عيني مرة أخرى. إنها تبدو غاية في الإرهاق والشحوب والإنهاك.

كانت نشأة باتي صعبة؛ فعلى الرغم من نشأتها محاطة بثلاثة إخوة يدللونها ويحمونها، فإنها لم تستطع التحرر من الإحساس بنقص الثقة بالنفس الذي لازمها، لاسيما عندما كانت تُقارن بي، شقيقها التوأم. لا أعرف ما المميز فيّ عنها، لكنها كانت تعتقد أنني أتفوق عليها في كل شيء؛ حيث ترى أنني أذكى وأقوى وأكثر شعبية وأوسم منها. هذا شيء لم أفهمه أبدًا، لكنه لازمها منذ سن صغيرة، ولم يفارقها، وظل يخبرها بأنها ليست جيدة بما يكفي.

لكن هذا الشيء لم يؤثر على علاقتنا؛ فأيًا كان شعورها حيالي، لم تحمل ضغينة لي يومًا. كنا يدًا واحدة في السراء والضراء، وعندما حدث ما حدث منذ ثلاث سنوات، تألمت باتي بقدر ما تألمتُ، كأن الأمر قد وقع لها شخصيًّا.

قلت: "كيت"، ولم أحاول البحث عن كلمات أخرى.

رفعت باتي عينيها عن هاتفها، وقالت: "صباح الخير، يا عزيزي"، ثم مالت وطبعت قبلة رقيقة على جبهتي. كان شعر رأسي محلوقًا، وكان رأسي ملفوفًا بضمادة سميكة، وكان الجزء العلوي من جمجمتي محفوظًا في إناء زجاجي في مكان ما، ولا يزال جسدي متصلًا بأنابيب وموصلات كهربائية وآلات. كانوا يطعمونني، ويراقبون مخي ووظائف القلب، بل وحتى يدلكون أطراف جسمي بواسطة نبضات كهربائية حتى تعمل الدورة الدموية بصورة طبيعية.

قلت مرة أخرى وكان كلانا ينظر في عين الآخر: "كيت، أرجوكِ".

أشاحت باتي بعينيها بعيدًا وكأنها تفكر في طلبي. كنا بمفردنا في الغرفة، حتى جولدي لم يكن موجودًا.

حاولت باتي لمس وجهي ورأسي، لكن لم يكن هناك مكان تضع عليه يدها، واغرورقت عيناها بالدموع. لقد سكبت باتي دموعًا تكفي لملء شلالات نياجارا. يؤسفني أن أفعل هذا بها، لكنني بحاجة لأن أعرف، وأنا أعلم أنها ستخبرني طالما أنه لا يوجد أحد يمنعها من ذلك.

"كيت قُتلت في تبادل لإطلاق النار، يا بيلي. أنت نجوت منه، أما هي فلا".

هناك شيء ما صدر من فمي، أعتقد أنه أنين بطيء.

كنت أتوقع شيئًا مثل هذا؛ لأنه من الصعب التفكير في سبب آخر يمنع كيت من المجيء لزيارتي، لكن سماع الخبر وتأكيده كان أشبه بطعنة سكين استقرت في أحشائي.

قالت لي: "نحن لسنا متأكدين مما حدث".

لقد خذلتها. كان من المفترض أن أحميها؛ فهذا ما يفعله المحقق مع شريكه، لكنني لم أفعل هذا.

كيت، يا إلهي...

"من الذي... من الذي...".

راقبتني باتي وهي تخشى السؤال، لكن سواء كنت مصابًا في المخ أم لا، كان بإمكاني قراءة ما يختلج في صدرها ككتاب مفتوح. هي تعرف ما أحاول أن أسأل بشأنه: *من الذي قتل كيت؟*

كررت باتي عبارتها: "نحن لا نعرف ما حدث، لا نعرف على وجه التحديد"، لكن هذه المرة بطريقة آلية أقل إقناعًا، كأنها تريد أن تغلق الباب في وجه أية أسئلة أخرى.

كلما كررت باتي العبارة، اتضح لي أكثر أنها تكذب، لكن لِمَ تكذب عليّ؟ لِمَ لا تريد لي أن أعرف من الذي أطلق النار على كيت؟

لا، لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا.

شعرت بسم يتسرب إلى عروقي، وبجبل يجثم على صدري، وبأنفاسي تتقطع. بدأت بعض الآلات بإصدار أصوات عالية وأجراس وصفارات. ضغطت باتي على زر، واستدعت الممرضة.

انفتح الباب وهرع أطباء وممرضات إلى الداخل.

قبل أن تخرج باتي من الغرفة، مالت نحوي وقالت: "لا تصدق أي شخص يحاول إخبارك بما حدث".

الفصل 25

قالت باتي: "هذه فكرة سيئة... بل فكرة مريعة".

هـذه أفضـل فكـرة خطرت لي فـي الأربعـة عشـر أسبوعًـا التـي قضيتها بالمستشفى.

وضعت ذراعي على مهل في كم قميصي، وقلت: "لا أبالي بشيء. فلن أقضي ليلة أخرى في هذا المكان".

لـم يكن قرار مغادرتـي المستشفى من قبيـل الاعتراض علـى المستشفى، والذي تلقيتُ فيه علاجًا أكثر من رائع. كانت الغرفة التي انتقلت إليها بها نافذة تطـل على البحيـرة، وهو منظر رائع، رغم أنه ذكرنـي بالمنظر الذي تطل عليه شقـة كيت بحي لايـك فيو، وكان الأشخاص القائمون على إعـادة تأهيلي ذوي نفوس طيبة؛ حيـث تحلوا بالصبر معي كأنهم يعالجون طفلًا يحاولون استمالته لـ "القيـام بخطوة أخرى"، أو رفع ثقل بإحدى الذراعين، أو تكرار عبارة "طرق طومسون طاولة طرقًا طويلا"، أو العد التنازلي من عشرين إلى واحد.

كان الأمـر قاسيًا فـي البداية، لكنهم جعلوني أقف علـى قدمي مرة أخرى. وأصبـح بإمكاني ارتداء ملابسي بنفسي وإطعام نفسي والسير على قدمي (لكن مع عكاز). يمكننـي القـراءة والكتابة والتلفظ بجمل كاملة، وأوشكت رؤيتي على العـودة إلى ما كانـت عليه في السابق. كما أن حس دعابتـي لا يزال كما هو، ولا أعرف أهذا شيء جيد أم سيئ.

أعيد الجزء الذي أزيل من جمجمتي إليها، وأنا شديد الامتنان للأطباء على هذا، وعاد شعري للنمو مرة أخرى لكن بشكل أكثر استقامة مما كان عليه من قبل، وهو الآن قصير كشعر جنود الجيش. فقدتُ عشرة كيلوجرامات من وزني، ولديَّ ندبة في الموضع الذي دخلت فيه الرصاصة رأسي، لكن بقية أماكن الجراحة التي قام بها الأطباء في رأسي مغطاة بالشعر. لكن إذا نظر شخص عن قرب، يمكنه رؤية الندوب التي تبدو مثل خارطة طريق تغطي الجزء العلوي والخلفي من جمجمتي، لكنني يمكنني العيش مع هذا. إن حقيقة أنني ما زلت أعيش من الأساس هي معجزة في حد ذاتها.

وها أنا ذا أغادر المستشفى! بعد ثمانية وتسعين يومًا من إصابتي بطلق ناري في مخي.

قالت باتي: "أنت بحاجة إلى شهر آخر من إعادة التأهيل على الأقل".

"إذن سأفعل هذا في البيت، أو سأتردد على المستشفى عند الحاجة. من المؤكد أنني لن أعود إلى العمل في الحال".

كنت بحاجة إلى تصريح طبي كي يسمحوا لي بالعودة إلى العمل، حتى لو عملًا مكتبيًا. هناك الكثير من رجال الشرطة الذين أعرفهم سيرحبون بأخذ إجازة إعاقة باعتبارها إجازة مدفوعة الأجر، لكن هذا لا ينطبق عليَّ؛ فأنا لا أطيق فكرة المكوث في البيت ومشاهدة المباريات الرياضية والبرامج الحوارية النهارية والمسلسلات التليفزيونية. سأفكر في فعل شيء ما، وسيكون على الأرجح العمل على استعادة لياقتي البدنية حتى أعود لوظيفتي.

لكن أيًا من هذا لم يكن سبب عودتي إلى المنزل.

بالطبع، أنا سأصاب بالجنون من مكوثي في المنزل، وبالتأكيد أود العودة لعملي في الشرطة مرة أخرى.

لكن السبب الحقيقي هو أنني أريد استعادة التحكم في حياتي مرة أخرى. إن عائلتي - وبالتحديد باتي - تتحكم في مقدار المعلومات والأخبار التي أحصل عليها؛ فكل ما أعرفه عن حادثة إطلاق النار بعد أربعة عشر أسبوعًا هو أنه عُثر على ثلاثة أشخاص مصابين بطلقات نارية، واثنان منهم - إيمي لنتيني وكيت - قد ماتتا، بينما تشبثت أنا بالحياة، وأعلم أن هذه الحادثة وقعت في شقة إيمي لنتيني.

وعلى الرغم من عدم تأكيد باتي ولا شخص آخر لهذه المعلومة، يبدو أن الجميع يعتقد أنني من أطلق النار على كيت.

لكنني لم ألح في معرفة ما حدث. فعندما واجهتُ معارضة منهم، وعندما بدأ الجميع في تفادي الموضوع، قررت مسايرتهم في ذلك. هذه هي الحالة التي أكون فيها أكثر فعالية، عندما أتراجع إلى الخلف، عندما أكون الشخص المسالم المضحك، عندما أكون الطفل الأصغر والمهرج الرابع. إنني أكون في أفضل حالاتي عندما يستخفون بي.

هذا إذن ما سأفعله؛ سأكون شخصًا يحاول التعافي من إصابة في المخ، شخصًا أعرج يتحرك ويتصرف ويفكر ببطء، شخصًا لن يعود إلى سابق عهده على الأرجح، شخصًا لم يعد يشكل تهديدًا بالنسبة لأحد.

دعهم يعتقدوا كل هذه الأمور.

أنا لا أعرف كيف وصلتُ إلى شقة إيمي ليلة حادثة إطلاق النار، ولا أتذكر أيًّا من الملابسات التي قادت إلى هذا؛ فأنا لا أتذكر أي شيء حدث قبل أسابيع من هذه الليلة، ولا يمكنني أن أفهم لماذا تم إطلاق النار على شريكتي بأية حال.

لكنني عازم على معرفة الحقيقة.

الفصل
26

دخلت الغرفة امرأة طويلة ونحيفة، شعرها الرمادي مسحوب إلى الوراء، وترتدي نظارة ذات إطار أسود، ورداء أحمر بلا أكمام، وحذاء بكعب عالٍ. حاولت أن أبدو مهذبًا؛ فلم أحدق فيها.

قالت: "مرحبًا أيها المحقق، أنا الدكتور جاجودا".

نهضت من مقعدي وصافحتها وقلت: "أنا بيلي هارني".

جلست المرأة قبالتي. كانت الكراسي جلدية راقية ذات أظهر عالية، مثل تلك التي توجد في غرف القراءة بالقصور. كل ما كان ينقصنا هو مدفأة والقليل من الشراب.

لم يكن مظهرها هو الرائع فحسب، بل كانت رائحتها أيضًا؛ فكان عطرها منعشًا وظاهرًا، لكنه ليس نفاذًا.

كانت الجدران الداكنة تحمل شهادات دبلومات من جامعتي هارفارد وييل، وشهادات من العديد من جمعيات علم النفس.

سألتها: "كيف ستسير الأمور بيننا؟ هل أخبرك بأن أمي لم تظهر لي الحنان الكافي؟ ثم أدرك أنني ..."، ثم هززت قبضتيَّ وعضضت شفتي كأنني اكتشفت شيئًا مهمًّا متعلقًا بذاتي، وأردفت: "ثم أدرك أنني... لست شخصًا سيئًا! ثم يبكي كلانا بكاء يبعث على الاسترخاء، ثم أغادر المكان وقد وجدت السعادة التي كنت أنشدها؟".

كانت الطبيبة تستمع لكل هذا بوجه جامد لا يشي بشيء، ثم قالت: "كيف تريد أن تسير الأمور بيننا؟"

"أتريدين الحقيقة؟".

"هذا أفضل".

"أنا لا أريد أن أكون هنا من الأساس".

"ما كنت لأخمن هذا على الإطلاق!".

"لكن ليس أمامي اختيار آخر؛ فقسم الشرطة يقول إنه يجب عليَّ أن أزور طبيبًا نفسيًّا نظرًا لما مررت به من تجربة مأساوية".

ضيقت المرأة عينيها، وهي إشارة تقليدية يظهرها الأطباء النفسيون وهم يقيِّمون مرضاهم. وقالت: "لقد خضت هذه التجربة من قبل، منذ ثلاث سنوات".

"لم أُرِد فعل هذا أيضًا منذ ثلاث سنوات".

"لكن هل ساعدك هذا؟"

"ليس تمامًا".

فقالت: "حسنًا"، ثم ضمت يديها ومالت للأمام. كانت تفصل بيننا طاولة خشبية مستديرة صغيرة ذات تصميم يبدو أنه شرق أوسطي، ثم أردفت: "ما الذي تأمل أن تخرج به هذه المرة؟".

قلت: "أتمنى أن أخرج من *هنا* وحسب. لا أقصد الإهانة، لكنني لا أحتاج إلى طبيب نفسي".

"ولماذا تعتقد أنك لا تحتاج إلى طبيب نفسي؟".

نظرت إليها وقلت: "هل تكتفين بطرح الأسئلة؟ ألا تقولين جملًا خبرية أبدًا؟".

"هل تريد مني فعل هذا؟"، ثم انفرج فمها عن ابتسامة صغيرة، لكن بقية ملامح وجهها ظلت جامدة؛ على الأقل في هذه المرة كانت تمزح.

"أي نوع من الأسماء جاجودا؟".

عادت بظهرها إلى الوراء في الكرسي، ووضعت ساقًا فوق أخرى، وقالت: "بولندي".

سألتها: "هل تعرفين كم عدد الأشخاص البولنديين الذين يتطلبهم تركيب مصباح كهربائي؟ ثلاثة: واحد لوضع المصباح في مكانه، واثنان للف الكرسي الذي يقف عليه الشخص حتى يثبت المصباح في مكانه".

فردت: "هل تعرف كم عدد رجال الشرطة الذي يتطلبهم تركيب مصباح كهربائي؟ ثلاثة: واحد لتركيب المصباح في مكانه، واثنان آخران لانتهاك الحقوق المدنية لشخص أسود يقف بالقرب من المصباح".

كان هذا ردًّا ذكيًّا منها. فقلت: "هل تعرفين ما أصغر كتاب قرأته في حياتي؟ *القائمة الكاملة لأبطال الحرب البولنديين*".

"أوه، كأن الأيرلنديين قدموا إنجازات حقيقية إلى العالم".

كان بإمكاني أن أذكر المشروبات والبطاطس، لكنني لم أفعل.

قلت: "ما رأيكِ أن تعطيني تشخيصًا وتتركيني أمضي في سبيلي؟ لنقل مثلًا إنني مصاب باضطراب ما بعد الصدمة. اكتبي لي قائمة دواء كبيرة، وأعدكِ بأنني سأتناول كل الأدوية".

هزت رأسها وقالت: "أنا جيدة فيما أفعله أيها المحقق، لكنني لا أعتقد أنني مستعدة لأن أقدم تشخيصًا كاملًا بعد أن قابلتك لمدة خمس دقائق وقرأت ملفك فقط".

"حسنًا، سأقبل بتشخيص جزئي".

"تشخيص جزئي؟ حسنًا، يمكنني أن أقوله لك بسهولة: أنت مجنون تمامًا".

فصدرت مني ضحكة، وكانت هذه أول ضحكة أتذكرها. حسنًا، إنها طبيبة خفيفة الظل، لكن وجودي هنا لا يزال مضيعة للوقت.

نهضت من مقعدي، وقلت: "أراكِ لاحقًا، أيتها الطبيبة".

فقالت لي وأنا متجه نحو الباب: "أنت ذكي للغاية، وأذكى بكثير مما تظهر. أنت مجروح عاطفيًّا، ربما مما حدث منذ ثلاث سنوات ومما حدث في الأيام الماضية، لكنك تخفي كل هذا خلف ستار من التحذلق والفكاهة. الدعابة هي الملجأ الذي تختبئ وراءه، وأنت على الأرجح تخفي هذه الجراح منذ مدة طويلة لدرجة أنك لم تعد مدركًا ذلك".

لم أجبها، ولم أتحرك.

فالتفتت ونظرت نحوي، وحاجباها مرفوعان، فأشحت بعينيَّ بعيدًا عنها.

فقالت: "أنت محطم. أنت تعرف هذا وأنا أعرف هذا، لكن بإمكاني مساعدتك على أن تلملم شتات نفسك. ومن يعلم، فربما أساعدك على استعادة ذاكرتك".

نظرتُ إلى الباب، ومددت يدي لأفتحه.

فقالت: "هيَّا، اخرج إن شئت؛ فلن أوقفك. القرار لك يا بيلي".

رفعتُ يدي عن مقبض الباب، والتفتُ في بطء ونظرت إلى الطبيبة، ثم عدت إلى مقعدي وجلست عليه.

وقلت: "هل بإمكانكِ أن تعيدي لي ذاكرتي؟".

قالت: "لا أضمن ذلك، لكنني فرصتك الوحيدة".

الجزء الرابع

الماضي

الفصل 27

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت كيت بينما كانت تقود السيارة وأنا أجلس بجانبها: "هناك المزيد من الأخبار السيئة لنا". ففتحت الموقع الإلكتروني على هاتفي ووقعت عيناي على الخبر على الفور؛ كان مقالًا آخر في الصحيفة الإلكترونية الصفراء *شيكاغو بي سي*، وكاتبة المقال هي كيم بينز أيضًا، المراسلة الإخبارية الموصومة التي تحاول العودة إلى الأضواء بشكل قوي من خلال الصور التي حصلت عليها من البيت الحجري.

كان عنوان المقالة "زيارة سعيدة، يا فرانسيس!". كانت الصورة تظهر العمدة فرانسيس ديلاني وهو خارج من البيت الحجري الذي أصبح سيئ السمعة الآن، لكنه لم يكن يرتدي ثيابًا ثقيلة، بل كان يرتدي سترة خفيفة وقبعة بيسبول. ومن ثم، فقد التقطت هذه الصورة في وقت كان الطقس فيه دافئًا، أي ليس في الليلة التي قبضنا عليه فيها منذ أسبوع. المغزى هنا أن الليلة التي قُبض فيها على عمدة شيكاغو وبنطلونه منسدل حتى كاحليه ليست هي المرة الأولى التي يزور فيها المبنى الحجري.

قلت: "أنت محقة، هذه فضيحة مشينة. كيف يمكن للعمدة أن يرتدي قبعة فريق *شيكاغو كابز*؟".

رمقتني كيت بنظرة حادة، وبدا واضحًا أن دعابتي لم ترقها.

كانـت كيت تعتقد أن صـورة العمدة هذه تمثل خبرًا سيئًـا لأنها كانت تعتبر أن أي شـيء يتـم تتداوله في الأخبار عن هذه القصة هـو خبر سيئ، وقد كانت محقـة؛ فعلـى مـدار الأسبوعين اللذيـن مرا على حادثـة القبض علـى العمدة وجميـع من كان في المبنـى الحجري، قامـت وسائل الإعـلام الوطنية بتغطية الخبـر، وبمجرد أن بدأت في تغطيته، تشبثت بـه تشبث الأم برضيعها. وعندما تقـوم المحطـات الإخبارية المتخصصـة - مثل سي إن إن وفوكـس وبلومبيرج وغيرهـا - بغرس أنيابها في قصـة، فإنها ستسعـى وراء كل التفاصيل الشائكة ونشر الأخبار المثيرة، صغيرها وكبيرها، سواء تحققت من صحتها أم لا. وهذا الأمر يضع كل الأطراف المعنية تحت ضغوط.

انظـر مثلًا إلى المدعـي العام، مارجريـت أولسون. لقد قـام مراسل تابع لشبكـة سـي إن إن الأسبـوع الماضـي بفحص تقاريـر الإسهامـات المالية في حملتهـا الانتخابية، وأدرك أن مارجريت تديـن بالفضل في انتخابها كمدعٍ عام إلى العمدة ديلاني، الذي قدم لها دعمًا ماليًّا كبيرًا. وتحت فقرة إخبارية بعنوان "تضارب المصالح"، تساءل المذيع ما إذا كانت مارجريت "القصوى" ستترفق بالعمدة بعد كل ما فعله من أجلها.

هـذا الأمر دفع المدعي العام لعقد مؤتمر صحفـي أعلنت فيه أنها لن تقبل أيـة مساومـات قضائية من أي مـن المتهمين في قضية البيـت الحجري الذين قبض عليهم في تلك الليلة، سواء كان الشخص ذا مكانة بارزة (تقصد: العمدة ديلانـي، ورجل الدين فيلان، والظهير الربعـي لفريق جرين باي باكرز)، أو أي شخص عادي، كما أعلنت أنها ستطالب بتوقيع أقصى العقوبة عليهم.

كانـت قضية البيـت الحجري ستصـل إلى المحكمـة قريبًـا، وكانت جميع الأطراف المعنيين في حالة تأهب ويترقبون المفاجأة المذهلة التالية، على أمل ألا يكونوا هم الطرف المتضرر منها.

وكانـت كل وسيلـة إعلاميـة وكل مراسـل صحفـي أو إخبـاري يغطـي هذه القضية، كل يبحث عن الدفتر السري الذي اختفى في ظروف غامضة من البيت الحجري في تلك الليلة.

كانـت الأمور محتدمة، لكن كيت كانت بحاجـة للنظر إلى الجانب المشرق؛ فقـد كانت هناك أخبار سـارة أيضًا، وهي أن المجلـس التأديبي المشرف على قضايـا رجال الشرطة قرر عودتي أنا وكيت إلى العمل لحين عقد جلسة استماع

بشـأن سوء سلوكنا المزعوم. كان رئيس الشرطـة تريستان دريسكول قد أوقفنا عـن العمل على الفور، لكـن المجلس قرر إبقاءنا في العمل إلـى أن يثبت رئيس الشرطة ما اتهمنا به.

وهكـذا، وبعـد أن أخذنا إجازة غيـر مخطط لها لمدة أسبوعيـن، عدتُ أنا وكيت شرطيين مرة أخرى، على الأقل مؤقتًا.

تمتمـت كيـت: "لا أصدق أننا مضطـران للذهاب والتحـدث بلطف مع تلك المرأة سيئة السلوك".

كانـت تقصد إيمي لنتينـي، المحققة الخاصة التي تم إسنـاد قضية البيت الحجـري إليها، والتي كانت تحاول أن تثبت على مدار الأسبوعين الماضيين أن كيـت، أو أنـا، أو كلينا، قد سرق الدفتر السري الـذي يحوي أسماء زبائن البيت الحجري. وبما أن كيت وأنا كنا الضابطين اللذين قاما بعملية الاعتقال، فسوف يتـم استدعاؤنا للشهادة فـي المحكمة، ومطلوب منا التنسيق مـع لنتيني بشأن هـذا مسبقًا. أنا شخصيًّا أفضـل خلع ضرس العقل دون مخدر بدلًا من الذهاب إلى لنتيني، لكن لم يكن أمامي خيار آخر.

قلت: "لن يكون الأمر سيئًا للغاية".

رمقتني بنظرة حادة أخرى، وقالت: "*أنت* لا تمانع في الذهاب بالطبع؛ فأنت تحترق شوقًا لجمالها الإيطالي، وعينيها اللتين لا تبعدهما عنك".

"هذا ليـس صحيحًا على الإطلاق، وأنتِ تعرفين هـذا. فأكثر ما أحبه فيها هو قوامها".

"أنا لا *أمزح* يا بيلي".

هـا قد عـاد موضوع الغيرة مـرة أخرى. لقد كنـت أنا وكيـت شريكين منذ سنـوات، ولـم أفكـر بجديـة يومًا في وجـود علاقة غراميـة بيننـا، لكن هناك إحساسًـا تفجر بعد مداهمة البيت الحجري، وأعترف بأنـه كان إحساسًا رائعًا للغايـة، ربما يكون إحساسًا مجنونًـا وأغرب من الأحاسيس السابقة، لكنه رائع. ثـم تم إيقافنـا عن العمل، وعلى الرغم من أننا كنـت نتحدث كل يوم على مدار هذيـن الأسبوعيـن، فلم يحدث شيء آخـر، وكأن توقف علاقتنـا الرسمية كان إيذانًا بإيقاف الجانب العاطفي أيضًا. لكن بما أننا عدنا إلى العمل معًا، أتساءل إذا مـا كان هذا يعني عودة الجانب العاطفي مرة أخرى. لم أستطع أن أقرر إذا كانت هذه فكرة جيدة أم سيئة.

قالـت كيـت: "إيمي لنتينـي ذئب في زي حمـل؛ حيث ستقـوم باستدراجك بلطف وحميمية، ثم تقضي عليك".

أوقفـت كيـت السيارة في ساحة ديلـي بلازا. وفي العـادة، لا يُسمح بإيقاف السيـارات في هـذا المكان، لكن رجـال الشرطة كانوا يتغاضـون عن تجاوزات بعضهـم. وكانت هذه إحدى مزايـا العمل بالشرطة، فعلى الرغم من أن المرتب مزرٍ، والمعاش قـد تقلص، والناس يشتمونك ويحاولون استفزازك حتى تغضب ويسجلـون ردة فعلك على هواتفهـم الذكية، ولا تعرف أبـدًا اللحظة التي يشهر فيها شخص ما سلاحًا في وجهك، لكن على الأقل سُيسمح لك بإيقاف سيارتك في مكان جيد.

قالـت كيت بنبرة تحذيرية وهـي توقف السيارة: "كل مـا أقوله هو أن تنتبه لنفسك، فمن الممكن أن توقعنا في مشكلات".

الفصل
28

عندما دخلنا المكتب، كانت مساعدة المدعي العام إيمي لنتيني تجلس خلف مكتبها، وتتصرف بطريقة عملية للغاية. كانت ترتدي بذلة زرقاء مهندمة أضفت عليها مزيجًا مثاليًّا من الاحترافية والأناقة، وكان عليّ أن أعترف بأن مظهرها رائع. استقبلتنا قائلة: "صباح الخير، أيها المحقق هارني، وأيتها المحققة فنتون".

أشارت إيمي إلى مقعدين، ووقفت هي بجانب النافذة التي تطل على ساحة ديلي بلازا. إن تخصيص مكتب به نافذة يمثل دلالة قوية على أهميتها هنا. كنت ما زلت لا أعرف خلفيتها، وكيف تسلقت السلم الوظيفي، ومن هم معارفها. وعلى حد علمي، لقد وصلت إيمي إلى ما وصلت إليه عن جدارة، وهذا أمر لا يحدث كثيرًا في هذه المدينة.

قالت لنا دون وجود أي أثر للسخرية في كلامها: "تهانينا على عودتكما إلى العمل".

فقلت: "إنها عودة مؤقتة حتى يصدر المجلس قراره بناءً على نتائج قضيتك. أعتقد أن المجرم في هذا البلد بريء حتى تثبت إدانته".

فأجابت بوجه جامد: "هذا شيء معروف".

قلت: "هناك شخص ما لا يزال يريد طردنا من الخدمة. أوه، مهلًا..."، ثم فرقعت بأصابعي وأردفت: "نسيت أنك هذا الشخص".

مالـت برأسهـا إلى اليميـن، وانفرج فمها عـن ابتسامة صغيـرة، ثم قالت: "إنه موقف حساس".

قالت كيت، وهي تحاكي صوتها: "موقف حساس، إنك محامية بحق!".

قالـت إيمي: "أنا محاميـة لن تخسر هـذه القضية، وأنتما أيهـا المحققان قضيتـي، سـواء أعجبكما هذا أم لا. دعانـا ننحِّ موضوع الدفتـر السري جانبًا؛ فنحـن بحاجة للاستعـداد للهجوم"، ثم فتحت عينيهـا وقالت: "لكن صدقاني، في أي وقت تريدان فيه إخباري بما حدث للدفتر السري، فكلي آذان مصغية".

بالطبـع ستكـون آذانًـا مصغيـة؛ فلابد أنهـا سمعت بـأن أسمـاء مشاهير وسياسييـن ورجال سلطة آخريـن واردة في هذا الدفتر الـذي يحوي كل شيء. كانـت إيمي وكيلة مدعٍ عام طموحًـا أمام قضية ستحدث نقلة هائلة في مسارها المهني. وكلما زاد عدد المتورطين، كبرت هذه النقلة.

قالت كيت: "نحن لا نعرف ما حدث لذلك الدفتر".

ضيّقـت إيمي عينيها وهي تنظر لكيت، لكنها لم ترد. لن تُحل مسألة الدفتر بيننا وبين إيمي أبدًا. قالت: "ستتعرضان لهجوم في هذه القضية؛ فالدفاع ليس لديه شيء آخر ليفعله سوى ذلك. العمدة وكبير رجال الدين وكل الرجال الذين قبضتمـا عليهم ليس لديهم ما يدافعون به عن أنفسهم في هذه القضية؛ فأنتما قبضتما عليهم متلبسين".

أردفـت إيمي وهي تسير بجانـب النافذة: "ولهذا سيكـون منفذهم الوحيد هـو مهاجمة الشرطة؛ حيث سيحاولون الطعن فـي مشروعية مداهمتكما للبيت الحجري، وسيقولون إنه لم يكن لديكما مبرر قانوني لفعل ذلك".

قلـت: "الرد سهل للغايـة؛ فلقد كانت لدي معلومات بأن المبنى الحجري هو مبنى فجور، ومن ثم فالرجال لم يكونوا بالداخل ليلعبوا بلياردو".

فقالت إيمي بلهجة ساخرة: "حسنًا، ستكون هذه قضية سهلة".

عدت بظهري إلى الوراء في مقعدي، وقلت: "أسهل ما يكون".

"إذن أنت لا تمانع إذا طرحت عليك بضعة أسئلة؟".

"اسألي ما تشائين".

قالـت إيمـي: "حسنًا"، ثـم نظرت إلى السقـف كأنها تسترجـع أحداثًا، ثم استطـردت قائلـة: "إذن فقد ذهبت إلى المبنى الحجـري لمواجهة رجل يُشتبه بأنه قتل تلك الطالبة بجامعة شيكاغو؟".

"هكذا بدأ الأمر؛ حيث كان هذا سبب وجودنا هناك في الأساس، لكن الأمر تغير برمته بعد ذلك".

"إذن فقد تحولت فجأة إلى شرطي آداب، وفجأة لم تعد تهتم قيد أنملة بذلك المشتبه به، وفجأة أيضًا أصبحت تريد الإيقاع بشبكة فجور".

"أجل، لقد تغير موضع تركيزي؛ فقد كنت أشهد جريمة قائمة أمامي ...".

"ما الجريمة التي كانت قائمة أمامك؟ هل رأيت الرجال في الفراش مع هؤلاء النسوة؟ هل رأيت أموالًا تُدفع وتُستسلم؟".

قلت: "بالطبع لا".

"بالطبع لا. لقد كنت في الشارع داخل سيارتك، وما رأيته هو مجموعة من الأشخاص يدخلون مبنى حجريًا".

"مبنى أعرف أنه سيئ السمعة".

مطت وجنتيها، متصنعة الفضول بشكل ساخر، وقالت: "أخبرني مرة أخرى... كيف عرفت أنه كذلك؟".

"كنت أراقب المشتبه به، فرأيته يدخل المبنى قبل أسبوع من المداهمة. كانت لديَّ شكوك حيال ما يفعله، لكنني لم أكن متأكدًا".

"لم تكن متأكدًا لأن كل ما رأيته قبل أسبوع من المداهمة، عندما كنت تتعقب المشتبه به، هو دخول الرجل للمبنى الحجري ثم الخروج منه لاحقًا".

"هذا صحيح".

"الدخول والخروج من مبنى حجري ليست جريمة، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا".

"أنت لم تسمعه يقول: مرحى، *لقد استمتعت لتوي مع إحداهن*".

فابتسمتُ لها ابتسامة باردة.

فسألتني: "لم يكن الرجل يرتدي لافتة حول عنقه مكتوبًا عليها: *لقد كنت مع امرأة*، أليس كذلك؟".

فقلت: "كلا، لقد كانت لافتة مثلثة الشكل كالتي توضع أمام المطاعم، وكان مكتوبًا على أحد الوجهين: *لقد دفعتُ نقودًا مقابل المتعة*، وعلى الجانب الآخر: *لقد قتلتُ طالبة بجامعة شيكاغو أيضًا. اعتقلوني!*".

فحدقت إيمي في وجهي بحدة.

فقلـت: "أنت محققة أيتها المحامية. عندما كنـت أتعقب المشتبه به، كل ما رأيته هو دخوله وخروجه من المبنى".

"إذن لم يكن لديك أدنى فكرة عما كان يحدث داخل المبنى الحجري".

قلت: "لكني بعد ذلك راقبتُ المبنى".

"كنت تخمن وحسب".

"بالتأكيـد كان تخمينًا. كنت أراقب المبنى ورأيـتُ شابات جميلات يدخلن المكان وكذلك رجالًا كبارًا في السن".

"هل كنتَ متأكدًا أن تلك الشابات لديهن ما يشين".

"متأكد؟ لا، لكن طبيعة مظهرهن جعلتني أعتقد هذا".

قالت إيمي وقد فتحت يديها: "حسنًا، ماذا كانت طبيعة مظهرهن؟".

قلـت: "مظهـر بائعـات هوى؛ فقـد كانت ملابسهـن فاضحـة، وتصفيفات شعرهن غريبة، ويضعن الكثير من مساحيق التجميل".

"إذن، فكل النساء اللاتي يبدون في مظهر مثير بائعات هوى؟".

"بالطبع لا".

"*معظمهن* كذلك؟".

قلـت وأنا أميل للأمام: "كلا، لكنني شاهدت ربما عشر شابات يدخلن ذلك المكان، ثم مجموعة من الرجال أكبر سنًّا بكثير".

سألتنـي إيمي: "مـا أدراك أنهم لم يذهبوا إلى طوابـق منفصلة من البيت الحجـري؟ مـا أدراك أن النساء لم يكن يُقِمن حفلة فـي الطابق السفلي، بينما كان الرجـال هـم عبـارة عن مجموعـة من أصدقـاء قدامى من أيـام الجامعة يشاهدون مباراة لفريق شيكاغو بولز في طابق آخر؟".

هـزت رأسي. لقد كنت في تلـك الليلة أعتمد علـى التخمين والاحتمالات، وأسيـر خلـف حدسي؛ هذا ما يفعله رجـال الشرطة. لا، لم أكـن *متأكدًا* من أن البيت الحجري هو بيت مشبوه، لكنه كان يبدو كذلك بكل تأكيد.

ومـع ذلك، أعترف بأن إيمي نجحت في تضييق الخناق عليَّ، وأنا الذي كنت أستخف بقدراتها.

ابتعـدت إيمـي عن النافـذة، واقتربـت من المكتـب، ووقفـت قبالته؛ حيث أصبحت أنا وهي وجهًا لوجه، ثم أردفت: "لقد كنت أستجوبك بلطف، لكن أعلم أن العمدة وكبير رجال الدين قد قاما بتعيين اثنين من أفضل محامي الدفاع في

البــلاد ، وإذا لم يكن لديكما مبرر قانوني مقنع لدخول المبنى الحجري، فسوف تسقط القضية بالكامل، ولن *يلومني* أحد على ذلك".

"كلا ، الجميـع سيلومونني أنا ، باعتبـاري رجل الشرطة الذي جعل عملية التفتيش غير قانونية" .

قالــت إيمي: "إذن، ســواء صدقتما هذا أم لا، وســواء أعجبكما الأمر أم لا، أنا في صفكما".

الفصل
29

بعد ساعتين، كنتُ أنا وكيت نستقل المصعد، متجهين إلى خارج مركز ديلي. كان هناك شخص آخر معنا في المصعد لكنه خرج بعد هبوط المصعد طابقين، وتركنا أنا وكيت بمفردنا.

بمجرد أن أُغلق الباب ولم يكن في المصعد غيرنا، لكمتني كيت في ذراعي.

فقلت: "أوه، ما مشكلتك؟".

قالت: "أنت مشكلتي".

عندما انفتح باب المصعد، سرنا في الردهة المليئة بالمحامين ورجال الشرطة ونواب مأموري الشرطة، بل وحتى مجموعة صغيرة من الأشخاص الذين ينظمون وقفة احتجاجية ضد وحشية الشرطة، والذين كان يُسمح لهم على الأرجح بدخول المبنى؛ لأن الطقس في الساحة بارد للغاية.

أغلقت أزرار معطفي حتى رقبتي، وخرجت من الباب الدوار.

سألتها: "كيف أكون مشكلتك؟ هل لأنني تصرفت بلطف مع مساعدة المدعي العام؟".

فأجابتني كيت وهي تسير بسرعة كبيرة لدرجة أنني حاولت جاهدًا اللحاق بها: "لأنك أحمق".

قلت: "مهلا"، وتوقفتُ على أمل أن تتوقف هي الأخرى.

فتوقفتْ، والتفتتْ، وكان هناك شيء في عينيها يوحي بالقلق، وربما بالألم.

قلت: "إن رقبتي على المحك الآن؛ لأنه لو تم دحض قانونية مذكرة تفتيش المنزل، وكنت أنا السبب في إبطال القبض على عمدة شيكاغو، فإنني سأبدو أحمق *بالفعل*".

"فهمت. إذن فمساعدة المدعي العام ستساعدك".

أومأتُ، وقلت: "أعتقد أن لديها وجهة نظر مبررة، إنها شخصية ذكية ودقيقة".

"حسنًا، إنها ذكية. أتفق معك في هذا".

فتحتُ ذراعيَّ، وقلت: "إذن...".

ابتسمت كيت، لكنها لم تكن ابتسامة سعادة، بل ابتسامة شخص يحاول التأقلم مع موقف لا يعجبه، ثم قالت: "إنها تلعب بك كأنك دمية متحركة، وهي ممسكة بخيوطها أيها المحقق".

"أوه، الآن تقولين: محقق، وليس بيلي".

سارت كيت نحوي، وقالت: "في حال لم تلاحظ ذلك، *فإن* رقبتي على المحك أيضًا، ومصيري بين يديك في الأساس. وهذا يعني أنه يجب أن أجلس وأتفرج بينما تقودك إيمي إلى حيث تريد أن تأخذك. إن لديك نقطة عمياء".

فقلت: "أنا لا أرى ذلك".

فمالت كيت نحوي في لطف وحميمية، حتى صار فمها بجوار أذني، وقالت: "لهذا يسمونها نقطة عمياء".

ثم عادت إلى الوراء ودفعتني، لكن هذه المرة بكتفها.

وقالت: "نعم، سوف أناديك بالمحقق؛ فنحن شريكان في العمل، وهذا كل ما يجمع بيننا. نحن قلنا دائمًا إن ما حدث كان مرة واحدة وانتهينا، أليس كذلك؛ حتى لو حدث الأمر أكثر من مرة واحدة؟".

ثم ألقت بمفاتيح السيارة لي، والتي كانت لا تزال متوقفة في الجزء المخصص لسيارات الحريق بشارع كلارك.

فقلت: "بحقك، يا كيت. ألن تركبي معي السيارة حتى؟".

كانت كيت قد بدأت في الابتعاد، لكنها التفتت مرة أخرى، ونظرت إليَّ نظرة فاحصة طويلة، وسألتني: "هل أخذتَ الدفتر السري؟".

شعرتُ بأنني تلقيت لكمة قوية في معدتي، وقلت: "*ماذا؟*. أنا لا أصدق أنكِ سألتني هذا السؤال".

كانت تقف على بعد أربعة أمتار مني، لكنني شعرتُ فجأة بأن المسافة بيننا تُقدر بأميال، المرأة التي كانت تستقل معي سيارة العمل لمدة خمس سنوات تقريبًا، والتي اقتحمت معي بيوتًا، وحلت جرائم وحوادث اغتصاب معي، والتي بكت بين ذراعي عندما مات والدها منذ سنتين، والتي قضت ساعات في المستشفى معي منذ ثلاث سنوات عندما حدث لي ما حدث - تلك المرأة لم تعد موجودة، والآن كل ما لدي هي شريكة لا تثق بي.

فسألتها بدوري: "هل أخذت أنت الدفتر؟".

شعرتُ بأن شيئًا قد انكسر بيننا، هي أيضًا شعرت بذلك؛ إذ لم يكن يبدو عليها الغضب، بل الحزن وخيبة الأمل، فأشاحت بوجهها بعيدًا عني، ورحلت.

ولم تجب عن السؤال أبدًا.

لكنني أيضًا لم أجب عنه.

الفصل 30

قال الملازم مايك جولدبيرجر: "ها هو المحقق العائد إلى العمل مجددًا".

تقابلنا في مقهى بجانب قسم الشرطة، على الرغم أن السبب كان تناول الغداء، وليس الشراب.

قال: "تهانينا".

تلامست قبضاتنا في إشارة إلى تهنئتي، وكان جولدي يتحدث كأنه سمع الأخبار للتو، لكنني أشك جادًّا في هذا، إذ أعتقد أن لجولدي علاقة بعودتي إلى العمل. هل كانت له معارف في المجلس التأديبي للشرطة؟ لست متأكدًا من هذا، لكن لن تكون مفاجأة إذا كان هذا صحيحًا. فجولدي يجيد بناء علاقات في العمل؛ ولهذا كان منصبه الحالي - رئاسة مكتب الشئون الداخلية - هو المنصب الأنسب له. كان جولدي هو الطرف المؤثر خلف الكواليس، وهو لم يسع لنيل الإشادة يومًا، لكنك تعرف دائمًا عندما تقع الأمور، فإن جولدي في مكان ما خلف الستار يحرك الخيوط بكل مهارة.

وإذا كانت له معارف في المجلس التأديبي، وإذا كان قد استخدم تأثيره أو طلب من شخص أن يرد له الجميل ويعيدني إلى العمل، فلن يخبرني بذلك أبدًا، إذ لم يكن هذا من شيمته.

لم أكن أعتقد أنني سأعمل لصالح مكتب الشئون الداخلية، شأني في ذلك شأن معظم رجال الشرطة الذين لا يقبلون العمل في مكتب يحقق مع رجال الشرطة

الآخرين، حتى لو صوبت سلاحًا إلى رءوسهم. أنا شخصيًّا كنت رافضًا هذا العمل، لكنني لم أوافق إلا لأن جولدي هو من طلب مني هذا ولأنه وعدني بأن عملي لن يتضمن الأعمال التافهة الصغيرة، وأن وظيفتي لن تكون القبض على رجال الشرطة وهم يرتكبون أشياء بسيطة مثل التلاعب في جدول مواعيد العمل، أو التأخر عن الحضور، أو عدم حضور جلسات المحاكمة التي يُطلب منهم حضورها، أو التلفظ بأشياء غير مقبولة في القسم.

كان عملي متعلقًا بأمور أكثر أهمية مثل الجرائم الخطيرة وقضايا الفساد الكبرى.

على حد علمي، لم يكن أحد سوى جولدي وأنا يعلم بأنني عميل متخفٍّ، حتى أختي باتي وأبي وكيت لم يكونا على علم بذلك، وكان من الغريب ألا أخبر هؤلاء وهم أقرب الأشخاص لي، لكنني في الحقيقة كنت أسديهم معروفًا، فقد كنت أعمل على شيء قد يسفر عن عواقب وخيمة، وعندما يتضح دوري في الأمر، لن يمر ذلك مرور الكرام، ومن الأفضل حينئذ لعائلتي وكيت أن يدعوا صدقًا أنهم لم يكونوا على علم بعملي هذا.

جلسنا في المقهى وطلبنا شطائر اللحم، ووضع النادل أمامنا وعاء من الفشار، فغمسنا أيدينا فيه وملأ كل منا فمه بالفشار.

قلت: "لقد قضيتُ أسبوعين موقوفًا عن العمل ولم أفعل فيهما شيئًا سوى التفكير في هذا الأمر. وكل ما كان يجول بخاطري هو أن كل الجلبة المتعلقة بالدفتر السري ليست بغرض العثور عليه، بل بغرض النيل مني. هناك شخص اكتشف أمري ويعلم أنني عميل متخفٍّ، شخص يعلم ما الذي أحقق فيه. وأيًّا كان هذا الشخص، فإنه يحاول إيقافي".

نظر جولدي إليَّ وقال: "لا أحد يعلم بما تحقق فيه، لا أحد يعلم غيري، واسمك ليس مذكورًا في أي شيء، وأنت أخبرتني بأنك لم تخبر أي شخص، بما في ذلك أختك وشريكتك...".

"لم أخبر أحدًا".

قال: "إذن فلا أحد يعرف غيرنا، وعلى حد علمي، أنت بمثابة شبح"، ثم ضرب ذراعي بظهر يده، وأردف: "كيف سار اجتماعك مع مساعدة المدعي العام؟".

عدت بظهري للوراء وقلت: "ماذا، أتعرف كل شيء أفعله الآن؟".

"أنا أعلم ما تناولته على الإفطار اليوم يا فتى".

هذا جولدي المألوف، الذي يمتلك عيونًا وآذانًا في كل مكان، ولذلك لم أكن لأحظى بشخص يعتني بي أفضل منه.

قلت: "هذه المحاكمة ستكون عسيرة للغاية، ومساعدة المدعي العام تخشى أن تتوقف القضية بأسرها على مدى قانونية تفتيش المبنى".

فقال جولدي: "بمعنى آخر: سيكون الأمر برمته خطأك".

"لا شك في هذا".

"كن مرنًا؛ فأنت لا تعرف إلى أين قد تأخذك الرياح".

فنظرت إليه. إن جولدي لا يتلفظ بكلمة دون سبب.

قلت: "أخبرني بما تقصد".

هز جولدي كتفه وقال: "أنا فقط أتعجب من أمر الفتاة المدللة للمدعي العام، إيمي لنتيني، التي كانت تحاول منذ أسبوعين أن تجبرك على الاعتراف بأنك من سرق سجل البيت الحجري".

"الدفتر السري؟".

"لكنها الآن أصبحت ممثلة المدعي العام في قضية المبنى الحجري، وأصبحت بحاجة إليك الآن. ألا تجد هذا عجيبًا؟".

قلت لنفسي إنه أمر عجيب بالفعل، ثم سألته: "ماذا يعني هذا في اعتقادك".

"إن المدعي العام الذكي يعيد حساباته، ولعل مارجريت أولسون القصوى تدبرت الأمر جيدًا، ورأت الوضع من منظور مختلف".

"كيف هذا؟".

"حسنًا، لقد كان أول رد فعل لها هو أنك من قضى على العمدة وهو ولي نعمتها، أليس كذلك؟ فهو كان السبب في حصولها على منصب المدعي العام، ولذا فقد كانت تحاول تلطيخ سمعتك".

"هذا مؤكد".

فرد جولدي ذراعيه وقال: "ولكن الآن؟ ربما هي تفكر في أن العمدة انتهى أمره إلى غير رجعة؛ فهذه القضية ستقضي عليه تمامًا، ولذا فمن الأفضل بالنسبة لها أن تستغل الأمر أحسن استغلال"، ثم نظر إليَّ وأردف: "هناك شخص ما سيخلف العمدة في منصبه، أليس كذلك؟".

لم يخطر ببالي أن مارجريت أولسون "القصوى" قد تكون العمدة القادم. هذا ممكن بالطبع.

أكمل جولدي كلامه: "أما إيمي لنتيني هذه، فهي ورقتها الرابحة. كانت إيمي مساعدة المدعي العام الفيدرالي بولاية ويسكونسن. هل تتذكر عندما قُبض على السيناتور الأمريكي هناك بتهمة تقاضي رشوة منذ بضع سنوات؟".

"هل كانت هي من تولت القضية؟"

"أجل، إنها بارعة بحق".

"ويسكونسن، ها".

"أجل. لقد ولِدت إيمي لنتيني بمدينة أبلتون، ودرست المحاماة بجامعة هارفارد".

وصلت الشطائر التي طلبناها: شطائر اللحم البقري وطبق كبير من المقبلات وشرائح بطاطس كبيرة.

قلت: "لماذا لا يفاجئني أنك تعرف كل شيء عنها؟".

قال جولدي: "هذه وظيفتي"، ثم أخذ قضمة كبيرة من شطيرته، وكذلك فعلت أنا، وأردف قائلًا: "كل ما أقوله هو أن الموقف متقلب؛ فلا أحد يعرف الجانب الذي سيكون معه. ولهذا فإن المطلوب منك الآن هو أن تكون مرنًا".

بدا هذا معقولًا.

قال جولدي: "ابق قريبًا من إيمي، وراقبها".

لن يكون هذا صعبًا، وليس لديَّ خيار آخر، على أية حال.

قال جولدي وهو يمرر لسانه على أسنانه: "لكن الأهم من كل ذلك هو أن تحل مشكلتك. ابحث عن هذا الدفتر السري؛ فهو مفتاح كل الألغاز. وإذا وجدته، ستحل جميع مشكلاتك".

سأفعل هذا مباشرة. بما أنني الآن عدتُ إلى الخدمة، سيكون العثور على الدفتر على رأس أولوياتي.

سألني: "كيف يسير أمرنا بالمناسبة؟".

كان يقصد التحقيق الذي أقوم به كعميل متخفٍّ، التحقيق الذي لا يعرفه سوى جولدي وأنا، والذي إذا انتهى إلى ما أعتقد أنه سينتهي إليه، فإنه سيقلب قسم شرطة شيكاغو رأسًا على عقب.

قلت: "لقد اقتربتُ".

"إلى أي مدى؟".

"قريبًا جدًّا سينتهي الأمر".

الفصل 31

ضربني سوش على ظهري وهو يمر بجوار مكتبي وقال: "مرحبًا بعودتك، يا صاحبي".

"هل افتقدتني؟".

"لم يكن هناك شخص آخر أتحدث معه. فشريكي الجديد لا يحب الهوكي. كيف يمكن لأي شخص ألا يحب *الهوكي*؟".

كان يوجه كلامه لشريكه رينولدز، وهو المحقق الجديد في المكتب.

رجال الشرطة الذين كانوا في المداهمة في تلك الليلة هم المحققون لاني سوش، ريك رينولدز، مات كراولي، وبرايان بنسون.

لكن كان من الصعب تخيل أن سوش - الذي كنت أعرفه منذ أن كنا طلابًا في أكاديمية الشرطة - قد يُقدِم على فعل شيء كهذا، أما رينولدز فهو مستجد قليل الخبرة. إنه فتى رائع، لكنه لا يزال يجهل أساسيات العمل كمحقق. ماذا عن كراولي؟ الرجل الذي يوشك على التقاعد؟ أنا متأكد أنه يرتدي حفاضات الكبار الآن. وماذا عن بنسون؟ إنه شخص رائع خفيف الظل، يقف دائمًا في ظهر زملائه عند الحاجة، لكنه لا يتمتع بقدر كبير من الذكاء.

علاوة على أن أيًّا من هؤلاء المحققين لم يتطوع لهذه المهمة؛ فأنا من طلبت منهم أن يأتوا معي لأني كنت أشعر بأن عملية مداهمة لمنزل في حي جولد كوست قد تسفر عن بعض الفوضى. لم أكن أعلم *مقدار* الفوضى، لكن

المقصد هو أن أيًّا من هؤلاء لم يكن لديه أدنى فكرة أنني سأطلب منه أن يأتي معي إلا في وقت متأخر من يوم المداهمة.

أيًّا كان من أخذ الدفتر السري، فهذا الصنيع لم يكن وليد اللحظة: فالفاعل قد فكر وخطط له مليًّا.

الفاعل أو الفاعلة!

وكأن الفكرة الأخيرة كانت إشارة: فقد دخلت كيت وألقت بحقيبتها على مكتبها دون أن تخاطبني بكلمة، بل ولم تنظر حتى في اتجاهي. وفجأة شعرتُ بانخفاض درجة حرارة الجو انخفاضًا سريعًا.

أشار الملازم ويزنويسكي – رئيسي المباشر – بأصبعه وقال: "هارني".

كان ويزنويسكي هناك في تلك الليلة، وحاول إقناعي بالعدول عن مداهمة المبنى.

شعرتُ بأنني داخل إحدى الروايات البوليسية للكاتبة أجاثا كريستي التي تتبع المنهج الاستقصائي التقليدي: *أحد الموجودين في الغرفة هو اللص! واحد منكم هو من أخذ الدفتر السري.*

أحسستُ بأن شطيرة اللحم استقرت في معدتي كقالب قرميد، وكنت بحاجة إلى بعض القهوة. كانت ماكينة القهوة – وهي عبارة عن وعاء زجاجي تم شراؤه على الأرجح في عهد الرئيس أيزنهاور – لا تحوي سوى رواسب قهوة محترقة في هذا الوقت من اليوم؛ فقررت عدم تكبد عناء صناعة المزيد من هذا، ومررتُ بالماكينة دون التوقف أمامها.

قلت وأنا أستند بظهري إلى مدخل مكتب الملازم ويزنويسكي : "مرحبًا، أيها الملازم".

كان مكتب ويزنويسكي يبدو مثل مخزن لشخص مهووس باقتناء الأشياء، بما يحتويه من أكوام ورق تهدد بالسقوط في أية لحظة، وكانت تنبعث من المكان رائحة دخان سيجار، وكان هناك سيجار قد تم تدخين نصفه موضوعًا على أحد أركان الطاولة.

قلت: "ممنوع التدخين بالمبنى، أيها الرئيس. لعلك لا تعلم هذا".

"هل رأيتني أدخن؟".

كان ويزنويسكي سياسيًّا فـي المقام الأول، ورجل شرطة في المقام الثاني. إذا كان جولدي محقًّا في كلامه، وأنه لم يكن هناك أحد يعرف بالتأكيد إلى أين سيئول كل هذا، فلا بد أن ويزنويسكي يمارس ضربًا من التنجيم.

إذا كان هـذا كل مـا يمكنني قوله عن ويزنويسكي، فـإن بإمكاني تقبل فكرة وجـوده هنا؛ ففي كل قسم شرطة، يوجد السياسيون المتملقون المداهنون، لكن كان هناك شك في أن ويزنويسكي شرطي فاسد.

ولذلـك كنت أضعه تحت المراقبة في التحقيق الذي أقوم به كعميل متخفٍّ. لم يكن يعلم هذا، وكنت أتطلع بشدة إلى اليوم الذي يعرف فيه هذا.

قال لي: "أنا فقط أريد أن أسديك نصيحة ودية".

"حقًّا؟ وما هي؟"

"لا تفسد الأمور مرة أخرى".

"إنهـا نصيحة رائعة، أيهـا الملازم. انتظر..."، ثـم تحسست جيبي كأنني أبحـث عن شـيء ما، ثم قلت: "هـل لديك قلم وورقـة؟ أريـد أن أدونّها قبل أن أنساها".

تحولت جبهته إلى اللون الأحمر، وهذا يحدث دائمًا له عندما يتم استفزازه، وهو ما لم يكن أمرًا صعبًا.

قال: "أنت دائمًا خفيف الظل يا بيلي!"، وبدا كمن يبحث عن شيء ما وسط الفوضى الموجودة على مكتبه. لم يكن ويزنويسكي ليجد شيئًا على ذلك المكتب حتى لو كان هذا الشيء مشتعلًا بالنيران.

قلت له وأنا أحدق إليه: "سأعثر على ذلك الدفتر السري".

فأوقف ما كان يفعله ونظر إليَّ قائلًا: "حقًّا؟ ولم تخبرني بهذا؟".

"ظننت فقط أنك تريد أن تعرف".

بدا أنـه فهم الاتهام المقصود من كلامي؛ حيـث احمرت جبهته لدرجة لم أرها من قبل.

لكنه قال بهدوء: "حظًّا موفقًا في ذلك".

الفصل 32

خرجت رامونا ديلافو من منزلها في الساعة السابعة، وبدت في مظهر يليق بثرائها؛ فقد كانت ترتدي معطفًا طويلًا من الفرو باهظ الثمن، وقبعة تتماشى معه، وكان شعرها الأشقر المائل إلى البياض منسدلًا لأسفل، ورأسها مرفوعًا، وتسير في تبختر ينم عن ثقة.

لم تسر كثيرًا؛ إذ كانت هناك سيارة بانتظارها في الخارج، سيارة شيفروليه ذات مظهر عادي. ربما كانت إحدى سيارات أوبر، أو ربما كانت سيارة شخص تعرفه.

كنت أشاهدها من سيارتي، فتبعتها عندما تحركت. ركن السيارة في ضاحية لينكون بارك ليس أمرًا سهلًا، وقد يمثل هذا مشكلة لي؛ لأنه إذا كانت رامونا تستقل إحدى سيارات أوبر كما أتوقع، فإن السيارة ستوصلها وتنطلق، وسيتعين عليَّ أن أجد مكانًا لأركن سيارتي الشخصية.

كانت رامونا قد أُفرج عنها بكفالة بعد القبض عليها منذ أسبوعين في المبنى الحجري، وهي أفضل خيط قد يقودني إلى الدفتر السري باعتبارها كانت مديرة المكان. في ليلة المداهمة، كانت قد أنكرت وجود هذا الدفتر وسط هجومها اللفظي الذي قالت فيه ألفاظًا بذيئة أضرت برقيها المصطنع، لكن المهم هو أنها لم تخبرنا بشيء، وقد وكلتْ محاميًا على الفور، ورفضت أن

تجيب عن أسئلتنا في قسم الشرطة أيضًا. أما الخمسة آلاف دولار التي دفعتها ككفالة، فلا تعد نقودًا بالنسبة لها.

لم أكن أعرف الكثير عنها. فسجلها الإجرامي به سابقتان: الأولى هي ممارسة الفجور، والثانية هي تسهيله، وقد ازداد نجاحها في هذا العالم عبر المبنى الحجري وعملائه الحصريين، لكنني لا أعرف الكثير خلاف ذلك. كل ما كنت متأكدًا منه هو أننا أغلقنا مصدر رزقها، وأنها تبحث عن طريقة أخرى لكسب الأموال.

أوصلتها السيارة إلى حي جولد كوست، جنوب ضاحية لينكون بارك، وتحديدًا في شارع راش، أمام مطعم تايسون؛ وهو مطعم فاخر به مقهى تجد فيه أحيانًا رجلًا كهلًا يفتقر إلى أية جاذبية، وبين ذراعيه امرأة رائعة الجمال.

ركنتُ سيارتي في الصف الثاني من السيارات المركونة، وعبرتُ الطريق على مهل، ولم يكن لديَّ أدنى فكرة عما سألاقيه، لكنني رجحتُ أنها ستقابل شخصًا ما لتناول العشاء والمشروبات، وفي هذه الحالة سأعود خاوي الوفاض مثلما عدتُ في المرات السابقة التي تعقبتها فيها على مدار الأسبوعين الماضيين. إلى الآن لم يحالفني الحظ، لكن على المرء مواصلة المحاولة.

كان المكان ممتلئًا، والأشخاص يقفون أمام المشرب في دائرة مزدحمة يمرحون ويدردشون. كانت الإضاءة خافتة، وصوت موسيقى جاز يتهادى من السماعات. إن الصخب والازدحام أمران جيدان بالنسبة لي؛ فهما يسهلان الاختفاء.

أخرجت هاتفي لسببين، الأول هو أنه إذا احتجت لإخفاء رأسي سريعًا خشية أن يتعرف عليَّ شخص ما، سيكون لديَّ المبرر للنظر إلى أسفل، والثاني هو أنني ربما أحتاج إلى تصوير شيء ما بكاميرا الهاتف.

تجولت بعيني في أرجاء المكان، ولم أرها في بادئ الأمر. قد تكون في غرفة الطعام، الأمر الذي قد يجعل مراقبتها أكثر صعوبة. لقد كانت ترتدي معطفًا من الفراء، لكن ربما تكون قد خلعته وتجلس الآن بدونه.

هذا ذكرني بنكتة، وأنا لم أرسل لصديقي ستيوارت أي شيء منذ أسبوع تقريبًا؛ ففتحت كاميرا هاتفي وضبطتها على وضعية تسجيل الفيديو، وتحدثت إلى الكاميرا.

وقلت: " كان هناك شخص اسمه جيري يستحم في حمام ناديه، ولما خرج من الحمام، سمع هاتفًا يرن في خزانته، فأجاب على الهاتف، وإذا بصوت امرأة تقول له: حبيبي، *لقد رأيت معطفًا من الفراء كنت أتوق لشرائه، وثمنه خمسة آلاف دولار*، فقال جيري: *واو. خمسة آلاف دولار لشراء معطف. هذا كثير، لكن لا عليكِ، اذهبي واشتريه*. فقالت المرأة: *حسنًا، بما أنك في مزاج جيد، فلقد مررتُ بمعرض سيارات مرسيدس، وهناك موديل جديد منها أعجبني للغاية. لكنَّ ثمنه مائة وخمسون ألف دولار*. فقال جيري: *مائة وخمسون ألف دولار لشراء سيارة؟ أعتقد أنها تستحق. اذهبي واشتريها*. فقالت المرأة: *أنت أفضل رجل في الدنيا يا حبيبي*، ثم أغلقت الخط. فأنهى جيري المكاملة ووضع الهاتف مكانه. فقال له زملاؤه في صالة الألعاب الرياضية: *لم نكن نعرف أنك بهذا الثراء، يا جيري*، فأجابهم: *أنا مفلس تمامًا. بالمناسبة، مَنْ صاحب الهاتف الذي كنت أتكلم فيه الآن؟* ".

ثم ضغطت على أيقونة فيسبوك الموجودة بجوار زر الفيديو في هاتفي، والتي تنقل الفيديو مباشرة إلى صفحة فيسبوك التي أتشاركها مع ستيوارت. لقد اكتشفت أختي باتي - التي كانت تفهم في هذه الأجهزة أكثر من أي شخص آخر أعرفه - بطريقة ما زر فيسبوك هذا في كاميرا هاتفي، والذي مكنني من رفع الفيديوهات بشكل تلقائي، ولولا هذا، لم أكن لأعرف كيف أرفع هذه الفيديوهات.

لم أزر ستيوارت منذ شهور في دار الرعاية التي يقيم بها. قابلت ستيوارت لأول مرة بمستشفى تشيلدرين التذكاري للأطفال، حيث قضى كلانا أسابيع في وحدة الرعاية المركزة. بالنسبة لستيوارت، كان سبب مكوثه هو حفيده الذي صدمته سيارة وكان بين الحياة والموت، وكان الشيء الوحيد الذي ساعدني على الصمود خلال هذه الفترة هو ضحك ستيوارت على نكاتي المبتذلة.

كان إرسال عروضي الكوميدية الروتينية في مقهى هوول إن ذا وول، ونشر نكتة بين الحين والآخر على الصفحة، يجعلني أشعر بطريقة ما بأنني أسديه معروفًا. وقد أخبرتني حفيدته ذات مرة أن أول شيء يفعله ستيوارت في الصباح هو تفقد تلك الصفحة على فيسبوك.

رفعت عينيَّ عن هاتفي، ثم أنزلتهما مرة أخرى على الفور بعد أن لمحت شعر رامونا ديلافو الأشقر البراق. إذن فقد *كانت* عند المشرب، جالسة في

الجهـة المقابلة لي. ابتعدتُ، وتوقفتُ بين رجلي أعمال - وهو أمر لم يكن صعبًا فـي ظل هذه الفوضـى الشديدة - كي أتمكـن من إلقاء نظـرة أخرى من مكان مراقبة جيد.

رفعـتُ عينـيَّ بما يكفي لرؤية رامونـا التي التفتت إلـى يسارها وتحدثت مع شخص ما. كان يبدو أنها تحاول إبقاء صوتها منخفضًا والتزام الحذر.

لكننـي لم أتمكن مـن رؤية الشخص الجالس بجوارهـا، لأن المشرب كان يأخـذ شكلًا نصـف دائري ويمتلئ برفوف من زجاجـات الشراب في منتصفه؛ فكانت الزجاجات تحجب الرؤية عني.

تحركـتُ إلى اليسـار لأحصل على زاويـة أفضل للرؤية، كـي أرى الشخص الـذي كانـت تتحدث معه. كانـت أتمنى أن يكـون رجلًا، على اعتبـار أن رامونا ديلافـو عادت لعملها السابـق كبائعة هوى بعد أن انتهـى عملها كمديرة للمبنى الحجري، حينئذ سأقبض عليها متلبسة وأقدم لها عرضًا لا يمكنها رفضه، وهي إما أن تخبرني بمكان الدفتر السري وإما سيُلغى الإفراج عنها بكفالة وتعود إلى السجن.

اختـرت مكانًـا أقف فيه بيـن بعض الأشخاص، وألقيت نظـرة أخرى عبر المشرب إلى رامونا.

نظرت لها خلسة، ثم نظرت إلى هاتفي.

ثم اختلستُ النظر مرة أخرى.

فتسارعت نبضات قلبي، ولم أستطع تصديق ما رأيته.

قلت لنفسي ربما السبب هي الإضاءة الخافتة، وربما لم أنظر بشكل جيد.

نظـرتُ مرة أخرى، وفي هـذه المرة أطلت التحديق، على الرغم من أن هذا قد يلفت الأنظار إليَّ، وعلى الرغم من أنني كنت متأكدًا مما أراه.

ما رأيته كان صحيحًا، ولا دخل للإضاءة الخافتة بهذا.

لم تكن رامونا ديلافو تتحدث مع رجل، بل كانت تتحدث مع امرأة؛ امرأة أعرفها جيدًا.

وقلت: " كان هناك شخص اسمه جيري يستحم في حمام ناديه. ولما خرج مـن الحمـام، سمع هاتفًـا يرن في خزانتـه، فأجاب على الهاتـف، وإذا بصوت امـرأة تقول له: حبيبـي، *لقد رأيت معطفًا من الفراء كنـت أتوق لشرائه، وثمنه خمسـة آلاف دولار*، فقـال جيـري: *واو. خمسة آلاف دولار لشـراء معطف. هذا كثيـر، لكن لا عليكِ، اذهبي واشتريه*. فقالت المـرأة: *حسنًا، بما أنك في مزاج جيـد، فلقد مـررتُ بمعرض سيـارات مرسيدس، وهنـاك موديـل جديد منها أعجبني للغاية، لكنَّ ثمنه مائة وخمسون ألف دولار*. فقال جيري: *مائة وخمسون ألـف دولار لشراء سيارة؟ أعتقد أنها تستحق. اذهبي واشتريها*. فقالت المرأة: *أنـت أفضل رجل في الدنيا يا* حبيبي، ثم أغلقـت الخط. فأنهى جيري المكاملة ووضع الهاتف مكانه. فقال له زملاؤه في صالة الألعاب الرياضية: *لم نكن نعرف أنك بهذا الثراء، يا* جيـري، فأجابهم: *أنا مفلس تمامًا. بالمناسبة، مَنْ صاحب الهاتف الذي كنت أتكلم فيه الآن؟* ".

ثـم ضغطت علـى أيقونة فيسبـوك الموجودة بجوار زر الفيديـو في هاتفي، والتـي تنقل الفيديـو مباشرة إلى صفحة فيسبوك التـي أتشاركها مع ستيوارت. لقد اكتشفت أختي باتي - التي كانت تفهم في هذه الأجهزة أكثر من أي شخص آخـر أعرفـه - بطريقة مـا زر فيسبوك هذا فـي كاميرا هاتفـي، والذي مكنني مـن رفع الفيديوهات بشـكل تلقائي، ولولا هذا، لم أكن لأعـرف كيف أرفع هذه الفيديوهات.

لـم أزر ستيوارت منذ شهور فـي دار الرعاية التي يقيم بها. قابلت ستيوارت لأول مرة بمستشفى تشيلدرين التذكاري للأطفال، حيث قضى كلانا أسابيع في وحدة الرعايـة المركزة. بالنسبة لستيوارت، كان سبـب مكوثه هو حفيده الذي صدمتـه سيارة وكان بين الحيـاة والموت، وكان الشيء الوحيـد الذي ساعدني على الصمود خلال هذه الفترة هو ضحك ستيوارت على نكاتي المبتذلة.

كان إرســال عروضي الكوميديـة الروتينية في مقهى هوول إن ذا وول، ونشر نكتة بيـن الحين والآخر على الصفحة، يجعلني أشعـر بطريقة ما بأنني أسديه معروفًا. وقد أخبرتني حفيدته ذات مرة أن أول شيء يفعله ستيوارت في الصباح هو تفقد تلك الصفحة على فيسبوك.

رفعـت عينيَّ عن هاتفي، ثـم أنزلتهما مرة أخرى على الفـور بعد أن لمحت شعـر رامونا ديلافو الأشقر البـراق. إذن فقد *كانت* عنـد المشرب، جالسة في

الجهــة المقابلة لي. ابتعدتُ، وتوقفتُ بين رجلي أعمال - وهو أمر لم يكن صعبًا فــي ظل هذه الفوضــى الشديدة - كي أتمكــن من إلقاء نظــرة أخرى من مكان مراقبة جيد.

رفعــتُ عينــيَّ بما يكفي لرؤية رامونــا التي التفتت إلــى يسارها وتحدثت مع شخص ما. كان يبدو أنها تحاول إبقاء صوتها منخفضًا والتزام الحذر.

لكننــي لم أتمكن مــن رؤية الشخصــ الجالس بجوارهــا، لأن المشرب كان يأخــذ شكلًا نصــف دائري ويمتلئ برفوف من زجاجــات الشراب في منتصفه؛ فكانت الزجاجات تحجب الرؤية عني.

تحركــتُ إلى اليســار لأحصل على زاويــة أفضل للرؤية، كــي أرى الشخص الــذي كانــت تتحدث معه. كانــت أتمنى أن يكــون رجلًا، على اعتبــار أن رامونا ديلافــو عادت لعملها السابــق كبائعة هوى بعد أن انتهــى عملها كمديرة للمبنى الحجري، حينئذ سأقبض عليها متلبسة وأقدم لها عرضًا لا يمكنها رفضه، وهي إما أن تخبرني بمكان الدفتر السري وإما سيُلغى الإفراج عنها بكفالة وتعود إلى السجن.

اختــرت مكانًــا أقف فيه بيــن بعض الأشخاصــ، وألقيت نظــرة أخرى عبر المشرب إلى رامونا.

نظرت لها خلسة، ثم نظرت إلى هاتفي.

ثم اختلستُ النظر مرة أخرى.

فتسارعت نبضات قلبي، ولم أستطع تصديق ما رأيته.

قلت لنفسي ربما السبب هي الإضاءة الخافتة، وربما لم أنظر بشكل جيد.

نظــرتُ مرة أخرى، وفي هــذه المرة أطلت التحديق، على الرغم من أن هذا قد يلفت الأنظار إليَّ، وعلى الرغم من أنني كنت متأكدًا مما أراه.

ما رأيته كان صحيحًا، ولا دخل للإضاءة الخافتة بهذا.

لم تكن رامونا ديلافو تتحدث مع رجل، بل كانت تتحدث مع امرأة؛

امرأة أعرفها جيدًا.

الفصل 33

تمتمت قائلًا: "باتي".

ثم شققت طريقي بين الزحام، وخرجت من الباب لأسير بين حشد آخر من الناس. أحكمت غلق معطفي وأنا أسير في شاع راش الذي كانت تهب عليه رياح هوجاء، وكان السؤال يعصف برأسي.

ما الذي تفعله أختي مع مديرة المبنى الحجري، رامونا ديلافو؟ لم أستطع أن أجد المبرر والمنطق في ذلك.

توقفتُ فجأة، واستدرتُ عائدًا إلى المطعم؛ فاصطدمت بشخصين كانا خلفي مباشرة ولم يتوقعا التفاتي المفاجئ، ثم أخذت بضع خطوات نحو المطعم ونظرت له، وكأن النظر إليه مدة طويلة كافية سيغير شيئًا ما. فكرتُ في العودة إلى المشرب وإلقاء نظرة أخرى، لكن لا جدوى من هذا بالطبع؛ فلن أرى إلا ما رأيته من قبل.

قلت لنفسي: *ما الذي تفعلينه هنا بحق السماء، يا باتي؟*

اتجهت جنوبًا نحو سيارتي، سائرًا بين زحام المشاة المسرعين، وضجيج أبواق السيارات، وصياح السائقين، وضحكات ودردشة المارة.

أخرجت مفاتيح سيارتي، وهذا تصرف طبيعي من شخص متجه إلى سيارته، ثم اصطدمت بشخص كان قادمًا عن يميني، وتركت المفاتيح تسقط

مـن يدي. تمتمت باعتذار، وانحنيـت مستحوذًا على مساحة صغيرة بينما يسير الناس من حولي.

وقلت: "عذرًا، عذرًا. أنا آسف".

التقطـتُ مفاتيحي من على رصيف المشاة المبلل ونهضتُ واستدرتُ متجهًا إلى سيارتي.

كانت سيارتي متوقفة في الصف الثاني بشارع راش، وبقاؤها هناك كل هذا الوقت هو أمر أشبه بمعجزة. إنني أركَن إلى الحظ كثيرًا.

كنت أتمنى أن يتبقى لديَّ القليل من الحظ؛ لأنني سأحتاج إليه.

أو هكـذا اعتقـدت. مـن المبتذل أن يتكلـم رجل الشرطة عـن حدسه، لكن الابتـذال ليس خطـأ دائمًا؛ فالحدس جزء منه مبني علـى التجارب، وجزء منه مستمـد من الغريزة، كما أن عملي كعميل متخـفٍّ لمكتب الشئون الداخلية على مدار السنوات الثـلاث الماضية لم يكن مضرًّا أيضًا؛ فقد ساعدني على معرفة كيفية التقاط الإشارات.

ليس مـن الصعب القيام بهذه الأشياء؛ لأنك إذا كنت على تلك الحالة، فإن تصرفـك يكاد يكون تلقائيًّا. أنت تتوقف وتنظر من فوق كتفك عندما تمر امرأة جميلة، أو تتوقف على ناصية شارع بانتظار أن تتغير إشارة المرور، ثم تعود.

أو تصطدم عمدًا بشخص ما وتتظاهر بأن مفاتيحك قد سقطت منك.

أي مبــرر يجعلك تنظر إلى الخلف، وأنت لا تنظـر مباشرة إلى أي شخص، ولا تضـع عينيك في عينيه، بل تمشي وسط الزحام محاولًا استشعار ما إذا كان شخص ما يسير عندما تسير، ويتوقف عندما تتوقف، ويتبع خطاك.

وقـد كان لديَّ إحساس قوي بأن شخصًا يتبعني، وإن كنت لا أستطيع الجزم بذلك.

والآن عليَّ أن أقرر ما سأفعله حيال ذلك.

الفصل 34

استقللت سيارتي واتجهت بها جنوبًا، وهو الاتجاه الوحيد الذي تمكنت أن أسلكه، ثم انعطفت سريعًا إلى اليسار، ثم إلى اليسار مرة أخرى نحو شارع ستايت، ثم اتجهت جنوبًا أشق طريقي بين الحفر والمشاة الذين يتحدون الموت بعبورهم بشكل متعرج بين السيارات في أثناء عبورهم الشارع (في شيكاغو، عادة ما يُعتبر الالتزام بلافتات ممنوع السير أمرًا اختياريًّا).

هذه الأشياء المشتِّتة أجبرتني على توجيه تركيزي للطريق الذي أمامي، لكن عينيَّ كانتا تختلسان النظر باستمرار في مرآة الرؤية الخلفية لأرى ما يحدث خلفي. كان الطريق مزدحمًا بالسيارات، وكل ما كنت أراه خلفي في هذا الظلام هي المصابيح الأمامية للسيارات التي تسير في الطريق، وقد ساعدني هذا الأمر عندما كنت أتعقب رامونا ديلافو؛ إذ كان من المستحيل أن تلاحظ أنني أراقبها في مثل هذه الحركة المرورية، لكن من الواضح أن هذا الأمر أعاقني أيضًا؛ لأني لم ألاحظ في هذا الوقت أن شخصًا ما كان *يتبعني*.

الآن أصبح المرور عائقًا بالنسبة لي أيضًا؛ حيث لم أستطع تبين ألوان أو حتى ماركات السيارات في مرآة الرؤية الخلفية، ناهيك عمن يستقلونها، لكن لا بأس بذلك؛ فهناك أكثر من طريقة لاستشعار المراقبة.

كانت الحركة المرورية خلفي تخف رويدًا بينما كنت أتجه غربًا وجنوبًا، بعيدًا عن حي جولد كوست، لكنها ظلت مزدحمة إلى حد ما، بحيث وفرت لمن يتعقبني الغطاء الكافي.

كنت أريد الذهاب إلى المنزل، وأحتسي شرابًا، وأفكر مليًّا في السبب الذي يجعل أختي باتي تقابل مديرة المبنى الحجري، المرأة التي يُحتمل أنها تحتفظ بالدفتر السري الثمين.

لكنني لم أستطع الذهاب إلى المنزل، لأنني لا أريد لمن يتعقبني أن يتوقف عن مراقبتي. إذا كان يعرفني - ولا بد أنه كذلك - فهو يعرف أين أعيش. وبمجرد أن يراني أوقف سيارتي أمام شقتي، فإنه سيظن أني سأبيت ليلتي فيها، ولهذا سيظل بعيدًا مسافة كافية، أو ربما يغادر معتقدًا أن مهمته قد انتهت.

وأنا لا أريده أن يوقف مهمته الليلة، ولذلك لم أذهب للمنزل.

من شارع شيكاغو أفينو، اتجهت يمينًا إلى جادة دامن وحافظت على مستوى سرعة سيارتي. ربما لم تكن دامن هي الخيار الأفضل، لأنني عندما اتجهت شمالًا، وجدت نفسي في منطقة مزدحمة مرة أخرى، تمتلئ بالمطاعم والمقاهي ومتاجر الملابس الراقية بمجرد وصولي إلى شمال نورث أفينو. كان هذا مكانًا رائعًا للعيش منذ خمسة عشر عامًا، حيث كان يتسكع فيه الفنانون والشباب المتمرد. لا يزال الزحام موجودًا، لكن المكان أصبح يجذب بشكل أكبر أبناء الطبقات المترفة، بل وحتى بعض العائلات، وبوجه عام الأشخاص الذين يمكنهم تحمل شراء عقارات ذات أسعار باهظة.

لكنني في هذه اللحظة لم أكن أفكر في مبدأ إحلال طبقة محل أخرى أفقر منها، بل كنت أكثر اهتمامًا بالسيارات الثلاث التي تسير خلفي، والتي أخذت كل منعطف أخذته إلى الآن. إن الطريق الذي سلكته غير تقليدي؛ فقد بدأت بشارع راش، ثم اتجهت شمالًا، ثم قمت باستدارة لأتجه جنوبًا عبر شارع ستايت، ومنه إلى شارع شيكاغو أفينو، ثم اتجهت غربًا إلى جادة دامن، والآن أنا أتجه شمالًا مرة أخرى عبر جادة دامن إلى جادة أرميتاج، والتي تقع على بعد ميل شمال المكان الذي بدأت فيه من الأساس، الموضع الذي كنت أوقف فيه سيارتي بشارع راش.

بعبارة أخرى، الطريق الذي سلكته غير منطقي. من الذي قال إن أقصر مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم؟ هذا الشخص قد يصفني بالغبي،

لأنني تكبدت عناء الذهاب جنوبًا دون سبب في حين كان يمكنني الاستمرار في المضي شمالًا من مطعم تايسون إلى شارع راش! لقد سلكت مسارًا مختلفًا تمامًا، وبدلًا من الذهاب في خط مستقيم، بدا طريقي مثل ثعبان أحدب الظهر.

أتعرف ما الذي كنت أبدو عليه؟ كنت أبدو إما كسائح لا يعرف الطرق في شيكاغو، وإما كشخص يحاول ألا تكون تحركاته مباشرة.

ومن كان يتعقبني يعرف أنني لست سائحًا.

لكن الفائدة الأخرى هو أنه يمكنني قول الشيء نفسه عن الشخص الذي يتعقبني؛ فالسبب الوحيد الذي جعله يأخذ هذا الطريق هو أنه يتعقبني.

كانت يدي اليمنى على عجلة القيادة، بينما استخدمت يدي اليسرى لسحب مسدسي من جرابه، وأخرجت مشط الذخيرة لتفقد الطلقات، فوجدت فيه طلقات كافية. أنا عادة ما أصطحب معي مشط طلقات واحدًا فقط.

الآن بما أنني أخطط لاستخدامه، فعليَّ أن أذكر نفسي بأنني شخص مسالم، لا أرغب في العنف، ومن ثم فالمواجهة ليست أول اختيار لي، لكن أحيانًا لا يكون هناك مفر منها، وعلى المرء أن يكون مستعدًّا دائمًا.

انعطفت يسارًا من جادة دامن، إلى جادة ديكنز، متجهًا إلى الغرب مرة أخرى. كنا في منطقة لم يتقرر بعد ما إذا كانت ستصبح سكنية أم صناعية. انطلقت بالسيارة ميلًا آخر أو نحو ذلك قبل أن أنعطف يمينًا، لأرى أمامي ثلاثة مربعات سكنية تقع على امتداد شارع هادئ، وبهذا أستطيع رؤية ما ورائي بوضوح.

بعد اجتيازي المربع السكني الأول، رأيت سيارة سيدان تأخذ المنعطف نفسه.

لم تكن هذه مصادفة؛ فقد استبعدتُ احتمال المصادفة منذ أميال بعيدة قطعتها الليلة.

أوقفت السيارة في ساحة مهجورة، كانت في السابق مقرًّا لبنك به مكتب جانبي لخدمة سائقي السيارات دون النزول من سياراتهم، وكانت هناك بعض القمامة المبعثرة. لا يوجد مبرر - أقصد مبررًا منطقيًّا - لوجود شخص هنا في هذا الوقت من الليل.

وقفت أمام إحدى نوافذ المكتب الجانبي، وأردت التأكد أن من يتعقبني يراني بشكل جيد. كانت سيارتي في وضع الإيقاف، لكن المحرك ظل دائرًا. فتشت في درج سيارتي إلى أن وجدت مظروفًا فارغًا.

مرت السيارة السيدان بي، وقد أبطأت السيارة لأن السائق - على ما أعتقد - كان يحاول إلقاء نظرة على ما كنت أفعله. لو كان لدى السائق منظار واستطاع رؤية ما بداخل سيارتي، لظن أنني أنتظر شخصًا ما.

واصل قائد السيارة السيدان القيادة، إذ لم يكن لديه خيار آخر، لأن وقوفه في شارع جانبي غير مزدحم سيصبح ملحوظًا للغاية. والآن مع جلوسي دون فعل شيء في ساحة مهجورة للسيارات، لم يستطع سائق السيدان البقاء في مكانه.

كتبتُ ملحوظة على المظروف، وصورتها بكاميرا الموبايل حتى لا أنسى التفاصيل، وخرجت من سيارتي.

كان الطقس قارس البرودة، وكانت الرياح في هذا المكان المفتوح تصفعني من كل الاتجاهات. وقد حرصتُ على النظر حولي إلى كل مكان لأتأكد أنه لا يوجد من يراقبني.

ذهبت إلى نافذة الصراف ووضعت المظروف داخل الفتحة الموجودة بالنافذة.

ثم عدتُ بخطوات سريعة إلى سيارتي وانطلقت بها خارج ساحة السيارات، إلى الشارع الذي كنت أسلكه في الأصل، لكنني في هذه المرة كنت متجهًا في الاتجاه المعاكس، صوب الجنوب.

قلت وأنا أنظر في مرآة الرؤية الخلفية: "الآن حان دورك".

قدت السيارة بسرعة عادية، وعيناي لا تفارقان المرآة. اجتزت أكثر من مربعين سكنيين، وأوشكت على الوصول *إلى جادة* ديكنز، لكن السيارة لم تخرج من المكان الذي تختبئ فيه لتتبعني.

وقد حدث ما كنت أتوقعه، وهو أن السائق لن يتبعني.

بل سيذهب ليرى ما وضعته في فتحة نافذة الصراف.

الفصل 35

انعطفتُ يمينًا إلى جادة ديكنز، وهو الاتجاه الذي سيتوقع من يتعقبني أنني سأسلكه إذا كنت ذاهبًا للمنزل؛ فقد كنت أعيش على بُعد ميلين جنوب غرب هذا المكان.

لكنني لم أكن متجهًا إلى البيت، فانعطفت يمينًا إلى الشارع التالي واتجهت شمالًا، عائدًا إلى البنك المهجور، واقتربت منه من الجانب الآخر.

لقد اخترتُ هذا المكان لسبب ما. فمنذ وقت طويل عندما بدأت عملي كمحقق، قبضنا على نشال كان يسرق الناس في هذا الحي، حيث تلقينا شكاوى عديدة في خلال أسبوع، ولم يتطلب الأمر ذكاءً خارقًا لنكتشف سريعًا أن الضحايا بينهم شيء مشترك، وهو أن آخر شيء فعلوه قبل أن تتم سرقة ما في جيوبهم هو أنهم سحبوا نقودًا من ماكينة الصراف الآلي الموجودة بهذا البنك، ليس من النافذة التي تتعامل مع سائقي السيارات، لكن من الماكينة الموجودة في مقصورة مرتفعة عن الأرض، يتم الصعود إليها بسلم، ومحاطة بزجاج، والتي كانت تُغلق ليلًا وتُفتح بالنهار.

الفكرة هي أن اللص لم يسرق حافظات نقود الضحايا وحسب، بل كان يذهب أيضًا إلى أقرب ماكينة صراف آلي ويسحب أقصى مبلغ مسموح به في المرة الواحدة.

تساءلت - وكنت حينها محققًا مبتدئًا مفعمًا بالحماس - *كيف يمكن للص أن يعرف كلمة سر بطاقة الصراف الآلي بهذه السرعة؟* قد يقول قائل

إنـــه ربما كان اللص لديــه برنامج إلكتروني متطور يفعل بــه ذلك، لكن كان هذا منــذ سنــوات عديدة، قبل أن تكون هــذه الأشياء منتشرة بالقــدر الذي هي عليه اليــوم. إضافة إلى أن بطاقــة ماكينة الصراف الآلي كانــت تُستخدم في غضون دقائق - إن لم يكن ثواني - بعد حدوث السرقة.

فقمــت ببعض التحريات ولاحظــت أن هناك أشجارًا ممتــدة على طول أحد أطرافٍ ساحة السيارات التابعة للبنك، فقررت أن أقضي بعض الوقت في الشارع مستقــلا سيارة عادية لا تحمل علامات الشرطة. وبعد مرور ثلاث ساعات، وجدت مراهقًا أبيض البشرة تنطبــق عليه مواصفات المشتبه به، يصعد شجرة ويوجه منظاره المقرب إلى المقصورة التي توجد بها ماكينة الصرف الآلي.

لكننـــي لم أكن بحاجة لتسلق شجرة في هــذه الليلة. سيكون الوضع أفضل لو كان معي منظار، لكن لم يكن معي. فتسللت بين الشجيرات وحاولت التخفي. كانت رؤيتي لنافذة الصراف جيدة وواضحة، لكن الساحة الفارغة كانت مظلمة، لكن إذا كانت مظلمة بالنسبة لي، فستكون مظلمة بالنسبة له أيضًا. وهو ربما سيحتاج إلى مصباح، وإذا حالفني الحظ، فإن الضوء القادم من المصباح سيوفر لي إضاءة كافية لرؤية وجه هذا الأحمق.

توقفت السيارة التي كانت تتبعني في تقاطع الطرق حيث يوجد البنك. فخمنتُ أن الرجل أراد التمهل قليـلًا ليتأكد من عدم وجود أحد، ولكي يتيقن أيضًا من أنني غادرت المكان تمامًا.

ثــم دخلــت السيــارة ساحــة السيــارات، واتجهــت نحــو نافــذة الصــراف المخصصة للسيارات، في الموضع الذي كنتُ فيه بالضبط. كان ضوء المصابيح الأماميــة للسيارة يسطع في وجهي، وهذا ليس في مصلحتي؛ لأنه سيصعب عليَّ الرؤية. ربما سيسير الرجل من أمام المصابيح الأمامية، وحينها ستمكنني الإضاءة مــن رؤية ملامحــه. كل ما كنت أريده هو أن أعرف هوية هــذا الشخص، أن أرى لمحة سريعة لوجهه.

توقفت السيارة، لكن المحرك لا يزال دائرًا والمصابيح مضاءة.

همست قائلًا: "هيا".

انفتح باب السيارة، وأضاء النور الداخلي، وكانت هذه فرصة بالنسبة لي لأرى وجهــه، لكن تلك المصابيح اللعينة تعمينـــي بضوئها. ولذا كنت آمل أن يسير من أمام السيارة ويمر بجانب المصابيح.

لكن لم يحالفني الحظ؛ إذ مر هذا الشخص من خلف السيارة. الآن مع سطوع أضواء المصابيح الأمامية للسيارة في عينيَّ، وعدم وجود مصدر إضاءة آخر في ساحة السيارات، لم أر سوى هيكل بشري - هيكل يرتدي سترة ثقيلة وقبعة في هواء الليلة البارد - ويتجه نحو نافذة الصراف.

استطعت أن أسمع بوضوح صرير فتح وغلق فتحة نافذة الصراف. ثم ساد صمت للحظات بينما كان يحاول صديقي الجديد قراءة الملاحظة التي تركتها.

فتمتمت قائلًا: "افتح الكشاف، افتح الكشاف".

لكنه استخدم ضوء شاشة الهاتف ليقرأ الملاحظة، ثم التفت الناحية الأخرى، فلم أتمكن من رؤية أي من ملامحه في الإضاءة الضعيفة الصادرة من الهاتف، لكنني رأيت الورقة في يده، وكان منحنيًا ليقرأها. وكل ما بدا لي منه هو سترة ثقيلة وقبعة على رأسه.

ثم اختفى الوميض، وسمعت الصرير مرة أخرى بينما كان يحاول صديقي الجديد غلق فتحة نافذة الصراف.

ثم عاد إلى سيارته، وحاولت النظر إلى داخل السيارة، لكن ضوء مصابيح السيارة كان لا يزال يحجب الرؤية عني. وعندما استدارت السيارة وتحول ضوء المصابيح بعيدًا عني، لم أستطع رؤية يدي وأنا أرفعها أمام وجهي.

كنت قد أخرجت هاتفي منذ وقت، بحيث أكون مستعدًّا لفتح كشاف الهاتف ورؤية رقم السيارة، لكنني فضلت عدم المخاطرة بكشف مكاني.

غادرت السيارة السيدان ساحة السيارات وانطلقتْ بعيدًا.

وهكذا فشلتُ في التعرف على الرجل.

لكن لا بأس، فسوف تتاح لي فرصة أخرى قريبًا.

وبينما كنت لا أزال قابعًا بين الشجيرات، ضغطت على أيقونة الصور في هاتفي ونظرت إلى الصورة التي أخذتها للملاحظة التي تركتها في فتحة الصراف.

كان مكتوبًا فيها: *غدًا، السادسة مساء، مترو الأنفاق، محطة جاكسون، رصيف المترو المتجه شمالًا. أحضر الغرض معك.*

لقد قرأ الشخص الذي كان يتعقبني الرسالة، وهذا أمر لا شك فيه. وإذا كان لديه فضول بخصوصي - ولا بد أن لديه فضولًا - فإنه سيكون مهتمًّا للغاية بمعرفة من سأقابله، وما سيجلبه لي هذا الشخص الذي سأقابله.

سيكون موجودًا، وفي هذه المرة، سأراه بوضوح.

قلت بينما كانت السيارة تغيب عن نظري: "أراك مساء الغد، يا صديقي".

الفصل 36

ربما كان عليَّ أن أذهب إلى المنزل في تلك اللحظة، وأحتسي مشروبًا كي أتمكن من التفكير في السؤالين اللذين لم أستطع إخراجهما من ذهني.

ما الذي كانت تفعله باتي بحديثها مع مديرة البيت الحجري؟

ومن الذي كان يتبعني بحق السماء؟

لكنني شعرت بأنني سأجن إذا تركت نفسي للتفكير؛ فذهبتُ إلى مقهى هوول إن ذا وول، وكان المكان ممتلئًا بضباط الشرطة والمعجبات بهن كالمعتاد. كان معظمهم منهمكين في الشراب، وقد ارتحت لذلك؛ فلم أكن أريد الخوض في حديث مع أحد، بل كنت أريد فقط ضجيج المكان المعتاد وحيويته وانتعاشته، كما أن بضع جرعات من الشراب قد تكون منعشة.

كان المحقق لاني سوش جالسًا في أحد أركان المقهى يتناقش مع بعض من أصدقائه، وكان النقاش على الأرجح حول لاعبي الخط الثاني في فريق بلاك هاوكس، مع أنني أشك في أن أيًّا منهم يفهم نصف الكلام الذي يقوله سوش. ولما رآني، رفع الكوب الذي في يده تحية لي؛ فسكب بعضًا مما فيه على قميصه، وأفضل ما في الأمر أنه لم يشعر حتى بهذا.

لا، أفضل ما في الأمر أنه سيكون موجودًا غدًا على مكتبه في الساعة الثامنة بالضبط وهو على أهبة الاستعداد للعمل. كان سوش من نوعية رجال الشرطة الذين يستغرقون في اللهو لكي يتحملوا كل الهراء الذي يلاقونه في

عملهم، لكنهم يعودون دائمًا ليقدموا المزيد. لو كان سوش يحتضر، سيتعين عليهم انتزاع شارته من يده بقوة، حتى لو كان عليهم انتزاع علبة شراب من اليد الأخرى.

أخذت رشفتين من الشراب عند المشرب، ثم نظرت نحو الحشد. فسمعت ضحكة امرأة، ولم يكن الصوت غريبًا عليَّ. فالتفت ورأيت إيمي لنتيني تجلس على كرسي مرتفع مع شخص ما. لاحظت أنه شخص حسن المظهر، كما لاحظت أن لدي شعورًا بغثيان في معدتي.

قلت في نفسي: *هنيئًا لك يا إيمي*. فهذه المرأة كان بإمكانها اختيار أفضل الرجال. إن هناك على الأرجح رجالًا يظهرون من العدم لكي يتوددوا إليها.

عليَّ أن أقر أنني كنت أستخف بقدراتها في البداية، لكنها كانت حادة الذكاء، وتحمل سجلًا وظيفيًا مميزًا يؤهلها لهذه الوظيفة؛ إذ كانت تعمل سابقًا مساعدة للمدعي العام الفيدرالي، وهي من تولى قضية السقوط المدوي لسيناتور الأمريكي بولاية ويسكونسن، وقد أخذت تلعب بي كأني دمية عندما عقدنا محاكاة لما سيكون عليه استجوابي في المحكمة.

ذكرت نفسي قائلًا: *احترس من هذه المرأة، احترس بشدة من هذه المرأة.*

وعندما وقعت عيناها على عيني، تسمرت للحظات، ثم أومأتُ لها.

رفعتْ لي أصبعها الأوسط ببذاءة، ثم ابتسمتْ. فشعرتُ بشيء يستيقظ بداخلي، شيء عادة ما يضعني في متاعب.

كان الشخص الذي يجلس مع إيمي ذا شعر بني مائل للاصفرار، وكانت له رقبة وأكتاف عريضة. ربما كان فتى أحلام الفتيات وبطلًا رياضيًا في المدرسة الثانوية، والآن هو شخص ناجح على الصعيد المهني، له ابتسامة مميزة، ويعقد ربطة العنق بطريقة معينة، ويلقي الدعابة في وقتها المناسب. لكنه ربما يرتدي سرًّا ملابس داخلية نسائية، ولا يزال يلعق أصبعه عندما ينام محتضنًا دميته ليلًا.

هذا ليس عدلًا؛ فأنا لا أعرف هذا الشخص، وقد يكون مختلفًا تمامًا عن ظني فيه.

ما خطبي بحق السماء؟ لماذا أهتم بما تفعله إيمي لنتيني في وقت فراغها؟ إذا أرادت التسكع مع شخص جذاب، معدل ذكائه يعادل ذكاء جذع شجرة،

فمـن الذي يستطيع منعها؟ بالتأكيد ليس أنا. قلـت هذا لنفسي وأنا أحتسي من الشراب. لم أكن أبالي بإيمي لنتيني، لم أكن أبالي بها على الإطلاق.

ثم رأيـتُ الملازم مايك جولدبيرجر يتقدم نحـوي. فشعرتُ بارتياح يتدفق في جسدي لما رأيته؛ فقد كان جولدي بمثابة المرفأ وقت العاصفة. وكل شخص بحاجة لهذا المرفأ، وقد كنت بحاجة إليه في هذا الوقت تحديدًا.

كان جولدي يحب تناول مشروبات ممزوجة معًا بين حين وآخر، لكن بالتأكيد لـم يكن هذا سبب مجيئه إلى المقهى. فقد جـاء لأنه كان المكان الذي يتحدث فيـه الجميع، لاسيما بعد بضعة أكواب من الشراب. كان يحب عدم لفت الأنظار إليـه، ويدفع الآخرين برفق نحو التحـدث، متظاهرًا بأن صمته من قبيل الأدب، فـي حين أنـه كان يجمع ويحلل كل معلومة تقـال. كان يعرف عن رجال الشرطة أكثر مما يعرف أي شخص آخر أعرفه.

سألنـي: "كيـف تسير الأمـور؟"، ثم مال بجسـده ناحية المشـرب، وأخبر النادل بأنه سيتناول الشراب نفسه الذي أتناوله.

قمـت بتغيير وضعيـة جسـدي؛ فأوليت ظهـري للجالسين، ونظـرت ناحية النادل. حركتُ رأسي ناحية جولدي، ومنعتُ نفسي من التحدث للحظات. فشعر بأن لدي ما أقوله؛ فقد كان يعرفني جيدًا. فمال ناحيتي بانتظار أن أتحدث.

لكن ما مقدار المعلومات التي يجب أن أخبره بها؟ لم أكن أرغب في أن يعلم هـو أو أي شخص آخـر بلقاء باتي برامونا ديلافو! يجب أن أتعامل وحدي مع ما فعلتـه باتي؛ فهي أختي التوأم، ولا أريد أن تخضع لتحقيق رسمي بسبب هذا. لا، لن أذكر ذلك لأحد.

وكأن هذه كانت إشارة، فقد دخلت باتي من الباب الأمامي.

أكـدتُ مـرة أخـرى بيني وبيـن نفســي أن أيًّا ما كانـت تفعله باتـي في هذا الخصوص، فسأتعامل مع الأمر وحدي.

لكن ماذا عن الجـزء المتعلق بالشخص الذي كان يتعقبني؟ يمكن لجولدي أن يساعدني فيه.

قلت: "أعتقد أنني مراقَب، وسأحتاج لمساعدتك غدًا".

رفع جلودي كوب الشراب، وأفرغ ما فيه في جوفه، ثم أشار للنادل أن يجلب له جرعة أخرى، ثم أخرج عشرين دولارًا ووضعها على طاولة المشرب.

فطــن جولــدي إلى أن هنـــاك تفاصيل كثيــرة لا يمكن قولها فــي دردشة في مقهى؛ فقال: "اتصل بي"، ثم شرب جرعة أخرى، وانصرف دون أن يلفِظ كلمة أخرى.

نظــرتُ مرة أخرى إلى الطاولة التي تجلســ إليها إيمي؛ فرأيت أن الشخص الجالســ بجوارها يلفها بذراعــه، وبدا أنها سعيدة بذلــك. فشعرت بنار تتأجج داخلــي. ربما كان هذا مــن تأثير الشراب في حلقي. أجــل، كان هذا هو السبب على الأرجح.

سمعــتُ شخصًــا ينادي اسمي، ثم سمعــت الهتاف *هارنــي! هارني!* لم أكن أشعــر برغبة في الوقوف أمام الميكروفون، لكن لــم يكن لدي شيء آخر أفضل من هذا لفعله، كما أن صديقي ستيوارت سيسعد عندما يجد عرضًا كوميديًّا لي صباح الغد عندما يتفقد صفحتنا على فيسبوك.

مــررتُ بإيمي في طريقي إلى المسرح، ورفعت لها أصبعي الأوسط، وغمزتُ لها غمزة سريعة.

الفصل 37

قال بيلي وهو يقف على مسرح مقهى هوول: "دخل شخص دار العبادة وقال لرجل الدين: *الليلة هي أكثر ليلة جامحة قضيتها في حياتي. فقد قابلت ثلاث فتيات...*".

سارت باتي بين الجالسين بينما كان أخوها يقوم بعرضه، ورأت مساعدة المدعي العام إيمي لنتيني التي تسعى للنيل من بيلي، وكان معها رجل شديد الوسامة. ألا يشكلان زوجًا مثاليًّا: الجمال الإيطالي الخلاب والرجل الوسيم الذي يشبه عارضي الأزياء؟

أردف بيلي: "قال الرجل لرجل الدين: *لقد قضينا الليل بأكمله معًا، وحاولنا القيام بكل شيء...*".

لكن إيمي لم تبد مهتمة برفيقها المتأنق؛ بل كانت ذقنها مستندة إلى قبضتيها، وعيناها على بيلي. كانت باتي قد رأت من قبل هذه النظرة، وهذا التعبير على الوجه، والذي يشي بما هو أكثر من مجرد الاستمتاع إلى عرض كوميدي والاستمتاع بالنكات. كان البريق في عينيها يعني ما هو أكبر من مجرد الإعجاب بحس الفكاهة التي يتحلى بها شخص كوميدي.

بالتأكيد رأت باتي هذه النظرة من قبل، لكن في عين كيت.

أكمل بيلي دعابته: "*... وارتدينا أزياء تنكرية، ولعبتُ أنا دور حارس الزنزانة والطبيب...*".

نظـر رفيق إيمي الجـذاب إليها بطرف عينيه، ثم إلى المسرح، ثم إلى إيمي مـرة أخـرى، ورأى ما رأته باتـي أيضًا؛ فقد بدت إيمي غافلـة عن كل ما يجري حولهـا ولا تـرى سوى بيلي. فقال شيئًـا لها، فأومأت نحوه بإيمـاءة غامضة، ثم نهضـ الرجـل من مقعده وأخذ معطفه واتجه إلى بـاب الخروج. وبدا على إيمي أنها حتى لم تلاحظ هذا.

استطـرد بيلي قائلًا: "وأخيرًا تكلم رجل الدين قائلًا: حسنًا، حسنًا، فهمتُ مـا تريد قوله، وهو أنك قضيت ليلـة جامحة وغريبة. والآن تريد أن تعرف كيف تطلـب العفو عما بدر منك هذه الليلة؟، فقال الرجـل: كلا. أنا لا أكترث لذلك، فقـال رجل الدين: إذن لماذا حكيت لي كل هذا؟، فقال الرجل: هل تمزح؟ إنني أحكي هذه القصة للجميع، لأنها لا تحدث كل يوم".

قهقـه الحضور جميعًا ما عدا إيمي، لكن ارتسمت على وجهها ابتسامة، ولم تكن النكتة البذيئة هي التي استرعت انتباهها، بل الشخص الذي ألقاها.

بحلول هذا الوقت، كانت باتي قد اقتربت من إيمي، وقد شعرتُ بأن جسدها يرتجف. اقتربت باتي من الطاولة، لكنها لم تتكلم.

التقط بيلي هاتفه وهو لا يزال على المسرح، وضغط على زر، وهو الزر الذي علَّمتـه باتي بـأن يستخدمه لرفع عروضه الكوميدية علـى صفحة فيسبوك التي يتشاركهـا مع صديقة ستيـوارت. بيلي لا يعرف كيف يستخدم هذا الهاتف جيدًا حتـى لـو صوبتَ سلاحًا إلى رأسـه، ولذلك يحتاج إلى باتي فـي هذا الأمر. كان يحتاج إلى باتي في كثير من الأمور، حتى وإن لم يكن يدرك ذلك.

بعد انتهاء عرض بيلي، أدركت إيمي أخيرًا أن باتي تقف بجانبها.

سألتها باتي: "هل تعرفين من أنا؟".

اندهشـت إيمـي مـن السؤال؛ فهـزت رأسهـا نفيًا، وقالـت: "عـذرًا، أنا لا أعرفكِ".

قالت: "أنا باتي، باتي هارني. شقيقة بيلي".

فقالت إيمي: "أوه، أهلا"، ثم مدت يدها، لكن باتي لم تصافحها.

قالت باتي: "أنا شقيقته *التوأم*".

سحبت إيمي يدها للوراء، وفي عينيها نظرة تساؤل.

قالت باتي: "لقد مر بيلي بتجربة أقل ما يقال عنها إنها شنيعة. هل تعرفين تاريخه؟".

"أنا .. أنا آسفة.. ما هذه الـ...".

قاطعتهـا باتي قائلة: "أنتِ تعرفيـن، أليس كذلك؟ أنتِ على الأرجح تعرفين كل شيء عنه، لأنكِ تحققين معه، ألا تعرفين كل ما حدث له، ولأسرته؟".

لم ترد عليها إيمي، لكن باتي أحست بأن إيمي تتأهب لاتخاذ موقف دفاعي.

"هل يمكنني مساعدتك في شيء، يا باتي؟".

"يمكنكِ بالتأكيد، *يا إيمي*. يمكنكِ أن تبتعدي عن أخي، هذه هي المساعدة التي يمكنكِ تقديمها لي".

في هـذه اللحظات، تمكنـت إيمي من تعديـل أسلوبها من العبـارات الودية المعتادة إلى عبارات عدائية، فقالت: "وهل هذا شيء يخصك؟".

"يخصني بلا شك، يا إيمي. ومن الأفضل لكِ أن تعلمي أنني جادة".

"يمكنني أن أرى هذا".

"هل تعرضتِ لانتقام شرطية غاضبة من قبل، يا إيمي؟".

نهضت إيمي مـن مقعدها، وواجهت باتي، وقالت: "لا، لم أتعرض لذلك في الحقيقة. لكن هل تعرضتِ أنتِ من قبل لانتقام مساعدة مدعٍ عام؟".

علت وجه باتي ابتسامة عريضة، بينما احتفظت إيمي بنظرتها الحادة.

وقالت باتي وهي تحاول مط الكلمات: "ابتعدي عن أخي".

الفصل 38

"سأكون هنا طوال الأسبوع"، هكذا قلت قبل أن أغلق الميكروفون وأضعه على الحامل، ثم أمسكت بهاتفي وضغطت الزر الخاص برفع هذا العرض الروتيني على صفحتي أنا وستيوارت، ثم نزلت عن المسرح.

كان النادل ينتظرني بقدح من الشراب، وكانت هذه طريقة بسيطة للتعبير عن شكره إياي؛ فهو يعتقد فيما يبدو أن عروضي الكوميدية تجذب الناس إلى المكان، وأنا لا أعرف إذا كان هذا صحيحًا أم لا، لأنني أقدم هذه العروض للتنفيس عن نفسي، ولأزيح عن صدري ما يضايقني؛ فهي نوع من كوميديا رصد الواقع. وفي أوقات أخرى، عندما لا أكون في حالة مزاجية جيدة ولدي شعور بأنني مضطر للوقوف على المسرح، فإنني أسرد النكات بشكل تلقائي من مخزون النكات الذي تراكم لدي على مرور السنوات. كان عقلي يعمل على هذا النحو. إذا سألتني عن كلمة سر حسابي البنكي على الإنترنت، سأحتاج للبحث عنها في كل مرة، لكن إذا سألتني عن النكتة التي قالها لي ريتشي ستيتسافانيس في الصف الرابع الابتدائي، سأسردها لك كما قالها لي بالحرف.

احتسيت قدح الشراب. كان يجلس بالقرب من المسرح شخصان كنت أعمل معهما في دورية واحدة، فجذباني إلى طاولتهما. لم أكن أرغب في التحدث معهما، لكن أمي ربتني على أن أكون ولدًا مهذبًا. تبادلنا القصص عن الأيام التي قضيناها معًا في الدورية، وهي قصص تغيرت كثيرًا مع مرور الزمن، حتى

يتسنى لنا أن نتذكر أنفسنا كرجال شرطة نتسم بالشجاعة والجرأة والحسم، بدلًا من أن نتذكر ما كنا عليه حقًّا، وهو أننا كنا أشبه بجراء مذعورة تتمنى ألا تتعرض لإحراج أو تضطر لأن تطلق النار على أحد.

استغللت فرصة توقف المحادثة للحظات، وأخبرتهم بأنني ذاهب للحمام، وكانت هذه كذبة لكنها أسهل طريقة للهروب. وانتقلت عيناي سريعًا إلى الطاولة التي كانت إيمي وصديقها يجلسان عليها، فوجدتها خالية.

نظرت إلى المشرب، لكني لم أرها هناك أيضًا.

تضايقتُ، ولم أستطع إنكار شعوري بخيبة أمل. لم أفهم هذا الشعور، لكنه كان موجودًا. كنت مثل طالب ثانوي غيور.

لكن بخلاف ذلك، كان الحماس يغمرني؛ فغدًا ينتظرني يوم حافل؛ فوفقًا للملاحظة التي كتبتها سريعًا علىَّ المظروف وتركته في فتحة الصراف، سأقابل شخصًا في مترو الأنفاق مساء الغد، وعليَّ أن أدير الأمر بشكل صحيح لأعرف من كان يتعقبني، والذي سيكون موجودًا هناك بلا شك.

قررت الخروج، ولم يكن معي سيارتي، فقد تركتها وأخذت سيارة أجرة إلى المقهى. صفعتني الرياح عندما خرجت من باب المقهى، فالطقس كان باردًا لدرجة تجعل النشال يظل واضعًا يديه في جيبه ويبعدها عن جيوب الناس، لكنني شعرتُ بإحساس رائع، حيث أنعشني هذا الطقس، فقررت أن أسير عدة مربعات سكنية وأرى كيف تسير الحياة هنا في هذا الطقس.

ثم اتخذت قرارًا آخر؛ فأخرجت هاتفي، ومن دون تفكير اتصلت بإيمي لنتيني.

قالت: "هل طلبت رقمي بالخطأ؟!".

ارتفعت روحي المعنوية، لأنني عرفت أن إيمي سجلت رقمي على هاتفها. لقد تكبدت إيمي عناء تسجيل رقمي في جهات الاتصال على هاتفها. أعرف، أعرف أنني أبدو كمراهق في المدرسة الإعدادية. ربما الخطوة التالية هي أن أبعث برسالة إلى صديقتها مكتوب فيها: *هل تعتقدين أنها معجبة بي؟*

قلت: "أتمنى ألا أكون قد أيقظتكِ من النوم".

"أنا لم أنم بعد".

لم أتبين الكثير من كلامها، لكنها لم تكن تلهث، وهذا على الأقل يعني أنني لم أقاطعها في وقت غير مناسب.

قالت: "سمعتُ عرضك الليلة".

"كنت أنوي أن أسلم عليكِ بعد العرض، لكنكِ غادرت مبكرًا. هل شعرتِ بأن هذا القدر من الإثارة أكثر مما تتحملينه في ليلة واحدة؟".

"أنا فتاة نشأت في بلدة صغيرة بولاية ويسكونسن، ويجب أن أستيقظ مبكرًا لأحلب الأبقار".

أهـا، حقًّـا؟ على أية حال، لقد أعجبتني الطريقة التـي تدعي بها البساطة، حتى لو كان كلانا يعلم أنها غير حقيقية.

قلت: "الشخص الذي كان برفقتك يبدو لطيفًا".

لا أصدق أنني قلت هذا! لابد أن الشراب هو من كان يتحدث نيابة عني.

قلت لنفسي: *عليك أن تتوقف الآن، أيها الأحمق. اكبح جماح نفسك.*

قالت: "لا يهمنى أمره كثيرًا".

"كلا؟ وهل يعرف هو ذلك؟".

"إنه يعرف الآن".

فكرت: *إنها تعرف كيف تصوب، وتحرز هدفًا!*

لكني لم أرد بشيء، فقد تصرفت بحماقة كافية عندما تحدثتُ عن لقائهما في المقهى من الأساس.

"هل اتصلت لكي تعترف يا بيلي؛ لتخبرني بأنك من سرق الدفتر السري؟".

عبـرتُ تقاطعًا للطرق دون أن ألاحظ قـدوم سيارة في اتجاهي مباشرة. لم يبطئ السائق السيارة حتى، بل اكتفى بالضغط على بوق السيارة، متوقعًا مني أن أركض لكي أفسح له الطريق. لا بد أن هذا السائق ولِد وتربى في هذه المدينة.

قلت: "كلا، أعتقد أنني سأمارس حقي في البقاء صامتًا".

"ولكنك مع ذلك اتصلت بي".

كانت تتصرف كما يمكن لمحامية أن تتصرف، وقد كانت لديها وجهة نظر. لقـد اتصلت بها ولا أعرف لماذا، أو ربمـا كنت أعرف، لكنني لم أرد الاعتراف بالسبب لأي شخص، بما في ذلك نفسي.

سألتها وأنا أشعر بتسارع ضربات قلبي: "هل تأكلين مثل بقية البشر؟".

"أجل، أفعل ذلك أحيانًا".

هي لن تسهل الأمور عليّ، أليس كذلك؟

قالت: "هل تطلب مني تناول العشاء معك؟".

"كلا، أنـا فقط أجري دراسة استقصائية حول عادات الأكل اليومية لسكان المدينة!".

"أوه، حسنًا".

"لكن إذا أردتِ تناول العشاء معي، فلا مانع عندي".

بـدا أن كلامي راقها، فضحكـتْ ضحكة مكتومة، وقالـت: "أحسنتَ اللعب، أيها المحقق، الآن أصبحت *أنا* من يطلب الخروج معك!".

فقلت: "وأنا قبلت، بما أنكِ أصررتِ على هذا".

انتهـت المكالمة علـى صوت ضحكتها. فكرت فـي أن أتوقف عند هذا الحد طالمـا أن الكرة لا تزال في ملعبي، لكنـي شعـرتُ بنشوة تغمرني، وأحسستُ بأن هناك نسيمًا معتدلًا قادمًا من المحيط.

فقلـت لنفســي: *أنت ليس لديك أدنى فكـرة عما ستقحم نفسـك فيه، لكن سيكون من الممتع اكتشاف ذلك.*

الفصل
39

لـم يكـن صباح اليوم التالي لطيفًا؛ فقد دخلت قسم الشرطة وأنا أشعر كأنني أحمل رملًا على قدمي، وكأن مطارق تطرق في مؤخرة رأسي.

كانـت كيت موجودة بالفعل، وتبدو يقظة ومنتعشة، وقد شعرتُ بوجودي قبل أن تراني، وتحرك رأسها ببطء في اتجاهي.

وعندما نظرتْ إليَّ، بدت كأنها لا تعرفني على الإطلاق.

ولكن بعد لحظة، أومأت لي.

لقـد افترقنـا بالأمس علـى غير وفـاق، وهذا أقل مـا يمكن أن يقـال؛ فكل منـا اتهـم الآخر تقريبًـا بسرقة الدفتر السـري، وبعدم الثقة فـي الآخر، لكنها كانـت تخبرني - من خلال إيماءاتها - بأنـه لا يزال لدينا عمل يجب القيام به، وسنقوم به.

فأومأت لها أيضًا، وكان هذا كافيًا حينها.

مـر اليوم ببطء. كانت لدينـا جريمة في جنوب المدينـة، والتي بدأت على مـا يبدو كعملية سرقـة، ثم تحولت لجريمة قتل عندما استـل أحد المشتبه بهم الثلاثة سكينًا. كانت لدينا جثة وأوصاف مبهمة للمشتبه بهم، وسيستغرق صدور تقرير الطب الشرعي عدة أيام، وقد يؤدي إلى خيط ما؛ فقد كانت هناك الكثير مـن الدماء، ولم تكن كلها للضحيـة. وإذا أسعدنا الحظ وكان لأي من المعتدين سجل إجرامي، فربما يكون لدينا الحمض النووي له.

بدأنا هذا الصباح بإجراء مقابلات؛ وبالنسبة لمعظم الجرائم التي تقع في جنوب المدينة، فإن كلمة *مقابلات* تعني "لم ير أحد شيئًا، ولا أحد يعرف شيئًا"، لكن السبب في هذا ليس أن الناس لا يبالون بما حدث، بل يبالون، ومعظم الناس في أي حي - مهما كانت صلابتهم - يريدون أن يُسجن المجرمون كي يعيش الأخيار في سلام، لكن المشكلة هي أن العصابات تسيطر على هذه الأحياء؛ لدرجة أن الأشخاص الذين يتحدثون إلى الشرطة سيعيشون بقية حياتهم وهم يشعرون بأن حياتهم مهددة. حققتُ ذات مرة في جريمة قتل بالقرب من ضاحية سيسيرو وشارع ٧٩، والتي وقعت في الشارع أمام أحد المتاجر. سجلت كاميرا المراقبة داخل المتجر بعض اللقطات الجيدة لما حدث، وقام مدير المتجر بتسليم اللقطات للشرطة، بعد ثلاثة أيام، تم إشعال النار في المحل وحرقه تمامًا، ونُحت اسم العصابة التي تسيطر على هذا الشارع بسكين على الباب المعدني للمتجر.

بالإضافة إلى أن بعض الناس - كما هو معروف - لا يثقون بالشرطة.

ومع وجود الخوف وعدم الثقة، أصبح من الصعب الحصول على شهادة شاهد عيان. كان يومًا صعبًا علينا، وبحلول الساعة الخامسة، أوقفنا التحقيق على أن أزور عائلة الضحية غدًا لأرى إذا كانت لديهم أية معلومات.

قلت لكيت دون أن أنظر إليها: "أراكِ غدًا"، ثم افترقنا.

عندما غادرت القسم، تفقدت هاتفي مرة أخرى، وألقيت نظرة على صورة الملاحظة التي وضعتها في فتحة نافذة الصراف:

غدًا، السادسة مساء، مترو الأنفاق، محطة جاكسون، رصيف المترو المتجه شمالًا. اجلب الغرض معك.

لقد اخترتُ رصيف المترو لهذا اللقاء المزيف؛ لأنه من الصعب أن يتبعني شخص إلى هناك دون أن أكتشفه. أيًّا كان من يتعقبني، فهو لن يختبئ في الظلام داخل سيارة بينما يبقي المصابيح الأمامية مضاءة، ولن يتمكن من مراقبتي من مسافة آمنة بواسطة منظار. كلا، إذا كان هذا الشخص يريد أن يعرف مَنْ الذي سأقابله، سوف يتعين عليه الحضور على ذلك الرصيف اللعين. وهو ربما يتوقع أن أقفز في عربة مترو وعليه أن يتبعني.

ولقد اخترت الساعة السادسة لأن المكان سيكون مزدحمًا. إذا اخترت وقتًا متأخرًا في المساء، فإن الرصيف سيكون خاليًا، وسيخشى الشخص أن يتبعني

لأنــه سيشعر بأنــه مكشوف، لكن عند السادسة مســاءً، سيكون مرتاحًا لمعرفة أنــه بإمكانه أن يختبــئ وسط الزحام بينما يراقبني أنــا والشخص الذي يعتقد أننــي سأقابلــه. لكن ماذا عن نقطــة الضعف في خطتي؟ مــن الواضح أنه ليس هنــاك لقــاء فعلي، ولن يجلب لــي أي شخص أي غرض، ولهــذا يجب أن أرتجل ذلك الجزء.

هنا يأتي دور الأصدقاء، وجولدي هو صديقي الوحيد.

وصلــت إلى رصيف المتــرو في تمام الســادسة إلا عشــر دقائق، وذهبت إلى طرف الرصيف المتجه إلى الجنوب، وأردت أن أكون في مكان ظاهر. وقفت في الطــرف الجنوبي من الرصيف المتجه للشمال، حتــى أتمكن من رؤية الواقفين على الرصيــف، فتمكنت أيضًا من رؤية الأشخاص الواقفين على الجهة الأخرى من ممر المترو، وهم المتجهون نحو الجنوب.

المشكلــة أنــه كان مــن الصعب جدًّا التمييــز بين الناس. كنــا في منتصف الشتــاء فــي شيكاغــو، وكان الجميع يرتــدون ما يناســب هذا الطقــس؛ فكانوا يتدثرون بالقبعات والأوشحة والسترات المقفولة حتى الذقن. ولهذا لم أكن أرى الوجــوه بوضــوح، ورغم أن الإضاءة كانت جيدة، لم أتمكــن من رؤية الأشخاص المختبئين خلف كل تلك الملابس.

لــم يحضر جولدي بنفسه، لكنه أرســل شخصًا ما، وقال إنني لا أعرف هذا الشخص، لكنه شخص طويل، أمريكي من أصول أفريقية، يرتدي معطفًا بنيًّا.

في تمام الســاعــة الســادسة إلا خمس دقائق، وصل قطار المترو المتجه نحو الجنــوب، وأصدر صفيــرًا إيذانًا بتوقفــه، وهــذا يعني أن جميع مــن يقفون على الرصيف المقابل لــي سيستقلونه، ومن غير المنطقي أن يكتفي أحد الأشخاص بالوقــوف علــى الرصيــف دون أن يركب القطــار، أليس كذلــك؟ فالمفترض أن السبب الوحيد لوجود الناس على الرصيف هو استقلال قطار المترو!

عندمــا انفتح باب القطار، خرج عدد من الــركاب، وركب الأشخاص الذين ينتظــرون علــى الرصيف، أو بــدا الأمر كذلك على الأقل. لقــد كان هنــاك حشد كبير من النــاس، وكان القطار نفسه يفصل بيني وبين الركاب.

وعندما مضــى القطار في طريقه مرة أخرى، مصدرًا صفيرًا عاليًا، ألقيت نظرة فاحصة على الرصيف، فوجدت أن الجميع يتجهون نحو المخرج.

الجميع *تقريبًا*.

لم يتوقـف سوى رجل واحد، وكان يرتدي قبعة صوفيـة ومعطفًا سميكًا بنيًّا بلـون الشيكولاتـة، وقد رفع ياقتـه. كان موليًا ظهره لي، ولم أكـن قد رأيته على الرصيف قبل قدوم القطار، ولا بد أنه نزل لتوه من القطار.

لكنه لم يكن متجهًا نحو المخرج، بل ظل واقفًا في مكانه.

أخرجت هاتفي، وتظاهرت بأنني أتحدث فيه. كانت هذه حيلتي، إذ يمكنني أن أنظـر إلـى شخـص ما وأتظاهـر بأنني أفعل هـذا دون قصـد، وأن تركيزي منصب على المحادثة.

لاحظـتُ بطرف عيني شخصًا يتحرك نحوي، فنظرت لأرى شخصًا طويلًا، مـن أصول أفريقية، يرتـدي معطفًا بنيًّا ووشاحًا مليئًا بالألـوان. نظر إليَّ وأومأ برأسه، فأدركت أنه الرجل الذي أرسله جولدي.

ثم نظرت مرة أخرى إلى الشخص الواقف في الجهة المقابلة من الرصيف، ذي القبعة الصوفية والمعطف الذي بلون الشيكولاتة، فرأيته يسحب كم معطفه للوراء، وينظر في ساعته، ثم رفع رأسه للحظات، ونظر في اتجاهي.

نظرت بعيدًا قبل أن تقع عيناه في عينيَّ، وقلت متصنعًا التحدث في الهاتف: "أعرف ذلك، ولا أستطيع تصديق ما حدث".

كنت متأكدًا أن الشخـص الواقف على الرصيف المقابل لم يرني وأنا أنظر إليـه، لكننـي تمكنتُ من إلقاء نظرة جيدة إلى وجهـه في هذا الجزء من الثانية قبل أن أحول بصري عنه.

إنني أعرف هذا الشخص؛ فهو رئيسي في العمل.

لقـد كان الرجـل الـذي يراقبنـي مـن الرصيف المقابـل هو المـلازم بول ويزنويسكي.

الفصل 40

بـدأ قلبـي يدق بقوة. إن ويزنويسكـي ـ رئيسي في العمل ـ هو الشخص الذي يتعقبني.

هـل كان يعرف؟ هل كان يعرف أنني أعمل لصالح مكتب الشئون الداخلية؟ هل كان يعرف أنني أكثر من مجرد محقق جرائم قتل، وأنني أعمل بشكل متخفٍّ لصالح جولدي وإدارته؟

هـل كان يعرف أنه *شخصيًّا* يمثل أحـد أهدافي الرئيسية في التحقيق الذي أقوم به كعميل متخفٍّ؟

كان الشخص الأمريكـي ذو الأصـول الأفريقية، الذي يرتـدي معطفًا بنيًّا ووشاحًـا مليئًا بالألـوان، يتجه نحوي الآن. إن جولدي هو مـن أرسله، ولذا كنت شبه متأكد أنه تابع لمكتب الشئون الداخلية.

سـار الرجل حتى وصـل إليَّ، ووقف بجواري كأنـه لا يعرفني، وكأنه شخص آخر ينتظر قطار المترو المتجه شمالًا.

واصلـت محادثتي المصطنعة فـي هاتفي، وهززت رأسـي وأنا أتحدث كأن هناك شيئًا يغضبني في المحادثة.

أجل، مجرد شخصين ينتظران القطار.

ما أقصده هو أننا يجب أن نبدو وكأننا نحاول التعامل في سرية، أليس كذلك؟ فالشخص الذي يتعقبني - والذي أعرف الآن أنه ويزنويسكي - يتوقع شيئًا مثل هذا.

وبأكبر قدر من التلقائية، استدرتُ بحيث أصبح ظهري مواجهًا للرصيف، وأشحت بوجهي إلى الناحية الأخرى بعيدًا عن ويزنويسكي حتى أتيح له الفرصة لكي يراقبني ويحدق فيّ كيفما يشاء، بل وبإمكانه أيضًا التقاط صور سريعة لي بهاتفه إذا أراد.

الآن حان دور الشخص الواقف بجانبي - صاحب المعطف البني - لكي يعطس.

وقد فعل ذلك بنجاح! إن تصنع العطس ليس أمرًا صعبًا، خاصة إذا كان الشخص الذي تحاول خداعه يقف بعيدًا على الرصيف المقابل لرصيفك. وبعد أن عطس صاحب المعطف البني، أشاح بوجهه بعيدًا في حركة غريزية مهذبة كي يتمخط، ثم أدخل يده في معطفه وهو يلتفت، وأخرج منديلًا، ومظروفًا كبيرًا بما يكفي ليحوي مجموعة من الصور مقاس ٢٠×٢٥ سم.

في هذه اللحظة، كان كلانا موليًّا ظهره إلى ويزنويسكي، وحرصنا على إبقاء مسافة بيننا كي يراني ويزنويسكي بوضوح وأنا أتناول المظروف من صاحب المعطف البني.

ومن دون تردد، قام صاحب المعطف البني بالتمخط، أو تظاهر بهذا، ثم فرد منديله ولفَّ وجهه ليواجه الرصيف مرة أخرى. كان بارعًا، وقد شممت رائحة كريم بعد الحلاقة الذي كان يضعه عندما التفتَ، لكني لم أنظر إليه بشكل مباشر.

دسست المظروف في معطفي، وتظاهرت بأنني أنهي المكالمة الهاتفية، والتفتُّ أيضًا بحيث أصبحت أواجه الرصيف مرة أخرى.

كنا نبدو كشخصين ينتظران القطار، وعيونهما تنظر لأسفل بشكل طبيعي نتيجة الإجهاد بعد يوم عمل طويل.

الآن، بما أن أصبح كلانا يواجه الرصيف مرة أخرى، ويستطيع ويزنويسكي رؤية وجهينا، حان دور صاحب المعطف البني لكي يتحدث، لكي ينطق بكلمة واحدة فقط.

قال: "متى؟".

وقد نطق حروف الكلمة بوضوح، كي يتمكن ويزنويسكي من قراءة شفتيه.

والآن حـان دوري لكـي أتلفـظ أنا الآخر بكلمـة واحدة، ففعلـتُ مثلما فعل، متظاهـرًا بأنني أنطقها بشكل عادي لكنني حرصـتُ على أن تكون حركة شفتي سهلة القـراءة، وكأنني أقـدم المعلومة للملازم بـول ويزنويسكي على طبق من فضة.

قلت: "قريبًا".

الفصل 41

عدت إلى منزلي، وخلعت ملابسي الشتوية، ووضعت المظروف الذي أعطاني إياه صاحب المعطف البني على طاولة المطبخ، وسكبت قدحًا من الشراب.

باختصار: رئيسي يراقبني، وأختي تقابل سرًّا مديرة البيت الحجري، وشريكتي لا تثق بي وتحتقرني على الأرجح، والمحامية التي أراها جذابة للغاية والتي لا أستطيع التوقف عن التفكير فيها، تريد أن تسجنني.

بخلاف ذلك، كانت الأمور تسير على ما يرام.

حملت مشروبي والمظروف وصعدت الدرج. كنت متلهفًا لربط كل الأشياء ببعضها، لكنني تعلمت عبر سنوات من الخبرة أنه لا يمكنك استعجال هذه الأمور؛ فأحيانًا يتعين عليك أن تجلس في هدوء وتدع كل شيء يتحرك حولك حتى تستقر الأمور في نصابها الصحيح.

كان التحقيق الذي أقوم به كعميل متخفٍّ مثالًا جيدًا لهذا؛ فقد حدث الأمر بالمصادفة، ومن دون أن يسند لي أحد هذه المهمة، بل كانت شيئًا عارضًا اعترض طريقي، دون توقع مني.

وهذا ما حدث: منذ ثمانية عشر شهرًا، كنت أحقق في جريمة قتل وقعت بضاحية جريك تاون، تعرض فيها شخص ينتمي لإحدى دول البحر المتوسط لطلقة نارية بعد منتصف الليل في شارع آدامز، بالقرب من منطقة المطاعم الراقية ذات الجدران البيضاء والزخارف الزرقاء والجبن الملتهب والندل المتأنقين.

علـى أية حـال، كانت الجريمة عبـارة عن حـادث صدم بالسيـارة. مسألة عاديـة، أليس كذلـك؟ لكن ما وجدتُه فـي التحقيقات هو ما أثـار دهشتي. كان لـدي مشتبهان فـي القضية، أحدهما شـاب يمتلك والداه أحـد هذه المطاعم. فتقصيـت عنـه، واكتشفـت أنه تـم القبضـ عليه ثماني مـرات - نعـم، ثماني مـرات - لكن التهم كلها تـم إسقاطها بعد ذلك. ثماني مرات اعتقال، ولم تُرفع ضـده قضية واحدة! وفي عـدة مرات، كان يُطلق سراحه قبـل أن ينظر مساعد المدعي العـام في القضية. بعبارة أخرى، كان رجـال الشرطة يطلقون سراحه من تلقاء أنفسهم، وهو أمر غير طبيعي.

وكمـا اتضح بعد ذلك، لم يكن هذا المشتبه به هـو القاتل، لكنني احتفظت بنسخـة من سجله الجنائي وأخذت أقرؤها لأسابيـع. كيف تمكن هذا الشخص مـن الحصول علـى كل هـذه المحاباة؟ منـذ متى ورجـال الشرطـة لا يحيلون القضايا إلى المدعي العام؟ منذ متى يُخرج رجال الشرطة المتهم من الزنزانة ويطلقون سراحه بهذه البساطة؟

ثـم خطـر الأمـر ببالي للمـرة الأولى: شخص مـا كان يحمي هـذا الشاب، شخصـ مـا كان يتدخل لإنقاذ هذا الشاب من المشـكلات التي كان يوقع نفسه فيها.

يمتد تاريـخ القضايا في السجل الإجرامي لهـذا الشخص لسنوات عديدة، وعندما تفحصتُ أسماء الضباط المشرفين وكبار المسؤولين في شرطة الحي، برز اسم واحد مثل كوب من الماء المثلج في الصحـراء. كان هذا الاسم هو بول ويزنويسكـي، والـذي ترقى بعد ذلك إلى رتبة مـلازم، وانتقل إلى المنطقة التي أعمل بها.

أعتقـد أن ويزنويسكـي كان يوفـر الحمايـة لمن يدفع، بمنطـق: *دس بعض النقود في جيبي، وسأطلق سراحك*.

لـم يكن هذا شيئًـا من الصعـب فعله؛ فمساعـدو المدعي العـام يعتمدون بشـكل أساسي على رجال الشرطة الذين يمثلون المحركات التي تشغل منظومة العدالة الجنائية. فإذا قال رجال الشرطة إن الشخص لم يفعلها، أو إن الضحية ليسـ موثوقًا بها، أو إنه لا توجد أدلة كافيـة لتوجيه اتهام رسمي، فإن مساعدي المدعـي العام نادرًا مـا يشككون في هذا. ولماذا يفعلـون ذلك؟ فهم ليسوا في الشـوارع معنا. إذا قال شرطي إن القضية ليس لها أساس، فإن مساعد المدعي

العـام عادة ما يأخذ بهذا القول؛ فهو لديـه الكثير من القضايا الأخرى ليرفعها للمحاكم.

وهكـذا رأيـت هذا يحـدث، رأيت هذا منـذ ثمانية عشر شهـرًا؛ وهكذا بدأ التحقيـق السـري الذي أجريه في هـذا السجل الجنائي المثيـر للريبة. لم تكن لـديّ فكرة إلى أي مستوى قيادي يمتد هذا الأمر، وعدد الأشخاص المتورطين. كل ما كنت أعرفه هو أنه يجب عليَّ أن أحقق في الأمر.

فذهبـت إلى جولـدي وقلت له إننا يجـب أن نحقق في الأمـر. وافق جولدي بالطبـع، وكان كلانا يعلـم أن الأمر غاية في الحساسية؛ فقـال جولدي لي شيئًا لم أنسه أبدًا.

قال: *إذا أردتَ القيام بهذا، فحري بك أن تقوم به على النحو الصحيح.*

خذ الوقت الذي تحتاج إليه، وتأكد أن لقضيتك أساسًا قبل أن تبنيها.

هـذا ما كنت أفعله في وقت فراغي، على مـدار سنة ونصف السنة. فخلال فتـرات استراحتي من التحقيق فـي الجرائم التي كنت أحـاول فيها معرفة من طعـن تلـك السيدة، أو أطلق النـار على هذا الشخص، أو خنـق ذلك الرضيع - وبـدلًا من قـراءة أعمال أدبية أو نحت أعمال خزفيـة أو تعلم لغة أجنبية - كنت أحـاول معرفة من في شرطة شيكاغو يتقاضـى رشى ويمنح تصاريح خروج من السجن مقابل بعض الأموال التي لا تعرف مصلحة الضرائب شيئًا عنها.

بعبـارة أخرى، كنت أتحـرى عن الملازم ويزنويسكي، فـي حين أنني أعمل تحت إمرته مباشرة كمحقق في جرائم القتل.

كنـت أعتقد أننـي أعمل في سرية تامة، وأنه مـن المستحيل أن يعرف؛ فأنا لـم أفعل أشياء مثل تفتيش مكتبه، ولم ألصـق أذني على نافذة مكتبه لأتجسس عليـه، ولم أفتح بريده. كنت أحسب خطواتي بدقة؛ فكنت أقرأ الملفات القديمة وأتفحـص السجلات الجنائية، وأراقـب الأشخاص الذين نجحـوا في الإفلات مـن جرائم خطيرة في ظل إدارة ويزنويسكي. كنت حذرًا ومتأكدًا أنه ليس لدى ويزنويسكي أدنى فكرة عما أفعله.

لكنني كنت مخطئًا على ما يبدو.

فالظاهر هو أن المحقق ويزنويسكي كان يعرف أنني كنت أتحرى عنه.

فتحت المظروف، وكنت أعرف أن جولدي سيضع شيئًا فيه ليعطيه بعض الثقل، وجعل الأمر يبدو حقيقيًّا. وبالنسبة لأي شخص يراقبني على رصيف المترو، سيبدو الأمر كأن المظروف به صور.

عندما نظرت داخله، رأيت ثلاث أو أربع ورقات فارغة مثلما اعتقدت، لكن جولدي كتب ملاحظة على أول ورقة. ولم يكن هناك توقيع، لكنني أعرف خط جولدي حق المعرفة.

كان مكتوبًا على الورقة: اتصل بي حين تستطيع. وخذ حذرك.

الفصل
42

استيقظت من نومي منتفضًا، وجلست منتصب الظهر على سريري، واستغرق الأمر مني لحظات لأستعيد وعيي، وأفصل بين ما هو حقيقي وغير حقيقي: فهناك أحلام تتلاشى، ولقطات لكيت وإيمي، لعرق وأنين وضحك، لطلقات ودماء وصرخات مرعبة.

تهادى إلى مسامعي صوت التليفزيون الذي فتحته في وقت ما ليلة أمس قبل أن أغفو، وثرثرة المراسلين الصحفيين عن "أخبار عاجلة هذه الليلة".

وكانت الطرقات على الباب الخارجي لشقتي تتناغم مع ضربات قلبي.

نظرت إلى الساعة الموضوعة على طاولة السرير، فوجدتها تشير إلى الرابعة صباحًا.

أمسكت بمسدسي، وحاولت التخلص مما تبقى من النوم، ونظرت في هاتفي، فوجدت أن جولدي اتصل بي مرتين، وترك لي رسالتين يخبرني فيهما بأن أتصل به.

وردت رسالة جديدة وأنا أحمل الهاتف، وكانت من جولدي أيضًا.

وكانت تقول: افتح بابك اللعين.

نهضت من سريري، وكنت لا أزال بملابسي من ليلة أمس. وفي التليفزيون كانت المراسلة تتحدث عن رجل شرطة ميت، وتقول بأنفاس متقطعة: "تقول الشرطة إن طريقة إطلاق النار تدل على أن الهدف كان القتل المتعمد".

نزلت الدرج ومعي مسدسي، ونظرت عبر ثقب الباب، فرأيت جولدي تحت ضوء الشرفة الأمامية وهو يرتعد في وقفته، محاولًا التخلص من البرد.

فتحت الباب، فلسعتني رياح قطبية باردة. فجلبت معطفي، وقلت: "لقد شاهدتُ الأخبار".

قال جولدي: "الوضع سيئ". أغلقت الباب خلفي وتبعته إلى سيارته. انتهك جولدي حوالي عشرين قانون مرور في طريقه إلى هنا، لكن الشوارع قبل الفجر تكون فارغة على أية حال.

فركتُ عينيَّ، فقد كنت نائمًا كالميت منذ خمس دقائق، وها أنا الآن أهرع نحو مسرح جريمة في منتصف الليل.

سألني: "هل اكتشفت من كان يتبعك ليلة أمس؟".

قلت: "نعم، عرفت". لقد كان ويزنويسكي.

"سحقًا. كنت أخشى ذلك. هل أنت متأكد؟".

فقلت: "نعم، متأكد. رأيته على رصيف المترو يختلس النظر إليّ. لقد جاء على متن القطار المتجه إلى الجنوب، وتلكأ في مغادرة الرصيف، وقد ضبط موعده بدقة بحيث يكون على الرصيف في الوقت الذي من المفترض أن أقابل فيه الرجل ذا المعطف البني".

قال جولدي: "إذن فهو يعرف... هو يعرف أنني أحقق في الرشى التي يتقاضاها مقابل الحماية".

"أو يشك في ذلك".

قال جولدي وهو ينظر إليّ: "هذا ليس جيدًا"، ثم رفع قدمه عن دواسة الوقود عندما انعطف إلى جادة جاكسون التي تقع على بعد ميل غرب النهر ومحطة يونيون ستايشن. كان المكان مكتظًّا بالشاحنات الكبيرة لوسائل الإعلام؛ ألوان قوس قزح المميزة لشعار القناة الخامسة لمحطة إن بي سي، وقناة فوكس المحلية، وإيه بي سي، وسي بي إس. كان المراسلون واقفين بكامل أناقتهم بالقرب من مسرح الجريمة، ويتحدثون في ميكروفوناتهم.

خرجت من سيارتي ولم أشعر بأصابع قدمي من فرط البرد القارس.

أخرجت شارتي، وعلق جولدي شارته حول عنقه، ثم اجتزنا الشريط الأصفر، وأصبحنا على بعد ثلاثة أمتار من مسرح الجريمة، والذي كان عبارة عن سيارة ذهبية اللون مركونة على رصيف جادة جاكسون. كان باب السيارة

الأمامـي مـن ناحية مقعـد الراكب مفتوحًـا عن آخره؛ مـا أتاح لنـا أن نرى ما بداخلها.

كانت الدماء متناثرة على زجاج السيارة الأمامي ولوحة القيادة.

كان السائـق -الأمريكي مـن أصول أفريقية - مائلًا إلـى اليمين إلى القدر الـذي يسمح به حزام الأمـان الذي كان لا يزال مربوطًا، وكأنه النسخة البشرية من برج بيزا المائل، وكانت الدماء متدفقة من موضع خروج الطلقة على صدغه الأيمـن، ليكتسي المقعـد وأرضية السيـارة بسائل سميك داكـن، والذي أصبح متجمدًا الآن.

كان الجانب الأيمن من معطفه البني غارقًا في الدماء أيضًا.

لقد تعرض الرجل ذو المعطف البني، الذي قابلني على رصيف المترو ليلة أمس، لطلق ناري اخترق مخه، قبل حتى أن تشرق شمس اليوم التالي.

لا توجد كلمات تصف مدى البرودة التي شعرتُ بها حينذاك.

الفصل
43

وقفنا هناك لفترة، والأنفاس تخرج من أفواهنا على شكل دخان، وكلانا يحدق داخل السيارة إلى الرجل ذي المعطف البني، بينما كان خبراء المعمل الجنائي يقومون بفحص الأدلة. كان المراسلون يتحدثون إلى الكاميرات، وقد توقف بعض المارة الفضوليين في هذه الساعة المتأخرة لمشاهدة ما يحدث.

قال جولدي: "اسمه جو واشنطن، ورتبته رقيب. كان شخصًا صالحًا وأحد أفضل رجالي"، ثم هزَّ رأسه وتنحنح، وأشار إلى السيارة قائلًا: "لقد وجدوا نافذة مقعد السائق مفتوحة. لا بد أن جو كان يقابل شخصًا ما".

قلت: "كان يقابل شخصًا يثق به، وإلا ما كان لينزل زجاج النافذة".

"هذا صحيح. وعندما أنزل زجاج النافذة، بدلًا من أن يلقي عليه الشخص الآخر التحية أو يقدم له معلومة مهمة، أخرج سلاحًا ناريًّا وأطلق النار على صدغه. لقد كان ينزف من الجانب الأيمن من رأسه عندما عثرنا عليه. يا إلهي! لقد مات غالبًا على الفور".

سألته وأنا أتوقع الإجابة: "متى أُطلق النار عليه؟". فعندما يكون الجو باردًا، يكاد يكون من المستحيل استخدام الطرق التقليدية لتقدير الوقت - تغير لون البشرة، ازرقاق الجثة - لأن التعرض لطلق ناري في أثناء الليل في الشتاء يشبه قتل شخص داخل الثلاجة.

"أقصى ما توصل إليه خبراء الطب الشرعي - من باب التخمين - هي الساعة العاشرة، لكن من يعرف بحق السماء؟".

أخذتُ نفسًا عميقًا، وقلت: "أي بعد أربع ساعات من لقائي به".

اقترب مني جولدي وتحدث إليّ بصوت خافت.

وسألني: "ما مدى تأكدك من تحرياتك؟ ما مدى تأكدك من أن ويزنويسكي يوفر الحماية مقابل رشوة داخل قسم شرطة شيكاغو؟".

"أنا متأكد تمامًا؛ فلديَّ قائمة من الأشخاص الذين يبدو أن معهم حصانة ضد الدعاوى القضائية، أشخاص يُقبض عليهم ويُطلق سراحهم في غمضة عين. هناك شبكة حماية قائمة على الرشوة يا جولدي. أنا متأكد من هذا. هناك رجال شرطة فاسدون يطلقون سراح أشخاص من دون مبرر منطقي".

"لكنك لا تستطيع إثبات أن ويزنويسكي هو من يدير شبكة الحماية هذه".

"ليس بعد، لكنني اقتربت من ذلك".

قال: "حسنًا، السؤال الثاني: ما مدى تأكدك من أن ويزنويسكي هو من رآكما معًا على رصيف المترو ليلة أمس؟".

"متأكد بنسبة مائة في المائة".

أومأ جولدي، وسارت قشعريرة باردة في جسده، وقال: "لكن لا يمكنك إثبات هذا أيضًا".

هذه هي المشكلة. كان جولدي محقًّا؛ فأنا لا أستطيع ذلك. قلت: "كان واقفًا على الرصيف المقابل، وأبقى رأسه منخفضًا. لا بد من وجود كاميرا مراقبة على الرصيف، لكنني متأكد أنه أخفى وجهه عنها".

قال جولدي: "أجل. تبًّا، تبًّا، تبًّا".

كانت عبارته هذه بمثابة تلخيص جيد للوضع الراهن.

حاولت التفكير مليًّا في الوضع، لكن ذلك لم يكن سهلًا.

سألته: "أين ذهب صاحب المعطف البني - أقصد جو واشنطن - بعد أن قابلني في مترو الأنفاق؟".

هز جولدي رأسه نفيًا وقال: "ليس لديَّ أدنى فكرة. سنبدأ من نقطة الصفر؛ فأنا لا أعرف ماذا فعل ولا أين ذهب، ولا مع مَنْ تحدث، وليس بإمكاني الجزم بوجود شخص محدد معه ليلة أمس".

لكن هذا غير صحيح تمامًا، وكلانا يعرف هذا.

قلت: "يمكنك الجزم *بأنني* كنت معه ليلة أمس. أنا لم أحاول إخفاء رأسي على رصيف المترو، بل أبقيته مرفوعًا؛ لأنني *أردت* أن يراني ويزنويسكي، وسيظهر ذلك بوضوح في كاميرات المراقبة. ستكون هناك لقطات واضحة لي مع شخص عُثر عليه مقتولًا بعد ساعات من لقائنا".

تنهد جولدي في ألم، وقال: "الأمور لا تسير إلى خير".

"أخبرني بشيء لا أعرفه".

قال جولدي: "ربما حان الوقت لإعلان الأمر، ونصرح بأن مكتب الشئون الداخلية كان يتحرى أمر ويزنويسكي، والآن نعتقد أنه قتل الشخص الذي ظن أنه مخبر لنا".

هززت رأسي وقلت: "كلا، مستحيل. إذا أعلنتُ الآن، فإن كل شيء فعلته على مدار الأشهر الثمانية عشر الماضية سيذهب هباءً. لن أتوقف الآن. سأنال من ويزنويسكي وكل من ساعده على حماية المجرمين. وبينما أسعى لذلك، سأنال أيضًا من ويزنويسكي بسبب جريمة القتل هذه".

علت وجه جولدي ملامح الضيق، ونظر إليَّ بطرف عينه.

قال: "أنت ترى المشكلة التي تواجهنا. لقد التقطتك كاميرات المراقبة ليلة أمس بصحبة جو قبل ساعات من مقتله برصاصة في مخه، وأنا أعتقد أنه ليست لديك حجة غياب ليلة أمس بعد أن غادرت محطة المترو".

قلت: "حجة غيابي ليلة أمس هي نفسي. لقد ذهبت مباشرة إلى المنزل".

"إذا لم تصرح بأنك تعمل بشكل متخفٍّ لصالح مكتب الشئون الداخلية، فلن يكون هناك مبرر لحديثك مع جو ليلة أمس، وستصبح المشتبه به الأول في مقتله".

قلت وأنا أدسُّ يدي في جيبي: "لا أبالي بذلك. تبًّا! سأقبل بالمجازفة".

ضغط جولدي على قصبة أنفه، وكأنه يعاني بوادر صداع نصفي.

وقال: "حسنًا، ألا ترى أننا سقطنا داخل مستنقع من القذارة بالفعل؟".

الفصل 44

في وقت لاحق من صباح اليوم نفسه، انتشر خبر مقتل الرقيب جو واشنطن في القسم كالنار في الهشيم. أجل، جرائم القتل في شيكاغو لا تعد ولا تُحصى، لكن رجال الشرطة لا يتعرضون لطلق ناري كل يوم. كانت المعنويات في القسم منخفضة بالفعل؛ فقد كانت معاشاتنا تتعرض لهجوم، والجرائم متفشية في الجانبين الغربي والجنوبي من المدينة، لكن لا أحد يحمِّل مسئولية حدوثها إلى التفكك الأسري أو البطالة أو سوء التعليم، بل يُلام رجال الشرطة دائمًا. والجميع أصبحوا يحملون هواتف ذكية، ما يعني أن كل شخص يمكنه بضغطة زر تسجيل فيديو لرجل شرطة وهو يواجه مدنيًّا متمردًا في الشارع. في أحيان كثيرة، يقوم الناس باستفزازنا كي تصدر عنا ردة فعل مبالغ فيها، فيتمكنون من نشر مقاطع الفيديو التي صوروها على شاشات التليفزيون، ومن ثم يقوم المحللون - الذين لم يقضوا يومًا في دورية شرطة، ولم يتعرضوا من قبل لموقف شعروا فيه بأن حياتهم الشخصية في خطر - بانتقاد وحشيتنا في التعامل مع الناس.

والآن لدينا هذا: رجل شرطة يُقتل عمدًا على بعد ميل فقط من النهر ومحطة قطارات يونيون ستايشن ووسط المدينة.

ولذا كنت أتطلع للقائي بإيمي لنتيني تلك الليلة، كنت أتطلع لشيء يبث فيَّ الإثارة بالمعنى الإيجابي للكلمة، أو على الأقل تمنيت أن يسفر موعدنا عن إثارة من أي شكل. قد يقول شخص موضوعي إنني مجنون لكي أخرج في موعد عاطفي

مـع مساعدة المدعـي العام التي تشك في أنني شخص فاسد، لكن يبدو أنني لم أحسب كثيرًا لهذه الخطوة؛ فقد كانت رغبة مندفعة؛ وزاد من اندفاعها حالة عدم الاتزان التي كنت عليها.

لكن عندما رأيتها وهي مقبلة من الباب الأمامي لمبناها السكني، أدركت أنني اتخذت القرار الصحيح.

كان شعرها مسحوبًا للوراء، وبعض خصله منسدلة على جانبي وجهها، وكانت تضع القليل من مساحيق التجميل على خديها. كانت ترتدي قبعة رمادية ومعطفًا رماديًّا طويلًا، حجمه مناسب لكنه كان يبرز جسدها في الوقت نفسه.

قالـت، بينمـا كنت أحاول أن أعيد لساني المتدلي إلـى داخل فمي: "هل أنت جاهز لموعدنا العاطفي الكبير؟".

قصدنـا مطعمًا إيطاليًّا في الجانـب الشمالي من المدينـة، به ساحة لركن السيارات. كان العشاء مربكًا في البداية، وكان هذا غريبًا؛ لأنه من المعروف عني أنني بارع في الحديث. كنت متوترًا، ولـم أُصب بمثل هذا التوتر منذ مدة طويلة.

بدأنا بدردشة بسيطة - كان مقتل الرقيب جو واشنطن هو القضية الساخنة، لكننـي تحدثت وكأنني لم أقابله على الإطـلاق - لكن بعد فترة، خفف كلانا من حذره. كان هناك وميض في عينيها، واحمرار بسيط على خديها من أثر الشراب.

قالت: "كنتَ تكرهني في البداية".

ندَّت مني ضحكة بسيطة، واحتسيت رشفة من الشراب، وقلت: "إذا أسعفتني الذاكرة، فإنكِ كنتِ تحاولين النيل مني في أول مرة قابلتكِ فيها".

فقالت دون أن يحمل صوتها أي أثر لاعتذار: "كنتُ أطرح عليك أسئلة واضحة، أسئلة اعتقدتُ أنك قادر على الإجابة عنها إذا قلتَ الحقيقة".

قلت: "ها نحن مرة أخرى... الدفتر السري".

فردت: "ها نحن مرة أخرى"، لكنني استشعرت قدرًا من التسلي في جملتها، وكأنها كانت تستمتع بمشاكستي، ثم مالت للأمام، ووضعت مرفقها على الطاولة، وأردفت: "حسنًا، أيها المحقق. سأقول لك شيئًا؛ ربما هناك احتمال ضعيف بأنني كنت عدائية بعض الشيء".

فكـررتُ بعضًا من كلماتها قائلًا: "*احتمال ضعيـف*... عدائية *بعض الشيء*. بالله عليك، لا تبالغي أيتها المحامية".

فرفعتْ حاجبيها. كانا حاجبين لطيفين، ليسا بالسميكين الغليظين، ولا بالرفيعين المزيفين. فهي لم تكن بحاجة لتزييف أي شيء في مظهرها. كانت إيمي تعطي الانطباع بأن الاهتمام بمظهرها لا يتطلب أي مجهود.

تنحنحتُ قائلا: "حسنًا، يا إيمي. بما إنكِ تحدثت بصراحة، فإن هناك احتمالًا متناهي الصغر، لدرجة أنكِ تحتاجين إلى ميكروسكوب لرؤيته، بأنني أتصرف بحماقة بين الحين والآخر".

"لا".

"هذا صحيح".

"لا أصدق هذا. أنت!".

وصل الطعام، وكانت إيمي قد طلبت مكرونة لولبية الشكل بالخضراوات والصلصة الحمراء، بينما طلبتُ وجبة دجاج. فأعجبني أنها دققت في طلبها للأكل.

قلت: "لكنني صادق عندما أقول إنني رجل شرطة صالح".

توقفتْ، وضيقت عينيها، ثم دست شوكتها في المكرونة.

فقلت: "أنتِ لستِ مجبرة على التعليق على ذلك".

نظرتْ إليّ مرة أخرى كأنها تحاول إيجاد الكلمات، وانتظرتُ أن تتحدث؛ فأنا لم أرد تغيير الموضوع، بل أردتُ أن أسمع ما لديها.

بعد أن احتستْ كأس الشراب، مسحتْ فمها، ونظرت إليَّ قائلة: "أنا لم أفهمك بعد، وهذا شيء غير معتاد بالنسبة لي؛ فأنا عادة أستطيع سبر أغوار الشخص بهذه السرعة..."، وفرقعتْ أصابعها في نهاية جملتها الأخيرة.

"أنا لغز داخل أحجية داخل معضلة".

مالت إيمي برأسها وقالت: "من قال ذلك؟".

"أنا قلته الآن".

"لا، أعني ...".

"أعتقد أنه الممثل جو بيشي".

ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وقالت: "أعتقد أن القائل هو تشرشل".

"لم أشاهد أفلامه!".

كانت إيمي تستمتع بهذا الحوار، أو هكذا تظاهرت. ثم قالت وهي تقرأ تعبيرات وجهي: "أنا أقول إن حدسي يخبرني بأنك شخص صالح، لكن في الوقت نفسه

تراودني أيضًا شكوك حول ما حدث في المنزل الحجري في تلك الليلة. وأنا كنت صريحة في هذا الأمر ولم أخفه".

"أجل، لقد كنتِ واضحة في ذلك. كنتِ تعتقدين أنني من سرق الدفتر السري".

"كنت أشك في ذلك".

لم أرد.

فسألتني: "ألم تفعل ذلك؟".

"ولماذا أفعل شيئًا كهذا؟".

"هـذه ليست إجابة. هذا رد على سؤال بسؤال آخر، وتلاعب بالمحادثة. أنت بارع في ذلك. هل تعرف هذا؟".

هززت رأسي نفيًا وقلت: "أنا؟ أنا مجرد شرطي بسيط".

فقالت: "وأنا مجرد فتاة قروية من أبلتون"، ثم لوحت لي بأصبعها وأردفت: "ما الأشياء الأخرى التي أنت عليها سوى ذلك، أيها المحقق هارني؟ أنت لست بسيطًا، بل أنت في الحقيقة ذكي للغاية، أذكى بكثير مما تريد لأي شخص أن يظن بشأنك".

"وهو ما يسمح لي بالتلاعب بهم".

همت إيمي بالرد، لكنها فتحت يدها واكتفت بقولها: "بالضبط".

قال النادل وهو يسكب آخر ما تبقى من زجاجة الشراب في كأسينا: "كيف هي الأحوال هنا؟".

قلت: "الأحوال عظيمة؛ فأنا أكتشف أشياء كثيرة عن نفسي".

طلبتُ زجاجة شراب أخرى، فابتسمت إيمي ابتسامة خفيفة، وكان بوسعي تخمين ما تظنه، وهو أنني أحاول إغراءها بشرب المزيد.

عندما غادر النادل، قلت لها: "إذا كنتِ تعتقدين أنني سرقت الدفتر السري، فلماذا تجلسين معي الآن؟ لماذا ترغب محامية صالحة، ذات سجل وظيفي مبهر ومستقبل مشرق، أن تكون لها علاقة بشرطي فاسد؟".

فكرت إيمي للحظات، وعضت شفتها السفلى، وكانت عيناها تتراقصان. ورأيت على وجهها ابتسامة خافتة، لكنها كانت مصطنعة.

وأخيرًا قالت: "لا أعرف! أنا نفسي أحاول معرفة السبب".

الفصل 45

أوقفت السيارة أمام المبنى الذي تسكن فيه إيمي.

وقلت: "سأوصلك إلى باب المبنى".

نظرت إلي ورفعت حاجبها.

فقلت: "إليَّ الباب فقط. إنني فقط أتصرف كرجل مهذب".

قالت: "يا للشهامة!".

"هكذا ربتني أمي".

كان الطقس باردًا، لكنني لم أشعر به كثيرًا؛ فقد كانت مشاعري متأججة.

عند باب المبنى، التفتت إليّ إيمي، وقالت: "كان لقاءً ممتعًا. أنا لا أفعل هذا كل ...".

قاطعتها بعناق حميمي، استعنتُ فيها بعنصر المفاجأة، لكنني كنت متفاجئًا مثلها بالضبط. فأنا لم أستطع منع نفسي، إذ أردت فعل ذلك منذ أول لحظة رأيتها فيها، حتى عندما كانت تتربص بي، وتحاول وضع نهاية لمسيرتي المهنية، وتجتهد لكي تضعني خلف الأسوار. لا أعرف لماذا أردت ذلك، لكنني سئمتُ من محاولة معرفة السبب.

تركتني أكمل، وكانت هذه مفاجأة أخرى، لكنها لم ترغب في أن تزداد إثارة الأمر عن ذلك أمام مبناها، وإنما حاولت أن تجعل الأمر يبدو حميميًّا بما يسمح لي بأن أفهم أنه لا بأس في ذلك، وأنها أرادت القيام به أيضًا.

وضعت إيمي يدها المكسوة بقفاز على وجهي، فجذبتُها نحوي.

ما حاولت وضعه من حدود خرقته هي نفسها، في الوقت ذاته جعل الأمر أكثر حميمية. لقد مررت بعلاقات عاطفية قليلة على مدار السنوات الثلاث الماضية، بما في ذلك علاقتي مع كيت، لكنها في الغالب كانت علاقات مدفوعة برغبات جامحة، لكن هذه العلاقات بعيدة كل البُعد عن هذه العلاقة التي أفتح فيها قلبي مرة أخرى، وأسمح لشخص ما بالدخول في حياتي والاستسلام له. لم أشعر بمثل هذا الإحساس منذ...

منذ رحيل زوجتي، منذ وفاة فاليري.

اخترقتني هذه الفكرة كما يخترق السهم الهدف، وشعرت بأنني أنسحب من الموقف، وللحظة أحسست بأن قلبي سيقفز من صدري.

لكنني لم أعتقد أن إيمي لاحظت هذا؛ فهي على الأرجح اعتقدت أنني احتجت لبعض الهواء. أخذت إيمي نفسًا طويلًا أيضًا، ووضعت وجهها في مقابل وجهي، ثم عادت بظهرها إلى الوراء سريعًا لتنظر إليَّ.

وقالت: "أنت ... تبكي؟".

قلت وأنا أمسح خدي: "كلا، إنه تأثير البرد".

نظرت إليَّ بطريقة مختلفة، وكأنها تفتش داخل عينيَّ، وتحاول اكتشاف شيء بخصوصي.

كررتُ كلامي قائلًا: "إنه تأثير البرد".

لم تصدق إيمي كلامي، لكنها لم تجادلني أيضًا. كان كلانا متفاجئًا بما حدث.

قلت لنفسي: *تماسك يا هارني. ما خطبك أيها الأحمق؟*

همست إيمي: "بيلي".

فقلت: "عيناي عادة ما تدمعان في البرد".

أومأت إيمي، لكن وجهها كان لا يزال يحمل تلك النظرة التي توحي بمحاولة اكتشاف ما بي.

قلت: "أنا ... حسنًا، اسمعي. هناك شيء أنت لا تعرفينه بشأني، وهو أنني كنت متزوجًا منذ ثلاث سنوات، ثم ...".

قالت: "أعرف، أعرف كل هذا".

أطلقتُ زفيرًا، وقلت: "حسنًا، لقد كان من الغريب بالنسبة لي أن...".

أخـذ كلانا لحظـة لتهدئة الموقف، لكـن ما حدث بيننا للتـو سوف يجعلني أستغرق الليلة ساعات لكي أحاول أن أنام.

عدلـت إيمي وقفتها بحيث أصبح وجهها أمام وجهي تمامًا، وقالت: "أعرف مـا حـدث، وأعلم أن هـذا ليس من شأني، وليس لديَّ الحق لأقول مـا سأقوله، ورغم أنني لم أكن موجودة حينذاك، لكنني سأقوله على أية حال".

كنـت لا أزال أحـاول التقـاط أنفاسي. سحبـت إيمي وجهـي ليقابل وجهها وكأنهـا ستندفع ناصيتي مـرة أخرى، لكنها لم تفعل، بـل أمسكت وجهي بيديها وهمست: "ما حدث لم يكن خطأك".

ثم ربتت خدي، ودخلت المبنى.

الفصل 46

قدت السيارة إلى منزلي وسط الضباب. كان يجب أن أكون أكثر حذرًا؛ فأنا أعلم أن ويزنويسكي يراقبني عن كثب، ومتأكد أنه قتل الرجل ذا المعطف البني الذي قابلته في محطة المترو، ولا يوجد سبب يجعله يتوقف عند هذا الحد، لأنه إذا كان يحاول وضع نهاية لتحقيقي، فسأكون أنا الضحية التالية.

غير أن كياني لا يزال يرتجف بسبب كل ما حدث مع إيمي. كان عشاءً لطيفًا وتحية حارة نودع بها ليلتنا، لكنها لم تكن مجرد تحية، بل كانت نوعًا من التواصل، كانت عبارة عن شيء تعجز الكلمات والإيماءات عن وصفه، شيئًا كان قابعًا في قرارة نفسينا، وكان كلانا يقمعه، لكنه تحرر في تلك اللحظات.

ماذا دهاك، يا هارني، هل تحولتَ فجأة إلى شاعر؟

دخلت منزلي، ووضعت هاتفي ومعطفي، وصعدت الدرج بخفة وكأنني أطير، ثم دخلت غرفة نومي، ونظرت إلى السرير الكبير. كان الجانب الأيمن من السرير (الجانب الذي أنام عليه) متجعدًا، وطرف اللحاف مقلوبًا إلى الجانب الأيسر، والوسادة مائلة إلى الجنب، بينما كان الجانب الأيسر من السرير (جانب فاليري فيما مضى) مهندمًا.

تذكرت كلمات إيمي لي: *لم يكن خطأك.*

كان لطيفًا منها أن تقول ذلك، لكن كيف علمت هي بما حدث؟

مـددت يـدي المرتعشة لالتقاط زجاجـة الشراب من فـوق منضدة الزينة، وفتحـت فمي وأفرغت فيه الزجاجة. كان ذلك تصرفًا غبيًّا وفكرة مريعة، لكني كنت بحاجة لإنهاء هذه الليلة.

ألقيـت بالزجاجة الفارغة، وسمعت صوت تهشمهـا على الأرض، ثم أخذت نفسًـا عميقًـا، وانتظرت أن يصـرف الشراب عـن ذهني هذا الهـراء الخاص بالحب الدائم، ولم يستغرق الأمر طويلًا.

مشيـت مترنحًـا عبـر الصالـة، نحو غرفـة نوم صغيـرة بجانـب الحمام. كان يوجـد بهـا سريـر أطفال على شـكل عربة أميـرة مطلية باللونيـن الوردي والبنفسجـي، وكان هنـاك صندوق ألعـاب وردي اللون على الأرض مليئًا بدمى الحيوانـات والأميرات، وكانت الجدران مطليـة بلون أخضر خفيف لتتماشى مع لـون السجادة المنقطـة باللونين الوردي والأخضر. أتذكـر أنني قضيت ظهيرة يوم بأكملها في متجر ميناردز لاختيار طلاء للجدران يتماشى مع تلك السجادة المنقطة.

كانت علـى السرير تنورة مزخرفـة أرجوانية اللون، وقميـص قطني أبيض مكتوب عليه بأحرف براقة بنفسجية اللون: **أبي يحبني**.

سقطـت مستنـدا إلى الحائط حتـى وقعت على الأرض. أخرجت كل ما في صـدري، ولم أستطع التوقـف، فصنعتُ بركة صغيرة علـى الأرض؛ حيث بكيت بشـدة، لدرجة أن رئتي كانتا على وشك الانفجار، وكادت معدتي أن تتشابك في عقد.

بكيت بشدة لدرجة أنني لم أستطع التنفس.

بكيت بشدة لدرجة أنني لم أسمع صوت الباب الأمامي وهو يفتح.

لكننـي سمعت وقع الأقدام القادمة من الممر، وكنت أميز هذا الصوت. من الممتع أن يستطيع المرء تمييز إيقاع وصوت خطوات قدم شخص ما. أعتقد أن هذا يحدث عندما تظل تسمع هذه الخطوات طوال عمرك...

دخلت باتي الغرفة، وعضت شفتها، وفردت ذراعيها.

وقالت: "يا إلهي. انهض، أيها الوسيم".

مسحتُ وجهي بكم قميصي، وساعدتني باتي على الوقوف على قدمي، مثلما يفعل الأب مع طفله، وساعدتني على السير إلى غرفة النوم.

قالـت باتي وهـي تضعني في السرير وتغطيني باللحـاف: "كل شيء سيكون على ما يرام".

أغلقـتُ عينـيَّ وانتظرت قـدوم النوم. سمعـت وقع أقدام باتـي وهي تذهب للطابـق السفلي، ثم عادت لتكنس قطع الزجـاج المكسورة ثم شعرتُ بأنفاسها على وجهي.

قالـت: "كل شـيء سيكون على ما يـرام، يا أخـي الصغير. ستكـون الأمور بخير".

أقبل النوم عليَّ من كل الاتجاهات ليطرد صورًا تلوح أمام عينيَّ...

- طفلـة ترتـدي قبعـة ذكـرى ميلادهـا، وتطفئ شمعـة واحدة علـى كعكة أرجوانية اللون...

- فاليـري تريني أول صورة بالموجات فـوق الصوتية للجنين والدموع تملأ عينيها...

لم يكن هذا خطأك

- دوي صفارات سيارات الشرطة...

- صديقي ستيوارت يجلس بجانبي في وحدة العناية المركزة، ويخبرني بأن أتماسك...

لكنني ركزتُ على كلمات أختي، وتخلصت من كل هذه الصور، وتشبثت بقوة بكلمات باتي: *كل شيء سيكون على ما يرام*.

عندما فتحت عينيَّ مرة أخرى، كان المنبه يصرخ في أذني، وشعاع الشمس العنيد ينفذ من النافذة، وكانت باتي قد رحلت.

لكن التليفزيون كان مفتوحًا على قناة الأخبار التي عادة ما أتابعها.

كانت المراسلة التليفزيونية تقف أمام منزل بضاحية لينكون بارك، وخلفها شريط أصفر يحيط بالمكان، ورجال الشرطة وخبراء الطب الشرعي يصعدون ويهبطون السلالم.

قالـت المراسلـة: "... وتقول السلطـات إن الضحية تعرضـت للتعذيب قبل قتلها...".

كنت أعرف هذا المنزل، وقد *فتشته بنفسي شبرًا شبرًا*.

كان هذا منزل رامونا ديلافو، مديرة البيت الحجري.

الفصل 47

أوقفت سيارتي على بُعد مربعين سكنيين من منزل رامونا ديلافو، وكان هذا ثاني صباح على التوالي أكون فيه في مسرح جريمة مكتظ بشاحنات وسائل الإعلام والمراسلين الصحفيين، وكان هناك شرطي يحاول تنظيم حركة المرور حول الشريط الأصفر.

كان أول شخص رأيته هو جولدي. بالطبع كان هناك؛ فهذا الرجل موجود في كل مكان. أومأ لي جولدي وأشار بأن أتجه إلى الباب الأمامي.

قال: "الخادمة وجدتْها ميتة هذا الصباح، وقد توفيت في وقت ما ليلة أمس".

صعدنا الطابق الثاني. كانت رامونا ديلافو تحدق مباشرة نحوي، وكانت جالسة على كرسي ورأسها مائل إلى اليمين، ويعلو وجهها تعبير يائس، وعيناها قد فارقتهما الحياة.

كان فمها مملوءًا بالدماء. وأعتقد أنه ربما قُطع جزء من لسانها، لكن هذا كان مجرد تخمين.

كانت ترتدي بلوزة حريرية مفكوكة الأزرار، وكانت هناك جروح قطعية متعددة في الجزء الأوسط من جسمها، ولم تكن مجرد خدوش، بل شقوق مؤلمة أُجريت ببطء وعناية.

كانت يداها - اللتان تقبضان بقوة على مسند الكرسي - قد تم بترهما، ونُزعت العديد من أظافرها الطويلة الملمعة بالكامل، وقُطع أصبعها الخنصر الأيسر من عند المفصل.

لكن قدميها العاريتين كانتا أسوأ حالًا؛ فقد نُزع العديد من أظافرهما المطلية أيضًا، وهُشم عدد من أصابعهما لدرجة أنهما بدتا كالبطاطس المهروسة.

لا يتطلب الأمر الكثير من التحريات لمعرفة أن رامونا ديلافو تعرضت لتعذيب بشع.

قال جولدي: "لقد افتتح أحدهم فرعًا لمعتقل جوانتانامو في هذه الغرفة".

اقتربت من رامونا بخطوات حذرة، ورأيت آثار قيد على رسغيها وقدميها، وكانت رفيعة وليست عريضة، وقد أحدثت جروحًا في الجلد".

قلت: "لقد قيد الفاعل رسغيها وكاحليها بالكرسي، ما سهَّل عليه تعذيبها".

قال صوت قادم من خلفي: "هناك شخص يسعى بجنون للعثور على الدفتر السري".

سرت قشعريرة في جسدي، والتفت فرأيت الملازم بول ويزنويسكي، الذي كان يحدق فيَّ مباشرة، وكانت الكلمات التي قالها تحمل اتهامًا واضحًا.

قال لي وهو يومئ برأسه نحو الضحية: "لدينا بعض الأسئلة لنطرحها عليك بشأن هذا".

قلت في نفسي: *حقًّا؟ وأنا لديَّ الكثير من الأسئلة لك، يا ويزنويسكي.*

ثم خطر ببالي شيء ما، وربما كان السبب هو رؤية ويزنويسكي مع رامونا ديلافو في غرفة واحدة. لكن الفكرة باغتتني بعنف مثل لكمة قوية كان يجب أن أتوقعها منذ وقت طويل.

تذكرتُ تلك الليلة التي قابلت فيها رامونا ديلافو للمرة الأولى في أثناء الغارة على البيت الحجري.

الغارة التي حاول ويزنويسكي إقناعي بعدم القيام بها.

لم يكن من المفترض أن أقوم بتلك الغارة على البيت الحجري في هذه الليلة، ولم يكن أحد يعلم أنني سأقوم بها، وأنا نفسي لم أكن أعلم؛ فأنا لا أعمل في شرطة الآداب، بل محقق جرائم قتل، ولم أدخل البيت الحجري إلا لأن المشتبه به في جريمة قتل الطالبة بجامعة شيكاغو كان موجودًا بداخله.

وهكـذا عثـرتُ بالمصادفة علـى بيت يقصـده نخبة من مشاهيـر شيكاغو ورجال السلطة بها لقضاء سهرات مشبوهة.

لقـد كان يحيرنـي دائمًا كيـف يضع هـؤلاء الأشخاص البـارزون وأصحاب الملاييـن والساسة أنفسهم في خطـر من خلال زيارة مثل هذه الأماكن، لكنني أدركت الآن لماذا لم يروا في الأمر مخاطرة كبيرة.

كانوا يعرفون أنه لن يتم القبض عليهم، لأنهم يتمتعون بحماية من الشرطة.

لكنني ظهـرتُ فجأة بصورة غير متوقعة لأحقق في جريمة قتل مع مجموعة صغيرة من زملائي من رجال الشرطة الأمناء، وقبضتُ على كل من بالمبنى.

لهـذا حاول ويزنويسكـي إثنائي عن اقتحام المكان في تلـك الليلة. وعندما أصـررت، لم يكن لديـه خيار آخر - فقد كان عدد كبير مـن المحققين قد رأوا أمورًا كثيرة بالفعل - لكنه في البداية حاول جاهدًا أن يجعلني أعدل عن قراري.

قـال لي تلـك الليلة *نحـن لسنـا شرطـة الآداب، والقبض على هـؤلاء ليس وظيفتنا*.

وحذرنـي قائلًا: *إذا أخفقت في هذا، فقد تكون هذه هي آخر عملية اعتقال تقـوم بها على الإطلاق. وستلطخ سمعة أبيـك، وأختك أيضًا. ستضع نفسك في ورطة أنت في غنى عنها، وأنت أمامك مستقبل مشرق، يا بيلي*.

لقـد كنـت أعتقـد أن ويزنويسكـي مجـرد شخـص جبـان يحـاول ألا يثير الاضطرابـات من خلال القبض على الساسة البارزين وكبير رجال الدين. كنت أعتقد أنه يحاول تأمين منصبه وحسب.

لكنـه لـم يكن يسعى لتأميـن منصبه، بـل كان يحاول مساعـدة الأشخاص الذين يدفعون له مقابل هذه المساعدة.

لقد كان البيت الحجري جزءًا من شبكة الحماية التي يديرها ويزنويسكي.

ولـم يكـن أحد يعرف هـذا أفضل من رامونـا ديلافو، فقد كانـت تعرف أن رجـال الشرطـة يحمونها، وكانت تعـرف الزبائن الذين تشملهـم هذه الحماية أيضًا. وهكذا كانت رامونا بمثابة كنز من المعلومات.

لكنهـا ماتـت الآن، ولم يعـد بإمكانها التحـدث عن شبكة حمايـة، ولم يعد بإمكانها ذكر أسماء.

حدقت في عينيّ ويزنويسكي. كنت أعرف أنه مَنْ قتل الرجل صاحب المعطف البني الذي قابلته في محطة المترو؛ إذ من المستحيل أن يحدث هذا مصادفة.

والآن أدركت أنه قد يكون هو من قتل رامونا ديلافو أيضًا. ربما كان ويزنويسكي يحاول تصفية كل الأمور العالقة.

قال ويزنويسكي: "لنبدأ بهذا السؤال: متى كانت آخر مرة رأيت فيها الضحية؟".

كدت أقول: آخر مرة رأيت فيها رامونا ديلافو؟ حسنًا، آخر مرة رأيتها فيها كانت تقابل أختي سرًّا في مقهى تايسون بشارع راش.

وكأن هذه كانت إشارة، وكأن المخرج المسرحي قال للممثل: *ادخل المسرح حالا*... فقد دخلت المحققة باتي هارني الغرفة ونظرت إلى جثة الضحية المعذبة.

ثم نظرت إليّ.

تذكرتُ كلماتها لي وأنا في غياهب عدم الوعي ليلة أمس: *كل شيء سيكون على ما يرام، يا أخي الصغير. ستكون الأمور بخير.*

قلت لنفسي: لا، لا يمكن أن تكون باتي هي الفاعلة.

قال ويزنويسكي: "أنا أنتظر إجابة منك".

نظرتُ إلى ويزنويسكي، ثم إلى أختي.

ما الذي يجري بحق الجحيم؟

الجزء الخامس

الوقت الحاضر

الفصل
48

كانت رائحة طهي النقانق على الشواية تستفز معدتي استفزازًا لذيذًا، وصوت سباب أخي أيدن كلما تطايرت بعض عصارات النقانق في عينيه وهو يحوم حول الشواية، يأخذني إلى ذكريات مريحة للنفس.

"شارفت على الانتهاء"، قالها أيدن وهو يسير من الرصيف إلى العشب الرطب في الباحة الخلفية، ثم مسح العرق عن جبينه، وأردف: "ستأكلون نقانق *لا مثيل لها*". وصنع بأصابعه إشارة تشير إلى أن الأكل سيكون رائعًا.

تمتم براندون وهو يقذف كرة قدم باتجاه أيدن: "وكأن طهي النقانق أمر صعب. أيها الطاهي المحترف، كل ما عليك فعله هو أن تضعها على الشواية، ثم تضعها في الخبز".

إنها ذكرى يوم ميلاد أبي الحادي والستين، وقد أقمنا احتفالًا بسيطًا بهذه المناسبة يتمثل في حفلة شواء في الباحة الخلفية لمنزل العائلة؛ حيث جاء براندون بالطائرة من دالاس، بينما جاء أيدن بسيارته من مدينة سانت لويس. قال أبي إنه لا يريد حفلة كبيرة، قياسًا إلى الحفلة الهائلة التي أقمناها له العام الماضي (عندما بلغ الستين)، لكنني كنت أعرف أن السبب في طلبه هذا هو أنا. كان الجميع ينظرون إليّ - إلى الأخ الأصغر، ضحية الإصابة الدماغية والناجي الوحيد من جريمة قتل مزدوجة راحت ضحيتها المحققة كاثرين فنتون

ومساعدة المدعي العام إيمي لنتيني - وكأنني دمية هشة من الخزف. هم غالبًا قالوا لبعضهم: *لن نقيم حفلة كبيرة؛ فبيلي ليس مستعدًّا لهذا بعد.*

من الناحية الجسدية، ربما لم أعد إلى حالتي الطبيعية، لكنني كنت في حالة جيدة؛ حيث كنت أستطيع العيش دون مساعدة، والقيام بأحد عشر تمرين ضغط، والنوم لمدة خمس ساعات دون انقطاع. وعادت شهيتي للطعام مرة أخرى، رغم عدم قدرتي على تناول الخضراوات، أو على الأقل هذا ما أقوله لباتي في كل مرة تضع فيها خضراوات أمامي.

أما من الناحية النفسية، فالوضع مختلف تمامًا. إنني أفتقد كيت للغاية، لأنها كانت تُمثل جزءًا من حياتي لوقت طويل. إذ كانت شريكتي في العمل. كنت أراها تقريبًا كل يوم على مدار سنوات، لكن الأشياء أخذت منعطفًا غريبًا في النهاية؛ حيث توترت علاقتنا وفقدنا الثقة في أحدنا الآخر.

ثم إيمي؛ آخر شيء أتذكره عنها هي الليلة التي تناولنا فيها العشاء مع بعضنا. وفي نهاية الليلة، تبادلنا التحية، وشعرتُ بانفجار شيء في داخلي، وكأنه كانت هناك كهرباء سرت بيننا. انتابني إحساس لم أشعر به منذ وفاة فاليري. أتذكر كيف هزني هذا الإحساس، وكيف أخافني، وأتذكر أن إيمي انتابها الإحساس نفسه تجاهي.

الآن كل ما لديَّ هو وجع مكتوم، ألم لا أستطيع تحديده ولا معرفة موضعه. هل هذا الألم ناتج عن فقدان شخص وقعتُ في حبه، أم أنها لدغة الخيانة؟

أتمنى لو أستطيع التذكر.

قال أبي وهو يمسك زجاجة شراب في يده ويمسح وجهه: "لقد قضينا الشتاء بطوله نتذمر من البرد، والآن لا يمكننا تحمل حر الصيف". فعلى الرغم من أن الشمس كانت في طريقها للاختباء خلف الأشجار في الباحة الخلفية لمنزل العائلة، فإن الجو شديد الحرارة في عصر أيام شهر يوليو.

كان أبي يكبت مشاعره، وكان تعليقه على الطقس هو وسيلته للاطمئنان على صحتي، كانت هذه هي طريقته في إبداء الاهتمام، وكان هذا طابع أسرة هارني؛ فنحن لم نكن أسرة تجيد التعبير عن مشاعرها.

سألته: "كيف يجري التحقيق؟".

قال: "أي تحقيق؟". فأبي - باعتباره كبير المحققين - يتعامل مع عدد لا يحصى من القضايا، وهو في الأساس يشرف عليها جميعًا.

نظـرت له وقلت: "جريمة القتل المزدوجة. لعلك تتذكرها؛ تلك التي أُصبتُ فيها بطلق ناري في مخي!".

فتجمدت ملامح أبي، وقال: "لا أحد يخبرني بشيء".

منـذ أن شملنـي التحقيـق، لم يعـد مسموحًا لأبـي بالمشاركة فيـه أو حتى الإشراف عليه؛ بما أنني قريب من الدرجة الأولى بالنسبة له.

قلت: "إذا أسعفتني الذاكرة، فإن لك عيونًا داخل القسم".

ليسـ من الصعـب على أبي وجولدي الاطـلاع على سير التحقيـق إذا أرادا ذلك، وقد أرادا ذلك.

تهرب أبي من الإجابة عن سؤالي وقال محاولًا تهدئتي: "أنا متأكد أن موقفك سيكون على ما يرام، وأعتقد أن الأدلة تبدو واضحة دون لبس: كيت دخلت عليك أنت وإيمـي، فأعمتها الغيرة، فأطلقتْ النار عليك، فبادلتَها إطلاق النار، ومات شخصـان في أثناء ذلـك، لكنك حالفك الحظ. بالنسبة لـي، الشخص الوحيد الـذي ارتكب جريمة في تلك الغرفة هي كيت، وهـي الآن ميتة. ولو كنتُ مسئولًا عن هذه القضية، لأغلقتها دون توجيه اتهام لأحد".

كان الأمل في صوته واضحًا، لكنه لم يجب عن سؤالي إلى الآن.

نظر إليّ أبي كأن لديه شيئًا ليقوله ويحاول أن يقرر إذا ما كان سيقوله أم لا. كنت منتظرًا أن ينهي أبي الصراع مع نفسه بشأن هذا القرار.

قال: "أوه، سحقًا! لم أكن أريد التطرق لهذا الآن. ليس الليلة".

"التطرق لماذا؟".

نفـث أبـي هواءً من فمـه، وقال: "سـوف... سـوف يتولى التحقيـق ضابط جديد".

"مَنْ؟".

هز رأسه وقال: "ويزنويسكي".

تراجعتُ خطوة للوراء، وقلت: "كيف؟...".

"هو من طلب ذلك، وقد ذهب إلى رئيس الشرطة شخصيًا".

"رئيس الشرطة الذي يريد رأسي على طبق؟".

"هو بعينه، أجل".

"أحـال التحقيـق إلـى ويزنويسكـي؟ الشخصـ الـذي يدير شبكـة حماية مشبوهـة؟ الشخصـ الذي حاول أن يقنعني بعدم مداهمـة البيت الحجري لأنه

كان يحمي رجال السياسة الذين قبضتُ عليهم؟ الشخص الذي قتل مديرة ذلك البيت حتى لا تشي به؟ الشخص الذي قتل رجل الشرطة الذي قابلته على رصيف المترو لأنني كنت قريبًا من...".

رفع أبي يده لكي يهدئني، وقاطعني قائلًا: "ليست لدينا أدلة على أي من ذلك. أعلم أنك محق، لكن *اعتقادي* ليس مهمًّا، وعلينا أن *نثبت* أن ويزنويسكي ضابط قذر".

ألقى أبي بزجاجة الشراب، ومن حسن الحظ أنها وقعت على العشب، بدلًا من أن تتكسر على أرضية الشرفة.

قال: "كنت سأستقيل من الشرطة احتجاجًا على الطريقة التي عاملوك بها، لكن ماذا سيعود عليك بالنفع لو فعلتُ هذا؟ فأنا لن أستطيع مساعدتك كمواطن مدني، لكن حتى إذا أبعدوني عن القضية الآن، ربما هناك *شيء ما* يمكنني فعله".

جاءت باتي من الباب الخلفي حاملة وعاءً زجاجيًّا كبيرًا من السلطة. لن يأكل أي من الرجال هذا إلا إذا أشهرت باتي سلاحها في وجوههم، وهذا احتمال قائم طوال الوقت.

قالت باتي، كأنها كانت أحد أطراف المحادثة من البداية: "أنتما تغفلان أمرًا مهمًّا يا جماعة". نظرتُ خلفي ولاحظت أن شباك المطبخ مفتوح. لا بد أن باتي استمعت إلى حديثنا عبره.

سألتها: "ما هذا الأمر المهم؟".

قالت: "الأمر المهم هو أنه يجب أن تستعيد ذاكرتك. وحتى تفعل ذلك، ستظل في قبضة ويزنويسكي".

الفصل 49

ضيّقت الدكتورة جيل جاجودا عينيها، ونظرت إليَّ بتركيز، ثم مالت للوراء وأسندت ظهرها إلى الكرسي الجلدي عالي الظهر، ووضعت ساقًا فوق الأخرى، وخلعت نظارتها ذات الإطار الأسود، وسحبت خصلة من شعرها الملون، المنسدل هذه المرة على كتفيها، إلى خلف أذنها.

وقالت: "أهذا كل شيء؟ أهذا كل ما يمكنك تذكره؟".

أجبتها: "هذا كل شيء".

"أنك خرجت في موعد مع إيمي لنتيني، والذي أثار فيك الكثير من العواطف، ثم عدت إلى المنزل وغمرتك الأحزان، ثم جاءت أختك إلى المنزل. هل معها مفتاح؟".

"لمنزلي؟ أجل، بالطبع، باتي معها مفتاح".

"وفي صباح اليوم التالي، عُثر على رامونا ديلافو - المرأة التي كانت تدير البيت الحجري - مقتولة بعد تعرضها للتعذيب".

"هذا صحيح".

"إذن في غضون يومين، قُتل شخصان: المرأة ورجل الشرطة الذي قابلته على رصيف المترو".

"صحيح، كأن شخصًا كان يحاول تنظيف الفوضى".

قالت وهي تميل للأمام: "ثم ...".

قلت: "ثم لا شيء. لا أتذكر شيئًا واحدًا بعد هذا. أُسدل الستار وانتهت القصة. أتمنى أن تكونوا استمتعتم بالعرض. شكرًا على حضوركم. صحبتكم السلامة".

فرفعت حاجبيها، وقالت: "كان هذا قبل أسبوعين من إصابتك بطلق ناري".

"أعلم ذلك".

"ذاكرتك فُقدت لمدة أسبوعين كاملين؟".

صنعت قبضة مغلقة بيدي، ثم نفخت فيها وفتحت أصابعي قائلًا: "بووف!".

سألتني: "ألا تتذكر حتى محاكمة البيت الحجري؟ عندما حوكم العمدة وكبير رجال الدين والآخرون الذين قُبض عليهم في ذلك المبنى... ".

قلت: "كلا، لكنني قرأت عنها منذ بدأت، مثل الجميع في أنحاء البلاد، لكنني أشعر كأنني أقرأ عن شخص آخر؛ فأنا لا أتذكر أي شيء عن تلك المحاكمة".

قالت: "أنا ... حسنًا"، ثم قامت الطبيبة النفسية ذات التعليم الراقي بعضّ شفتها السفلى. كانت تلبس رداءً آخر طويلًا بلا أكمام، لكنه اليوم ذو لون أزرق غامق. من الواضح أنها تتأنق من أجل عملها. لا أرى خاتم زواج أيضًا... هذه أشياء اعتدت ملاحظتها بحكم عملي كمحقق، وليس القصد أنني منجذب إليها... ربما في ظروف أخرى.

قلت: "ماذا تريدين أن تقولي؟".

"حسنًا، إن فقدان الذاكرة له جانب بدني وجانب نفسي، وعادة ما يكون السبب في فقدان الذاكرة لأحداث قريبة من وقت وقوع الإصابة الصادمة هو سبب بدني. فالمرء يتعرض لحادث سيارة، لكنه لا يتذكر لحظة الاصطدام. في هذه الحالة، يفقد المرء الوعي، ويحدث له ما يسمى بفقدان الذاكرة الرجعي".

"هذا هو الجانب البدني".

"أجل، أو يحدث فقدان الذاكرة العصبي، وهو فقدان الذاكرة بسبب إصابة في المخ، وهذا جانب بدني أيضًا، ومن الممكن أن تفقد ذاكرتك بالكامل بسبب إصابة شديدة كتلك التي تعرضتَ لها".

قلت: "كان من الممكن حدوث هذا، لكنه لم يحدث".

"بالضبط، لم يحدث؛ فالقدر الذي فقدته من ذاكرتك محدود للغاية، وتم احتواؤه. يبدو أنه كانت لديك ذكرى قوية وحيوية، وقد اختفت هذه الذكرى

بشكل مفاجئ - وعنيف غالبًا - في غمضة عين. فتحولتْ من ذكرى ثلاثية الأبعاد مليئة بالألوان إلى ثقب أسود تمامًا".

"هذا صحيح. أتذكر أنني كنت في شقة رامونا ديلافو ثم تلاشى كل شيء فجأة كما أخبرتك".

فقالت: "السبب ليس بدنيًّا، بل عاطفي. أيًّا كان ما حدث يا بيلي، فالمشكلة ليست أنك لا تستطيع التذكر، بل أنك لا تريد التذكر".

الفصل 50

سرت على غير هدى في الشوارع، أو كما يروقني تسمية الأمر: مارست تمرينًا علاجيًّا، وهو السير لثلاثة كيلومترات في اليوم، هذا إذا كانت خطواتي العرجاء تعتبر سيرًا. أخذت أحرك قدمي وذراعيَّ على أمل أن تقوم معًا بتحفيز شيء في عقلي؛ فيتضح كل شيء فجأة. لكنني لم أسر أكثر من مربع سكني قبل أن يغطي العرق وجهي ويلتصق قميصي بصدري.

إن فقدان ذاكرتك أشبه بوضع غرض ما في مكان ثم نسيانه، باستثناء أنك لا تعثر على الغرض الذي فقدته وحسب، بل إنك حتى لا تعرف ما الذي فقدته من الأساس. فتسير عبر الضباب على أمل أن تصطدم بشيء ما وتدرك أنه الغرض الذي فقدته.

أو، كما قلت، تمارس تمرينًا علاجيًّا.

كان الوقت صيفًا، وكان الأطفال منتشرين في كل مكان، يقذفون كرات البيسبول إلى بعضهم، ويرقصون تحت الماء المندفع من حنفية الحريق في الشارع، وينزلقون ويتسلقون ويلعبون في الصناديق الرملية الموجودة بالمتنزهات. وفي كل مكان أنظر إليه، تقع عيناي على لافتات على الطرق أو ملصقات ملفوفة حول أعمدة الإنارة أو مثبتة في الأسوار. وأكثر اللافتات التي رأيتها كانت باللون الأخضر، ومكتوب عليها بأحرف بيضاء كبيرة **انتخبوا مارجريت لمنصب العمدة.**

عندمـا عُزل العمـدة فرانسيس ديلاني من منصبه ملطخًـا بالعار، وأصدر المجلس التشريعي للولاية قرارًا بإجراء انتخابات خاصة على منصب العمدة، اعتقـد الجميع أن المرشح الأوفر حظًّا لنيـل المنصب هو عضو كونجرس يمثل الجانـب الشمالي من الولاية. وكان عضو الكونجرس جون تيديسكو، الوسيم ذو الشعـر الفضي، قد عمل في مجلس النواب على مدار أربعـة عشر عامًا، كانت حملتـه تتلقى دعمًا بملايين الـدولارات، وتتضمن الأشخاص الذين يدينون له بخدمات عبر السنوات التـي قضاها في العمـل العام، لكنه خـرج من السباق متعللًا بسوء حالته الصحية، موجهًا دعمه إلى صديقته المدعي العام مارجريت أولسون.

تقـود مارجريـت القصـوى حاليًّا حشـدًا هائـلًا فـي الانتخابـات الخاصة لتحـل محل العمـدة ديلاني. وهنـاك ثلاثـة أعضاء في مجلس المدينة، واثنان مـن مفوضـي المقاطعـات قـد أعلنوا ترشحهـم أيضًـا، لكـن مارجريت كانت المـرأة الوحيدة، كما أن لديها من الأموال ما يفوق بكثير أي شخص آخر، وكان شعارها - من مكافحة الجريمة إلى مكافحة الفساد - يلقى صدى واسعًا.

كانت مارجريـت أولسون موجودة في كل مكان، علـى التليفزيون والإنترنت وفـي كتيبات منمقة في الصناديـق البريدية. لقد أصبحت المدعي العام الأكثر شراسة وطموحًا في تاريخ المقاطعة قاب قوسين أو أدنى من تولي منصب عمدة شيكاغو.

مشيـتُ لأكثر من ساعة، وكنت قد جلبت زجاجـة ماء معي، لكن بعد نصف ساعـة من المشي، فرغت تمامًا. وصلتُ إلى تقاطع شارع نورث مع جادتي دامن و ميلواكي؛ حيث كان الشبـان المتأنقون الصاخبون يتسكعون في المقاهي ذات المقاعـد المتراصة في الهواء الطلق، أو يحملون الحقائب في أثناء عودتهم من نزهة تسوق في جادة دامن.

أنـا لا أزال شابًّا، لكنني أشعر بأنني كهل. كنت متزوجًا فيما مضى، ومررت بتجربـة أوشكت فيها علـى الموت، وكنت أتحرك مثل شخص في الثمانين من عمـره؛ فكنـت أسيـر وأنا أعرج وأتـأوه بانتظـار أن أعود إلى حالتـي الطبيعية. وعندما وصلت إلى المربع السكني الذي وصلت إليه، كنت على وشك الانهيار.

لكني توقفت فجأة.

كان يقف أمام مدخل منزلي وبمحاذاة الرصيف ثلاث سيارات شرطة وسيارتان سيدان ليست عليهما علامات شرطة. خمس سيارات مليئة برجال الشرطة. هذا يعني شيئًا واحدًا فقط.

وعندما اقتربتُ، أومأ لي بعض رجال الشرطة الذين يعرفونني، ونظروا لي نظرة اعتذار، مفادها أنه لا ذنب لهم فيما يحدث؛ هم فقط يتبعون الأوامر ويقومون بعملهم.

عندما وصلت إلى موكب تطبيق القانون، خرج الملازم بول ويزنويسكي من إحدى السيارتين السيدان، حاملًا ورقة معه. كان بإمكانه على الأقل التظاهر بأنه غير سعيد.

"ويليام هارني؟"، قالها كأننا لم نعمل معًا لسنوات، ثم أردف: "لدينا إِذْنٌ بتفتيش منزلك".

فقلت: "تبًّا! أتمنى لو عرفت ذلك. كنت سأرتب المكان وأصنع بعض الكعك".

اقترب ويزنويسكي مني حتى كاد أنفانا يتلامسان، ثم قال: "ربما من الأفضل أن تقلي بعض البيض، فنحن سنمكث هنا طوال النهار وطوال الليل سأعثر عليه، يا هارني. أنا متأكد من هذا مثلما أنا متأكد من أنني أحدثك الآن".

الفصل
51

خرجت باتي هارني من سيارتها، وأسرعت نحو سيارات الشرطة الموجودة خارج منزل بيلي، ورأت شرطيًّا تعرفه بالشكل وليس بالاسم، فسألته: "أين هو؟ أين أخي بيلي؟".

قال الشرطي: "في السيارة، أيتها المحققة"، وأومأ نحو سيارة بلون الصدأ، واقفة بمحاذاة الرصيف.

وجدت باتي أخاها بيلي في المقعد الخلفي، ورأسه مائل إلى مسند الرأس، ويبدو منهكًا تمامًا. كان السبب في الغالب بدنيًّا؛ فهو لم يستعد عافيته بأكملها، حيث قال الأطباء إن أمامه عامًا كاملًا قبل أن يعود إلى سابق عهده.

نقرت باتي بأصبعها نقرات خفيفة على الزجاج، فمال بيلي برأسه، ونظر إليها. فتحت باتي باب السيارة وقالت: "أنت بحاجة لبعض الهواء المنعش".

قال بيلي: "من الأفضل أن أبقى هنا، وأراقب ما يحدث".

دخلت باتي السيارة، وأغلقت الباب، وجلست بالقرب منه. مال الاثنان برأسيهما حتى تلامسا.

وقالت باتي: "هل أنت بخير، يا أخي الصغير؟".

فهز كتفيه، وقال: "أنا محاط بالضباب، يا باتي. ولا أعرف إذا ما كان يفترض بي أن أتوتر أم أغضب أم أحزن أم ... ماذا".

"أعلم، أعلم. سيكون الوضع على ما يرام. إن ويزنويسكي يحاول فقط الاستمتاع بمضايقتك".

رأت باتي من خلال النافذة رجال شرطة يغادرون المنزل وهم يحملون صناديق. وكان أحدهم يحمل حاسبًا قديمًا بين ذراعيه.

قال بيلي: "سأكون محظوظًا إذا لم ينزعوا المدفأة من الحائط".

دعابة مثل هذه تجعل باتي تظن أن بيلي يعود إلى سابق عهده، لكنه لا يزال بعيدًا كل البُعد عن هذا. لقد كانت الابتسامة تعلو وجهه أينما ذهب، وكان صديق الجميع، والفنان الكوميدي، ومنبع التفاؤل، وكأن الشمس كانت تتبعه أينما ذهب، لكنه يبدو الآن كأن روحًا مظلمة تسكن جسده؛ فقد انطفأ وهج تفاؤله، وهناك سحابة سوداء تحجب الشمس التي كانت تتبعه دائمًا.

قالت باتي لنفسها: *الآن تعرف ما أشعر به، يا بيلي. ليس شعورًا ممتعًا، أليس كذلك؟ الحياة ليست رائعة عندما لا تصبح مثار إعجاب الجميع، عندما لا يخبرك الناس باستمرار كم أنت ذكي وخفيف الظل.*

قال بيلي: "باتي... أنا لم أسألك عن هذا. لقد أردت أن أسأل، لكن...لا أعرف".

التفتت إليه، وقالت: "تسألني عن ماذا؟".

قال: "في الليلة السابقة لإطلاق النار، تعقبتُ رامونا ديلافو، ورأيتك معها في مقهى تايسون في شارع راش".

تجمدت ملامح باتي.

"لماذا قابلتها؟ لم أسألك عن هذا من قبل".

قالت باتي لنفسها: لكنك فعلت يا بيلي. *لقد طرحت عليَّ هذا السؤال من قبل. أنت فقط لا تتذكر.*

أجابت: "كنت أحاول الحصول على الدفتر السري. كنت أحاول مساعدتك".

"عن طريق دعوتها لتناول مشروب؟ أتعتقدين أن هذا كل ما يتطلبه الأمر؟".

أطلقت باتي تنهيدة، ومررت يدها بلطف على ساقه وقالت: "بيلي، بيلي، أنت دائمًا ما تبعد عنك الأشخاص الذين يريدون مساعدتك، وتنجذب دائمًا إلى الأشخاص الذين يريدون ضررك".

"هذه ليست إجابة عن سؤالي".

هزت باتي رأسها، ونظرت إلى خارج النافذة مرة أخرى، فرأت رجل شرطة آخر يخرج من المنزل وهو يحمل صندوقًا.

فقالت وهي تربت ذراعه: "لا تقلق من شيء. فأنا لن أدع سوءًا يحدث لك. أختك ستحميك".

"أنا لا أحتاج إلى حماية، بل أحتاج إلى الحقيقة وحسب".

التفتت باتي مرة أخرى إليه وشعرت بانكسار وتحطم أخيها الصغير، مع أنه كان أصغر منها ببضع دقائق فقط. كانت هي الكبرى، لكن كان الوضع يبدو دائمًا معكوسًا، و*كأنها* كانت هي الصغرى، وكأنها كانت دائمًا تحتاج إلى المساعدة والدعم والحماية من العالم.

قالت هامسة: "تذكر: لا تقل كلمة إلى ويزنويسكي. لا تخبره بشيء".

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل
52

جلستُ في غرفة الاستجواب، ولم تغب المفارقة عن بالي؛ ففي هذه الغرفة استجوبت عشرات المشتبه بهم على مدار السنوات. كنت أعرف المواضع في الأرضية التي تحدث صريرًا عندما يخطو شخص عليها، وكنت أعرف أين يوضُع كرسي المشتبه به، بحيث يصبح مباشرة تحت فتحة التكييف، أو - بناءً على الوقت الذي يُجرى فيه التحقيق بالنهار - يصبح معرضًا بشكل مباشر لأشعة الشمس القادمة من النافذة عبر الستائر لتسقط في عينيه مباشرة.

انفتح الباب، وأطل ويزنويسكي بوجهه المكتنز ورائحة سيجاره. كان يحمل صندوقًا لونه بني، ووضعه على الطاولة بيننا.

قال: "أنت تدرك أنك لست رهن اعتقال، ويمكنك المغادرة".

قلت: "أنا أدرك أنك تقول هذا حتى لا تضطر لأن تقرأ عليَّ حقوقي كمشتبه به؛ ومن ثم لا تضطر لفتح مسجل الفيديو"، وأومأت ناحية الكاميرا المثبتة على حامل في ركن الغرفة.

علت ابتسامة ساخرة وجه ويزنويسكي وهو يجلس على الكرسي.

فسواء قرأ عليَّ حقوقي كمشتبه به أم لا، من الواضح أنني أعرف حقوقي، وأتذكر ما قالته لي باتي وأبي وجولدي، وهو ألا أتحدث مع الشرطة.

لكن الفكرة هي أنني لم أعد على اطلاع بما يجري بالداخل؛ إذ لا يمكنني التقاط سماعة الهاتف وسؤال ويزنويسكي عن سير التحقيق، كما أنهم لن يوافقوا

علـى إخبار أبي بما يحدث، ولذا كانـت الموافقة على إجراء مقابلة هي الطريقة الوحيدة لكي أدفع رجال الشرطة للتحدث.

سألني: "ماذا كنت تفعل خلال الأيام الماضية منذ آخر مرة رأيتك فيها؟".

"تقصد منذ أن قلبت منزلي رأسًا على عقب؟ لقد كنت أنظفه منذ ذلك الحين. ثلاثة أيام من التنظيف، ولا يزال يبدو كما لو أن إعصارًا ضربه".

قـال: "حقًّا! هذا مؤسف للغاية. أريـد أن أريك شيئًا. إنه مقطع فيديو اُلتقط فـي محطة مترو جاكسون"، ثم أمسك حاسبًـا لوحيًّا، وأداره بحيث يمكنني رؤية الشاشة، وضغط على زر التشغيل.

لـم أكن رأيت مقطع الفيديو هـذا من قبل، لكنني أتذكـر مقابلة الرجل ذي المعطـف البنـي؛ الرقيب جو واشنطن. كان المقطع يظهر مـا فعلناه تلك الليلة؛ حيـن كنا نتظاهر بأننا نتقابل سرًّا، وبأنه يسلمني مظروفًا بطريقة تشبه طريقة الجواسيس".

"هل تعرف هذا الشخص؟".

لم أجب.

قـال ويزنويسكي: "إنه الرقيـب جو واشنطن. أنت ربما تتذكـر أنه في الليلة نفسها التي شوهدت فيها معه تتصرف كأنك جيمس بوند، عُثر عليه جثة هامدة فـي سيارته بجادة جاكسون، مصابًا بطلق نـاري في الرأس. هل هناك شيء تود إخباري به في هذا الشأن؟".

قلت: "لا يعجبني عطر ما بعد الحلاقة الذي تضعه".

قال ويزنويسكي: "إذا أسعفتني الذاكرة، أنت كنت في مسرح الجريمة في وقت لاحـق ذلك الصباح. وعندما أفكر في الأمر، فإنني رأيتك في مسرح جريمة قتل رامونـا ديلافو أيضًا في اليوم التالي. على أية حال، لنعد إلى قضية جو واشنطن الآن. لقد تقابلتما على رصيف محطة المترو".

قلت *مقلدًا كلامه*: "*إذا أسعفتني الذاكرة*، فأنا أتذكر أنني رأيتك على الرصيف المقابل لنا تراقب كل شيء يا ويزنويسكي".

فأشرق وجهه بابتسامة، وقال: "هل هذه حقيقة؟".

"نعم، إنها كذلك".

"لكن الكاميرا لم ترصد ذلك".

قلت في نفسي: *أجل، لأنك كنت تختبئ في الظلال منكسًا رأسك.*

وقال كأنه لا يأبه بشيء: "على أية حال ..."، ثم امتدت يده إلى صندوق الأدلة الموجود على الطاولة، وأخرج مسدسًا داخل حقيبة بلاستيكية شفافة، والتي أمسكها من أعلى، تاركًا المسدس يتدلى أمامي.

سألني: "أيبدو مألوفًا لك؟".

"بناءً على التدريب الذي تلقيته لسنوات كي أصبح محققًا، يمكنني القول بأن هذا مسدس".

"أجل، لكن *تصادف أننا وجدنا هذا* المسدس داخل علبة سيجار قديمة في قبو منزلك".

شعرت ببوادر غضب تتسل إليَّ.

قال ويزنويسكي: "لقد استغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى نجده؛ فقد أخفيته ببراعة شديدة".

قلت: "هذا ليس مسدسي".

قال: "لقد حصلنا على تقرير المقذوفات".

"بهذه السرعة؟ حصلتَ على تقرير المقذوفات في ثلاثة أيام؟".

"أجل، لا تستغرب، فأنت ربما لاحظت أن المدعي العام - مارجريت القصوى - مرشحة لمنصب العمدة".

"أجل، لقد رأيت لافتة أو اثنتين عن هذا".

"بالتأكيد رأيتها. "انتخبوا مارجريت لمنصب العمدة". وهذه القضية تقع ضمن أولوياتها؛ فأنت تعلم أن إيمي لنتيني كانت من أفضل مساعديها، وكانت مارجريت تعدها لأشياء عظيمة تمنتها لها".

ثم أخذ ويزنويسكي نفسًا عميقًا في تلذذ، وأمسك بالحقيبة التي بها المسدس مرة أخرى، وقال: "على أية حال، وردنا تقرير المقذوفات حول المسدس الذي عثرنا عليه في قبو منزلك. وخمِّن ماذا؟ لن يستطيع أحد تخمين نتيجة التقرير ولو بعد مليون سنة. لقد صعقتني المفاجأة".

قبضتُ على قصبة أنفي، وكنت أعرف ما سيقوله بعد ذلك؛ فويزنويسكي لن يكون على هذا القدر من السعادة إلا بسبب نتيجة محددة للتقرير.

قلت: "هات ما لديك".

فقال وهو يهز الحقيبة: "لقد أثبت التقرير أن الطلقة التي قتلت الرقيب جو واشنطن خرجت من هذا المسدس. هذا هو المسدس الذي استُخدم في قتل جو واشنطن".

قلت: "دعني أخمن، لكن لا توجد بصمات عليه".

هز أصبعه باتجاهي، وقال: "هذا صحيح، لقد كنتَ ذكيًّا بما يكفي لتمسحها".

"وغبي بما يكفي لأترك المسدس في القبو".

فتح ويزنويسكي يديه، وهز كتفيه، وكأنه يستمتع بما يفعل. ثم قال: "هذه إحدى الغرائب التي يفعلها الناس في هذا العالم. ربما أنت في قرارة نفسك تريد أن يُقبض عليك، يا هارني. ربما تريد التكفير عن ذنبك".

لم أقل شيئًا. لقد نصب لي فخًّا، وكلانا يعرف هذا. لكن ليس هناك ما يمكنني فعله لتحسين موقفي وأنا جالس هنا. سأدعه يحظى بلحظته، وسأحظى بلحظتي لاحقًا، على الأقل هذا ما أخذت أقوله لنفسي.

قال: "ربما لهذا السبب لم تتخلص من هذه أيضًا"، ثم أدخل يده في صندوق الأدلة، وأخرج منها حقيبة شفافة أخرى فيها سكين مطبخ عادية، من النوع المستخدم في تقطيع التفاح. كان طرف السكين مغطى بالدماء.

سألته بنبرة منخفضة: "وما هذا؟".

قال ويزنويسكي وهو يشير بأصبعه إلى رأسه: "لقد طرحتُ على نفسي السؤال نفسه. قلت لنفسي: *لماذا يربط المحقق بيلي هارني سكين المطبخ بشريط لاصق تحت غطاء المرحاض الموجود بقبو منزله؟* لكن فهمت ذلك بعد أن قمنا بفحص السكين، ولأكون محددًا، بعد أن قمنا بتحليل الحمض النووي".

قلت: "حصلتم على نتائج تحليل الحمض النووي في غضون ثلاثة أيام؟".

"الفضل مرة أخرى يعود إلى مارجريت القصوى التي كانت تستعجل النتائج، وفي الواقع، وردتنا نتائج تحليل الحمض النووي قبل تقرير المقذوفات. هذه القضية مليئة بالمفاجآت".

رفع ويزنويسكي الحقيبة أمام عينيَّ، وقال: "النتيجة لا تحتاج إلى تخمين".

عدت بظهري للوراء مبتعدًا عن الطاولة.

قال: "الدماء على هذه السكين هي دماء رامونا ديلافو، واستُخدمت في تعذيب وقتل مديرة البيت الحجري".

قلت لنفسي: *حافظ على هدوئك، فأنت لن تستفيد شيئًا إذا رددت الآن.*

أردف ويزنويسكي: "أتعرف أفضل ما في الموضوع؟ أن هذه السكين *عليها* بصمات أصابعك".

الفصل 53

كان الملازم بول ويزنويسكي ينظر إليَّ بترقب، وحاجباه مرفوعان، وأمارات الاستمتاع بادية على وجهه. كان يريدني أن أنكر هذا، كان يريدني أن أقول أشياء تدينني لاحقًا.

كانت هناك أشياء كثيرة أريد قولها له: *هذا ليس مسدسي، وهذه ليست سكيني. لقد لفقت لي هذه الاتهامات يا ويزنويسكي. كنتَ تعرف أنني قد اقتربت من النيل منك بسبب شبكة الحماية التي تديرها، وما يحدث الآن هو وسيلتك لإيقافي.*

وسيلتك الثانية لإيقافي، أما وسيلتك الأولى فكانت إطلاق النار عليَّ.

لكنني لم أمت، ولن أسقط بهذه الوسيلة أيضًا - على الأقل، ليس من دون قتال.

لكنني لم أقل شيئًا، فهذا لن يفيدني.

كان عقلي المصاب بحاجة إلى الحفاظ على تركيزه، وأنا لا يمكنني إيقاف ما سيأتي بعد ذلك، لكن هناك لعبة أكبر تُمارس هنا.

قال ويزنويسكي: "لنتحدث عن إيمي لنتيني وشريكتك كيت".

ثم أخرج ملفًّا من صندوق الأدلة ووضع صورًا من مسرح الجريمة أمامي.

كيت ترقد جثة هامدة على السجادة بالقرب من باب الغرفة.

وإيمـي ترقد جثة هامـدة في السريـر، وجسدها ملفـوف، وظهرها مواجه للكاميرا، وتكاد تسقط من فوق السرير.

أنـا لسـت موجودًا في الصور، لأنـه لما حان وقت التقـاط الصور، كنت قد استعدت نبضي مرة أخرى، ونقلني المسعفون من مسرح الجريمة.

أردف ويزنويسكـي: "تحققنـا من تقريـر المقذوفات مرة أخـرى بناءً على طلـب أبيك، ووجدنا النتيجة نفسهـا، وهي أن مسدسك - الذي كان موجودًا في يـدك - هو الذي أطلقت منه النار على إيمي وكيت".

هززت رأسي في غير تصديق.

أغلقت عينيَّ معتصرًا إياهما، كأن ذكرى هذه الحادثة ستبرز مخي، لكن لا شيء يحدث وسط هذا الضباب.

قال: "ألقِ نظرة على ظهر إيمي، انظر إلى لطخات الدم".

فتحت عينيَّ ورأيت لطخات الدم التي كانت على وسط وأسفل ظهرها.

قـال ويزنويسكـي: "هـذا دمـك يا هارني، أنـت تعرف ما يعنيه هـذا، أليس كذلك؟".

بالطبـع أعـرف، هذا يعنـي أن جسـد إيمـي كان مقلوبًا بالفعـل، ما يرجح موتهـا قبـل أن يتم إطلاق النار عليّ ويتناثر دمـي، وإلا لكان دمي متناثرًا عليها من الأمام.

استطرد ويزنويسكي: "إليك التسلسل المنطقي لما حدث: أنت أطلقت النار علـى إيمـي أولًا، ثم أطلقت كيت النار عليك، فأطلقـتَ عليها النار بدورك، ومن ثـم فإن القصة الساذجة التي يحـاول الجميع إقناعي بها - وهي أن كيت دخلت عليك أنت وإيمي وأنتما في غرفة، فانتابتها غيرة عمياء - هي محض هراء. أنت أول من أطلق النـار، وبدأ هذه الحادثة".

ما يقوله ويزنويسكي منطقي، لكن لا يمكن أن يكون صحيحًا.

أحتاج إلى استعادة ذاكرتي.

حـام ويزنويسكي حـول الطاولة، ثم توقف بجواري، ثم مـال بجسده واضعًا إحـدى يديه على الطاولة بجواري، وقد طغت رائحـة السيجار على رائحة عطر بعد الحلاقة الذي يضعه.

قـال: "كيت واجهتك بما لديها من معلومات، وإيمي كانت موجودة، وسمعت كل شـيء، ولذا أصبحت مسئولـة مثل كيت، ومن ثم تحتم عليـك قتل الاثنتين.

لـو كنتُ مكانك، لقتلت كيـت أولًا، فهي من كان يحمل السـلاح، لكنك أعطيتها الفرصة لتستل مسدسها، وتطلق النار عليك. كان هذا خطأ، لكن الخطأ طبيعة بشرية، أليس كذلك؟".

قلت: "لم يحدث الأمر على هذا النحو".

"كنت أعتقد أنك لا تتذكر ما حدث، يا هارني".

"لا يمكن أن يكون قد حدث على هذا النحو".

مـال ويزنويسكي أكثر حتى أصبح فمه في مستوى أذني، وقال: "كيت أوقعت بك؛ فقد اكتشفتْ ما كنت تفعله".

"وما الذي كنت أفعله، يا ويزنويسكي؟".

ضحـك ويزنويسكي ضحكة مكتومة، وكأن كلينا يعرف الإجابة، وقال: "كنت تبيـع شارتك؛ كنـت توفر الحماية وتتقاضى مقابلًا عـن ذلك، وكنت على وشك أن يُفتضح أمرك".

قلت: "غير صحيح".

وقف ويزنويسكي منتصب القامة، وأخذ نفسًا، وقال: "غير صحيح؟".

كررتُ عبارتي: "غير صحيح".

"نحن لم نستطع العثور على هاتف كيت الخلوي، وأنت تعرف ذلك".

"أعرف ذلك".

"وهاتفك وجِد مهشمًا إلى أجزاء على السجادة".

نظـرت إلى صـور مسـرح الجريمـة، فوجدت هاتفـي على الأرضـ بجانب السريـر، في الجانب الذي أُطلقت عليَّ النار منـه. كانت شاشته مهشمة بعنف، وكان الهاتف نفسه مكسورًا لنصفين.

قلت: "أعرف ذلك أيضًا".

"إذن؟... مـاذا؟... هـل ألقـت كيت هاتفها مـن النافـذة أو شيء من هذا القبيل، وقمت بتهشيم هاتفك؟ هل اعتقدت أن ذلك سيدمر الأدلة؟".

فسألته: "أدلة على ماذا؟".

"لا بـد أنـك كنت تحـت ضغط هائل، يـا هارنـي. كان لا بد أن تعـرف أننا سنستعيـد في نهاية المطاف كل الرسائل النصيـة، حتى لو دُمر هيكل الهاتف. إنها التكنولوجيا".

هززت رأسي، لكنني بدأت أشعر بغثيان.

سألته: "رسائل نصية؟".

ضحك ويزنويسكي في استياء، وقال: "كأنك لا تعرف".

"أنا لا أعرف. أنا لا أتذكر...".

"حسنًا، أنت تعلم أن الطبيب الشرعي قال إن تبادل النار حدث حوالي الساعة العاشرة مساء، أليس كذلك؟".

قلت: "أجل، هذا صحيح".

"حسنًا، هناك سيل من الرسائل النصية المتبادلة بينك وبين المحققة كيت فنتون قبل دقائق من ذلك".

ثم وضع أمامي ورقة عبارة عن سجل بالرسائل النصية مكتوب على الحاسب. السجل يظهر وقت الرسائل ومستقبلها ومرسلها ومحتواها. انتقلت عيني إلى يوم تبادل إطلاق النار، الساعة ٩:٤٩ مساء.

كيت إليّ: أحتاج إلى التحدث معك.

ردي: ليس الآن.

كيت: أنا أقف أمام باب شقتها. افتح الباب.

ردي: أتقفين أمام شقة إيمي؟

كيت: أجل، افتح الباب الآن.

ردي: ولم أفعل ذلك؟

فجاءتني آخر رسالة من كيت:

لأنها تعرف أيها الأحمق، إنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا.

ألقيت بالسجل، ونهضت من على الكرسي؛ فأخذ ويزنويسكي خطوة احترازية للخلف.

قلت: "لا، هذا مستحيل. هناك شيء... لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا".

أشعة ليزر تخترق مخي، فتقلب كل شيء رأسًا على عقب، وتنتزع كلمات وحقائق وومضات من الذاكرة ، وتلقي بها في ثقب أسود ...

قال ويزنويسكي ساخرًا: "ألا تزال تعتقد بأن إطلاق النار كان ناتجًا عن غيرة عمياء. فالأمر لا يبدو كذلك بالنسبة لي. بل يبدو أن إيمي لنتيني عرفت حقيقتك، وكذلك كيت".

"لا ... لا"، قلتهـا وأنا أشعـر حرفيًّا بأنني أسقط علـى الأرض، أما مجازيًّا فكنت أشعر أن كل شيء يفلت من قبضتي. إنني بحاجة لاستعادتها. إنني بحاجة لاستعادة ذاكرتي.

تذكـرَّت قول الطبيبة النفسية لي: *أيًّا كان ما حدث، فالمشكلة ليست أنك لا تستطيع تذكره، بل إنك لا تريد تذكره.*

قال ويزنويسكي: "بيل هارني، أنت رهن الاعتقال".

الجزء السادس

الماضي

الفصل 54

خرجتُ من منزل رامونا ديلافو، والذي أصبح حينئذ مسرح جريمة لحادث قتل وتعذيب بشع. وخلال الوقت الذي كنت فيه داخل المنزل أواجه أسئلة صعبة مـن ويزنويسكي وأحدق في أختي، وصلـت الصحافة بأعداد كبيرة في الخارج، وقد فتحـوا كاميراتهم وطرحوا أسئلتهم علـى أي شخص يقبل التحدث معهم. لـم أستغرب الحضور الحاشد لوسائـل الإعلام، لأنه من المثير للشكوك أنه في الأسبـوع نفسه الـذي ستبدأ فيه محاكمـة البيت الحجري، يتـم إسكات مديرة البيت للأبد.

كانـت باتي - التي غادرت خلسة قبلـي - تسير بسرعة على رصيف المشاة، ومرت بالحشد الإعلامي، متجهة إلى سيارتها. أسرعت من خطواتي، وناديتها، لكنهـا لم تجب، فأسرعـتُ أكثر للحاق بها. لم تكن باتـي تستطيع الجري مني؛ فهـذا سيبـدو غريبًـا، لاسيما أمـام الصحفيين. لحقـتُ بها أخيـرًا، وأمسكت ذراعهـا، ودفعتها نحو ممر منزل آخـر، على بعد نصف مربع سكني تقريبًا من مسرح الجريمة.

رمقتنـي باتـي بنظرة حـادة تشـي بالاعتراض، وكان فمهـا مفتوحًا بعض الشيء، والهواء يخرج منه كالدخان.

قالـت لي بنبرة اتهام: "يبدو أن المرأة صاحبة الدفتر السري صارت خارج الصورة الآن".

"أجل، بالطبع. ألديكِ شيء تريدين قوله لي، يا باتي؟".

ضيقت عينيها، وزمت شفتيها.

قالت: "لقد كنـتَ في حالة مزرية للغاية عندما رأيتك ليلة أمس. كنتَ فاقد التركيز وغاضبًا، وتبكي في غرفة ابنتك، والبكاء ليس من طبعك، يا بيلي".

فسألتها: "وما الذي أتي بـكِ إلى هناك؟ لماذا جئتِ إلى منزلي ليلة أمس؟ هل تصادف وجودك في الحي مثلًا؟".

هـزت رأسها دون أن تجيب، بل حاولتْ استيعاب ما أرمي إليه، وفكرتْ فيه، ثم قالت: "من المفترض أن تسعد بأنني جئت إلى منزلك؟".

"لماذا؟".

قالـت: "لأنني من سيدعـم حجة غيابـك؛ إذ يمكنني أن أشهـد بأنك كنت موجودًا بالمنزل ليلة أمس، ما يعني أنك لم تقتل رامونا ديلافو".

تراجعت خطوة مبتعدًا عنها: "ماذا؟".

قالت: "سيعتقد الناس هذا. لا تكن ساذجًا، يا بيلي. وبينما يهاجمك الجميع بسبب هذا الدفتر السري، فجأة يموت الشخص الذي كان يحتفظ بهذا الدفتر؟ لقـد رأيتُ الطريقة التي كان ينظر بها ويزنويسكـي إليك هناك. إنه يعتقد أنك قتلتها".

شعرتُ بحرارة تسري في جسدي.

فسألتها: "إذن فسوف تدعمين حجة غيابي؟".

أومأت برأسها وقالت: "سأفعل هذا بالتأكيد".

قلت: "أعتقد أن الأمر سيكون متبادلا".

"ماذا تعني؟".

قلت: "أعني أنني سأدعم حجة *غيابك* أيضًا".

لمعـت عيناها، وبدا عليها التوتر، ونظرتْ عن يمينها إلى الحشد الهائل من الكاميرات والميكروفونات.

فسألتهـا: "هل هذا سبـب مجيئكِ إلى منزلي؟ حتى أغطـي على ما فعلته؟ حتـى أقول: لقد كانت باتي معي طوال الليل، حيث وضعتني في السرير، ونظفت الفوضى التي أحدثتُها، وغنت لي أغنيات ما قبل النوم وهي تمسك بيدي؟".

أدارت باتي رأسها قليلًا، وكأنها كانت تحاول النظر إليَّ بشكل أفضل.

قالت: "أنت مرهق ومجهد، وتقول أشياء لا تعنيها".

قلت: "حسنًا، إليـكِ شيئًا أعنيه بحق: كنت أتعقب رامونا ديلافو ليلة أمس، وكانت عمليـة مراقبة عادية لا أتوقع منها شيئًا محددًا. وخمني ماذا وجدت في مقهى تايسون، بشارع راش، يا باتريشيا. لقد رأيت رامونا ديلافو تحتسي شرابًا معكِ".

تجمدت ملامح باتي للحظة، وخرج نفسها ببطء من فمها، واحمر خداها.

ثـم قالت: "كنت أحاول إقناعها بتسليم الدفتر السري من أجل مساعدتك. هل هذه جريمة؟".

فأجبتها: "لا، ليست جريمة".

سألتني: "هل رآني شخص آخر معها؟".

"أنا فقط".

"هل التقطتَ صورًا لنا؟".

هززت رأسي بالنفي.

اندفعت باتي نحوي، وأمسكتني من كلتا ذراعي، وقالت: "أخبرني بالحقيقة. هـل التقطتَ صورًا بهذا الهاتف الذي لم تكن لتعـرف حتى كيف تستخدمه لولا مساعدتي إياك؟".

قلـت: "لا"، ثم تراجعت إلى الـوراء قليلًا، وأردفت: "لكن ربما كان يجب أن أفعل هذا".

قالـت: "ربمـا كان يجب *ألا* تفعل هـذا"، ثم انتبهت إلـى أن صوتها مرتفع، فخفضته وهي تقول: "ربما حان الوقت لتتبين مَنْ يقف في صفك ومن لا يقف"، وأكدت كلامها بأن ضغطت على صدري بأصبعها السبابة.

"وأنت تقفين في صفي، أليس كذلك؟".

نظـرت إليَّ مـرة أخرى، وكانت عيناهــا تبدوان دامعتين، لكـن وجهها كان مشــدودًا وصارمًا. قالت: "أنت أخي التوأم، ونحن كأسرة نتكاتف معًا دائمًا، ولا نفشي أسرارنا، أليس كذلك، يا أخي الصغير؟".

هززت رأسي وقلت: "هذا الأمر يتجاوز نطاق الأسرة".

"لا شيء أهم من الأسرة، - لا شيء".

"هل قتلتها، يا باتي؟".

كان هــذا دورها لأن تأخذ خطوة إلى الوراء - مجرد خطوة صغيرة - لتنظر إليَّ بشكل أفضل.

وقالـت: "لقد جئتُ إلى منزلك ليلة أمس ووجدتك منهارًا ومضطربًا تمامًا، وهنـاك زجاجة شـراب مهشمة على الأرضيـة. كان من الواضـح أنك تعرضت لشيء مريع، والآن تسألني إذا كنت قد *قتلتها*!

أومأتُ وقلت: "هذا ما أسألك إياه".

قالت: "هذا هو السؤال الخطأ".

"حقًّا؟ وما السؤال الصحيح إذن؟".

نظـرت باتي مرة أخرى إلى يمينها نحو مسـرح الجريمة وحشد المراسلين الإخباريين.

ثم قالت لي: "السؤال الصحيح هو: هل ستبلغ عني لو كنتُ من قتلها؟".

كنـت على وشك الرد، لكـن سمعت صوت شخص ينادينـي، فالتفت كلانا، رأينا المراسلة الصحفية كيم بينز تسرع ناحيتنا وتحمل جهاز تسجيل في يدها.

اقتربـت باتي مني وقالت هامسة: "لعلمك يا أخي الصغير، أنا لم أكن لأبلغ عنك أبدًا".

ثم استدارت، وأولت ظهرها لي، وواصلت السير في الشارع.

الفصل
55

"بيلي هارني"

"كيـم بينز"، هكـذا رددت وأنا أشاهـد باتي وهي تسير فـي الشارع بخطى متسارعـة هربًا من المراسلة الصحفية التي لحقت بي، ثم التفتُّ إلى كيم، تلك الصحفيـة الجميلة التي كانت تعمل فيمـا مضى مراسلة تليفزيونية، والآن تعمل فـي الصحيفة الإلكترونية *شيكاغـوبي سي*. كانت تسيطر علـى فوضى شعرها المتناثر برابطة رأس صوفية تغطي جبينيها وأذنيها.

قالت وهي تحمل جهاز تسجيل صغير: "أية تعليقات بشأن رامونا ديلافو؟".

قلت: "معلومات عن خلفيتها فقط".

"بربـك، أيهـا الوسيم! قل شيئًا في هذا المسجل. هـذا أمر جلل؛ فمحاكمة العقـد ستُجرى هذا الأسبوع، وأحد شهودك الأساسيين قد قُتل للتو. لقد سمعت أنها تعرضت للتعذيب".

نظـرت لهـا وقلت: "قلـت معلومات عن خلفيتهـا فقط، أغلقي هـذا الشيء اللعين".

فقالت: "التعامل *معك* ليس ممتعًا"، لكنها استجابت لمطلبي وأغلقت جهاز التسجيل ووضعته في جيبها.

قلت لهـا: "لقد استمتعتُ بصـورك لكل الشخصيات البـارزة وهم يدخلون ويخرجون من البيت الحجري. من أين حصلتِ عليها؟".

كانت الصور مستمرة في التسرب على الإنترنت ضمن تقارير تكتبها كيم. كانت من ضمنها صور لأحد أعضاء مجلس المدينة من منطقة الجانب الغربي، وشخصية ذات منصب رفيع في إحدى شركات التكنولوجيا في شيكاغو. كانت كيم تطلق على هذا الموضوع في تقاريرها الإخبارية منزل العار، وكانت الصور تظهر دائمًا هؤلاء الأشخاص وهم يقتربون من البيت الحجري محاولين التخفي، حيث تكون رءوسهم مُطرِقة لأسفل، ويسترقون النظرات. من الواضح أنه كان مشروعًا مزدهرًا حتى جئتُ أنا وأفسدت الحفلة.

تباطأت وتيرة تسرب الصور؛ ففي البداية كانت كيت تنشر صورًا بشكل يومي، لكن الآن أصبحت تنشر مرة كل أسبوع. وكل أسبوع، وفي اليوم الذي يُنشر فيه مقال كيم، كان الناس في كل أنحاء شيكاغو - والبلاد بأكملها - يدخلون في تلهف على موقع صحيفة *شيكاغو بي سي* على الإنترنت ليروا آخر شخصية مهمة تُنشر صورتها وهي تصعد درجات سلم البيت الحجري.

ابتسمت كيم لي ابتسامة متحفظة، وقالت: "من المفترض أنني من يطرح الأسئلة، وأنت تعلم أنه يجب عليّ حماية مصادري".

قلت: "إنه القانون اللعين لحرية الصحافة".

قالت: "هذا صحيح. لكنني سأخبرك بشيء: الصورة التي ستُنشر الأسبوع القادم ستصيبك بالذهول تمامًا".

ربما، فأنا لم أكن أهتم حقًّا بهذا، لكن هذا الموضوع قد أسر خيال هذه المدينة؛ فقد برعت كيم في استفزاز جمهورها وإطالة القصة إلى أقصى حد وبأقصى تأثير، وعززت مكانتها كصحفية في خضم ذلك.

قالت: "إذن، يا بيلي، ما تأثير موت رامونا على قضيتك؟".

هززت كتفي، وقلت: "رامونا لم تكن ستتشهد على أية حال؛ فهي لم تقل كلمة واحدة لنا، وأوكلتْ محاميًا، ولم تفتح فمها بشيء. قانون لعين آخر لحماية الشهود".

عبست كيم، وكأنها لا تصدقني، وكأنني أخفي عنها شيئًا. وقالت: "لكنني سمعت شيئًا مختلفًا؛ إذ سمعت أن جهة الادعاء عرضت عليها الحصانة إذا تحدثت. أتعرف تلك المحامية الصارمة التي أوكل لها المدعي العام تلك القضية؟ المرأة الداهية التي جلبوها من ولاية ويسكونسن بعدما أوقعت بذاك السيناتور؟ إيمي لنتيني؟".

شعرتُ بشيء يهتز داخلي. فسألتها: "ماذا عنها؟".

"لقد سمعتُ أنها عرضت على رامونا حصانة كاملة من دخول السجن إذا سلمتْ الدفتر السري".

نظرتُ لها نظرة خالية من أي تعبير، أو على الأقل تمنيت أن تكون خالية من أي تعبير، لكن هذا كان شيئًا جديدًا أسمعه لأول مرة.

استطردت كيم قائلة: "لقد سمعت أن هذه القضية بأكملها مبنية على هذا الدفتر السري، وأن مساعدة المدعي العام لنتيني قد ذهبت إلى كل شخص قُبض عليه في هذه القضية - حتى العمدة - وقالت إنها ستسقط التهم ضد أي منهم إذا أخبرها بمكان الدفتر السري".

هززت رأسي، لكنني لم أفصح عن عدم تصديقي لهذا الكلام؛ فهو لم يكن منطقيًّا.

لكنني أدركت فجأة أنه منطقي؛ فأنا بعد أن قبضتُ على جميع من بداخل البيت الحجري تلك الليلة، كان هم إيمي لنتيني الوحيد هو معرفة مكان الدفتر السري.

سألتها: "حتى... العمدة؟ عرضت إيمي عليه الحصانة؟".

أومأت كيم وقالت: "تقول مصادري إن لنتيني قد أخبرت العمدة بأنه إذا مكنها من الحصول على الدفتر السري، وإذا وافق على الاستقالة من منصبه، فإنها ستُسقِط التهم الموجهة ضده".

مررتُ يدي على فمي، لكنني لم أتحدث.

قالت كيم بنبرة استنتاج وليس سؤالًا: "أنت لم تكن تعرف. أنت الشاهد الرئيسي في القضية ولم تكن تعرف".

لا، لم أكن أعرف، وهذا جعلني أشعر كأن حريقًا مندلعًا في صدري.

يمكنني تفهم السبب في أن إيمي تعتبر الدفتر السري مهمًّا، لكن أكثر أهمية من مقاضاة الأشخاص المقبوض عليهم في البيت الحجري؟ عجبًا... ألا يعد المقبوض عليهم صيدًا ثمينًا بالنسبة لإيمي؟ هل الإيقاع بالعمدة وكبير رجال الدين لا يكفي لأن يكون خطوة بارزة في مسيرتها المهنية؟

من الذي يمكن أن يكون أكبر من هؤلاء؟

بـدأت في السير مبتعدًا عن كيـم لأفسح لنفسي بعض المجال كي أفكر مليًّا فيمـا يحدث. لـم أكن متأكدًا ما الذي يضايقني أكثـر: أن إيمي لم تطلعني على هذه المعلومة أم أنني انزعجت لهذا الحد من أنها لم تفعل ذلك.

مشـت كيم معي، وقالت: "أنت تدين لي بمعلومـة الآن. بربك، يا رجل. هذه أكبـر قصة تحدث هنـا منذ سنوات. العمدة قـاب قوسين أو أدنـى من نهايته، وقـد سمعتُ أن عضو الكونجرسـ تيديسكو ينتظر صدور حكم الإدانة حتى يعلن ترشحـه لمنصب العمدة. سيكون هذا سباقًـا انتخابيًّا لا ينسى، ألا تعتقد هذا؟ عضو الكونجرس تيديسكو في مواجهة مارجريت القصوى".

توقفتُ ونظرتُ إليها، قائلًا: "ماذا تعنين بمارجريت القصوى؟ هل ترشحتْ لمنصب *العمدة؟*".

ابتسمـت كيـم، وقد بدت سعيـدة بنفسها. ثـم قالت: "يا إلهـي. *أنت* خارج الصـورة تمامًا. لقـد سمعتُ أنها تهيـئ ماكينتها السياسيـة بالفعل لذلك. هي ستديـن العمدة، ثم ستترشـح للمنصب. لكنها ستنتظر حتـى انتهاء المحاكمة ثـم تعلن ذلك. ستقـدم نفسها للناسـ باعتبارها المرأة الحديديـة التي تكافح الجريمة وتستأصل الفساد، والتي ستنظف هذه المدينة".

أعتقد أنها خطوة منطقية، لكنها لم تخطر ببالي. صحيح أنني عشت حياتي بأسرهـا فـي شيكاغو، وتابعت سيرك السياسة من بعيـد، لكنني لم أدخله، ولم أرغب في ذلك.

سألتني كيم: "هل أنت متأكد أنك تعمل في هذه القضية، يا بيلي؟ يبدو أنني أعرف عنها أكثر مما تعرف أنت بكثير".

بالتأكيـد كانت محقـة. إيمي هـي المساعدة الأقـرب لمارجريـت أولسون وذراعهـا اليمنـى، لكنهـا لـم تخبرني بـأي شـيء له علاقـة بطمـوح سياسي أو صفقـات مع المتهمين. فحاولـت أن أخبر نفسي أن هذا ربما ليس من شأني، وأنها لم تخبرني لأنه ليس من الضروري أن أعرف.

لكـن مع ذلك استشطت غضبًـا. ففي كل مرة أعتقد أننـي فهمت شخصية إيمي، يتبين لي شيء جديد.

وإذا كانت إيمي قد قررت إخفاء تلك المعلومات عني، فما الذي أخفته عني أيضًا؟

الفصل 56

دخلتُ مكتب إيمي في الموعد المقرر، وهو الساعة العاشرة، من أجل الاستعداد للمحاكمة الكبيرة. كان لا يزال هناك طنين في رأسي من فرط الشراب ليلة أمس، ومما أخبرتني به كيم بينز، ومن حديثي مع أختي باتي في مسرح الجريمة.

قامت إيمي بتحيتي بطريقة رسمية خارج مكتبها - *صباح الخير، أيها المحقق، شكرًا لحضورك* - لكن عندما أغلق الباب، وصرنا بمفردنا، وضعت إيمي يدها على صدري، وهمست قائلة: "أهلا".

تراجعتُ للوراء، فاندهشتُ لذلك. لقد داعبتها ليلة أمس، ولم تكن مجرد مداعبة، إذ حركت بداخلي شيئًا ظل ساكنًا لسنوات. وهي شعرت بهذا أيضًا، أو هكذا اعتقدتُ. قرأت إيمي النظرة التي تعلو وجهي، وانتظرت أن أفسرها.

فسألتها: "أريد أن أسألك عن شيء ما".

نظرت إليَّ كأنها لا تفهم. كانت تبدو بالمناسبة أيضًا براقة، ترتدي بذلة ذات لون رمادي فاتح، وكان شعرها مسحوبًا إلى الوراء بشكل مهني. كانت فائقة الذكاء والجمال، وهذا مزيج لا يقاوم بالنسبة لي.

"هل عرضتِ على رامونا ديلافو الحصانة إذا سلمتك الدفتر السري؟".

طرفت عينا إيمي، لكن لم تصدر عنها أية حركات توتر أخرى. وقالت: "نعم".

"ماذا عن المتهمين الآخرين؟ كبير رجال الدين؟ العمدة؟ المشاهير ورجال الأعمال.. هل عرضتِ عليهم الحصانة إذا ساعدوكِ على العثور على الدفتر السري؟".

قالت: "نعم".

"ولماذا لم تقولي هذا لي؟".

هزت رأسها وقالت: "أنا مساعدة المدعي العام وأنت شاهد في القضية، ولست مطالبة بأن أطلعك على كل خطوة من خطوات إستراتيجيتي في التعامل مع هذه القضية"، ثم أمالت رأسها، وأردفت: "على أية حال، كان هذا قبل أن أعرفك عن قرب، قبل أن أبدأ في ...".

سألتها وأنا أشعر برغبة شديدة في سماع ما ستقوله: "في ماذا؟".

قالت: "في الثقة بك، والاهتمام لأمرك".

شعرت برغبة عارمة في الاستسلام إليها، في تصديقها، في التخلي عن حذري والاقتراب منها. لكنني لم أتحدث، ورأيتُ نظرة الحزن على وجهها عندما لم أرد، لكنني كنت بحاجة لسماع المزيد من الإجابات.

قالت: "أنت تعرف أنني كنت أشك في أنك أخذت الدفتر السري، وأنا لم أخفِ هذا عنك. كنت أريد الحصول على الدفتر السري، ولم يكن يهمني بأية طريقة أحصل عليه".

سألتها: "وهل ما زلتِ كذلك؟".

"ما زلتُ ماذا؟".

"هل ما زلتِ تعتقدين أنني أخذت الدفتر السري؟".

توقفت إيمي للحظة، نبض قلبي خلالها نبضة قوية، ثم قالت: "لا، لم أعد أعتقد هذا".

"لكنكِ لا تزالين تريدينه، لا تزالين تريدين أن تمسكي به بيديك".

رفعت حاجبيها، وقالت: "في الحقيقة، كلا. أعني *أنني* أريد هذا، لكن الأمر ليس عائدًا إليّ".

"ماذا تعنين؟".

أرجعت إيمي خصلة من شعرها خلف أذنها، وقالت: "حسنًا، لقد صدرت لي تعليمات بأن الدفتر لم يعد يمثل أولوية بعد الآن، وبأن أُنحي هذا الموضوع جانبًا في الوقت الحالي وأركز على الفوز بقضية البيت الحجري".

سألتها: "ولماذا هذا؟ ما سبب هذا التغير؟".

"لماذا؟ لأن البلد بأسره يتابع القضية؛ فالقضية تشغل الرأي العام، ونحن لا نريد أن نخسرها. ألديك تفسير آخر لهذا التغير؟".

"ربما تريدين الفوز حتى يتسنى لرئيستك - مارجريت أولسون - شغل منصب العمدة بعد أن تدينه".

بـدا على إيمي الغضب مما قلتــه، وقالت: "هذا سخف، مارجريت لن تترشح لمنصب العمدة".

"لا؟".

"لا، وأنا لا أقبل أن تشكك في دوافعي. أنا أحقق في هذه القضية لأنني مؤمنة بها"، ثم فكرتْ للحظة، واستطردت قائلة: "من أخبرك بأن مارجريت تريد منصب العمدة؟".

هززت رأسي قائلًا: "لا يمكنني القول".

"حسنًــا، أيًا كان مــن أخبرك فهو مخطــئ؛ فمارجريت أولســون لن تترشح لمنصب العمدة. هل تريد مني أن أقولها مرة أخرى؟ مارجريت أولسون لن تترشح لمنصب العمدة".

لــم أعرف كيف أرد على كلامها؛ فقــد أكدت لي شيئًا أخبرتني به كيم بينز، وأنكرتْ الآخر. كنت أريد أن أثق بإيمي، ولم أشعر أنني أريد شيئًا بهذه القوة منذ وقت طويل.

أكملــت كلامها قائلة: "عندما تنتهي هذه المحاكمة، سأعود للبحث عن هذا الدفتر السري. أما في الوقت الحالي، فالخطة هي الفوز بالقضية، وبعد موت رامونا ديلافو، صرت مهمًا في هذه القضية أكثر من أي وقت مضى".

أومأت مصدقًا على كلامها.

فاقتربــت مني مرة أخــرى، ووضعت يديها على صدري مــرة أخرى، وقالت: "أتعلم، بعد تلك اللحظات التي حظينا بها ليلة أمس، لم أكن أتوقع أن تستقبلني هذا الصباح بهذا الاستجواب، بل كنت أتوقع شيئًا مثل هذا".

ثم مالت نحوي ولمستني برقة، فشعرتُ بأن كل شيء يذوب.

ثــم عادت للوراء بما يكفي فقط لتتمكن مــن التحدث، وكانت يداها قريبتين للغاية، لدرجة أنني كنت لا أزال أشعر بهما.

قالت بهدوء أكبر: "إذن، أما زالت علاقتنا على ما يرام؟".

كانت نبضــات قلبي تتسارع؛ فجذبتُ إيمي نحــوي وعانقتها، لكن هذه المرة لم تكن برقة.

لقد كان لإيمي لنتيني - شئتُ أم أبيتُ - وقع السحر عليَّ.

الفصل 57

بعد الاستعداد للمحاكمة لمدة ساعتين، غادرتُ مركز ديلي، ومشيت في الساحة وأنا مرهق، ومعدتي مضطربة بسبب الجوع الذي يأذن بموعد الغداء. كان الطقس باردًا وكئيبًا ، والمارة يسيرون ورءوسهم مطرقة، وقد تدثروا بملابس تغطيهم من رءوسهم حتى أخمص أقدامهم. ومن بين السيارات الحكومية المركونة على طول الساحة، وقعت عيناي على سيارة ماركة كورفيت، حمراء، فاقع لونها.

لم يكن من الصعب ملاحظتها، فهي تشبه كرة من النار تطير في سماء مظلمة.

سيارة رائعة لا أستطيع شراء واحدة مثلها؛ فالمرء الذي يسعى إلى الثراء لا يعمل في الشرطة.

انفتح باب السائق، لتطل منه شريكتي في العمل، المحققة كاثرين فنتون.

استغرق الأمر مني لحظات لأستوعب ما أراه. كان مظهرها معتادًا من حيث الجسد الرياضي الممشوق، والمعطف الأنيق المشدود من الوسط، والساقان الطويلتان، والحذاء ذو الرقبة الطويلة والكعب السميك، لكن بدءًا من الرقبة لأعلى، كان المنظر مختلفًا؛ حيث كان شعرها قصيرًا للغاية، ولا يتدلى شيء منه إلى الأمام، وكانت أطرافه منسدلة على وجنتيها، كما كان اللون مختلفًا، أقرب إلى القرمزي الداكن منه إلى الأحمر البراق، كان أشبه بلون الدم.

أضف إلى هذا السيارة الكورفيت.

رأت كيت النظرة التي تعلو وجهي، فقالت: "ما رأيك؟"، لكن ليست بنبرة من ينتظر إطراء، لكنها كانت أشبه بتحدٍّ، وكأنها أرادت أن تقول: *سحقًا لرأيك، على أية حال.*

لم أكن متأكدًا إذا ما كانت كيت تشير إلى سيارتها الجديدة أم إلى مظهرها الجديد. كانت غالبًا تقصد الاثنين، وغالبًا أنها كانت تسألني عن رأيي في النسخة الجديدة من كيت. قلت: "أحسنتِ. هل ورثتِ مالًا أو شيئًا من هذا القبيل؟".

استمرت كيت في السير باتجاهي بتلك المشية الواثقة التي تمتلكها، وكان كعب حذائها يطقطق بصوت عالٍ على الرصيف، وقد تجمل ثغرها بابتسامة حاولت كيت أن تجعلها جذابة. ولطالما اعتقدتُ أن سر جاذبيتها هو عدم تصنعها. لكنها الآن تتصنع وتحاول لفت الأنظار.

استخدمت كيت جهاز التحكم عن بعد لغلق سيارتها الكورفيت، ثم قالت: "على حسب علمي، أنا لست مطالبة بأخذ تصريح منك كي أشتري سيارة جديدة"، ثم توقفت أمامي وكأنها تتحداني ألا أعجب بها، وأردفت: "إذن رامونا ديلافو لم تعد موجودة، من الذي سنشكره على هذا الصنيع؟".

من الذي نشتبه به في مقتل رامونا ديلافو؟ حسنًا، لم يسألني أحد عن رأيي إلى الآن، ولم تكن قضيتي، وأنا لم أكن أريد التفكير في الأمر، ولم أكن أريد مواجهته، لكنني كنت أعرف في قرارة نفسي أن أختي ضمن قائمة من أشتبه بهم.

على أية حال، بدا من الواضح أن مقتل ديلافو مرتبط بالدفتر السري، كما أنني ما زلت أضع في الاعتبار احتمالية أن تكون كيت قد أخذت الدفتر من مسرح الجريمة؛ وهو ما يعني أنها على قائمة المشتبه بهم في مقتل ديلافو أيضًا.

قلت: "ليست لديَّ فكرة. وأنتِ؟".

مرة أخرى أجابت بلهجة عدائية وبنبرة تحدٍّ: "كيف *لي* أن أعرف؟"، ثم أومأتْ نحو مركز ديلي، وأردفت: "كيف كانت جلسة الاستعداد؟ فجلستي هي التالية!".

هذا منطقي، فهي شاهدة أيضًا في محاكمة البيت الحجري. لقد أصبحت الفجوة بيني وبين كيت هائلة؛ لدرجة أنني لم أكن أعرف بموعدها هذا. كنا

لا نـزال نعمل كشركاء كل يـوم، لكن علاقتنا كانت علاقة عمـل بحتة، فلم نكن نتحـدث في السيارة، ولم نكن نتبـادل الآراء والأسرار. منذ وقت ليس بالطويل، كنت أعرف كل شيء عنها، كنت أعرف ما تناولته في عشاء الليلة الماضية، وما تنوي فعله في العطلة الأسبوعية، وأية أفكار أو آراء ترد إلى ذهنها. أما الآن فلم أكن أعرف حتى إنها ستقابل مساعدة النائب العام بشأن إحدى قضايانا.

سألتني: "هل المحامية إيمي لنتيني في مزاج جيد اليوم؟".

نظرتُ إليها باستغراب.

فقالـت كيت بطريقة غريبة، وكأنها حققـت انتصارًا صغيرًا، لكن بعد ذلك تمنت لو لم تحققه: "على الأقل أنت لم تعد تنكر ما بينكما".

لـم أستطع التفكيـر في أي شيء يمكـن أن يخمد النار التـي أشعلتها كيت، فتركتها مشتعلة، ولم أنبس بكلمة.

قالت: "أرجوك أخبرني بأنك لم تعبث معها في ذلك المكتب. فأنا مضطرة *للجلوس* فيه". التزمتُ الصمت؛ لأن كيت لم تكن بحاجة إلى مزيد من الانفعال.

أردفت قائلة: "ربما راقتـك المداعبات المحفوفة بالخطر في المكتب؛ فالناس يقفون خارج غرفة المكتب مباشرة ولا يفصلكما عنهم سوى باب، وإيمي...".

"كيت، بحق السماء".

ظلـت عيناهـا مسلطتين عليَّ، وقالت: "أنا فقط أسـأل. فأنا أعرف أن بيلي يحب تجربة أشياء غريبة من حين لآخر".

كان هـذا تذكيرًا لاذعًا بنزوتنا الأخيرة معًا، لكننـي شعرت بأنه كان ستارًا تخفي خلفه جرحها. كأنها أرادت أن تقول: *هل تحب إيمي أكثر مما تحبني؟*

لـم يكن هناك شيء يمكنني فعله بشأن هذا وأنا أقف في هذا البرد والرياح تلسعني وسـط ساحة ديلي. ليس هذا هو المكان الذي نتحدث فيه بحميمية عن مشاعرنا؛ فهذا مكان يناسب المحادثات العنيفة فقط.

كان علـيَّ أن أغـادر وأتجه إلى قسـم الشرطة، لكن كيـت كان لديها أشياء أخرى لتقولها.

سألتنـي: "هل ما زالتْ تضايقك بشأن الدفتـر السري؟ هل يجب أن أستعد لاستجواب آخر؟".

قلت وأنـا أشعر بارتياح لتغييرها الموضـوع: "لا. ستستعرض معكِ حيثيات القضية فقط، لقد قرروا تنحية موضوع الدفتر السري جانبًا في الوقت الحالي".

صمتت كيت للحظات، ونظرت إليَّ في محاولة لقراءة تعبيرات وجهي. كانت أنفاسنا الضبابية الرمادية تهرب من فمينا، وكانت الرياح تصول وتجول داخل معطفي.

سألتني بكلمات تحمل قدرًا من العصبية برغم محاولة كيت أن تبدو طبيعية: "ألم تعد إيمي تهتم بالدفتر السري؟ لقد كنت أعتقد أن هذا هو الشغل الشاغل في حياة السيدة إيمي، الآن أصبحت لا تهتم به؟".

هززت رأسي؛ فأنا لست مطالبًا بالتحدث نيابة عن إيمي.

"حسنًا يا بيلي، أهنئك على تمكنك من صرف ذهنها عن هذا الموضوع. لا بد أنك كنت بارعًا في الإقناع...".

"كفى يا كيت".

أمالت رأسها ورفعت حاجبيها وقالت: "لا تقل لي إنها تتمنع عليك، هل تخبرك الفتاة الرقيقة البريئة من ويسكونسن بأنها تريد التمهل في العلاقة والانتظار حتى الوقت المناسب، وأن هذه العلاقة أمر جلل بالنسبة لها؟ ثم تتركك في نهاية الليل بائسًا متصبرًا بأمل كاذب".

قلت وأنا أرحل عنها: "لقد انتهيتُ من هذا، ولن أمارس هذه اللعبة".

فنادتني قائلة: "كلا، أنت تمارس لعبتها هي، وأنت حتى لا تدرك ذلك".

الفصل 58

كان الملازم مايك جولدبيرجر يقطع البيض في طبقه بسكين وشوكة مثل جنرال يشرح إستراتيجية فرِّق تسد. كان ضجرًا على غير عادته، وكان ما يفعله بالبيض علامة على ذلك. كنا معتادين تناول إفطارنا بمطعم ميتشلز قبل الذهاب للعمل، ثم توقفنا عن هذا منذ وقت طويل، لكن جولدي أراد إعادة إحياء ذلك التقليد هذا الأسبوع، ربما لأن هذا هو الأسبوع الذي ستنعقد فيه محاكمة البيت الحجري.

سألته: "ما آخر التطورات بشأن قضيتي رامونا ديلافو، وجو واشنطن؟ هل ظهرت خيوط جديدة في هاتين الجريمتين؟".

قال جولدي: "أيًّا كان الفاعل، فهو بارع؛ فمسرح الجريمة في كلتا الجريمتين نظيف وخالٍ من الأدلة. التنفيذ تم باحترافية".

انتقل جولدي بعد ذلك إلى النقانق، وصار يقطعها كما لو أن حياته متوقفة على ذلك.

أمسكت بكوب قهوتي، ثم وضعته مرة أخرى، وقلت: "سحقًا، يا جولدي. أنت تصيبني بالتوتر. أنا الذي سيشهد في المحاكمة".

قال: "هذا ما يقلقني". كان جولدي نادرًا ما يتحدث على هذا النحو؛ إذ لم يكن من طبعه أن يظهر التوتر، وعادة ما يستخدم عبارات ملطفة. وأردف قائلًا: "إذا أخذت هذه القضية منحى سيئًا، وإذا قال القضاة إنه لم تكن لديك

حجة قانونية مقبولة لدخول البيت الحجري، فستتحمل أنت المسئولية ولن يلام غيرك".

"أتحسب أنني لا أعرف هذا؟".

فلوَّح بيده نحوي، وقال: "إذا كنت قلقًا بعض الشيء؛ فأنت تجلس كأنك لا تبالي بشيء على الإطلاق. هذا كان طبعك ولا يزال. عندما كنتَ طفلًا، كان إخوتك يطلعون بعضهم على كل فكرة ترد إلى أذهانهم. وباتي؟ كانت باتي فوضوية التفكير، ومتوترة دائمًا بشأن هذا أو ذاك، ودائمًا ما كانت تسعى لنيل استحسان الآخرين، أما أنت فكنت تسخر ولا تظهر شيئًا وكأن لديك كل الحلول. كان هذا سخيفًا".

كانت هذه طريقتي، ربما كان يجب أن أكون لاعب بوكر.

قلت: "*أنا* قلق، لكن إيمي تعتقد أن لدينا فرصة جيدة. كنت سأقول إنني اتبعت حدسي عندما داهمتُ البيت الحجري، لكن إيمي جعلت شهادتي تبدو كأنني احتكمت لعدد من الأسباب قبل مداهمة ذلك المنزل. إنها شخص جيد ومحامية بارعة، يا جولدي".

مسح جولدي فمه بالمنديل، ونظر إليّ بطرف عينيه.

عدتُ بظهري إلى الوراء، وقلت: "نظرتك هذه تقول شيئًا. هيا، تحدث".

قال: "لمَ لا تعترف وحسب بأنك تحب هذه الفتاة؟".

كاد يغادر شفتي رد حاسم ينكر هذا، لكنني لم أقله.

استطرد جولدي: "وهذا شيء جيد، يا فتى. لقد حان الوقت لتقف على قدميك مرة أخرى بعد فاليري. ولن يسعد أحد بهذا أكثر مني".

انحنيتُ للأمام، وقلت: "أكمل... أشعر بأن هناك ***لكن*** قادمة".

نفث جولدي هواءً ثقيلًا، وأخذ رشفة من القهوة، وقال: "لكن، ألا يوجد غير إيمي لنتيني؟ لا أقصد الإهانة، لكن هذه المرأة مثل سمكة قرش، ومن الممكن أن تمضغك وتبصقك".

"كل هذا ولا تقصد الإهانة؟ إذن ما هذا - إطراء؟".

فقال وهو يرفع يده كأنه يستسلم: "اسمع، المرأة جذابة بحق، وعلى مقياس من ١ إلى ١٠، سوف أعطيها ١٠٠. لا شك في ذلك. استمتع بوقتك معها، لكن هذه المرأة لا يهمها مصلحتك بحق".

"حقًّا؟".

فكر جولدي للحظات، ثم انحنى للأمام، وقال: "ستجد إيمي هذا الدفتر السري في النهاية. أنت قلت إنها ستنحي ذلك الموضوع جانبًا حتى انتهاء المحاكمة، لكن المحاكمة ستنعقد الأسبوع القادم، وبعد انتهائها، ستعود إيمي إلى البحث عن الدفتر. هل أنا محق؟".

وافقته قائلًا: "أجل".

"وهي تعتقد أنك أخذت الدفتر، أليس كذلك؟".

"هي تنفي ذلك".

هز رأسه وقال: "هي تنفي ذلك، هي تنفي ذلك، وأنت صدقتها لأنها لم تخف عنك شيئًا".

وجهة نظر صائبة، لكنني صدقتها حقًّا، ويمكنني فصل تفكيري المنطقي عن مشاعري.

قلت: "أنت تعتقد أنه معي، أنت تعتقد أن الدفتر السري معي، هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلك قلقًا هكذا".

أبدى جولدي فجأة اهتمامًا شديدًا بقهوته، واحتسى ما تبقى في قدحه، وأضاف المزيد من الوعاء نحاسي اللون الذي تركه النادل على الطاولة.

ثم قال: "لم أسألك عن هذا. ولا مرة".

"هيًّا، اسألني".

هز رأسه، وقال: "لا يهم. سواء كان معك أم لا؛ فأنت أفضل شرطي أعرفه، ومصدر فخر لقسم الشرطة، وابن رائع بالمناسبة". تورد خدا جولدي، وكان صدق مشاعره متجليًا في عينيه. لم يحظ جولدي بأولاد؛ فزوجته توفيت بسبب السرطان وهي في سن التاسعة والعشرين، ولم تنجب قبل إصابتها بالمرض. جولدي أعز أصدقاء أبي، وكان بمثابة عم لنا، لكنه في الوقت نفسه كان رجل الشرطة الذي يراقب رجال الشرطة، ويتعين عليه الحفاظ على مظهر خارجي صارم، وألا يظهر عواطف كهذه. يجب أن أعترف بأن كلامه كان له وقع كبير في نفسي.

قلت: "يبدو كأنك تكتب نعيي".

ندَّت منه ابتسامة صغيرة، وقال: "إذا أخذتَ الدفتر، فإن لك أسبابك، ولا أريد معرفتها. اتفقنا؟ لنبقي الأمر عند هذا الحد".

قلت: "اسألني. اسألني إذا كنت أخذته".

وضع يدًا على الطاولة وقال: "اخرس. لن أسألك. لكن هلا تسديني صنيعًا؟ لا تدع شخصًا آخر يسألك أيضًا، بما في ذلك باتي، وكيت، *وبالتأكيد* إيمي".

ومن دون أن يتناول قضمة واحدة من الطعام الذي قطعه بعناية، فتح جولدي الحافظة التي بها فاتورة الطعام، ودسَّ فيها بعض النقود. حاولت أن أضيف عشرة دولارات، فأزاح جولدي الحافظة بعيدًا وكأن تصرفي إهانة له.

بعدما دفع الفاتورة، نظر مباشرة إلى عيني، وقال: "تذكَّر أن هناك شخصًا ما يقتل الناس من أجل الحصول على الدفتر السري. فإذا كان معك هذا الدفتر، فعليك أن تأخذ حذرك".

الفصل 59

بعـد أن تركـتُ جولـدي، اتجهت إلـى سيارتي، وفـي نيتي الذهاب إلـى العمل. تفقـدت هاتفي بشكل شبه تلقائي كما يفعل الجميع هـذه الأيام، لكن في حالتي كنت أتفقد الأخبار على الإنترنت.

لكنني توقفـت فجأة لما رأيت صورة جديدة نشرتها كيم بينز ضمن التقليد الذي وضعتـه الصحفية، وهو نشر صورة فاضحة كل أسبوع لزبون يدخل البيت الحجـري. كانـت كيم قـد وعدتني، ما الـذي قالته لـي؟ - إن الصـورة التالية ستصيبني بذهول تام.

وقد كانت محقة.

من نواحٍ عديدة، لم يكن هنـاك اختلاف بين هذه الصورة والصور الأخرى؛ فمعظم طرقِ المشي تكون واحـدة، شخص مطرق الرأس يحاول التخفي وعدم لفـت الأنظار. كانت هنـاك العشـرات من هذه الصور المتداولـة الآن لمشاهير ورجال سلطة بعضهم معروف للعامة وبعضهم غير معروف.

كانت هـذه الصورة لأحد أعضاء مجلس مدينـة شيكاغو، وبهذا يصل عدد الأعضـاء الذين رصدتهم الكاميرا - صور فوتوغرافية - إلى أربعة أعضاء وفقًا لما عددته، وكشفتهم للعامة كيم بينز.

لـم أكن أعـرف اسـم ولا شكل هـذا الشخصـ. كان المجلـس مشكلًا من خمسين عضوًا، وأنا لا أحفظ أسماءهم. لكن وفقًا للمقال، فإن هذا العضو يمثل الجانب الشمالي الغربي.

إذن ستُثار الجلبة التقليدية، وسيقال الإنكار التقليدي: *إن صورة فوتوغرافية لا تثبت شيئًا، والسير في حي جولد كوست ليس جريمة. وأنا لا أتذكر تحديدًا ما كنت أفعله هذه الليلة. ربما كنت أتسوق.* فقد زعم أحد الأشخاص الذين رصدتهم الكاميرا - وكان عضوًا بمجلس التعليم بشيكاغو - أنه كان يأخذ كلبه في نزهة - بالطبع دون ظهور مقود الكلب - وأن المصور قص الكلب من الصورة. شخص آخر - وكان نجمًا تليفزيونيًّا في أثناء طفولته لكن نجوميته انتهت لما كبر وصار ممثلًا مغمورًا - زعم أن صورته جرى تعديلها عن طريق برامج الحاسب، وأن وجهه وضِع على جسد شخص آخر.

ربما سيعلن هذا الشخص أيضًا إنكاره، إما من خلال قصة خاصة به أو بوجه عام. لا شيء مختلفًا عن الحال في الصور السابقة.

باستثناء اختلاف واحد في هذه الصورة تحديدًا، وهذا ما جعل كيم بينز تقول لي ما قالته عن الصورة.

هذا الشخص كان *امرأة*.

حسب مقال كيم، فإن هذه المرأة هي عضو مجلس المدينة باتريشيا برادفورد، وهي مطلقة، وأم لثلاثة أبناء، وفي ولايتها الرابعة بمجلس المدينة.

امرأة، حسنًا، لمَ لا؟ ولماذا تكون مثل هذه الأماكن حكرًا على الرجال؟

الفصل 60

هممتُ بإعادة هاتفي إلى جيبي، لكن الأمور المتعلقة بحي جولد كوست والتسوق ذكرتني بنكتة. لم أرسل نكتة لستيوارت منذ وقت طويل، والرجل المسكين يتفقد صفحتنا المشتركة على فيسبوك كل صباح في دار الرعاية، حسبما تقول ابنته جريس.

ضغطت أيقونة التسجيل على هاتفي - وهي أيقونة علمتني باتي كيف أستخدمها - وتحدثت في الميكروفون.

"دخل رجل متجرًا وسأل البائعة: *أنا أبحث عن قفاز لزوجتي، لكنني لا أعرف مقاسها*، فقالت البائعة الجميلة: *حسنًا، سأجرب أنا القفاز*، ثم وضعت يدها داخل القفاز وقالت: *إنه على مقاسي. هل هي في مثل مقاسي؟*، فقال الرجل: *أجل، إنها في مثل مقاسك. لقد ساعدتني كثيرًا. شكرًا لكِ!* فقالت البائعة: *أتحتاج لشيء آخر؟*، فقال الرجل: *أجل، لقد تذكرت. إنها تريد ملابس داخلية أيضًا*".

ضغطتُ على الأيقونة مرة أخرى، ليتم رفع ما سجلته إلى صفحتنا على فيسبوك من هاتفي على الفور. لم تكن هذه من أفضل النكات التي قلتها، لكن ستيوارت يحب هذا النوع من الفكاهة.

رن هاتفي وأنا أحمله؛ فكاد يسقط مني.

ظهر اسم المتصل على الشاشة، وكان ستيوارت.

يا إلهي، هذا غريب! كان الأمر غريبًا لأن ستيوارت كان على بالي للتو؛ ولأنه لا يتصل بي أبدًا؛ فأحيانًا يكتب تعليقًا على صفحة فيسبوك، لكن تواصلنا كان مقصورًا في الغالب على زياراتي له في دار الرعاية، والتي كانت في الشمال بمدينة إيفانستون، وفي هذه الأيام نادرًا ما كنت أذهب إلى هناك.

على أية حال، رددت على الهاتف قائلًا بصوت سعيد: "ستيوارت؟".

"بيلي؟".

كان صوت امرأة. أهي ابنته؟

قالت: "أنا جريس". أجل، إنها ابنته جريس، والتي كانت ابنتها في وحدة العناية المركزة عندما تقابلنا أنا وستيوارت.

انتابتني قشعريرة قلق وقلت: "مرحبًا جريس".

"بيلي، لديَّ أخبار سيئة، لقد توفي أبي".

"أوه، جريس، أنا آسف جدًّا".

"اسمع، أنا آسفة للغاية لأنني تأخرت في إخبارك، فرقمك ليس معي، وتذكرت في النهاية أن رقمك مسجل على هاتف أبي، هو نادرًا ما كان يستخدم ذلك الهاتف، وكنا مشتتين ...".

"جريس، لا عليك".

قالت: "الجنازة غدًا، لقد مات منذ أربعة أيام، وأنا أتصل بك الآن. أعتقد ... حسنًا، بالنظر إلى الظروف التي تقابلتما فيها وما مررتَ به، أعتقد أنه كان سيتفهم موقفك لو رأيتَ أن الحضور أمر شاق عليك. لكنني أردت أن أترك لك الخيار".

غدًا. توقيت سيئ؛ فأنا وإيمي سنقوم غدًا بالاستعداد للأسئلة التي سيوجهها الادعاء والدفاع إليَّ. لكن هذا لا يهم.

قلت: "بالطبع سأحضر".

الفصل 61

كانت دار الجنائز ببلدة وينتكا لا تختلف عن أية دار جنائز أخرى؛ فكل شيء صامت ونظيف وراقٍ، وتعلو أوجه العاملين هناك تعبيرات رقيقة محايدة. كانت الجدران مطلية بدرجات هادئة من اللونين الأرجواني والوردي، والأزهار مرتبة بعناية.

عندما دخلتُ، أذهلتني صورة كبيرة لستيوارت موضوعة على حامل، لأن الصورة لم تكن لوجه ستيوارت الذي أتذكره، بل كانت صورة بالأبيض والأسود من يوم زفافه، التُقطت في أوائل الخمسينيات على ما أعتقد، كانت هناك ملامح لستيوارت الذي أعرفه في تلك الصورة - العينان والابتسامة الملتوية - لكن في الصورة كان رأسه ممتلئًا بالشعر وله كتفان رياضيتان.

عرفتُ الكثير عن ستيوارت على مدار تلك الأسابيع التي قضيناها في وحدة العناية المركزة. عرفتُ أنه تزوج من زميلته في الكلية "آن ماري"، واستمر زواجهما لستة وأربعين عامًا، ولهما أربعة أبناء وثلاثة عشر حفيدًا. خلال الوقت الذي قضيناه معًا، كنت أعرف أسماء أفراد عائلته، البالغ عددهم سبعة عشر شخصًا، أما الآن وبعد مرور ثلاث سنوات، فالأسماء تهرب من ذاكرتي، ولسبب ما، جعلني هذا أشعر بالذنب.

كان المكان ممتلئًا، وهو ما جعلني أشعر بالسعادة من أجل ستيوارت. لكن في أوقات كهذه، لطالما طرحتُ على نفسي أسئلة دون أن أجد إجابة عنها، مثل:

هـل أي من هذا يعني شيئًا؟ هل يعلم ستيوارت أننا مجتمعون هنا من أجله؟ هل كان ينظر لنا من مكان آخر أم أنه مجرد جثمان قابع في نعش؟

ذات مرة عندما كنت أتناقش مع ستيوارت عن الجنازات، وهو موضوع كئيب لكـن لا يمكن تجنبه، قال لي إن الجنازات لا تقـام من أجل الموتى، بل من أجل الأحياء لينفسوا فيها عن أحزانهم.

لكني أردت إقناع نفسي بأنني أفعل هذا من أجله. أنا لم أرغب في الحضور، لكنني مدين له بذلك؛ فقد أنقذ ستيوارت حياتي بطرق عديدة في وحدة العناية المركزة.

رأيـت جريس، وهي ابنته التي ماتت ابنتها في غرفة العناية المركزة. كانت آثار الدموع على وجهها، ولغة جسدها تظهر إرهاقها، لكنها ابتسمت لي ابتسامة عذبـة، وتعانقنـا، ثم قدمتني إلـى أشقائها، وقد قابلت أحدهـم من قبل. قالت لهم: "هذا الشخص الذي كنـت أخبركم بشأنه، محقق الشرطة". كانوا جميعًا يعرفوننـي بهذا الوصف. شكروني على النكات، وذكرنـي - كل منهم - بأن أول شـيء كان يفعله ستيـوارت كل صباح عندما يستيقظ من النـوم هو فتح حاسبه المحمول بحثًا عن مقاطع فيديو لي على فيسبوك.

جذبنـي أحد أبنائه جانبًا، وقال لي: "أنت من جعلته يمضي قدمًا في حياته بعد وفـاة أنابيل" - كان يقصد حفيدة ستيوارت التي توفيت. وأردف: "أبي قال إنه لولا أنت، لما استطاع اجتياز هذه المحنة".

سرت إلى الغرفـة التي وضع بها الجثمان، وانتظرت دوري في الطابور أمام النعـش المفتوح. كان الجثمان يختلف بعض الشـيء عن ستيوارت الذي أعرفه؛ إذ كان مظهـره شمعيًـا ومتصلبًـا، لكـن فنان المكيـاج قد أبلى حسنًـا. لمستُ النعـش، ودعوت له. لا أعـرف إذا كان هذا سيحدث فارقًـا أم لا، لكنني راعيت كل الاحتمـالات، ثم جلست على أحد المقاعد في هدوء. لم أكن أعرف شخصًا آخـر، ولم أكن أنـوي المكوث طويلًا. كنت بحاجة إلى المغـادرة، لكنني لم أكن مستعدًّا بعد لترك ستيوارت.

فكـرتُ فيمـا قاله ابـن ستيـوارت لي. لم أكـن أشعـر أنني مـن أخذت بيد ستيـوارت في وحدة العناية المركزة، بل أظنه العكس؛ فقد كان ستيوارت بمثابة متنفـس لي، وشخص يمكنني التحـدث معه، وكتف أبكي عليهـا. كان ستيوارت يدعنـي أقول نكاتًـا بذيئة كي لا أضطـر إلى الجلوس هناك بعـد استيقاظي كل

صباح لأكثر من ثلاثة وعشرين يومًا - ٥٦١ ساعة على وجه الدقة - متسائلًا كيف يكون منطقيًا ومقبولًا وممكنًا أن تموت ابنتي، ذلك الكائن الجميل البالغ من العمر ثلاث سنوات.

كم كان ستيوارت مشاكسًا بذيئًا وعنيدًا. كان يطلب من الأطباء الحقيقة الكاملة، وكان يخبرني دائمًا بأن المرء عندما يبلغ مرحلة من حياته يسأم من الهراء، ويريد الحقيقة، يريد الواقع. ونصحني قائلًا: "حدد الأشياء المهمة في حياتك، وركِّز عليها وما سيبقى فهو مجرد هراء".

كنت أتساءل إن كنت قد بلغت تلك المرحلة مع أن عمري أقل من نصف عمر ستيوارت. لقد سئمتُ الأكاذيب، وكان يكفي أنني قضيت حياتي المهنية في مطاردة الأشرار - وأحيانًا رجال الشرطة الفاسدين - باختصار، الأشخاص السيئين الذين استطعت التعامل معهم. لا بد من وجود أناس يفصلون *بيننا* وبين هؤلاء، وقد كنت جيدًا مثل أي رجل شرطة جيد.

لكنني الآن أصبحت أشك في أشخاص مقربين مني، وما لا يقل عن هذا سوءًا هو أنهم يشكون فيَّ أيضًا. فأنا وباتي يتهم كل منا الآخر بقتل رامونا ديلافو، وأنا وكيت يشك كل منا في الآخر بأنه سرق الدفتر السري، أما إيمي فقد أرادت في البداية أن تفجر رأسي، لكن الآن تتأجج بيننا مشاعر ملتهبة في كل مرة نتقابل فيها.

لم أعد أعرف من أثق به بعد الآن، لا أعرف الوسيلة لذلك، لا أعرف كيف أحب أحدًا، حتى ستيوارت، صديقي العزيز، ذلك الشخص لم أكنَّ له سوى كل الامتنان والمودة. بالتأكيد ظللنا على تواصل، لكن من بعيد، ولم أزره في دار الرعاية وأجعل يومه مبهجًا، ولم أصحبه لتناول الغداء خارج الدار، ولم أحتسِ معه شرابًا، ولم نتمش في الهواء الطلق. أجل، أرسلت له مقاطع فيديو لعروضي الكوميدية ولنكاتي العشوائية، ما كان يجلب بعض السعادة إلى يومه، لكنني فعلت ذلك من بعيد، وعبر الإنترنت. لقد كنتُ الشخص الكوميدي الذي يجعل الناس سعداء وهو يقف على المسرح ويمسك الميكروفون متحدثًا إلى جمهور قابع في الظلام، أو ينشر عروضه على فيسبوك. كان ينتابني إحساس جيد بشأن هذا، لكنه لم يكن حميميًا أو شخصيًا.

كل شيء كان من بعيد، لأن الاقتراب يؤذي كثيرًا.

نهضت واقفًا على ساقيَّ المرتعشتين، والتفتُ لأغادر.

وقعت عيناي على إيمي لنتيني جالسة في الصف الثالث من خلفي.

مشيتُ إليها.

فقالت: "لقد جئتُ في حال أنك احتجت إلى شخص بجوارك".

ثم وضعتْ يدها على يدي، فأمسكتُ باليد الأخرى، وقبضتُ عليها بقوة، ونظرتُ مباشرة في عينيها. عندما خرجت الكلمات من فمي، كانت حادة كورق الصنفرة، قادمة من حلق شوهته العواطف. خرجت الكلمات كهمسة، ربما بسبب المكان المحيط بنا، لكن على الأرجح؛ لأنني كنت أعني هذه الكلمات أكثر من أي وقت مضى.

قلت: "هل يمكنني أن أثق بكِ؟ أعني، هل يمكنني أن أثق بكِ حقًّا؟".

حدقت إيمي في عينيَّ، ولم تكن تعرف ما يدور بذهني، لكن في ظل هذه الظروف، وفي ضوء معرفتها كيف قابلتُ ستيوارت، ومعرفتها لتاريخي، كان بإمكانها التخمين جيدًا. بدا أنها أدركت مدى ثقل سؤالي، وأنني لم أقل شيئًا في حياتي أكثر جدية من هذا.

فهمست: "يمكنك أن تثق بي، يا بيلي. أعدك بهذا".

الفصل 62

قدت سيارتي متّبعًا سيارة إيمي. غدًا ستعقد جلسة استماع ما قبل المحاكمة فـي قضية البيت الحجري والمتـورط فيها عمدة، وكبير رجـال الدين في ثالث أكبر مدينة في البلاد، بالإضافة إلى عدة أشخاص مهمين آخرين. البلد بأسره يترقـب المحاكمة، والأعين كلها مسلطة علـى مساعدة النائب العام إيمي وعليَّ باعتبـاري الشاهد الرئيسي، بالإضافة إلى محامـي الدفاع القادمين من أنحاء الولايـات المتحـدة - بعضهـم من أكبـر المحامين أجـرًا في البـلاد - الذين سيحاولـون تشريح شهادتي مثلما كان الملازم مايك جولدبيرجر يشرّح البيض في الطبق على الإفطار.

سيقضـي المحامـون اليـوم فـي شحـذ سكاكينهـم، وسيعقـدون محـاكاة لاستجوابي مـع زملائهم، يسعون من خلالها إلى إيجاد أية ثغرات في شهادتي، ويبحثون عن أية طريقـة ممكنة يظهرون من خلالها للقاضي والمحلفين أنه لم يتوافر لديَّ مبرر قانوني كافٍ لاقتحام المبنى، وأن الاعتقالات التي قمتُ بها هي انتهاك للقانون، وأنه يجب إطلاق سراح جميع موكليهم وفقًا للقانون.

أنا وإيمي أيضًا كنا ذاهبين لتدريبي مرة أخيرة على شهادتي.

لكن إيمي - القادمة من بلدة وينتكا عبر طريق لايك شور درايف - لم تتجه إلى وسط المدينة حيث يوجد مكتبها، بل أخذت منعطفًا إلى حي إيرفنج بارك، وتبعتها عبر بعض الشوارع الجانبية في حي ريجلي فايل حتى أوقفت سيارتها.

خرجت إيمي من سيارتها، ورفعتْ حقيبتها على كتفها، وسارت نحو مبنى سكني صغير، فخرجتُ من سيارتي وتبعتها ضغطت إيمي رقمًا على جهاز أمام البوابة، فانفتحت البوابة محدثة أزيزًا.

تبعتها دون أن أنطق بكلمة. سرنا عبر البهو إلى المصعد الذي أخذنا إلى الطابق السادس. سرنا عبر الرواق إليَّ شقتها. فتحت إيمي الباب ودخلنا. وبمجرد أن صرنا داخل الشقة، نظرت إليَّ وعانقتني.

أردت أن أتذكر كل لحظة، أردت أن يتوقف الزمن بحيث يكون هذا هو كل ما يحدث في حياتي، وليست الأكاذيب والاشتباهات والألم - بل هذا وحسب. شعرتُ أيضًا بشيء آخر، شيء لا يمكن وصفه إلا بأنه إحساس بالسكينة، إحساس بالأمان، وهذه هي المرة الأولى التي أتذكر فيها ذلك الشعور.

لم نتدرب كثيرًا عصر ذلك اليوم ولا في مسائه؛ فقد أخبرتني إيمي أننا مستعدان لأفضل ما يمكنهم الإتيان به، وقد كانت محقة على الأرجح. وبدلًا من ذلك، طلبنا طعامًا صينيًا وتناولنا دجاجًا وشعرية على أريكتها، وتحدثنا عن أشياء غير المحاكمة؛ عن الموسيقى والأدب والسفر، وعرفتُ أنها كانت فيما مضى عازفة كمان في الحفلات، وأنها درست عامًا في الخارج بمدينة فلورنسا الإيطالية، وأن شقيقها الأصغر تأهل لدورة الألعاب الأوليمبية في التزلج السريع، وأنها لم تتعلم السباحة وهي صغيرة، والآن يمنعها الحرج من أن تأخذ دروسًا لكي تتعلمها.

كان هذا أفضل عصر يوم قضيته في حياتي.

ولكننا قررنا أنه سيكون من الأفضل ألا نقضي الليل معًا؛ فقد كان علينا أن نحضر لجلسة الاستماع في اليوم التالي مبكرًا وفي كامل نشاطنا، فاتفقنا على أن نتقابل في المحكمة قبل الموعد بساعة.

قدت سيارتي عائدًا إلى منزلي، وأنا أدندن بالأغاني وصدري منشرح. كنت أشعر بأنني ربما عدت إلى مسار الحياة التي وعدني جميع من يحبونني بأنني سأسلكه عاجلًا أم آجلًا.

عندما وصلت منزلي، التقطت الرسائل من أسفل فتحة البريد بالباب، وكان هناك مظروف كبير مسنود إلى الباب، بحجم ٢٤×٣٠سم ولم يكن مكتوبًا عليه شيء.

وضعت رسائل البريد، وفتحت المظروف. كانت بداخله صورة واحدة لامعة، لم يستغرق الأمر مني كثيرًا لأتعرف على المبنى الحجري ودرجات سلمه. كانت هـذه صورة أخرى من الصور الفاضحة التي رأيت مثيلاتها من قبل في مقالات كيم بينز؛ حيث كان الشخص في الصورة يحاول التخفي ورأسه مطرق لأسفل، وياقة المعطف مرفوعة لأعلى، محاولًا ألا يراه أو يلاحظه أحد.

لكن لا يمكن تكذيب الكاميرا، وقد التقط المصور صورة مقربة لوجه الشخص.

لا يمكن إنكار هوية هذا الشخص.

الشخص الذي يظهر في الصورة وهو يصعد أولى درجات بيت الفجور لم يكن سوى إيمي لنتيني.

الجزء السابع

الوقت الحاضر

الفصل 63

"هيًا، تناول طعامك".

نظـرت إلى وعاء المكرونة الـذي وضعته باتي أمامي، وأومأتُ لها، لكن يديَّ لـم تمتدا إلـى الطعام، كانت باتي تحـاول صرف انتباهي - أكثـر من أي شيء آخر - عما أراه في التليفزيون.

كنت أشاهد مارجريت أولسون - المرشحة الأوفر حظًّا في السباق الانتخابي علـى منصب العمـدة - وهي تقف أمـام صف من الميكروفونـات، وخلفها علم المدينة بالخطوط البيضاء والزرقاء والنجوم الحمراء سداسية الرءوس. كانت تبدو كشخص محترف، بمظهرها وشعرها وبدلتها الزرقاء المثالية، وتحاول أن تصبح المزيج المثالي بين مكافح الجريمة الصارم وممثل السلطة التنفيذية.

كانـت تقول: "على الرغم من استمـرار حملتي الانتخابية بكامل قوتها، فإن عملـي كمدعٍ عام لمقاطعة كوك لـم ينته، ولن أدع السياسـة تصرفني عن أداء واجبـي. إن الجرائم التـي ارتكبها المحقق هارني تمثـل أخطر المشكلات التي تواجهها المدينة. فعندما لا يكتفي شرطي - أقسم اليمين على احترام الدستور - بانتهـاك ثقـة مواطنينا، بل يقتـل أيضًا ليخفـي هذا الانتهـاك، فلا يمكنني التفكير في جريمة أفظع من هذه. وأنا تعهدت بإيقاف هذا النوع من الفساد".

قالت باتي موجهة كلامها إلى الشاشة: "لماذا لم تتعهدي بإيقاف فمك عن الثرثرة".

أكملت مارجريت أولسون كلامها قائلة: "لهذا السبب، سأكون شخصيًّا ممثلة الادعاء في قضية المحقق ويليام هارني".

كان لكلماتها وقع فوري في غرفة المعيشة مثل وميض برق سريع، ثم لا شيء سوى صمت لمدة ملحوظة، حتى من التليفزيون، وكأن مارجريت كانت تتحدث إليَّ مباشرة، وأرادت مني استيعاب كلماتها. *سألاحقك يا هارني حتى أنال منك.*

"*ويليام*"، قالتها باتي بسخرية كأن هذا أكثر ما استفزها فيما سمعته، ثم أردفت: "من بحق السماء الذي يدعوك ويليام؟".

كانت الصحافة تستخدم اسمي الرسمي أيضًا. وحتى كيم - التي انتعشت حياتها المهنية بشكل رائع منذ ليلة مداهمة ذلك البيت، التي تعمل الآن مراسلة جرائم في محطة إن بي سي المحلية، والتي كانت تعرفني منذ سنوات وتدعوني بيلي - أصبحت الآن تشير إليَّ باسم *المحقق ويليام هارني*. أحيانًا أفضل هذا؛ إذ يبدو كأن الأمر يحدث لشخص آخر، وليس لي. ويليام هارني؟ لا، أنا بيلي. لا بد أن هذا شخص آخر متهم بقتل أربعة أشخاص ويواجه عقوبة السجن مدى الحياة.

قلت: "أمي كانت تناديني ويليام عندما كانت تغضب مني".

"منك؟ أمي لم تغضب منك أبدًا؛ فأنت كنت طفلها المدلل".

كان هذا من المفترض أن يكون إطراءً ونوعًا من الدعم، لكن نبرة صوتها لم تكن توحي بذلك. كانت باتي تعتقد دائمًا أنني قضيت حياتي أسير في طريق ممهدة، وكأنني لم أتعثر قط، بينما عانت هي لتقطع طريقها المليء بالحفر والمنحنيات الوعرة. وأنا لم أفهم أبدًا السبب في هذا؛ فقد كانت لدينا الحياة نفسها والأشياء نفسها.

"هذا ليس تطورًا جيدًا للأحداث"، قالها أبي وهو يدخل غرفة المعيشة، ثم استند إلى الحائط. كان أبي صريحًا بشكل مطلق، ولا يستخدم عبارات ملطفة.

أشارت له باتي بأن يتوقف، ثم قالت: "ما الذي تعرفه مارجريت أولسون اللعينة عن المرافعة في القضايا. إنها سياسية وليست محامية محاكمات".

لم يكلف أبي نفسه عناء الجدال، فالنقاش مع باتي أمر مرهق. فهي عندما تدخل فكرة في رأسها، لا تتخلى عنها. وكلما افتقر موقفها إلى العقلانية، زاد تشبثها به.

لكنها من ناحية محقة: فمارجريت أولسون ليست محامية محاكمات محنكة، بل عضوة في مجلس المدينة جرى اختيارها لتكون المدعي العام للمقاطعة. لم تكن محامية ماهرة في يوم من الأيام، لكن ليس هذا ما يقصده أبي، بل يقصد أنه إذا وضعت مارجريت هذه القضية على رأس أولوياتها، فإنها لن تخسرها. لا يمكنها أن تخسرها، لأنه حينئذ ستكون قد وضعت مسألة ترشحها لمنصب العمدة بالكامل على المحك. إذا خسرت مارجريت القضية، ستبدو كشخص هاوٍ، وليس قاهر الفساد الموثوق به الذي "سينقذ هذه المدينة!".

نظر أبي في اتجاه باتي، لكنه لم يظهر أي غضب أو إحباط. كنا مرهقين جميعًا؛ فقد مرت سبعة أسابيع صعبة على اعتقالي واتهامي بأربع جرائم قتل من الدرجة الأولى، ثم أُطلق سراحي بكفالة مليون دولار، وكان هذا هو النبأ السار الوحيد؛ فالكثير من المشتبه بهم في جرائم قتل لا يسُمح لهم بالخروج بكفالة. ومن المفارقة أن أكثر شيء أفادني في هذا هو حالتي الصحية، حقيقة أنني لا أزال في مرحلة التعافي، ولا يتوافر في سجن المقاطعة الرعاية الطبية اللازمة، وأحد أطبائي أخبر القاضي بأنني مازلت بحاجة لتلقي علاج أسبوعي.

على أية حال، قام أبي برهن البيت وأُطلق سراحي. وعلى مدار أول أسبوعين بعد هذا، كنت قابعًا في منزلي أو منزله، وكان المراسلون بانتظار الانقضاض علي في أية لحظة يرونني فيها، وكان الحصول على البريد كل يوم بمثابة تدريب عليَّ التسلل والتضليل.

أما الآن بعد قرابة شهرين من اعتقالي، هدأت الأمور قليلًا؛ فقد انشغل الإعلام بالمجموعة التالية من القصص: عطلة أسبوع أخرى تقع فيها جرائم قتل عددها مكون من رقمين، وأزمة المعاشات التي تهدد بخنق الحكومة، والسباق الانتخابي على منصب العمدة الذي يتصدر عناوين الأخبار - أحد المرشحين أدلى بتعليق غبي، ومرشح آخر ارتكب خطأً فادحًا، لكنهم يعرفون أن محاكمتي ليست بالبعيدة، بل على بعد أسابيع قليلة، وقريبًا ستتاح لهم فرصة الأكل حتى التخمة من الوليمة مرة أخرى.

سألني أبي: "ما الأحوال مع الطبيبة النفسية؟".

هززت كتفي قائلًا: "لقد حاولنا عمل كل شيء، لكن لم يحالفنا الحظ حتى الآن".

لقد جربـت أنا والدكتورة جاجودا كل شيء يمكـن أن يحفز التذكر ويحدث ثقبًا في الجدار الذي يحجب ذاكرتي، وقضينا جلسات كاملة في تحليل علاقتي مـع أبي وأمي وأختي وإخوتي، وعقدنا جلسـة كاملة عن كيت، وعدة جلسات عن إيمـي، بل وجربنا التنويـم المغناطيسي. وعندما انتهينـا وأفقت منه، كان وجه الدكتـورة جيل جاجـودا خاليًا من أي تعبير، واكتفت بهـز رأسها. كانت لا تزال تعتقد أن عواطفي هي ما يقمع ذاكرتي.

إذا كان هـذا صحيحًـا، فـلا بد أننـي لا أريـد *إطلاقًا* أن أعـرف ما حدث أو ما فعلته.

تمتـم أبي بشيء إلى نفسه وهو يغادر الغرفة. وبمجرد أن خرج، لمست باتي قدمي، وهمست قائلة: "اسمع".

شعـرتُ كأننـا طفـلان مرة أخـرى نهمس مـن وراء ظهر والدينـا، ونتبادل المعلومـات السريعة وأنصاف التعليقات، وينهي كل منا جملة الآخر، وبقية تلك الأشياء التي يفعلها التوائم.

اختفت مارجريت من الشاشة، ليحل محلها مذيع يتحدث عن عاصفة قادمة نحو المدينة. فالتفتُّ إلى باتي.

قالت: "ربما من الأفضل ألا تتذكر".

"كيف ذلك؟".

سألتني: "حسنًا ... مَنْ يمكنه القول إنك لم تستعد ذاكرتك؟".

لم أفهم ما تعنيه في البداية، لكن بعد ذلك فهمت.

نظـرتْ إليَّ نظرة ذات معنـى، وكأنها تريد مني تجربة الفكرة لبعض الوقت وأرى إذا ما كانت مناسبة، ثم أردفت: "لا يستطيع أحد قراءة ذهنك. فإذا قلتَ إنك تتذكر، فأنت تتذكر".

اعتدلـتُ في جلستـي على الأريكـة لكي أواجههـا، وقلت: "وأفترض أن ما أتذكره هو أنني لم أقتل أحدًا".

مـررتْ يدها على الوسادة خلفي، ولم تنظر في عيني، لكنها أبقت حاجبيها مرفوعين، وبدا أنها تريد مني التفكير في الأمر.

ثم قالت: "ربما يكون هذا أفضل من الحقيقة".

الفصل 64

جلستُ مائلًا بجسدي للأمام في سيارة الدكتورة جيل جاجودا العائلية، وعيناي على الخارج أتفحص الشوارع - السائرين في ضوء النهار، والمراهقين، والأمهات اللاتي يصحبن أطفالهن، ومن ينزهون كلابهم، والمتجهين إلى المقاهي في ساعة مبكرة - وأفكر في كل شيء، وأمعن النظر، وأضيق عيني محاولًا التركيز على كل شيء ولا شيء في الوقت نفسه.

قالت الدكتورة جيل: "لا تضغط على نفسك، ودع الذكريات تأتِ إليك من تلقاء نفسها".

هذا هو الحي الذي عاشت فيه إيمي لنتيني، لكنني أعرف هذا فقط؛ لأن الناس أخبروني بهذا؛ فأنا لا أتذكر أنني ذهبت إلى شقتها، ولا أتذكر المبنى حتى.

كانت إيمي تبدو كشبح في ذاكرتي، وكانت صورتها رقيقة؛ لدرجة أنها شفافة وتتلاشى كلما حاولت استحضارها. هل وقعنا في حب بعضنا؟ هل فعلنا ما هو أكثر من ذلك؟

كنت أشعر بأن الإجابة على كلا السؤالين هي نعم، لكن لا يزال الأسبوعان اللذان سبقا حادثة إطلاق النار عبارة عن فراغ أسود. أعلم أنهم وجدوني عاريًا في السرير مع إيمي عندما تعرضتُ لإطلاق النار، وبالتالي لا يمكن إنكار أننا كنا في علاقة عاطفية، لكن كل هذا بالنسبة لي أصبح مجهولا، وشيئًا يقصه الآخرون عليّ؛ مثلما يقول لك الناس إن هناك طبقة أوزون لكنك لا تستطيع لمسها

أو شمها، ومثلما أن هناك مجرات أخرى لكنك لا تستطيع رؤيتها. لقد كنت وإيمي على علاقة، لكنني لا أتذكر هذا.

لكن تلك الومضات من التوق والإحساس العميق بالفقد والألم تستمر في العودة. هذا ما أشعر به كثيرًا، ويشبه مرضًا غامضًا، أو ألمًا مبهمًا لا يستطيع الأطباء تحديد سببه.

قالت الدكتور جيل: "أريد أن أسألك شيئًا".

"تفضلي".

"لماذا طلبت عقد محاكمة سريعة؟ بعض المتهمين يؤجلون محاكمتهم لشهور أو لأعوام، وأنت بإمكانك فعل هذا. أنت مُفرج عنك بكفالة، ولست في عجلة من أمرك".

قلت: "هذا ما قاله محاميَّ أيضًا". كان المحامي قد جادلني باستمرار في أننا يجب أن نؤجل هذه المحاكمة إلى أن يتم انتخاب مارجريت أولسون في منصب العمدة، ويهدأ الصخب الإعلامي، وأحصل على الوقت الكافي لاستعادة ذاكرتي.

هذا كلام منطقي، وأعرف هذا، لكنني لا أستطيع العيش على هذا النحو. أنا مُفرج عني بكفالة، لكنني محاصر، ومسجون خلف قضبان خفية، وتغمرني أسئلة ليست لديَّ إجابات عنها. هذا أسوأ من الرعب الخالص؛ فالرعب الخالص شيء عشته بنفسي، كأن تكسر الباب متوقعًا أن تجد شخصًا يقف على الجانب الآخر ويحمل سلاحًا ناريًا، أو مطاردة مجرم مسلح في رواق وأنت تعلم أنك على وشك محاصرته في زاوية، وأن أحدكما يجب أن يخرج منتصرًا من المواجهة، أو النظر في عين شخص أنت تعلم أنه قَاتل متسلسل، وهو يعرف أنك تعرف، وينظر إليك في سخرية، وعيناه تحدقان فيك، ويقول لك: *أجل، أنا قاتل وحصدتُ أرواحًا، وهذا لم يهز فيَّ شعرة واحدة.*

أستطيع التعامل مع تلك الأمور، لكن ليس مع هذا الأمر؛ ليس مع الشك الدائم، مع الضباب المستمر، مع الحزن الذي يجعلني أشعر بتقلص معدتي، مع الاشتباه الدائم في أنني فعلت شيئًا سيئًا للغاية، ولا أستطيع – أو لا أريد – تذكره، على أمل أن أكون مخطئًا، وأن هناك تفسيرًا آخر.

أنا لا أستطيع التعامل مع الخوف من أنني أسعى في استماتة نحو إجابة لن تعجبني، ومن أنني أحاول هدم حائط، وبعد أن أهدمه، فإن نارًا حارقة ستحيط بي.

أوقفت الدكتورة جاجودا سيارتها بمحاذاة الرصيف وقالت: "هذا هو المكان".

نظرتُ حولي وقلت: "أين؟".

"ذلك المبنى السكني الذي تغطي مدخله مظلة".

ألقيت نظرة على المبنى. هنا عاشت إيمي. هنا قُتلت إيمي وكيت.

لا أتذكر شيئًا، ليس هناك سوى فراغ أسود، وهذا مجرد مبنى آخر بالنسبة لي، مثل آلاف المباني السكنية في مدينتنا.

حدقت في مظلة المدخل، وإلى أعلى حيث النوافذ، محاولًا دفع المبنى إلى التحدث إليَّ. *أنت دخلت من هذا الباب، وركبت المصعد، ومشيت عبر الرواق، ودخلت هذه الشقة.*

لقد رأيت الكثير من الصور لشقة إيمي من الداخل، باعتبارها مسرح جريمة، لكنها بدت مثل سائر الشقق؛ مطبخ صغير، وغرفة نوم بسرير واحد، وغرفة معيشة مرتبة جيدًا.

أنت دخلت هذه الشقة. أنت وإيمي ...

أنا وإيمي ماذا؟ أنا لا أتذكر وجودي في هذه الشقة.

قالت الدكتورة جيل: "بهدوء، لا تضغط على نفسك".

هززت رأسي قائلًا: "لنذهب من هنا".

"لماذا لا نتمشى في المكان؟ يعجبني هذا...".

"أريد المغادرة".

"بيلي، هذا كل ما تبقى لدينا؛ فلقد تحدثنا عن مشاعرك وعواطفك وطفولتك وعلاقاتك، وتحدثنا عن ابنتك وزوجتك وآمالك ومخاوفك...".

"صدقيني يا دكتورة، أعرف هذا".

"حسنًا، أنت بحاجة لاستخدام حواسك الأخرى. فبما أن عقلك يجد صعوبة في التذكر، فأنت بحاجة إلى اللمس والرائحة والسمع، أنت بحاجة إلى إعادة نفسك إلى هذا المكان، أنت بحاجة إلى إعادة بناء الأحداث، وهذه آخر فرصة لنا لفتح الباب".

قلت: "هيَّا بنا نغادر".

لكنها توقفت. فأخذت أحدق في مظلة المدخل حتى بدا كأنها تتحرك وتلوِّح لي وتهزأ بي.

فقالت: "لا بأس بأن تخاف".

التفتُّ إليها، وقلت: "أنا لا أحتاج لطبيبة نفسية لتخبرني بأنه لا بأس بأن أخاف. أعلم هذا، فالخوف هو تقريبًا العاطفة الوحيدة المتبقية لدي. أنا فقط... قررت الاستسلام، هل سمعتني؟"، ثم أردفتُ وأنا أرفع يديَّ في وجهها: "أنا أستسلم".

"لا، لدينا أربعة أسابيع حتى بدء المحاكمة. لن أدعك تستسلم".

قالتها وهي تقطب حاجبيها، فلاحظتُ أنها من دون نظارتها الكلاسيكية التي تخلعها في أثناء القيادة، تبدو أصغر سنًّا وأكثر براءة.

قالت: "أنا لا أعتقد أنك قتلت أحدًا".

"إذن، ليتك سجلت اسمك في هيئة المحلفين".

لم ترقها الدعابة.

قالت: "دعنا نعد خلق ما حدث! هذا كل ما تبقى لدينا".

"كم من الأحداث تريدين استحضاره؟ أيفترض أن أطلق النار عليكِ؟ هل ستطلقين النار عليَّ؟".

"طريقة تصرفك تجعلني أتمنى هذا".

نظرت خلفي إلى البناء، وإلى مظلة المدخل، وللنوافذ بالأعلى. ربما إعادة تمثيل ما حدث قد تجدي نفعًا؛ إذ يبدو على الطبيبة أنها تعتقد ذلك، وهي الخبيرة في الأمر.

لكنني تذكرت ما قالته لي باتي.

ربما من الأفضل ألا تتذكر.

من يمكنه القول إنك لم تستعد ذاكرتك؟ لا يستطيع أحد قراءة ذهنك. فإذا قلتَ إنك تتذكر، فأنت تتذكر.

ربما كانت باتي محقة، ربما فرصتي الوحيدة هي أن أقول ما ينقذني. سأختلق حكاية جيدة. يمكنني فعل هذا، أليس كذلك؟ بالتأكيد يمكنني ذلك؛ فأنا أفضل كاذب أعرفه.

ربما يكون هذا أفضل من الحقيقة.

قلت للدكتورة جيل: "شكرًا لكِ على كل شيء، لكنني سأتولى الأمر بمفردي من الآن".

الفصل 65

سرتُ في الشوارع، وكانت مشيتي قد تحسنت بمرور الأيام، وقل عرجي، وزادت قوتي الجسمانية. وقد أفادني في ذلك العلاج الأسبوعي والسير اليومي. كان الطقس رائعًا - طقس نهاية الصيف وبداية الخريف - وكان الهواء منعشًا بينما بدأ الظلام في إسدال ستاره ببطء.

سحقًا لذاكرتي! لن أسجن نفسي في تلك الغرفة المغلقة؛ فأنا لا أحتاج لتذكر ما حدث لكي أكسب القضية، بل أحتاج إلى قصة مقنعة وحسب.

عندما وصلت إلى جادة ساويث بورت، شمال شارع أديسون، كان الظلام قد ساد تمامًا. لم تكن حركة المارة هناك كثيرة مثلما كانت في وسط المدينة، لكنني وجدت نفسي وسط تيار مستمر من الناس. أنا حاليًّا لا أفعل الكثير غير المشي والبقاء على قيد الحياة، وقد أدركت أن البقاء على قيد الحياة نعمة في حد ذاته؛ لأنه كان من الممكن أن أموت بسهولة بسبب الطلق الناري، بل إنني في الواقع مت إكلينيكيًّا، ولذا فإن أي شيء بعد هذه التجربة هو أمر تافه، أليس كذلك؟

هذا ما أخبر به نفسي؛ أنني محظوظ لأنني ما زلت أتنفس، حتى لو وجدت نفسي قريبًا من العيش والتنفس في السجن.

ألقيت نظرة خاطفة على واجهة متجر، ثم ألقيت نظرة أخرى عليها، وكنت متأكدًا أنني للحظة رأيت إيمي تنظر إليّ، لكن الحقيقة هي أن ذلك كان دمية عرض بشعر أسود قصير ويرتدي بذلة أنيقة.

هذا يحدث لي في بعض الأحيان؛ إذ ترد لي ومضات كهذه. أنا لا أرى أشباحًا، وهذا ليس وقت تحضير الأرواح أو طردها، لكنني في بعض الأحيان كنت أنظر في هذا الاتجاه أو ذاك، وأقسم أنني أراها.

هذا ليس الشيء الوحيد الذي أشعر به، بل إنني أشعر أيضًا بأن هناك شيئًا خلفي، بأن هناك تغيرًا في ضغط الهواء، وكأن هناك حركة خلفي تتوقف كلما توقفتُ.

التفتُ برأسي التفاتة سريعة، لكنني لم أجد سوى مجموعة متناثرة من الأشخاص يتحركون في اتجاهي، لكن أيًّا منهم لم يتراجع أو يتمهل أو يشح ببصره بعيدًا عني.

لم يكن هناك مَنْ يتبعني.

لكن هذا الشعور غمرني مثل قشعريرة برد.

لقد تعبت من التلفت حولي.

وسئمت من أخذ موقف دفاعي، والنبش في ذاكرتي، والشعور بقلة الحيلة.
حان وقت التوقف عن الدفاع والبدء في الهجوم.

أوقفت سيارة أجرة واتجهتُ شمالًا.

شعرتُ كأنني لم أحضر إلى مقهى هوول إن ذا وول منذ أعوام - والذي كان فيما مضى أول شيء أفكر فيه: أنت عطشان وأمامك ساعة قبل مطاردة المجرمين، اذهب إلى مقهى هوول.

خرجت من سيارة الأجرة، وسمعت صوت قطار المترو يمر من فوقي، مسقطًا بعض الصدأ. فأمسكتُ بباب المقهى، وتوقفت للحظات، ثم فتحته.

هدأ المكان عندما دخلت. كان الموقف أشبه بمشهد سينمائي: فقد توقفت الموسيقى، وتوقفت المحادثات فجأة دون أن يكمل المتحدث جملته. كان الأمر أشبه بالصرير الحاد الذي تسمعه عند رفع إبرة التشغيل عن مشغل الأسطوانات القديم.

كانت العيون كلها مسلطة عليَّ، لكنها لم تكن تحمل نظرات ودية. كان هناك تقريبًا مائة وجه أعرفه، وهم أشخاص عاشرتهم وعملت معهم. وعند المشرب، كانت باتي تحمل زجاجة شراب قابعة على شفتيها دون حراك وهي تحدق فيَّ.

صاح شخص: "هذا المقهى لرجال الشرطة، وليس لقتلة رجال الشرطة".

كـورت قبضتيَّ، وصررت على أسناني، ونظرت إلـى الركن الذي كنت نجمًا لامعًا فيه فيما مضى، حين كان الناس يشاهدونني ويضحكون، حين كان الناس يهتفـون باسمــي. صعدتُ المسـرح وأمسكت بالميكروفون وفتحتـه ونقرت عليه بأصبعي للتأكد من أنه يعمل.

فصاح شخص: "نحن لا نريد سماع نكاتك".

قلت عبر الميكروفون: "هذه ليست نكتة، أنا لم أقتل أي رجل شرطة، أنا لم أقتل أحدًا".

فصاح شخص آخر: "ألم تقل إنك لا تتذكر شيئًا؟".

ألقيـت نظرة أخرى على المكان وقـد تسارعت نبضات قلبي وشعرت بغثيان في معدتي.

قلت: "لكنني أتذكر الآن، أتذكر كل ما حدث، ولم أرتكب أية جريمة".

ألقيـت بالميكروفـون، فأصدر صوتًا مدويًا في أنحـاء المكان، ثم نزلت من على المسرح.

قال شخص: "هاي!".

التفتُ وأنا في طريقي للخروج، فإذا بوجه ويزنويسكي المكتنز يتقدم نحوي. كانت يده مرفوعـة متأهبة للهجوم عليَّ. في حالتي العادية، كنت سأصده بشكل أفضـل، لكن حركتي لا تـزال بطيئة، ولذا قبل أن أتمكن مـن إزاحة يديه، كانت أصابع ويزنويسكي ملتفة حول عنقي، ثم دفعني إلى الخلف على الطاولة، فتقوس ظهـري، وشخصـت عيناي إلى السقـف. امتلأ قلبي بسيل مـن الغضب واليأس بينما أخذ الجالسون يصيحون في حماس. كان وجه ويزنويسكي المكتنز يحدق في وجهي بينما كنت أحاول التخلص من قبضته، لكنني لم أستطع، غير أني...

فجـأة تحركـت الطاولة التي كنـت محنيًّا فوقها بعنـف، وتناثر زجاج، وفك ويزنويسكـي قبضته وتراجع للوراء. مرت لحظـة من دون أن أستوعب ما حدث، فقـد بدا الأمر كأن زلزالًا مدمرًا قد وقع، لكنـه كان مقتصرًا على هذه الطاولة الصغيرة.

كانت باتي تمسك مضرب بيسبول - لا بد أنها وجدته خلف الباب - وقد أسندته على كتفها وكان مرفقها بارزًا للخارج كأنها تستعد لاستقبال الكرة، وكان فمها مسترخيًا وكأنها باردة كالثلج، لكن عينيها كانتا تتقد نارًا.

قالت باتي لويزنويسكي بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه الجميع: "هل تحب التنمر على المرضى؟ هل تود تجربة ذلك مع شخص لم يصب برصاصة في المخ؟".

نظر ويزنويسكي إلى باتي في غضب وصدره يتهدج ووجه محمر كالطماطم، وقال: "مرحبًا أيتها السافلة، هل سينقذكِ مضرب بيسبول من مسدسي؟".

أمسكت باتي بالمضرب بكلتا يديها، ورفعته في وضع أفقي، ثم هوت به على صدر ويزنويسكي؛ فرفع يده مدافعًا عن نفسه دون أن يحاول التقاط المضرب، فاصطدم المضرب بكفيه وسقط على الأرض أمام أقدامنا.

وفي لحظة سحبت باتي مسدسها ورفعته على بعد سنتيمترات من أنف ويزنويسكي، وقد باعدت بين ساقيها لتأخذ وضعية الاستعداد.

قالت باتي: "ومن يحتاج إلى مضرب؟". كانت تبدو كأنها لا تبالي بشيء في العالم، كأن سحب الزناد لن يسبب لها أدنى إزعاج.

لم يعرف الحاضرون كيف يتصرفون مع هذا الموقف. كانوا حشدًا من رجال الشرطة، معظمهم خارج الخدمة، ومعظمهم يحمل سلاحه؛ فتراجع بعضهم إلى الوراء أو انحنى، وبعضهم الآخر امتدت يده إلى سلاحه. كان من الواضح أن هذا الموقف قد ينتهي بطرق مختلفة، قد يكون بعضها سيئًا.

قال ويزنويسكي: "ما الذي تفعلينه بحق السماء؟ بربك، يا باتي!". لم يكن يصدق أنها ستستخدم السلاح حقًا، لكن تفجير مخه إلى أجزاء متناثرة على السقف كان على بعد سحبة زناد من أصبع متحفز، وهذه الفكرة بالطبع تنعكس على سلوك المرء.

قالت باتي: "هل انتهينا؟".

"تبًا. أجل، انتهينا. انتهينا".

"إذن اعتذر لأخي".

"أنا آسف".

أنزلت باتي سلاحها، وقالت: "هيًا". مضت لحظة قبل أن أدرك أنها تتحدث إليّ. فخرجنا من المقهى الذي كان حينئذ يسوده صمت وذهول.

سألتني باتي ونحن خارجان من الحانة: "هل كنت جادًّا في قولك: *أنا أتذكر الآن*؟".

"هل كنتِ جادة في استخدامك لسلاحك؟".

"أجب أنت أولا".

قلت: "مثلما قلتِ لي من قبل، من يمكنه القول إنني لا أتذكر؟ سحقًا لمحاولة استعادة ذاكرتي. سأتذكر ما أريد تذكره".

قالت: "أحسنت، لكن هذا لا يعني أنك مضطر للإعلان عن ذلك في مكان مليء برجال الشرطة. هل كل هذا تصرفًا ذكيًّا؟".

فقلت لنفسي وأنا أشير لسيارة أجرة: *ربما لا*، *وربما نعم*.

الفصل 66

نظـرتُ من نافـذة غرفة نومي، فرأيت زوجين شابيـن يسيران مترنحين بعد الاحتفـال طوال الليل. كانت الشابة تحمل حذاءها فـي يدها، بينما كان الشاب يغنـي أغنيـة بصوت عـالٍ، متعمدًا أن يخـرج صوته نشـازًا، وكان الهواء البارد ممتلئًا بضحكاتهما. ارتشفتُ جرعة كبيرة من الشراب، لكن مذاقها كان مختلفًا ومـرًّا وعفنًـا - كان هذا هو مـذاق المشروبات منذ أن تعرضـت لإطلاق النار، ومنذ أن أفقت من الغيبوبة، والأمر نفسه ينطبق على الطعام أيضًا، وكأن الضرر الذي أصاب المخ عبث ببراعم التذوق وأعاد ترتيبها وأنا فاقد الوعي.

من المفترضـ أن أتناول أربع وجبات في اليوم لأستعيد وزني، لكنني بالكاد أتنـاول ثلاث وجبـات، وفي بعض الأيام يكـون كل ما أتناوله هـو الخبز والماء فقـط. ربمـا أعد نفسي، بطريقـة غريبة، للسجن؛ للعجيـن عديم الطعم الذي سيلقون به في طبقي كل يوم.

نظرت إلـى المسدس الموضوع على الطاولة التي بجانـب السرير. لن أنكر أن فكـرة الانتحار قد خطرت ببالي عندما كنت في أحلك أوقاتي، عندما قادني فقدان ذاكرتي إلى حافة الهاوية، عندما أردت أن أنتف شعر رأسي وأنزع جلدي وأصـرخ حتى أفقد صوتي، وعندما اقتنعت بأنـه لا بد أنني ارتكبت جريمة قتل، وأن الأدلـة لا تثبت خـلاف ذلك، وأنني سأقضي بقية حياتي في جحيم السجن. فكـرت في تذوق الفولاذ بلساني، وذلـك بإدخال فوهة المسدس في فمي لدرجة

تجعلني أكاد أتقيأ، وغلق عينيَّ بقوة، وإعطاء الأمر لأصبعي كي يضغط على الزناد.

فكرت في هذا، لكنني أكثر عنادًا من أن أفعله؛ فالأيرلنديون لا ينتحرون، بل يفضلون العيش في بؤس دائم.

لديَّ قصة، وهي ليست الحقيقة التي أتذكرها، ولا أعرف إذا ما كانت حقيقية أم لا، لكنها قصة: كيت دخلت الغرفة بينما كنت أنا وإيمي في الفراش؛ فدفعتها الغيرة المتهورة إلى إطلاق النار، هذا ما كان يظنه الجميع في البداية قبل ظهور تقارير المقذوفات واكتمال التحقيق.

قبل أن يكتشفوا أن إيمي قُتلت *بمسدسي*، وليس بمسدس كيت.

قبل أن يستعيدوا الرسائل النصية من هاتف كيت المفقود.

لكن هذه أفضل قصة يمكنني التفكير فيها؛ فهي تتماشى مع مسرح الجريمة إلى حد ما، ومباشرة للغاية. إن قصة الغيرة العمياء – قصة امرأة تعرضت للخيانة وتصادف أنها مسلحة وقت اكتشافها للخيانة – لا تتطلب مني إثبات عدد من الحقائق. حتى إذا لم يتعرض أعضاء هيئة المحلفين أنفسهم للموقف، يمكنهم تفهم ألم الخيانة والرغبة الجارفة في الانتقام، في قتل المرأة التي سرقت حبيبك، وإطلاق النار على الوغد الخائن أيضًا. لقد تناولت الأفلام والأغاني والروايات هذا الموضوع لسبب وجيه، وهو أن الجميع يمكنهم تفهمه على مستوى ما.

إما أن أفعل هذا أو لا أجد ما أدافع به عن نفسي على الإطلاق، فأخسر القضية من الجولة الأولى. أو أذهب إلى منصة الشهود وأجلس هناك كالمغفل، وأهز كتفيَّ ردًا على أسئلة مارجريت أولسون، وأكتفي بقول: *سؤال جيد، أتمنى لو كنت أعرف، لكنني لا أتذكر، ولا أستطيع المجادلة في هذا. أتفق معكِ في أن هذا يبدو سيئًا، لكن ربما يوجد تفسير بريء إذا استطعت التذكر...*

كفى... كفى من هذا الهراء!

ألقيت نظرة أخرى على سجل تلك الرسائل النصية التي أراني ويزنويسكي إياها وهو غاية في البهجة، وهي الرسائل التي أرسلتها كيت وهي تقف أمام باب شقة إيمي قبل دقائق معدودة من حدوث ما حدث.

قالت كيت في الرسائل: افتح الباب.

أحتاج إلى التحدث معك.

كان ردي عليها: ولِمَ أفعل ذلك؟ وكأن كيت اختارت وقتًا سيئًا للغاية للتحدث فيه. لكن إجابة كيت، تلك الكلمات المكتوبة بالأسود على الصفحة البيضاء التي أمسكها بيدي، لم تكن في الواقع الألوان بيضاء وسوداء، بل كانت مليئة بالنار والحنق، وقد طارت من الصفحة وطافت أمامي وأخذت تتراقص وتهزأ بي:

لأنها تعرف أيها الأحمق. لأنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا.

حاولت فك شفرة هذه الرسالة على مدار سبعة أسابيع ونصف الأسبوع منذ اتُهمت بجرائم القتل. حاولت أن أتذكر، حاولت التفكير بمنطق، لكن الشيئين مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا؛ فأنا لا أستطيع تجميع الصورة وأنا ليس *لديَّ* الأجزاء، وأنا لا أستطيع تذكر ما حدث. وكلما ناديت ذاكرتي وتوسلت إليها أن تعود، ابتعدت أكثر وتوارت بين الظلال.

عليَّ أن أتعلم التعايش مع هذا، مثل شخص أُصيب في العمود الفقري وعليه أن يتقبل أنه لن يسير على قدميه مرة أخرى. عليَّ أن أتقبل أنني لن أتذكر ما حدث أبدًا، ولن أعرفه مطلقًا، وأن ما حدث سيظل مدفونًا بداخلي حتى أموت.

ولذا سأكون جنديًا جيدًا، وسأتعلم التكيف مع الأمر. لكن مع ذلك سأظل أتساءل في كل ساعة، في كل يوم، في كل عام:

ما الذي عرفته إيمي عني؟ ما أسوأ شيء يمكن أن أكون فعلته؟

مكتبة
t.me/t_pdf

الجزء الثامن

الماضي

الفصل 67

"هـل تقسـم علـى قـول الحقيقـة، الحقيقـة كاملـة، ولا شـيء غيـر الحقيقة، وليساعدك الله؟".

أقسـم على ذلـك، أو على الأقل هذا ما أخبرت به موظـف المحكمة قبل أن أجلـس على منصة الشهـود. ضبطت ربطة عنقي، ونظرت إلـى قاعة المحكمة المكتظـة بالصحفيين والحضـور لدرجة أنني تخيلت أن الجـدران ستميل نحو الخـارج. كانـت طاولة الدفاع مليئة بالمحامين، بينمـا كان موكلوهم - بمن في ذلك العمدة فرانسيس ديلاني وكبير رجال الدين مايكل زافيير فيلان، ومجموعة من الشخصيات المهمة الأخرى - يجلسون خلفهم في الصف الأمامي.

وقـف محامي الدفاع الأول - محامـي العمدة - وأغلق أزرار سترته. لم تكن هـذه هي المحاكمة نفسها، بل جلسة استمـاع يحاول فيها الدفاع إقناع القاضي بأنـه لم يكن لديَّ مبرر قانوني مقنع لمداهمة البيت الحجري. فإذا فاز الدفاع، فـإن عملية الاعتقال تصير غير قانونية، ويُخلى سبيل كل من اعُتقل. كانت هذه هي فرصتهـم الوحيدة، لأننا قبضنا على هؤلاء المتهمين وهم عرايا في أوضاع مخلـة، وبالتالي لن تكون لدى الدفاع حجة معقولة أخرى في المحاكمة، لأنه لن يصدق أحد أنهم تسللوا خفية إلى البيت الحجري الراقي هذا ليلعبوا الدومينو، وهكـذا كان أملهـم الوحيد هو أن يحصنـوا أنفسهم بوثيقة الحقـوق الأمريكية وقوانين احترام الخصوصية. كان أملهم الوحيد هو تمزيقي إربًا.

كانت عينا إيمي مسلطتين عليّ، لكنني أشحت ببصري بعيدًا عندما رأيتها. كان الأمر متعلقًا بعملي الآن، ولذلك لم يكن هذا وقتًا مناسبًا لمناقشة أمور أخرى، أمور مثل الصورة اللامعة الملونة بحجم ٢٤×٣٠ سم التي تظهر فيها إيمي وهي تصعد درجات سلم المبنى الحجري، الصورة التي وضعها شخص في مظروف ودفعه في فتحة بريدي ليلة أمس، الصورة التي جلبتها معي اليوم، لكنها كانت أكبر من أن يسعها جيبي؛ فوضعتها في حقيبتي بجانب طاولة الادعاء. كانت الصورة مخبأة داخل غطاء الحقيبة القلاب، لكنني شعرت بأنها مشعة وترسل إليَّ إشارات مفادها أن شيئًا ما ليس كما يبدو في الظاهر.

لكن لا وقت لهذا الآن؛ فالآن وقت عمل وحسب.

"أيها المحقق"، قالها محامي العمدة، شو ديكريمر، الذي عمل تحت إمرة الرئيس بوش الأب نائبًا عامًّا، ثم انضم بعد ذلك إلى شركة محاماة مرموقة عُرف عنها الفتك بخصومها، وتولى قضايا من أقصى البلاد لغربها، وعادة ما تكون محاكمات عالية المخاطر تشمل مشاهير أو رجال سياسة.

سألني: "أنت لم يكن معك إذن تفتيش عندما دخلت البيت الحجري، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

قال ديكريمر ملوحًا بيده: "هل يمكنك ..."، ثم سار قليلًا أمام طاولة الدفاع وأردف: "هل يمكنك وصف المبنى الحجري؟".

وصفته بأفضل ما يمكنني؛ فهو مبنى قديم، غير ملتصق بمبانٍ أخرى، مبنيٌّ من الحجر الرملي والخشب الداكن، وله مدخل مقوس، ومكون من ثلاثة طوابق.

سألني: "كم عدد المداخل والمخارج؟".

"مدخل من الأمام، وآخر من الخلف".

"أي شيء آخر؟ أنفاق سرية؟ أي نوع من طرق الهروب المحكم؟".

هززت كتفيَّ قائلًا: "ليس على حد علمي، لكن هذا وارد".

"لكن الفكرة هي أنك *لم تكن تعرف*. وعندما قمت بالمداهمة، لم يكن لديك أي سبب للاعتقاد بأن هناك طريقة سرية يمكن أن يستخدمها مَنْ بداخل المبنى الحجري كي يهرب".

"هذا صحيح".

"في الواقع، لم تطأ قدماك المبنى الحجري من قبل، أليس كذلك؟ أعني قبل المداهمة؟".

كان قصده واضحًا للغاية إذا كنت على علم بقوانين احترام الخصوصية في الدستور الأمريكي. وقد نبهتني إيمي لهذا خلال الاستعداد للمحاكمة. إذا لم يكن لديك إذن تفتيش عندما دخلتَ المبنى، فلا بد أن يكون لديك سبب مقنع للمداهمة، والسبب الأكثر شيوعًا هو أنك علمت بوقوع سلوك إجرامي - كأن ترى مخدرات أو أسلحة من النافذة، على سبيل المثال - وخشيتَ أنك إن لم تقتحم المبنى على الفور، وإذا انتظرت حتى تذهب إلى القاضي وتحصل على إذن تفتيش، فسيتسنى للمتهمين الوقت الكافي لتدمير أدلة الإدانة، إن لم يهربوا جميعًا، ومن ثم فإن ديكريمر يحاول إثبات أنني لم يكن لديَّ أي من هذه الأسباب في ليلة المداهمة.

قلت: "لم تطأ قدماي البيت الحجري قبل ذلك اليوم".

قال وهو يهز أصبعه كأن الفكرة قد خطرت على باله للتو: "في الحقيقة، السبب الرئيسي لدخولك المبنى ليس له أدنى علاقة بالأعمال المنافية للآداب، أليس كذلك؟".

قلت: "كلا، لم تكن له علاقة بذلك"، وشرحتُ السبب الرئيسي لمراقبة المكان، وهو أنني كنت أحقق في جريمة قتل، وكان لدي مشتبه به، وأردت أن أقبض عليه في وضع مخل كي أتمكن من الضغط عليه لأحصل على إجابات لأسئلة متعلقة بجريمة القتل.

قال ديكريمر: "إنها تبدو خطة ذكية".

عندما يثني محام عليك، فانظر فوقك؛ لأنك سترى على الأرجح مقصلة على وشك السقوط على رقبتك.

قلت: "شكرًا لك".

"إذن، كان لديك هذا المشتبه، وقد تعقبته بالفعل إلى البيت الحجري قبل أسبوع من ليلة المداهمة، وكانت خطتك هي القبض عليه في ... في موقف يجبره على التعاون، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"ورغم أن هذه الخطة كانت في ذهنك لمدة أسبوع، لم تطلب من القاضي إذن تفتيش؟".

"لم أفعل".

"ولـم تطلب مـن مكتب المدعـي العام مساعدتـك في الحصـول على إذن تفتيش؟".

"لم أفعل".

"وهذا لأنك لـم تكن مهتمًّا باتهام هذا الشخص بممارسة الفجور، بل كنت مهتمًّا بشيء أكبر وهي جريمة القتل".

"هذا صحيح".

أومـأ ديكريمر، ونظر إلـى أسفل لقدمه، حيث حـذاؤه البراق باهظ الثمن. لـم يكن بجلسة الاستمـاع هذه هيئة محلفين، لكن إذا أحيلـت هذه القضية إلى المحاكمـة وحضـر الجلسات أعضاء هيئـة المحلفين الاثنا عشـر، فلن يرتدي حذاء بألف دولار، بل سيرتدي ما يجعله يبدو كعامة الشعب.

"لـو أنك *كنتَ* تحاول القبض على هـذا الشخص في قضية آداب، ولو كانت هذه هي خطتك من البداية، لطلبت إذن تفتيش، أليس كذلك؟".

نهضت إيمـي ولم تكتمل وقفتها، لتقول: "أعترض!". كانت إيمي تعرف أن السـؤال لا يستحق الاعتراض، لكنها كانت تحـاول عرقلة تدفق حجته، كما أنها كانت تحاول أن تنبهني - في حال لم أكن أعرف - أنه ينصب لي شركًا.

قلـت بعد أن رفض القاضـي اعتراض إيمي: "ربمـا كان بإمكاني فعل هذا، لكنـك تجعل الأمر يبـدو كأنها خطة مسبقة محكمة، لكنهـا لم تكن كذلك. لقد رأيـت هـذه كفرصة، وانتهزتهـا، وطلبت من بعض زملائـي المحققين المجيء معي على سبيل الدعم. هذا كل ما في الأمر".

أومـأ ديكريمر كأنه كان يتوقـع إجابتي، لكنه لم يكن يتوقعها ولم ترقه، غير أنه لم يعترف بأي الأمرين؛ فهؤلاء الأشخاص ناعمون كالأفاعي.

صدَّق على كلامي قائـلًا: "حسنًا، لنتحدث عن الطريقة التي عرفت بها أن هذا بيت مشبوه".

الفصل 68

قـال شـو ديكريمـر: "دعنـي أرَ إذا كنت قد فهمت مـا قلتَه. فـي الأسبوع الذي سبـق عمليـة المداهمة، تعقبت المشتبه بـه إلى البيت الحجـري، ورأيته يدخل المبنى، ورأيته يغادره بعد ساعة".

"نعم".

"فبقيت هناك وراقبت المبنى".

"نعم".

"ورأيت عدة شابات جذابات بملابس مثيرة يغادرن المبنى".

"نعم".

"لكنك لم تر أحدًا يمارس أفعالًا مشينة".

"هذا صحيح".

"ولو شخصًا واحدًا".

"أعتقـد أنني أجبت عن السؤال. أنا لا أمتلك رؤية خارقة لكي أرى ذلك وأنا خارج المبنى".

كانـت هـذه إجابة جيـدة بما يكفـي للمحامي. كانـت إيمي تقلـب قلمًا بين أصابعها.

"إذن فقـد قمت بمراقبة المبنى الحجـري – على حد تعبيرك – عدة مرات على مدار الأسبوع التالي".

"أجل. هذا صحيح؛ ففي الأسبوع السابق لعملية المداهمة، قمت مرتين بإيقاف سيارتي في الجهة المقابلة من الشارع وراقبت المبنى".

"وكنت ترى نوعية الأشياء نفسها: رجال كبار في السن يدخلون المبنى، شابات يرتدين ملابس مثيرة يدخلن المبنى".

"هذا صحيح".

"لكن لم تر أحدًا يمارس أفعالًا مشينة".

"بالتأكيد لم أر ذلك".

"ولم تر أشخاصًا يتقاضون أموالًا؟".

"لم أر ذلك".

"ولم ترَ إلى أي طابق يتجه إليه هؤلاء الناس، أليس كذلك؟ فهذا المبنى مكون من ثلاثة طوابق".

"لا، لم أر ذلك، لكنني شاهدت بوابًا مسلحًا يحيي كلًّا منهم. كان يسمح للنساء بالدخول كأنه يعرفهن، أما الرجال فكان يتفقد أسماءهم في قائمة على لوح ورقي. وخمنت ذلك - من الطريقة التي يخفي بها الرجال رءوسهم، والتصرف بطريقة توحي بأنهم لا يريدون أن يلاحظهم أحد، وتوقيعهم لدخول المبنى - أنهم لا يقومون بزيارات اجتماعية عادية".

"لكن لم تر بعينيك ما يفعله أي من هؤلاء داخل المبنى...".

"كان الرجال يتوافدون من المبنى وإليه، يا سيد ديكريمر، وكانت النساء يأتين ويمكثن طوال الليل، أما معظم الرجال فكانوا يمكثون لمدة ساعة واحدة - كأنهم يضبطون ساعاتهم على ذلك - وبعضهم يظل لساعتين، ثم يغادر المبنى بالطريقة المريبة نفسها التي دخل بها. هل كان هذا اجتماعًا سريًّا؟ هل كانت هذه حفلة شاي؟ ربما، لكن هذا المبنى بدا كبيت مشبوه بالنسبة لي".

"بدا كبيت مشبوه!".

التفتُّ متفاجئًا من تحدث القاضي إليَّ. كان القاضي ذا شعر أسود ممشطًا بعناية وشارب كث، واسمه والتر مكابي، ويعتلي منصة القضاء منذ أكثر من عشرين عامًا.

يُسمح للقاضي بطرح أسئلة، ويمكنه فعل ما يشاء: فهذا المكان بمثابة مملكته الصغيرة. لكن ليس من الشائع أن يقحم القاضي نفسه في استجواب مثل هذا: هذه ليست إشارة جيدة.

أعاد القاضي جملته، وهو ينظر إليّ من منصته المرتفعة: "بدا كبيت مشبوه، بناءً على نمط حركة الرجال دخولًا وخروجًا كل ساعة؟".

"وبناءً على الطريقة التي كانوا يتصرفون بها، ووجود الشابات الصغيرات أيضًا".

لم يبدُ القاضي مقتنعًا، لكن هل كان رجل شرطة في يوم من الأيام؟ وهل اضطر يومًا لاتباع حدسه؟ وبالمناسبة، هل اهتم أحد بأن كل شيء أخبرني حدسي به كان *صحيحًا* بنسبة مائة في المائة؟

قال القاضي مكابي: "أيها المحقق، عندما كنت تراقب المبنى قبل ليلة المداهمة، وفي ليلة المداهمة نفسها، متى أدركت أنك تشهد جريمة تحدث؟".

"في كل مرة كان يدخل فيها رجل المبنى الحجري، كنت أشهد جريمة تحدث".

"لكنك تعرف ما أعنيه أيها المحقق. فدخول مبنى ليس جريمة".

"يصبح جريمة عندما يكون المبنى عبارة عن بيت مشبوه".

"لكنك لم تكن *تعرف* أنه بيت فجور. أنت قلت إنه *بدا* لك كذلك".

"لكن...".

"هل رأيت ممارسات مشينة؟ أو أشخاصًا يتقاضون أموالًا؟ هل رأيت إحدى الشابات مع أحد الرجال؟ هل رأيت أيديهم تتلامس أو يلوحون لبعضهم بالتحية؟ هل تعرف حتى إذا ما كانوا في الطابق نفسه من المنزل؟".

"كلا، يا سيادة القاضي. لو كان شخص واحد فقط هو من دخل المبنى، أو حتى عدد قليل من الأشخاص، لم أكن لأعتقد ذلك، لكن الأشخاص كانوا يتدفقون باستمرار، والبواب كان يتصرف بحذر شديد، ويحرص على ألا يدخل شخص المبنى وقت خروج شخص آخر. كان ينظر إلى الخارج ليتأكد من خلو المكان، ثم يخرج شخص من المبنى بخطى مسرعة. لم يبد أي من هذه التصرفات طبيعيًا".

قال: "ربما ليس طبيعيًا، لكن، أهذا يجعله إجراميًا؟".

"كان هـذا حكمـي علـى الموقف، ولـم يكن لدي وقـت للحصـول على إذن تفتيش. ففـي الوقت الـذي كنت سأحصل فيـه على إذن مـن القاضي، سيكون زبائـن المبنى قد غادروا. لم يكن هناك وقـت كافٍ لذلك. هذه إحدى القضايا التـي يجب فيها القبض علـى مرتكبي الجريمة حال وقوعها، وإلا لن يكون لديك قضية من الأساس".

عاد القاضي للاسترخاء في مقعده، وبدا غير مقتنع.

قلـت لنفسي: *بحـق السمـاء*، حدثهم عن التخميـن في عمـل الشرطة. كل شـيء كان يحـدث في المكان يوحي بأنه بيت مشبـوه للأثرياء، وقد كنت محقًّا؛ فقد كان كذلك بالفعل. ألا يعني هذا شيئًا؟ لكن، ها نحن في قاعة محكمة أنيقة ذات زخارف خشبية بنية الشكل وأرضية لامعة، ونستمع إلى شخص يرتدي روب القضاة وهو لم يعمل يومًا واحدًا في الشارع، ومحام يرتدي بذلة ثمنها أعلى من راتبـي فـي شهرين، ولم يقضِ هـو الآخر يومًا واحدًا في حياتـه في هذا الهراء أيضًا، لكنه يتصرف وكأنه يعرف الوضع هناك أفضل مني.

لـم تنتـه جلسة الاستماع بعد، فإيمي لم تحصـل على فرصتها بعد في طرح الأسئلة، لكن أدركت أنها انتهت فعليًا من التعبير الذي ارتسم على وجه القاضي؛ فهـو لم يكن مقتنعًا، وكان يعتقد أنني لم يكن لديَّ مبرر قانوني كافٍ للمداهمة. كان ينوي دحض شرعية تفتيش المبنى، ورفض القضية.

وإنهاء مسيرتي المهنية بالتبعية.

الفصل
69

أغلق الملازم مايك جولدبيرجر الباب خلفه برفق، قبل أن يلتفت ليتحدث إلـيَّ أنا وكيـت التي ستدلي بشهادتهـا في اليوم التالي. كنا فـي غرفة مقابلات الشهود في الطابق نفسه الذي توجد فيه قاعة المحكمة التي ذقت فيها الأهوال لتوي.

وقفـت ومددت أطرافي؛ فقد كنت جالسًا طوال اليوم. سبع ساعات قضيتها في الرد على أسئلة محامي الدفاع الستة، ثم استجوبتني إيمي في كل التفاصيل، لكن يبدو أنه لا شيء يحدث فارقًا؛ فمنذ اللحظة التي وجَّه فيها القاضي أسئلته إليَّ، كان من الواضح أنه لم يقتنع بقضيتنا.

قال جولدي: "حسنًا، لم تسر جلسة الاستماع على ما يرام"، وكان هذا أشبه بأن تقول إن السفينة *تيتانك* واجهتها مشكلات وسط البحر.

قلت: "كان هذا تفتيشًا قانونيًّا".

قال جولدي: "تبًّا، *أ*عرف ذلك، لكن القاضي ليس معنا، وهذا واضح".

هززت رأسي قائلًا: "إنه مهرج يرتدي روبًا، ولم ....".

قاطعنـي جولدي متذمرًا: "لم يقض يومًا فـي وظيفتنا. أعرف هذا، أعرف هذا. لنتوقف عن الرثاء لحالنا، حان وقت إصلاح الأمر".

رفعت نظري إليه، وكان جولدي لا يقول الأشياء اعتباطًا.

ثم توجه جولدي بالحديث إلى كيت قائلًا: "أيتها المحققة فنتون، أنتم راقبتم المبنى الحجري قبل ليلتين من المداهمة. عندما انتهت المراقبة وذهب بيلي إلى المنزل، ماذا فعلتِ؟".

قالت كيت دون تردد: "غادرت أيضًا، لكنني بعد ذلك عدت مرة أخرى بسيارتي إلى المبنى الحجري".

التفتُّ إلى كيت، وقلت: "ماذا؟".

أبقت كيت عينيها موجهتين للأمام، على جولدي، متجنبة تحديقي فيها. وقالت: "قدت سيارتي عائدة إلى البيت الحجري، وانتظرت أن تغادر الفتيات، وتبعت اثنتين منهما إلى منزلهما".

هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام؛ لأنه لم يحدث أصلًا.

"وماذا حدث بعد ذلك؟"، طرح جولدي عليها هذا السؤال كأنه ممثل الادعاء في محكمة، وكأنه يعرف الإجابة سلفًا.

هذا لأنه كان يعرف الإجابة سلفًا، فهذه لم تكن أول مرة يسمعها.

قالت كيت: "ذهبت الفتاتان إلى شقتهما في الطابق الثاني، فمشيت حتى المبنى الذي تقطنان فيه، وألقيت نظرة على الجرس المخصص للطابق الثاني، وكان هناك اسمان عليه: سانشيز ودانيلز".

قلت: "هراء، هذا هراء".

أكملت كيت: "وجدتُ بطاقة بريدية في الممر بجانب فتحة البريد؛ كانت عبارة عن إعلان عن تخفيضات في متجر مايسيز أو شيء من هذا القبيل، وكان هناك اسم مكتوب عليها: إيريكا دانيلز".

قال جولدي: "إذن فقد عرفت الاسم الثنائي للفتاة الأولى، واسم عائلة الفتاة الأخرى فقط، ماذا حدث بعد ذلك؟".

قلت: بحق السماء! حتى *أنا* يمكنني إكمال هذه القصة"، ثم التفتُ إلى كيت وأردفتُ: "ذهبتِ إلى قسم الشرطة، وأجريتِ بحثًا عن خلفيتها الجنائية، وقد اتضح أن إيريكا دانيلز لها سابقة في ممارسة الفجور، ثم أجريتِ بحثًا على سانشيز ووجدتِ الشيء نفسه، والصور التي في الملفين الجنائيين كانت تشبه الفتاتين اللتين تبعتهما. ثم فجأة، يا إلهي، ماذا اكتشفنا؟ اكتشفنا أن فتاتين على الأقل من النساء اللاتي قضين الليل في البيت الحجري فتاتا ليل"، ثم فردتُ يدي في الهواء وقلت: "الحمد لله! لقد أصبح لدينا مبرر قانوني مقنع لمداهمة المبنى!".

استند جولدي إلى الحائط، وقال: "هذا أفضل ما يمكن أن يقال".

قلت: "أجل، باستثناء شيء واحد صغير. وهو أن أيًّا من هذا لم يحدث. فكيت لم تتبع هاتين الفتاتين إلى شقتهما". ثم أنزلت ذراعيّ إلى جانبي، وأردفت: "أعني، ما الذي نتحدث عنه يا رفاق؟"، ثم التفتُ إلى كيت وقلت: "هل أقنعكِ جولدي بهذا؟ أعرف أنه يريد حمايتنا، لكن ...".

"من قال إنها فكرة جولدي؟"، قالتها كيت وكأنها تشعر بإهانة من أنني نسبتُ اختلاق القصة إلى جولدي، وليس لها.

ثم وقفتْ وأصبح وجهها مقابلًا لوجهي، وقالت: "إذا خسرنا هذه القضية، سينتهي كل شيء. سيعود العمدة إلى منصبه، أليس كذلك؟ بالطبع سيعود، لأنه حينئذ يكون حرًّا. وصديقه المقرب - رئيس الشرطة الذي عينه، تريستان دريسكول - سيستمر في منصبه أيضًا".

قال جولدي: "كم من الوقت سيمضي قبل أن يجد رئيس الشرطة مبررًا لطردك من الخدمة؟ أو يفعل بك ما هو أسوأ، كأن يُسند لك تنظيم حركة المرور حتى آخر مسارك المهني؟ إذا أخذت هذه القضية المسار الخاطئ، فمستقبلك في خطر، يا صديقي".

قلت: "سأجازف".

دفعتني كيت، وقالت: "حسنًا، لكنني لن *أجازف* معك. هذا الأمر ليس متعلقًا بك وحسب، يا شريكي. إنني أرى مسيرتي المهنية في خطر محدق أيضًا، وتريد مني أن أقف مكتوفة اليدين؟".

نفثتُ بعض الهواء، وقلت: "كاثرين".

فقالت، وهي ترسم علامتي تنصيص بأصابعها: "أوه، الآن أصبحتُ كاثرين".

نظرتُ إلى جولدي، وقلت: "متى ابتكرتَ هذا؛ أعني هذه القصة؟".

قال: "هل تقصد القصة الطريفة، المبتكرة خصيصًا لإنقاذكما أيها المحققان اللذان تعدان من أفضل رجال الشرطة الذين عرفتهم؟ أتعني القصة الطريفة التي ستضع الأشرار في المكان الذي ينتمون إليه؟ أتعني تلك القصة الطريفة؟".

عبست من كلامه؛ فحدس جولدي كان دائمًا صحيحًا، وكان مستعدًّا لأن يقف أمام قطار من أجلي. ومن وجهة نظره، كان هذا مجرد تلميع للحقيقة، أو كذبة بيضاء كي لا يساء تطبيق العدالة، ومن أجل حمايتي، وهذا هو الأهم؛ فقد كان جولدي يرعاني دائمًا.

قال جولدي: "كيت، هلا تركتِنا دقيقة من فضلك؟".

بـدت هذه فكرة جيـدة بالنسبة لها، فالتقطتْ حقيبتهـا وخرجت من الغرفة والغضب واضح عليها، وبالكاد نظرت في اتجاهي.

رفـع جولدي يده قائـلا: "أغلق هذا الفم اللعين، واسمعنـي لمرة واحدة. أنا أكـره هذا أكثر منك، لكنها كانت فكرة كيت وليست فكرتي، وهي امرأة ناضجة، ولا يمكنني إيقافها لو أردتُ ذلك. لقد تضرعت إلى الله كي يُعتدَّ بشهادتك كدليل دامغ، وألا نضطر لفعل ذلك. لكننا الآن أصبحنا مضطرين وليست أمامنا خيارات أخرى".

هززت رأسي غاضبًا.

فقال: "هذه القصة ستقودنا إلى النتيجة الصحيحة، وهي العدالة. أنت قمت بعمل جيد كرجل شرطة، وكان حدسك صحيحًا. إذن فلماذا ينتهي الأمر إلى إطلاق سراح الحثالة والفتك بمحققيْن صالحيْن؟ كيف تكون هذه عدالة بحق السماء؟".

لم تكن هذه أول مرة أحضر فيها محاكمة، وأفهم فن تقديم المعلومات بطريقة تصب في صالحي، لكن الاختلاف هنا هو أن هذا كذب. هذا... هذا حرفيًّا اختلاق لأدلة، وهو أمر لم أفعله من قبل يومًا.

أردف جولـدي كأنه يقرأ أفكاري: "أنا لم أكن لأطلب منك أن تقول هذا على منصة الشهود ولو بعد مليون سنة، ولم أكن لأطلب هذا من كيت أيضًا، لكنها جاءت إلـيّ ومعها هذه القصـة، وحاولت إقناعها بالعدول عن ذلك، لكن هل حاولتَ من قبل إقناع كيت بالعدول عن شيء؟".

وافقته على ذلك، فالثور أقل عنادًا من شريكتي.

"اسمعني، في نهاية اليوم، عندما أضع رأسي على الوسادة، وأزن الأمر بميزان الصـواب والخطأ - أرى أي الجانبين أثقل، سأعتقد أن كيت تجعل كفة الصواب أثقل من كفة الخطأ. هذا أفضل ما يمكنني فعله، يا صديقي!".

كنـت لا أزال غاضبًا، لكن ليس هناك ما يمكنني فعله. لقد أدليت بشهادتي، ولن يسأل أحد عن شيء قاله تحت القسم مرة أخرى.

أردف جلودي: "هذا ليس قرارك ولا قراري. فدع كيت تقم بالأمر، يا فتي".

الفصل 70

ضبط القاضي والتر مكابي نظارته، وألقى نظرة على قاعة المحكمة المليئة حتى تكاد تنفجر، وقال: "المحكمة مستعدة للحكم".

كانت جلسات الاستماع قد استمرت ثلاثة أيام، وشغلت شهادتي اليوم الأول، أما اليوم الثاني كاملاً وجزء من الثالث فقد تمحورا حول شهادة كيت؛ حيث استجوب محامو الدفاع كيت وهاجموها بطرق عديدة مختلفة في محاولة لدحض المفاجأة التي كشفتْ عنها، وهي أنها تعقبت فتاتين من البيت الحجري حتى منزلهما في إحدى الليالي، وتقصت عنهما، واكتشفت سجلهما الجنائي. سألوها *لماذا لم توثقي هذه المعلومة من قبل؟ لماذا لم تخبري شريكك، المحقق هارني، بذلك؟ أليس السبب في أننا نسمع هذا فجأة للمرة الأول أن شهادة المحقق هارني لم تسر مثلما أردتما؟*

كانت قاعة المحكمة غارقة في سكون، وكنت أسمع الطنين الثابت الذي عادة ما يحدثه الصمت، أو ربما كان هذا الطنين في رأسي. كان حكم القاضي سيحدد مصير مسيرتي المهنية.

قال القاضي وهو يقرأ من نص مُعَد: "لقد وجدت المحكمة أن تفتيش البيت الحجري كان قانونيًا".

فأخذتُ نفسًا طويلًا.

"إن المراقبة التي قام بها المحققون جعلتهم يشكون في أن المبنى الحجري لم يكن إلا بيت مشبوه. والأهم أن شهادة المحققة فنتون - أنها راقبت اثنتين من النساء العاملات في المبنى الحجري، وأجرت بحثًا عن خلفيتهما الجنائية، وتأكدت من أنهما فتاتا ليل - كانت مقنعة، وكان هذا كافيًا لوجود مبرر قانوني مقنع لمداهمة المبنى. وفي ليلة المداهمة، كان لدى رجال الشرطة سبب قانوني مقنع للاعتقاد أن هناك جريمة تحدث بالداخل، وكان لديهم سبب للاعتقاد أنهم إذا انتظروا للحصول على إذن تفتيش، فإن هؤلاء الرجال سيكونون قد غادروا المبنى بحلول ذلك، وتكون أدلة الجريمة - إن جاز التعبير - قد دُمرت. والمحكمة تجد أن سبب المداهمة قانوني ومقنع، ومصحوب بظروف طارئة. ومن ثم ترفض المحكمة طلب الدفاع. فليتفضل ممثل الادعاء!".

نهضت إيمي من مقعدها، وقالت: "الادعاء جاهز للمحاكمة، يا حضرة القاضي".

سأل القاضي محامي العمدة، والذي بدا أنه القائد الفعلي لفريق الدفاع: "سيد ديكريمر؟".

نهض ديكريمر وقال: "هل يمكننا تأجيل عملية اختيار هيئة المحلفين إلى الغد، يا حضرة القاضي؟".

أومأ القاضي له ببطء، فهو يفهم ما يريده، وكذلك تفهمه إيمي. لن تكون هناك محاكمة؛ فالدفاع كان يحاول فقط استغلال ثغرة قانونية لإبطال المحاكمة، لكنه فشل في ذلك. إذا انعقدت محاكمة، فإن عشرات من رجال الشرطة وعشرات من فتيات الليل - الذين سيحصلون جميعًا على حصانة نظير شاهدتهم - سيعتلون منصة الشهود، وسيكشفون علنًا عن كل التفاصيل الصغيرة لما حدث في تلك الليلة خلف الأبواب المغلقة لغرف النوم، وهي تفاصيل مذلة وفاضحة، والفرصة الضئيلة في البراءة لا تستحق كل هذا الإحراج. ولذا سيعترف كل متهم من المتهمين بأنه مذنب.

كان ديكريمر قد اقترب بالفعل من إيمي، وتبعه اثنان آخران من محامي الدفاع. كانوا مصطفين أمامها كزبائن أمام متجر ألعاب في ليلة تخفيضات على أمل الحصول على النسخة الجديدة من أحدث ألعاب إكس بوكس.

قال ديكريمر: "العمدة سيعترف بأنه مذنب". كان صوته منخفضًا، لكنني كنت جالسًا في الصف الأول من القاعة، وسمعته وهو يهمس إلى إيمي.

قالـت: "سأجهز الأوراق لذلك"، ثم صافحته. ربما كان ينقصها أن تنادي: *ليتقدم التالي*: فقد كان المحامون يتوافدون إليها واحدًا تلو الآخر، وهم أنفسهم المحامون الذيـن رفعوا سكاكينهم وحاولوا تمزيقي إربًـا من قبل، والآن يقرون بجرم موكليهم ويلتمسون لهم الرحمة من محامي الادعاء مقابل حكم مخفف.

نظرتُ خلفي إلى كيت، التي نهضت وقالت لي جملة واحدة:

لا شكر على واجب.

كان من المفترض أن أستمتع أكثر من هذا؛ فأنظار البلد كانت مسلطة على قاعـة المحكمة هـذه، وقد فزنا فيها. ربمـا كان الطريق الـذي سلكناه متعرجًا بعض الشيء، لكنني لم أقل سوى الحقيقـة، وجولدي كان محقًّا؛ فقد انتصرت العدالة.

لكـن الحقيبـة ما زالـت معـي بجانب قدمـي، ولا يـزال بها صـورة بحجم ٢٤×٣٠سـم لإيمـي لنتيني وهي تصعد درجات سلم المبنـى الحجري. لم أكن قـد قلت شيئًا بهذا الخصوص لإيمي؛ لأن كل تركيزنـا كان منصبًا على جلسة الاستمـاع هذه، لكـن جلسة الاستماع انتهـت الآن، وشعرت بغثيـان وتقلص في معدتي.

عندمـا قدم آخـر محام اقتراحـه إلى إيمـي، ولم يتبق في قاعـة المحكمة غيرنـا، نظرت إيمي إليّ، وقد بدا عليها ارتياح، يشوبه القليل من عدم الاقتناع. قالت: "إنني مستعدة لأن أدفع أي شيء لأعرف كيف رتبت كيت هذه الشهادة".

قلت: "لا أعتقد أنك ستدفعين شيئًا على الإطلاق".

عقدت حاجبيها، وقالت: "لقد أقسمت لي إن شهادتها صادقة".

"أعلم أنها أخبرتكِ بهذا، فقد قالتها تحت القسم أيضًا".

عندمـا أخبـرت كيت إيمي لأول مـرة بما كانت تنوي قوله تحـت القسم، لم تتقبـل إيمي الأمر، وضغطت على كيت مرارًا وتكـرارًا، وأخبرتها بأنها لن تدلي بشهادة زور، ولن تسمح لها بأن تحنث بالقسم، لكن كيت لم تتراجع عن كلامها، وأقسمـت بأن هذه هي الحقيقة. وأخذت الاثنتان تتجادلان لما يزيد على ساعة، وكان الشـك واضحًـا علـى إيمي، لكنها لـم تكن متأكـدة - ولم يكـن بإمكانها التأكد - من أن كيت تكذب.

حتـى إن إيمي جذبتني جانبًا وسألتني عمـا إذا كانت كيت تكذب، لكن كيت استطاعـت بمهـارة أن تخرجني مـن الموضوع بأن قالت إنها لـم تخبرني بأنها

تعقبت تلك المرأتين. وهكذا لم أضطر للكذب، وقد أخبرت إيمي بالحقيقة: القصة تبدو مفتعلة بالنسبة لي، وأنا متأكد أنها تكذب، لكنني لم أكن موجودًا هناك؛ فقد ذهبتُ إلى البيت، ولا يمكن الجزم بما فعلته أو لم تفعله كيت عندما ذهبت إلى البيت بعد المراقبة.

قررت إيمي في النهاية الإبقاء على شهادة كيت، وهي في الواقع لم يكن لديها اختيار آخر. كان واضحًا من النظرة التي تعلو وجه إيمي أن لديها إحساسًا قويًّا بأنها فازت في اللعبة بطريق غير نزيهة، لكنها لم تكن متأكدة، ولذا لعبت بما أتيح لها من وسائل.

قالت إيمي وهي متحمسة لنصرها، تاركة إياه يغمر كيانها: "حسنًا، ألن نحتفل بنصرنا؟".

نظرتُ في أنحاء قاعة المحكمة لأتأكد من أننا بمفردنا، ثم مددت يدي في الحقيبة، وسحبت المظروف، وأخرجت الصورة اللامعة لإيمي وهي تصعد درجات السلم الحجري، ورفعتها حتى تراها، لكن عندما مدت يدها لتمسكها، سحبتُ الصورة للوراء، فقد كانت هذه النسخة الوحيدة لي من الصورة.

كانت إيمي مشدوهة ومتجمدة، وقالت: "من أين ....".

"من أين حصلت على هذه الصورة؟ هذا ليس السؤال المهم، ولا حتى من ضمن أهم عشرة أسئلة".

أغلقت إيمي عينيها وفتحتهما بصعوبة، وأخذت خطوة للوراء، وعيناها تنظران إلى الأرضية، لكن أخيرًا - بعد لحظة طويلة كان قلبي يدق فيها بقوة لدرجة أنني شككت في قدرتي على التحدث - ارتفعت عين إيمي إلى عينيَّ.

كان صوتها خفيضًا، وعيناها غائمتين، وتحدثت لي همسًا.

وقالت: "ليس هنا".

الفصل 71

تبعتُ إيمي من مبنى المحاكم الجنائية إلى شقتها في حي ريجلي فايل، وفتحت الراديو وأنا أقود السيارة. بالرغم أنه لم يمضِ على الخبر سوى لحظات معدودة، كان الجميع يتحدثون بالفعل عن جلسة الاستماع، وقد أعلن العمدة فرانسيس ديلاني خارج قاعة المحكمة أنه سيستقيل اليوم.

وبسرعة البرق كانوا يتحدثون عمن سيخلف العمدة. كان عدد من أعضاء مجلس المدينة ومفوضي المقاطعات قد أعلنوا رغبتهم في الترشح للمنصب، لكن يُعتقد أن يكون عضو الكونجرس تيديسكو هو المرشح الأوفر حظًّا.

كل هذا بسبب قضيتي، كان من المفترض أن أشعر بتدفق الأدرينالين، وبالقوة أو الإثارة، لكنني بدلًا من هذا شعرت بقلق شديد.

وجد كلانا مكانًا لركن السيارة بمحاذاة الرصيف، وسرنا تحت مظلة المدخل، وعبرنا المدخل، وصعدنا بالمصعد إلى الطابق السادس، وسرنا عبر الرواق إلى شقتها. كان الصمت مطبقًا، ولم ينبس كلانا بكلمة. كنا قد قضينا أيامًا وأسابيع نستعد للقضية التي فزنا بها للتو، لكننا الآن نبدو كأننا قد عدنا من جنازة.

وهذا جعلني أفكر في صديقي ستيوارت الذي دُفن حديثًا ولحق بزوجته، وأتذكر ما كان يقوله بشأن وصولك لمرحلة معينة في حياتك حيث تسأم من الهراء ولا تريد سوى الحقيقة.

لكن هذا لم يكن شعوري. ففي تلك اللحظة، بينما كان كلانا يدخل شقتها في صمت كئيب، لم أكن أريد الحقيقة، بل أردت قصة خيالية. أردت ما كنتُ أنا

وإيمـي نبنيه معًا. في تلك اللحظة، تمنيـتُ لو لم أر صورة لها وهي تدخل المبنى الحجـري. أردت صرف الصورة عن ذهني، والتظاهر بأنني لم أرها أبدًا، ونحيا معًا في سعادة أبدية، نهاية تليق بفيلم رومانسي حالم.

دخلـت إيمي شقتها، وعلقت معطفها، وسارت حتى منتصف غرفة المعيشة، ثم التفتت قائلة دون أن يحمل صوتها أي أثر لندم أو إحراج: "أريد أن أعرف من أين حصلت على *هذه* الصورة".

قلت: "لا، هذا دوري في طرح الأسئلة. أريد أن أعرف ما يحدث بحق السماء؟".

أشارت إيمي إلى حقيبتي حيث توجد الصورة، وقالت: "*هذه* جريمة".

"بالتأكيد. وأعتقد أننا قمنا لتونا بإقناع العديد من الأشخاص بذلك".

عقـدت حاجبيها وجعـدت جبينها، وقالت: "ليس *هذا* مـا أتحدث عنه. ماذا تعتقـد؟ أتعتقد أن *هـذه* الصورة تثبت أنني كنت على وشك ممارسة الفحشاء مع مع أحد؟ حقًّا؟".

لم تكن لديَّ إجابة؛ فالحقيقة أنني لم يكن لديَّ فكرة عما تعنيه *هذه* الصورة.

قالت: "إنني أتحدث عن إعاقة سير العدالة. أيًّا كان من أعطاك تلك الصورة فهو متهم بإعاقة سير العدالة".

استغـرق الأمر مني لحظات لاستيعاب ما تقولـه، ثم قلت: "ماذا تقصدين؟ أكان هذا جزءًا من تحقيق ما؟".

أطرقت إيمي رأسها، ووضعت يديها على فخذيها، وأخذت نفسًا عميقًا، وبدا أنها اتخذت قرارًا.

قالت وهي ترفع يديها: "هل خطر ببالك يومًا لماذا كنت مصممة بكل قوة على العثور على الدفتر السري؟ منذ اللحظات الأولى بعد المداهمة، عندما استدعيناك أنت وكيت إلى مكتب مارجريت، كل ما كنا مهتمين بشأنه هو الدفتر السري. ألم تجد هذا غريبًا؟".

أجبتها: "كان غريبًا بالفعل، لكنني اعتقدت أنكِ تحاولين تشويه سمعتنا وحماية العمدة. إن كلًّا من مارجريت أولسون ورئيس الشرطة دريسكول يدينان بالفضل في وصولهما إلى منصبيهما إلى العمدة، وبالتالي أرادا أن يظل العمدة في السلطة كي يظلا *بدورهما* في السلطة.

استمعـت إيمي إلى كل ذلك بوجه ممتعض كأنهـا أرقى من كل تلك الألاعيب السياسية. ثم تغيرت تعبيرات وجهها فجأة، ورفعت حاجبيها، وقالت: "واو، لا بد أنك كنت تنظر إليَّ نظرة متدنية للغاية".

هي أيضًا كانت تحمل النظرة ذاتها لي، لكننا تجاوزنا هذا، واجتزنا هذه المياه الراكدة، ووجدنا شيئًا في الضفة الأخرى، شيئًا دافئًا ومريحًا، شيئًا جعل قلبي يخفق بشدة مثل صبي في موعد عاطفي للمرة الأولى. لا يمكنني إنكار هذا؛ فقد كنت غارقًا فيه: كنت أحب إيمي لنتيني.

قلت: "تحدثي إليَّ".

أومأتْ برأسها، وأخذتْ نفسًا آخر. واستكمالًا لقرارها بالإفصاح لي عن معلومات، قالت: "منذ ما يقرب من عام ومكتب المدعي العام يجري تحقيقًا: إذ كانت لدينا أسباب للاعتقاد أن بعض رجال الشرطة في قسم شيكاغو يديرون شبكة حماية مشبوهة يتم من خلالها إطلاق سراح أشخاص مقابل رشى".

لم أتحرك، ولم يصدر عني شيء، ولم أذكر حقيقة أنني كنت أحقق في الشيء نفسه كضابط متخفٍّ لصالح مكتب الشئون الداخلية.

هناك جهتان لإنفاذ القانون تحققان في الشيء اللعين نفسه، ولا تخبر إحداهما الأخرى بشيء.

أردفت إيمي: "وكان هذا المبنى الحجري يقع في بؤرة اهتمام تحقيقنا. فإذا كان هناك أشخاص ذوو سلطة يذهبون إلى مكان ليستمتعوا بوقتهم ويشبعوا نزواتهم، فلا بد أن يكون هذا المكان آمنًا، أليس كذلك؟ فهؤلاء لا يمكن القبض عليهم متلبسين، لأن العار الذي سيلحق بهم سيكون مدمرًا. وامرأة مثل رامونا ديلافو تعرف ذلك، وهي لم تكن لتجذب الأثرياء والمشاهير إلى ناديها إذا كانوا خائفين من مداهمات الشرطة، أليس كذلك؟".

قلت: "هذا صحيح".

"كانت رامونا ديلافو ترشو رجال شرطة من أجل توفير الحماية".

سألتها: "مَنْ؟ أي رجال شرطة؟".

نظرت إيمي إليَّ مباشرة دون حراك. كانت تبدو كلوحة فنية تخطف الأنفاس لوجه إيطالي جميل. وكل ما كان ينقصها هو الإطار الذهبي وتوقيع الرسام في الركن السفلي.

سألتها مرة أخرى: "مَنْ الذي كان يتلقى رشوة من رامونا؟".

كلما طالت المدة التي توقفت فيها إيمي عن الكلام وظلت دون حراك، زادت شدة خفقان قلبي.

وأخيرًا قالت: "كيت. المحققة كيت فنتون".

الفصل 72

شعرتُ بأن كلمة *مستحيل* تكاد تخرج من بين شفتي، لكني لم أقلها. وبدلًا من هذا تمتمت قائلًا: "كيف؟". حاول عقلي مواكبة السرعة التي كان قلبي يخفق بها، وحاول ربط النقاط ببعضها. ثم سألتها: "هل أنتِ متأكدة؟".

قالت: "لا يمكنني إثبات ذلك، إذا كان هذا ما تعنيه، لكن الحقائق ترجح هذا".

وضعتُ يدي على وجهي، وفكرت: المرأة التي عملتُ معها، وتشاركنا الكثير على مدار السنوات - أكانت تتلقى رشاوي وأنا لا أعرف؟

قالت إيمي: "كنا على وشك معرفة الحقيقة. كنا نتعقب الحسابات البنكية لرامونا وعمليات السحب التي تقوم بها، واقتربنا من الإيقاع بالمتورطين، وكنت بالفعل أعد مذكرة للحصول على إذن تفتيش، ولم يكن يفصلنا عن مداهمة البيت الحجري سوى أيام معدودة".

أومأتُ ببطء قائلًا: "لكنني داهمت المكان أولا".

"لكنك داهمت المكان أولا".

كانت الأمور تتضح إلي حينئذ، فقلت: "لقد اعتقدتِ أن رجال الشرطة كانوا يعرفون، اعتقدتِ أن رجال الشرطة الفاسدين علموا بأمر التحقيق الذي تقومين به، فداهمنا المكان للتغطية على الأمر، بحيث يتم فضح الشخصيات المهمة، ووضع رامونا في وجه المدفع، وإفساد التحقيق بأكمله".

قالت: "وسرقة الدفتر السري".

صحيح، بالضبط. الدفتر السري أو السجل أو قرص الكمبيوتر أو أيًّا كان - لم تكن إيمي تريد الدفتر السري لمعرفة أسماء الشخصيات المهمة الأخرى التي كانت تتردد على المكان، ولم تكن تهتم بهويات الزبائن، بل كانت تريد أسماء رجال الشرطة الذين يتلقون رشاوي من رامونا ديلافو.

قلت: "إذن فقد كنتِ تعتقدين أنني أحد رجال الشرطة الفاسدين، وأنني جزء من شبكة الحماية المشبوهة". قلت لها هذا بنبرة اتهام، مع أنني لا يمكن أن ألومها على ذلك. فمع أن هذا كان جارحًا، فإنه لا يمكنني إنكار أن رد فعلها المبدئي كان منطقيًّا. فنظرًا لأن إيمي لم تكن تعرفني، فقد احتكمت لحدسها في بادئ الأمر، كانت على وشك مداهمة المبنى والحصول على الدفتر السري، *وفجأة*، سبقتها في فعل ذلك بأيام قلائل، واختفى الدفتر السري بشكل غامض. ولو كنتُ مكانها، لشككت فيّ أيضًا.

قالت إيمي: "أنت أو كيت. لقد كنتما المحققين المسئولين، فانتابني شك في تورطكما في شبكة الحماية المشبوهة، وفي سرقة الدفتر السري، لكنني استبعدتُك بعد ذلك من دائرة الاشتباه".

"كيف؟ لماذا؟".

أدهشها السؤال وجرحها. فقالت: "لأنني عرفتك بعد ذلك".

كانت هناك شحنة من العواطف الجياشة تحوم في كل الاتجاهات، وتشوش كل شيء. كنت بحاجة إلى التفكير بوضوح والتحقق من كل شيء.

قالت إيمي: "كانت كيت هي المسئولة عن جمع الأدلة في تلك الليلة، ولذا كان بإمكانها العثور على الدفتر السري بسهولة، ووضعه في جيبها بالسهولة نفسها، دون أن يلاحظ أحد شيئًا".

فكرتُ في ليلة المداهمة.

وتذكرتُ كيف كانت كيت متحمسة لاقتحام المبنى.

وتذكرتُ أنني اقترحت استدعاء شرطة الآداب، لأن هذا تخصصهم، لكن ردة فعل كيت كانت: *سحقًا لشرطة الآداب، هذه قضيتنا*.

وتذكرتُ أن كيت كانت تقود التفتيش في الطابق العلوي حيث يوجد مكتب رامونا ديلافو.

وهكذا، كان بإمكانها أن تحصل عليه بسهولة.

قلت مرة أخرى: "كيت"، لكن هذه المرة لم تكن في صيغة سؤال.

قالت إيمي: "أما عن الصورة التي أريتني إياها، والتي أظهر فيها وأنا أصعد درجات سلم البيت الحجري، فهي تؤكد ما ظننته: هذه الصورة التُقطت قبل

المداهمـة بأسبوعين فقط. هذا مؤكد، لأن هذه هـي المرة الوحيدة التي ذهبتُ فيهـا إلى هناك. كنـت أريد أن أرى المكان بنفسي: فقد قضينا الكثير من الوقت فـي تقصي معلومات عنه. لكنني لم أذهب إلى هناك من قبل. وأنا لم أدخله، بل صعـدت درجات السلم ونظرت إليه"، ثم هزت أصبعهـا وأردفت: "لكن الصورة تثبت أن شخصًا ما كان يعرف أنني هناك".

"مَنْ التقط هذه الصورة كان يعرف أنكِ - أحد كبار مساعدي المدعي العام - مهتمة بذلك المبنى الحجري".

"كان يعـرف أننا اقتربنا، يا بيلي. كان رجال الشرطة الفاسدون يعلمون أننا بصـدد النيل منهـم. وفجأة، قبل أن نأخذ خطوتنا المنتظـرة، إذ بك أنت وكيت تقـودان مجموعة من رجال الشرطـة وتداهمون المكان، ليختفـي بعدها الدفتر السري".

كانت محقة وكلامها منطقي.

استطـرت إيمي قائلة: "لكن كيت لم تفعل هـذا بمفردها، فهذه العملية أكبر مـن أن يقوم بها شخص واحد؛ وهذا يقودني إلى أول سؤال طرحته عليك عندما أريتني الصورة: من أين حصلتَ عليها؟".

قلـت: "وجدتها داخل مظروف عند عتبـة بابي، ولا أعرف من وضعه. مجرد مظروف، ولا شيء مكتوبًا عليه، ولا يوجد به سوى الصورة".

فكرت إيمي في الأمر وهي تسير في غرفة المعيشة، وقد بدا عليها خيبة الأمل في أنني لا أعرف أكثر من هذا.

قلت: "من ترك الصورة يريدني ألا أثق بكِ".

نظرت إليَّ وقالت: "من ترك الصورة متواطئ مع كيت".

أخرجـتُ الصـورة من حقيبتـي، وفحصتُهـا، وأدرتهـا بحيث تتمكـن إيمي - التي سارت نحوي - من رؤيتها أيضًا، ثم قلت: "هذه الصورة مثل بقية الصور الأخرى التي نشرتها كيم بينز: الزاوية واحدة، وموضع التركيز واحد، وكل شيء متشابه بين الصور".

همهمت إيمي: "شخص واحد التقط كل الصور".

نظر كل منا إلى الآخر، وقد خطر الأمر ببالنا في الوقت نفسه.

قالت إيمي: "هناك شرطي يزود كيم بهذه الصور".

فأومأتُ قائلًا: "إذا عرفنا المصدر الذي يزود كيم بالصور، سنكون قد عثرنا على الشرطي الفاسد الذي نبحث عنه".

الفصل
73

قلت لإيمي: "التسليم يتم يدًا بيد؛ فالمصدر الذي يمد كيم بالصور لن يرسل لها الصور عن طريق البريد الإلكتروني أو الرسائل النصية، لأنه يسهل تعقبها، كما أنه من المستبعد إرسالها عن طريق البريد العادي، لأن الصور قد تتعرض للتلف، ولا يمكن التحكم في توقيت الوصول أيضًا، ومن المستبعد أيضًا إرسالها عن طريق خدمة فيديكس؛ لأن المصدر سيتعين عليه حينئذ استخدام بطاقته الائتمانية أو الذهاب لمتجر به كاميرات مراقبة".

كانت إيمي قد فكرت في كل هذا، وبرغم أنها كانت محامية ولم تعمل بالشرطة، فإنها أجرت بعض التحقيقات الفيدرالية الكبيرة، ولديها خلفية عن الجوانب السرية للفساد.

سألتني: "هل تعتقد أن كيم لديها كل الصور؟".

هززت رأسي نفيًا وقلت: "لا أعتقد هذا، أيًا كانت هوية الشرطي الفاسد، فهو يستغل كيم لغرض ما. فهو ...".

قاطعتني إيمي: "أو هي".

"حسنًا. هذه الشرطية أو الشرطي يريد أن يظل متحكمًا في الموقف، وتسليم كل الصور لكيم مرة واحدة يفقده هذا التحكم. لأن هذا يعني إعطاء كل النفوذ إلى كيم التي ستفعل حينئذ ما يروقها بهذه الصور متى أرادت، لكن هذا

الشرطي الفاسد ذكي؛ فهو يريد تقييد حرية كيم، ولذا يسلمها صورة كل أسبوع كي تظل مطيعة له ومعتمدة عليه".

أومأت إيمي، ثم نظرتْ لأعلى بطرف عينيها، وقالت: "حسنًا، مقال كيم القادم سيُنشر بعد ثلاثة أيام، وإذا أردتَ ضبطها وهي تستلم صورة من المصدر ...".

أكملتُ جملتها قائلًا: "يجب أن أذهب الآن، وأبدأ المراقبة حالًا في هذه اللحظة".

قالت: "سأذهب معك".

"لا، أنا أعمل بشكل أفضل بمفردي".

مطت إيمي شفتيها، وقالت: "ربما كيت كذلك أيضًا. ربما تعمل بمفردها في هذا، وربما الشخص الذي يمد كيم بالصور هو الشخص نفسه الذي سرق الدفتر السري، وهي كيت".

"أو ربما لم تفعل كيت أيًّا من الأمرين".

رفعت إيمي حاجبيها، وقالت: "ألم أقنعك بهذا بعد؟".

قلت: "لا يهم إذا كنت مقتنعًا أم لا، سأكتشف الحقيقة عندما أراقب كيم. وبالحديث عن ذلك....".

أومأت إيمي وقاطعتني قائلة: "عليك أن تبدأ، وعِدْني بأن تأخذ حذرك، فهناك أشخاص قُتلوا بسبب هذا".

قلت: "الحذر إحدى سماتي الوراثية".

غادرتُ سريعًا، فقد كنت بحاجة إلى معرفة الحقيقة. هل كانت كيت حقًّا خلف كل هذا؟ هل كانت تتلقى رشى من رامونا ديلافو؟ هل سرقت الدفتر السري في ليلة المداهمة؟ العقل والمنطق يقولان إنها المشتبه به الرئيسي. لكن كيت؟

ذهبتُ إلى سيارتي وأدرتها، وإذا بهاتفي يصدر أزيزًا. قلت في نفسي: *ها قد حضر الشيطان عند ذكره*؛ فقد كانت رسالة نصية من كيت.

أنت لم تشكرني بعد. متى سأحصل على هديتي؟

كانت هناك صورة مرفقة بالرسالة، وكانت لكيت وهي تلتقط لنفسها صورة "سيلفي" كما يسمونها. وقد علت وجهها نظرة إغراء وابتسامة شيطانية.

هل هذا حقيقي، أم أن هذه حيلة لاستدراجي؟

هل كانت كيت تشعر بالغيرة أم تحاول خداعي؟

همست لنفسي: "حسنًا، لنكتشف الحقيقة، يا كاثرين. لنر من يمد كيم بالصور".

الفصل 74

هـذا هـو اليوم الثاني الذي أقضيه بالكامل فـي مراقبة كيم بينز. فقد قضيتُ الأمس متعقبًا كيم إلى العمل، وإلى مقهى في حي يوكرانيان فيلج، وإلى متجر هوول فـودز بضاحية لينكون بارك، وإلى مباراة لفريق شيكاغو بولز ليلة أمس (وهو ما تطلب بعض الجهد، لكنني استخدمت شارتي لدخول الصالة، وهذه إحدى مزايا الوظيفة). لكنني لم أر أية مؤشرات على حدوث عملية تسلم صور أو شيء آخر.

فـي هذا الصباح، وصلـت كيم إلى مكتبها بحي ديربورن بـارك، في الساعة الثامنة. لم تكن صحيفة *شيكاغوبي سي* توجد في إحدى ناطحات السحاب الراقية بوسط المدينة، فهي مجرد منفذ للأخبار الإلكترونية، ومقرها في مكتب متوسط الحجم، تحيطه نافذة من الزجاج السميك.

كان لديَّ وعاء حراري توجد به قهوة ساخنة، وعلبة من الحلويات، واستعددت للمكـوث في مكان واحد قـدر ما يستغرقه الأمر. راقبت مكتبها على مدار تسعين دقيقـة، ولم أر شرطيًّا يدخل أو يخرج منه، لكنني أصلًا لم أتوقع ذلك، لأنك إذا كنت مصدرًا مجهولًا، فلن تدخل مقر جريدة إخبارية. منذ وصول كيم، لم يدخل أو يخرج أحد من هذه الأبواب ويبدو عليه أنه شرطي. معظمهم كانوا في العشرينيات من عمرهم، ويصففون شعرهم على هيئة ذيل حصان، ويضعون حلقات في أنوفهم، ويرتدون قبعات بيريه، ويضعون سماعات في آذانهم. إنه العصر الجديد للصحافة.

صدر أزيز من هاتفي، وكانت رسالة نصية من كيت.

يوم إجازة آخر، يا بيلي؟ هل أنت مريض أم أنها إجازة ترفيهية؟

كان هذا هو اليوم الثاني على التوالي الذي أتغيب فيه عن العمل، وكنت أعتقد أن كيت ستأخذ إجازة أيضًا بعد المحاكمة الكبيرة، لكن من الواضح أنها لم تفعل ذلـك. كان هذا تذكيرًا آخر بمدى ابتعادنــا عن بعضنا. كنا فيما مضى شريكين يخبر أحدنا الآخر بكل شيء، والآن لم نعد ننسق حتى أوقات العمل مع بعضنا.

أجبتها: بعض الأمور الشخصية.

فردتْ على الفور: هل تريد بعض الرفقة؟

كنـت أريد أن يظل الأمـر بيني وبينها عاديًّا وغير رسمــي، لكن بعد الصورة المثيرة التي أرسلتها لــي الليلة قبل الماضية، كان من الصعب التظاهر بالغباء؛ فلم أعلق على الصورة، ولم أرد من الأساس.

كتبتُ: أنا بخير. لديَّ فقط بعض الأمور لأنجزها. ثم أضفت: أراك قريبًا. كانت هذه طريقتي المهذبة لإنهاء تبادل الرسائل. ضغطت على زر إرسال، وسمعت هاتفي يصدر أزيزًا لتطير بعدها رسالتي عبر الفضاء الإلكتروني إلى كيت.

بعد ساعتين، غادرت كيم المكتب سيرًا على الأقدام، وسارت بخطى متسارعة في الشارع إلى متجر بقالة على بعد ١٥ مترًا من مكان سيارتي التي أجلس بداخلها. كانت هذه هي استراحة الغداء، وكان الغداء غطاءً جيدًا لمقابلة شخص ما. خرجتُ مــن السيارة وراقبتها من فوق الرصيف عبر النافذة الكبيرة للمتجر. لم تتحدث كيــم مع أحد، ولم تصطدم بأحد، ولم تلتقط شيئًا تركه شخص ما. كل ما فعلته أنها أخرجت سلطة من الثلاجة، ووضعتها أمام طاولة الصراف، ودفعت الحساب بواسطة بطاقتها الائتمانية، ثم غادرت.

عدت إلى السيارة وأنا أشعر بخيبة أمل. وكنت أريد التبول أيضًا.

صدر أزيز من هاتفي مرة أخرى، فقد وردت رسالة أخرى من كيت.

لديك الحق في التزام الصمت.

كانت هناك صورة أخرى مرفقة بالرسالة، وكانت صورة سيلفي أخرى لكيت في زي الشرطة الرسمي الذي لم تلبسه من سنوات.

كانــت كيت تحاول إثــارة انتباهي بكل الطرق، لكن لماذا؟ أعلم أنني شخص جيد، لكنني لا أعد صيدًا ثمينًا إلى هذا الحد!

وضعت الهاتف جانبًا وكأن هذا سيصرف عن ذهني الأمر برمته.

بعـد مـرور ساعة، استقلت كيم سيارة أجرة إلـى صالون تجميل، ومن حسن حظـي أنني استطعت رؤية مصفف الشعر عبـر النافذة وهو يقص مقدار بوصة من شعرها المموج. لا أعتقد أن هذا مكان يصلح لعملية تسليم شيء. هذا محتمل، لكنه غير مرجح.

صدر أزيز من هاتفي مرة أخرى، فانتابني ضيق شديد. أجل، إنها كيت مرة أخرى.

لا تجعلني أتوسل إليك.

تمتمت وأنا في سيارتي بينما كان هاتفي يصدر أزيزًا مرة تلو الأخرى في تواتر سريع: "بحق السماء، يا كيت!".

كتبت كلمة **توقفي** لكنني لم أرسلها، بل حدقت فيها وفكرت في أنني لا أريد أن أزيد الأمور سوءًا، ولا أريد سكب البنزين على النار، لكنني أيضًا لا أريد تشجيعها.

بعد تسعين دقيقة، عادت كيم إلى مكتبها بحي ديربورن بارك. وجاءتني رسالة أخرى من كيت:

هذا هراء.

كنـت قد بدأت أشعر بالإحساس نفسـه، وكان ينتابني ضيق بالفعل من عدم إحرازي لأي تقدم من مراقبة كيم. كانت كلمة **توقفي** لا تزال مكتوبة على شاشة الهاتف منذ آخر رسالة بعثتها كيت إليَّ.

لكن هذه المرة، ضغطت على زر الإرسال، وأخذت نفسًا عميقًا، وأعددت نفسي للضربة المضادة؛ فأنا متأكد من أن كيت لا تقبل أن يقال لها توقفي عن أي شيء.

علـى مدار الدقائـق التسعين التالية، لم يحدث شيء هنـا ولم يرد شيء من هناك، بينما سقطت الشمس خلف المباني في ضاحية ساوث لووب، وبدأ الغسق يغطي السماء. لا جديد من كيم، ولا جديد من كيت.

ثم صدر أزيز من هاتفي؛ فقد وردت رسالة أخرى من كيت.

أترى أي شيء يعجبك؟

كانت هناك صورة أخرى مرفقة بالرسالة، وكانت عبارة عن سيلفي لكيت وهي تجلس في سيارتها ذات اللون الأحمر الناري.

لكـن هذه الصـورة كان بها شيء مختلف: كانت كيـت تحمل في يديها سلاح الخدمة وقد ألصقته بصدغها.

صُدمت لرؤية هذا، وشعرت بأن هناك طبولًا تدق في أذني، ورمحًا ساخنًا يخترق بطني. كانت كيت تعرف جيدًا كيف ماتت زوجتي.

كانت كيت تتصرف بتهور، وكان هناك شيء يحدث، ولا أعرف هذا الشيء، لكنني لا أستطيع تجاهله.

في تلك اللحظة، غادرت كيم بينز مكتبها وسارت إلى سيارتها.

سحقًا. يجب أن أظل متعقبًا كيم؛ فغدًا هو اليوم الذي من المقرر أن تنشر فيه صورتها التالية. وإذا كانت ستقابل مصدرها، فسيكون اللقاء ما بين الآن وصباح الغد. لا يمكنني أن أفارق كيم الآن. ليس *الآن*.

أخذت أكتب رسائل على هاتفي ثم أمسحها.

هذا ليس طريفًا.

أتمنى أنكِ تفعلين هذا على سبيل المزاح.

لا تفعلي أي شيء متهور.

لم تبد أي من هذه الرسائل مناسبة. فانطلقت بسيارتي خلف كيم التي كانت تقود سيارتها بسرعة. كتبتُ سريعًا: **أعدكِ بأنني سأتحدث إليكِ في أقرب فرصة**، ثم ضغطت على زر الإرسال. لم تكن هذه هي الرسالة الأنسب، لكنها ستفي بالغرض.

لم أكن أعرف إذا ما كانت كيت تتلاعب بي أم أنها في أزمة حقيقية. أتمنى أن تتاح لي الفرصة لمعرفة ذلك.

الفصل 75

خرجتُ من السيارة مسرعًا، أنقل ثقل وزني من قدم لأخرى، وأحاول البقاء دافئًا. كان قد مر على الغسق وقت طويل، وكان الهواء يلسع وجهي. لا أتذكر آخر مرة شعرتُ فيها بهذه البرودة في أول أبريل. كان الطقس باردًا لدرجة تجعلك تفكر في تعيين مساعد شخصي لكي ينفخ لك في يديك.

كنت في مركز تسوق يقع عند تقاطع شارعي أوجدون وجراند، بحي وست تاون، وهو من المناطق المفضلة لي في المدينة. أعرف مطعم ومقهى تويستد سبوك جيدًا: فهو من أفضل المطاعم التي تقدم البرجر في المدينة. أتمنى لو كنتُ بالداخل الآن أتناول شطيرة برجر، وأفاضل بين أنواع الشراب.

لكني كنتُ في الجهة المقابلة من الشارع، متدثرًا بالثياب حتى رقبتي، وأنفث هواءً باردًا من فمي، وأحمل منظارًا مكبرًا في يدي. كان نظري قويًّا؛ ولذا طالما كانت كيم بينز جالسة على طاولتها داخل تويستد سبوك تحتسي شرابها وظهرها مقابل النافذة، لم أستخدم المنظار المكبر وأبدو كشخص منحرف. لكن كلما اقترب شخص من طاولتها، كنت أضع المنظار على عيني. مرت ثلاثون دقيقة إلى الآن، والشخص الوحيد الذي اقترب منها على مسافة أقل من ثلاثة أمتار هو شخص بدين ذو لحية ورأس أصلع، والذي أخذ طلبها.

أبقيت محرك سيارتي يعمل، لكن كان ضوء المصابيح الأمامية مطفأ، وضوء مصباح السقف مطفأ، ومكيف الهواء الساخن يعمل لأقصى درجة. وكل

عشر دقائق تقريبًا، كنت أندس في سيارتي للحصول على إحماء سريع، دون أن أرفع عيني عن مكان كيم.

أخذتُ أخبط بقدمي وأرتد صعودًا وهبوطًا، وصرت أشبه بصياد سمك يقف فوق الجليد ويمارس تمارين الأيروبيك.

داخـل المطعم، كانت كيم تنظر إلى ساعتها، وتحتسي ببطء شرابها، الذي كان عصيــر فواكه مائلًا إلى الاصفرار. كان قد مضى على مكوثها هناك خمس وأربعـون دقيقة. فقررتُ العودة إلى السيارة، لأنني أستطيع استخدام المنظار المكبر فيها دون أن ألفت الأنظار إليَّ، وكان مجال الرؤية من السيارة جيدًا - لم تكـن زاوية الرؤية تسمـح لي أن أرى بوضوح أي شخص فـي الجهة المقابلة لها مـن الطاولـة، لكنني كنت أستطيع رؤية كيم بشكل جيـد، وفي حال تحركت قيد بوصـة، فإنني سأقفز من السيارة لأرى على نطـاق أوسع. وإلى أن يحدث ذلك، لست مضطرًّا لأن أقاسي هذا البرد القارس خارج السيارة.

مـرت ساعة، ولم تتحـرك كيم قيد أنملـة. طلبتْ شيئًا مـن قائمة الطعام؛ حمصـ وخبـز، ربمـا من أجـل الاستمرار فـي التظاهـر وعدم إزعـاج المالك باحتكار طاولة وعدم طلب أية مأكولات.

بحلول الحاديـة عشرة والنصف، كانت كيم تقـرع بأصابعها، وكان ظهرها فـي مواجهتـي، ولم أكن أستطيـع رؤية وجهها إلا عندما تنظـر نحو الباب. وفي تلك اللحظـات التي أرى فيها وجهها، كنت أشعر بغضب تجاهها. كان حاجباها معقودين، وفمها مشدودًا، والقلق ينتابها.

وينتابني أيضًا.

بحلـول منتصـف الليل، كانت تبـدو متوترة للغاية. ليس مـن المنطقي على الإطـلاق أنها كانت تنتظر أحد معارفها، لأنها لم تكن لتمكث لمدة ساعتين بعد موعد اللقاء، وكانـت ستجري اتصالًا هاتفيًّا تقول فيه: "*هاي، أنا أنتظرك. هل أنت بخير؟*"، وتخبر أحد معارفها بأدب بأن يسرع.

لكنهـا لم تجرِ أيـة اتصالات، لأنه ليس معها رقـم الشخص الذي ستقابله. فمصدرهـا لا يريـد حصولها على شيء يمكن أن يتم تعقبه من خلاله، كرسائل بريد إلكتروني أو رسائل نصية أو مكالمات هاتفية.

دفعت كيم الفاتورة وغادرت، ثم أوقفتْ سيارة أجرة، وعادت إلى شقتها بضاحية لينكون بارك. فتبعتها، وشاهدتها وهي تدخل المبنى، وتصعد السلم إلى شقتها في الطابق الثالث. وهكذا انتهت مراقبتي لهذا اليوم.

لم أحصل على كل ما أردته، لكنني عرفت شيئين.

الأول: كانت كيم بصدد مقابلة مصدرها بكل تأكيد. هذا الجزء سهل وجيد، ويعني أنني على المسار السليم.

أما الشيء الثاني فليس جيدًا، بل كان أشبه بقبح متنام: ربما لا يتخطى الأمر كونه بقعة شائنة، لكنني شعرت بأنه أقرب في الشبه إلى ورم سرطاني ينشر سمه القبيح ببطء، ورم كان يزداد حجمًا وقبحًا كلما طالت المدة التي شاهدت فيها كيم وهي تنتظر قدوم مصدرها دون جدوى.

أحدث هاتفي أزيزًا، ولما رأيت اسم إيمي على الشاشة، ارتجف قلبي وكأنني وُكِزت بصاعق كهربي.

كان أصبعي على زر الرد، وفكرت في عدم الرد، لكني ضغطت على الزر على أية حال.

سألتني إيمي: "كيف يسير الأمر؟".

انتظرت لحظة كي أفكر في إجابة.

ثم قلت: "لم يحدث ما توقعناه. فقد تناولت كيم العشاء، ثم ذهبت إلى البيت".

كانت هذه هي الحقيقة بوجه عام، لكنني لم أذكر لها مقدار المدة التي انتظرتها كيم، ولم أذكر أنني كنت متأكدًا أنها كانت تنتظر المصدر، ولم يكن لديَّ شك في ذلك؛ لأن الشيء الثاني الذي اكتشفته الليلة هو أن مصدر كيم أدرك بطريقة ما أنه يجب ألا يأتي الليلة.

شخص ما أخبر مصدر كيم بأنني أراقبها.

والشخص الوحيد الذي كان على علم بأمر المراقبة هو الشخص الذي معي على الهاتف الآن.

الفصل 76

عندما وصلت إلى البيت، أخذت أذرع غرفة النوم جيئة وذهابًا، وأنا أقول لنفسي: *كلا، مستحيل.* لا يعقل أن تكون إيمي قد أخبرت أحدًا بأمر المراقبة، لكن كيف عرف المصدر أنني أتعقب كيم؟

ألم أكن حذرًا؟ ألم أحسن التخفي؟ أنا بارع في المراقبة؛ فهي اختصاصي.

لكن لا بد أنني أفسدت الأمر بطريقة ما. هذا هو التفسير الوحيد. لم أكن حذرًا بالقدر الكافي، ومصدر كيم قام ببعض الاستطلاع بمفرده - أو بمفردها - واكتشف وجودي، فرحل.

لقد أخفقتُ، ولن أحصل على فرصة أخرى.

قلت لنفسي: *أجل، لا بد أن هذه هي الحقيقة.* لم تكن إيمي السبب، بل كان إهمالي.

تفقدت رسائلي النصية، فلم أجد رسائل أخرى من كيت منذ عصر اليوم، عندما وعدتها بأنني سأتواصل معها في أقرب فرصة. لا مزيد من الصور المثيرة، أو التي فيها أسلحة مصوبة إلى الرأس. لا مزيد من الرسائل التي تنم عن غضب وغزل وعدم استقرار.

انتابني فجأة فكرة مرعبة؛ إذ خطر لي أنه ربما يكون السبب أنني لم أتلق رسائل أخرى من كيت حتى الآن هو سبب مفجع للغاية، سبب مفاده أنها صوبت سلاحًا إلى رأسها.

سحقًا للرسائل. سأتصل بكيت.

رن هاتفها أربع رنات، قبل أن يحولني إلى البريد الصوتي. فقلت: "أنا أتصل للاطمئنان عليكِ. اتصلي بي من فضلك".

ثم أضفتُ رسالة نصية على سبيل التأكيد: **كيف حالك؟**

أخذت أسير في الغرفة ذهابًا وإيابًا بسرعة أكبر، كأنني أشاهد مباراة في الأوليمبياد، وأتساءل إذا ما كان يجب عليَّ القفز في سيارتي والذهاب إلى منزل كيت. لكن الوقت كان الثانية صباحًا تقريبًا، وسيكون هذا تصرفًا مجنونًا. لكن إذا كانت تفكر في إيذاء نفسها، إذا كانت جادة بالفعل عندما أرسلت لي الصورة وهي تحمل المسدس ...

راسلتها قائلًا: **أخبريني أنكِ بخير.**

بدأ الفزع يتصاعد في صدري، وفجأة ألقيتُ باللوم على نفسي، وشعرتُ بالذنب لأنني لم آخذ الأمر على محمل الجد عندما أرسلت لي تلك الصور عصر اليوم. ربما كانت الصور بمثابة نداء استغاثة منها، لكنني كنت منهمكًا في المراقبة؛ فلم أعرها الاهتمام الكافي.

مرة أخرى، للمرة الثانية في حياتي، لم أهتم بالإشارات التحذيرية.

قلت في نفسي: *اتصلي بي، يا كيت، أرجوكِ، اتصلي بي.*

ارتديت معطفي والتقطت مفاتيحي من فوق الطاولة بجانب الباب الأمامي، ودخلت الجراج، وفتحت باب الجراج الخارجي، لتغمر المكان موجة من الرياح الباردة، ثم دخلتُ السيارة وأدرت المفتاح.

ثم صدر أزيز من هاتفي، فامتددت يدي إليه بلهفة شديدة لدرجة أنني أوقعته على أرضية السيارة. فمددت يدي والتقطته، ورأيت ما على شاشته، وقد كانت رسالة من كيت.

تبًّا لك!

تنفستُ في ارتياح. لم أكن أتوقع في حياتي أن أسعد بسباب كل هذه السعادة. على الأقل لم تفعل كيت ما فكرتُ فيه.

مسحت العرق عن جبهتي، ووضعت رأسي على عجلة القيادة.

كتبتُ الرد على هاتفي: **هل تريدين مني القدوم إليكِ؟**

لم أكن متأكدًا إذا ما كانت هذه فكرة جيدة، فأضفت عبارة "**لندردش قليلا**". ثم ضغطت على زر الإرسال وسمعت صوت انطلاق رسالتي إلى كيت.

وفي خلال ثوانٍ، صدر أزيز من هاتفي، لأجد مرة أخرى عدة رسائل متتالية من كيت في تعاقب سريع.

فهمت أنك تريد الدردشة فقط. لقد أوضحت لي أنك لست مهتمًا. أنا غير مستعدة لتلقي ضربة على رأسي.

لستُ بحاجة للتحدث إليك.

لقد نلتَ فرصتك. تذكر أنني منحتك الفرصة.

إذن فهي الآن لا تريد التحدث معي؟ لقد كانت، على مدار اليومين الماضيين، تتحرق شوقًا لأن تكون برفقتي، وحاولتْ فعل كل ما بوسعها لإثارتي، لكنها الآن لا تريد أن تكون لها علاقة بي. ما الذي تغير فجأة؟

حسنًا، لقد تغير شيء واحد، وهو أنني توقفتُ عن تعقب كيم بينز.

أصبح جسدي باردًا، وشعرتُ بأن كل شيء في العالم قد توقف.

أطفأت محرك السيارة وأنوار الجراج، وجلست في الظلام داخل سيارتي.

لم يكن أحد على علم بمراقبتي لكيم سوى إيمي. كانت تعرف الوقت الذي كنت أراقب فيه كيم، ومدة المراقبة، وكانت تعرف تحديدًا متى انتهت المراقبة.

وكيت حاولت دفعي لزيارتها في أثناء المراقبة بشتى الطرق، بدءًا من الجمل المغرية إلى الكلمات الغاضبة، من الصور المثيرة إلى التلميح بالانتحار؛ أي شيء لجذب اهتمامي. وبمجرد انتهاء المراقبة، أصبحت شخصًا منبوذًا بالنسبة لها، وكأنني مريض بمرض جلدي معدٍ.

وسط السكون الطويل المظلم الثقيل داخل سيارتي، صدرت مني ضحكة مكتومة، لأن الفكرة التي وردت إليَّ كانت تستحق ضحكة ساخرة من القلب من فرط كونها صعبة التصديق.

من المستحيل تمامًا أن تكون إيمي وكيت متورطتين معًا في هذا.

الفصل 77

توجهت إلى العمل وأنا أشعر بصداع الشراب، مع أنني لم أحتسِ رشفة من أي شراب ليلة أمس. لكنني قضيت الليل محاولًا استيضاح الصورة كاملة، ملتزمًا الموضوعية والمنطق، لكنني كنت أصل إلى طريق مسدود في كل محاولة.

حان وقت التحدث مع كيت لحسم الأمر بشكل نهائي. حان وقت غلق هذه الصفحة تمامًا.

في أثناء قيادتي السيارة إلى العمل، فتحت صحيفة *شيكاغو بي سي* على هاتفي، ووجدت العمود الأسبوعي لكيم بينز، وبالطبع لم تكن به صورة اليوم، وعلى ما أتذكر فهذه هي المرة الأولى التي لم ترفق كيم بمقالها صورة لشخص يقترب من المبنى الحجري. بدأت كيم مقالها بهذه الجملة:

> لا توجد صور اليوم! نتمنى أن التوقف عن نشر الصور يجعل قلوبكم تتوق لها!

كانت كيم تحاول المزاح بشأن الأمر، وقد بدا تصرفها لطيفًا وغريبًا، لكن كيم لم تبدُ بهذا الارتياح ليلة أمس، عندما لم يحضر مصدرها لقاءهما.

عندما وصلتُ إلى العمل، وجدت مكتب كيت مرتبًا ومنظمًا كالعادة، ومصباح مكتبها مطفأ، ومعطفها ليس على شماعة المعاطف. لم تكن قد حضرتْ بعد.

تفقدتُ ساعتي، فوجدتُ أنني متأخر قليلًا، وهو ما يجعل كيت أكثر تأخرًا، وليس من طبع كيت التأخر أبدًا.

"ها هو ذا".

كان هذا صوت سوش.

"رجل الشرطة العظيم الذي فاز في المحاكمة العظيمة. الآن يعتقد أنه ليس مضطرًّا للذهاب إلى العمل في *موعده*".

كان سوش واقفًا بجوار مكتبه مع الملازم المفضل لي في القسم، بول ويزنويسكي، وكلاهما منكفئ على حاسب سوش.

سألتهما، وأنا أخلع معطفي: "أين كيت؟".

"ماذا، هل توقفتما عن التحدث لبعضكما؟ لقد أخذتْ إجازة لبضعة أيام".

بالطبع أخذت إجازة.

قال ويزنويسكي وهو يومئ: "من الرائع أنك حضرت للعمل".

لقد عملتُ ساعات إضافية كثيرة، ولم أحصل على أية إجازة طوال العام، وكان لديَّ من رصيد الوقت ما يسمح لي بالتأخير، لكنني لم أرد عليه؛ فويزنويسكي لا يرغب في شيء أكثر من أن يكتب شكوى يتهمني فيها بالتمرد.

سألتهما وأنا أومئ لهما بينما كانا ينظران بتركيز إلى حاسب سوش: "ما الذي تشاهدانه بهذا الاهتمام؟ هل هي حلقة جديدة من مسلسل الأطفال *حصاني الصغير*؟".

فأجابني سوش بطرف فمه: "لا، نحن جميعًا بصدد الاستماع إلى عضونا المفضل في الكونجرس وهو يخبرنا بأنه *سيمنحنا* شرف أن يكون عمدتنا القادم".

أوه، صحيح. عضو الكونجرس جون تيديسكو، المرشح الأوفر حظًّا في الانتخابات القادمة على منصب العمدة بدلًا من فرانسيس ديلاني. عندما أدين العمدة وأزيح عن منصبه منذ ثلاثة أيام، قال عضو الكونجرس إنه **يدرس** احتمالية الترشح لمنصب العمدة **ويتحدث إلى الناخبين**... إلى نهاية كل هذا الهراء الذي يقوله المرشحون قبل إعلان ترشحهم.

ذهبتُ لأنضم إليهما، فاستقبلتني رائحة سيجار نفاذة ضايقتني. لم ينظر ويزنويسكي تجاهي حتى، وكان هذا أفضل بالنسبة لي.

انضممت إليهما في الوقت المناسب؛ ففي هذا البث المباشر، كان عضو الكونجرس جون تيديسكو - الوسيم ذو الشعر الرمادي - قد وصل لتوه إلى المنصة التي كانت مكتظة بميكروفونات لوسائل إعلامية عديدة.

قال عضو الكونجرس: "لقد عقدت هذا المؤتمر الصحفي اليوم لأعلن عن موقفي من الترشح في الانتخابات القادمة على منصب العمدة. على مدار الأسابيع العديدة الماضية، تحدثت مع الكثيرين منكم في أنحاء هذه المدينة العظيمة... ".

قال سوش: "أوه، سحقًا لك، قلها وحسب".

"لكن على مدار الأيام القليلة الماضية، توصلت إلى قرار مختلف. لقد نظرت إلى حال هذه المدينة، ورأيت أنها بحاجة إلى عملية تطهير شامل. إنها تحتاج إلى شخص من جيل مختلف. تحتاج إلى شخص لا يخشى اتخاذ قرارات صعبة من أجل استئصال الفساد الذي ابتُليت به المدينة".

حبستُ أنفاسي، وأنا أفكر: هل قرر تيديسكو عدم الترشح؟

"هذه المدينة تحتاج إلى مارجريت أولسون، المدعية العامة لمقاطعة كوك".

لا، ماذا؟

تمتم سوش: "أيها اللعين!".

ثم رفع عضو الكونجرس تيديسكو ذراعيه في إشارة إلى الترحيب بمارجريت أولسون، التي اقتربت من صف الميكروفونات وعانقت عضو الكونجرس عناقًا حارًّا.

قال سوش: "لا بد أنك تمزح معي. مارجريت القصوى؟".

لم أستطع تصديق هذا أيضًا. مارجريت أولسون تترشح لمنصب العمدة؟

نظرتُ إلى ويزنويسكي الذي لم ينطق بكلمة، لكنه لم يبد متفاجئًا أيضًا.

قالت أولسون أمام الميكروفونات: "تعجز الكلمات عن وصف مدى الامتنان الذي أشعر به".

فقال لي ويزنويسكي: "يبدو أنك قمت بعملها القذر نيابة عنها. لقد تسببتَ في إزاحة العمدة عن منصبه كي تحصل هي عليه. ما الذي وعدتك أولسون به في المقابل؟".

لم أبتلع الطعم الذي ألقى به ويزنويسكي. في ظروف أخرى، كنت سأرد، لكنني كنت مذهولاً لدرجة جعلتني ألتزم الصمت.

قالت أولسون أمام الكاميرا: "عندما حدثني عضو الكونجرس تيديسكو عن الترشح، كانت ردة فعلي الأولى هي الرفض، لكنني فكرت بعد ذلك في هذه المدينة ومشكلاتها، وإذا ما كنت سأقدر على تطهيرها".

قال سوش إلى الشاشة: "أنتِ سمكة قرش لعينة".

سمكة قرش! هذا هو الوصف نفسه الذي أطلقته كيت على إيمي... إيمي نفسها التي أقسمت لي بأشد الأيمان وأغلظها أن مارجريت أولسون لا تقاضي العمدة لأهداف سياسية، وأن أولسون لن تترشح لمنصب العمدة.

شعرت داخلي بغثيان - مرة أخرى ينتابني ذلك الشعور بأنني لا أعرف القصة كاملة - وبأن صدري يضيق، ويحترق حلقي.

مرة أخرى ينتابني ذلك الشعور بأنني لا أعرف الطريق الصحيح.

الفصل 78

خرجت إيمي لنتيني من المصعد الخاص بمركز ديلي بعد انتهاء عملها، بعد أن أرسى الظلام عباءته على سماء المدينة منذ وقت طويل. كانت عيناها موجهتين لأسفل، وبدا أنها مشغولة البال وعاقدة العزم على فعل شيء ما، وأنها تحمل أعباء العالم على كتفيها. كانت تسير بسرعة لدرجة أنها لم تلحظ باتي.

تحركت باتي كي تعترض طريق إيمي.

فنظرت إيمي لأعلى في هلع، وتوقفت فجأة.

قالت بهدوء: "باتي".

قالت باتي: "لقد حذرتكِ من قبل، يا إيمي، أريدكِ أن تبتعدي عن أخي".

استفاقت إيمي من شرودها، وضيقت عينيها. فقد بدا ما كان يزعجها قبل رؤية باتي، أنه امتزج مع هذه المواجهة، ليتحول ذلك إلى خليط قاتل. وبدا على إيمي أنها وصلت إلى ذروة انفعالها.

قالت باتي: "هل أخبركِ بيلي بأن طفلته الصغيرة ماتت بسكتة دماغية؟ هل أخبركِ بذلك؟ أعتقد أنه لم يفعل؛ فهو لا يحب أن ...".

قالت إيمي: "لم يخبرني بذلك، لكنني أعرف. لقد اطلعتُ على قصته".

"وهل تعلمين أن زوجته فاليري لم تستطع تحمل الفاجعة؟ هل تعلمين أنه بينما كان بيلي يعيش حرفيًّا في المستشفى لأسابيع متواصلة منتظرًا أن تفيق

ابنته من الغيبوبة، كانت زوجته بعيدة عنه؟ أتعلمين أنها كانت طوال هذه المدة تحتسي الكحول بإسراف لدرجة أنه كاد يقضي على حياتها؟".

تأملت إيمي باتي، ونقلت الحقيبة على ظهرها، وقالت: "أعرف معظم ذلك، وأعرف أنها انتحرت بعد هذا".

قالت باتي: "بعد ذلك *مباشرة*، بعد ذلك فورًا، جاء بيلي إلى المنزل من المستشفى، بعد أن فقد طفلته الصغيرة، ليجد زوجته ميتة في الحمام".

"باتي...".

"أخذت زوجة بيلي سلاح الخدمة الخاص به من خزانته، وذهبت به إلى الحمام، وفجرت رأسها به".

"حسنًا، لكن ...".

"إذن فعلاوة على فقدان طفلته الصغيرة، وعلاوة على *العيش* حرفيًّا في المستشفى لأسابيع أملًا في الاحتمال الضعيف بأن تفتح ابنته عينيها مرة أخرى، كان بيلي أيضًا يشعر *بالذنب* لأنه لم يعتنِ بزوجته".

لم ترد إيمي بشيء.

"إنه مكسور يا إيمي. إن ما حدث قد فطر قلبه، وهو يتظاهر بأنه على ما يرام، ويلقي الدعابات، ويقوم بعمله، ويصاحب الجميع، لكنه ليس على ما يرام".

تراجعت إيمي خطوة للوراء مبتعدة عن باتي، وقالت: "هل صار محرمًا عليه الدخول في علاقة زواج ثانية؟ على الإطلاق؟".

قالت: "ليس معكِ، ليس مع شخص يستغله".

تطاير الشرر من عين إيمي، وشعرت باتي بسخونة جسم إيمي.

"أنا أستغله؟".

قالت باتي: "أنت *تتحرين* عنه؛ تفعلين ذلك طوال الوقت. والآن رئيستك تريد أن تصبح *العمدة*! وأعتقد أن هناك منصبًا كبيرًا ينتظرك حال فوزها بما أنكِ قمت بدوركِ ومهدت الطريق لها".

"باتي، اسمعيني...".

قاطعتها باتي: "لقد علمتُ أن عضو الكونجرس تيديسكو قد تنحى عن الطريق. يا له من شخص لطيف. يا له من تصرف لائق. فجأة يقرر المرشح

الأوفـر حظًّـا أنه لم يعـد يرغب فـي الوظيفة التـي طالما أرادهـا، وهي عمدة شيكاغو، ويرى أن مارجريت أولسون ستكون المرشحة *المثالية* لهذا المنصب!".

لـم تـرد إيمي بشيء، فاقتربت باتي منها أكثر لدرجـة أن كلًّا منهما شعرت بأنفاس الأخرى. وأردفت باتي: "كيف حدث هذا، يا إيمي؟ ما الأشياء التي لديكم ضـده؟ هل كان اسم عضـو الكونجرس تيديسكو مذكورًا في الدفتر السري؟ هل هددتموه بفضحـه علنًا إذا لم يعدل عن الترشح ويدعم مارجريت؟ هل هذا هو السبب وراء كل تلك الصور التي تنشرها كيم بينز في عمودها؟ أكانت تهديدات لتيديسكو؟ رسائل تذكيرية أسبوعية؟ *قد تكون أنت التالي، يا سيادة العضو. قد تكون صورة الأسبوع القادم هي صورتك. هل هذا ما تريده حقًّا؟*".

وقفت إيمي - التي كانت قريبة للغاية من باتي لدرجة أن باتي لم تستطع أن تتبين تعبيرات وجهها بدقة - متجمدة كتمثال.

"كيـف أبلي حتـى الآن، يا إيمي؟ هل اقتربت مـن الحقيقة بعض الشيء، أم أصبت كبدها؟".

ظلـت إيمـي صامتة وساكنة دون حـراك، وتجنبت عيناهـا النظر في عيني باتي، وأشاحت بنظرها بعيدًا، لكنها لم تكن نظرة شاردة، بل نظرة ذات تركيز حاد، وكأن إيمي كانت تحاول تحديد نقطة ثابتة بعيدة.

قالت باتي في نفسهـا: *أنتِ تتساءلين كيف عرفتُ هذا. ربما باتي الصغيرة الساذجـة - تلـك الفتـاة الصغيرة التي يدللهـا الجميع، والأخـت التي لم ترتق لمستـوى أخيها التوأم، والحلقـة الأضعف في سلسلة العائلة - ليست بالسذاجة التي تظنينها*.

جذبـت باتي ذراعـي إيمي، وتلاقـت أعينهمـا، ورأت إيمي فـي عيني باتي تهديـدًا، وكانت باتـي جادة في تهديدهـا. أدركت إيمي أن باتـي لم تعد تمزح، وأنها لم تعد تطلق تحذيرات ودية.

قالت باتي بصوت كالفحيح: "ابتعدي عن أخي. هذا آخر تحذير لكِ".

استـدارت باتي بعـد ذلك، وغادرت المبنى، وسارت فـي الساحة عبر البرد القارس والرياح اللافحـة، ثم توقفت، والتفتت إلى الوراء، ونظرت عبر النوافذ الزجاجية الكبيرة لمركز ديلي.

كانـت إيمي لا تـزال واقفة في ردهة المبنـى، لكنها الآن تنظـر للوراء، إلى المصعـد الـذي خرجت منه لتوها. وقفت إيمي هناك لمـدة طويلة، وهي تحدق في ذلك المصعد.

وأخيـرًا بدأت إيمي التحرك، لكنها لم تغـادر المبنى، بل استدارت واختفت داخـل المصعـد وصعدت إلـى مكتبها بعد وقـت طويل من مغـادرة الجميع إلى منازلهم.

كان الطقس باردًا بحيث لا يمكن الانتظار في الهواء الطلق؛ فعادت باتي إلى سيارتهـا وظلت تبحث في أنحاء المكان إلى أن وجدت مكانًا يصلح للمراقبة في ساحة ديلي.

وجلست تنتظر حتى مرت ساعتان وأكثر.

ولما اقتربت الساعة من العاشرة، وأمسى وسط المدينة متجمدًا ومهجورًا، ظهـرت إيمي لنتينـي مرة أخرى وهي تسير عبر الردهة، ثـم أشارت إلى سيارة أجرة بالخارج، واستقلتها.

فكـرت باتي فـي تعقب إيمي إلى المنزل، لكنها لـم تكلف نفسها عناء ذلك؛ فهي تعرف بالفعل أين تعيش إيمي.

الفصل
79

لم يكن الأمر على قدر الصعوبة التي تخيلتها باتي.

فقد غادرت إيمي لنتيني منزلها إلى العمل في السابعة صباحًا، ويبدو أنها من المحبين للاستيقاظ مبكرًا، لكن باتي لم تتفاجأ بالأمر؛ فإيمي من النوع الذي يبذل دائمًا مجهودًا إضافيًّا، مدفوعًا بإصراره وطموحه وتركيزه الشديد. كانت أول من يصل إلى العمل، وآخر من يغادره، كما حدث ليلة الأمس عندما غادرت في العاشرة مساءً تقريبًا.

المرور من الباب الأمامي للمبنى الذي تسكن فيه إيمي سيكون أمرًا صعبًا، لكنه يتطلب توقيتًا دقيقًا وبعض الاحتياطات فقط. لم يكن الجزء المتعلق بالتوقيت صعبًا؛ فالمبنى السكني يضم موظفين شبابًا ذوي رواتب منخفضة وطلابًا يدرسون في كليات المدينة، ويترددون على المبنى في مواعيد غير منتظمة. وهكذا كان هناك أشخاص يدخلون ويخرجون من المبنى طوال اليوم.

انتظرت باتي حتى الظهيرة، وقد سلمتْ بحقيقة أنه لن يكون هناك وقت مثالي لاقتحام شقة إيمي؛ فلا يوجد في الحياة شيء مثالي.

استجمعت باتي شجاعتها، وخرجت من سيارتها، فلسعتها الرياح واخترق البرد على الفور طبقات الملابس الخارجية وأصابها بقشعريرة.

لكن لم يستغرق الأمر منها سوى بضع دقائق قبل أن يخرج شخص من الباب الأمامي. كان فتى غريب الهيئة، طالبًا على الأرجح، له لحية صغيرة أسفل الذقن، ويضع حلقًا في أنفه، ويعلق حقيبة ظهر على إحدى كتفيه.

حرصت باتي على الوجود هناك للحاق بالباب قبل غلقه، وكان هذا هو الجزء المتعلق بالتوقيت.

أما بالنسبة للجزء المتعلق بالاحتياطات، فقد كانت باتي تجر حقيبة سفر ذات عجلات خلفها، لتبدو أنها موظفة شابة عائدة من رحلة، ولم يكن في مظهرها ما يوحي بأنها بصدد اقتحام شقة.

وكانت تضع هاتفها على أذنها بيدها الأخرى، وتتحدث فيه، قائلة: "لقد عدتُ *أخيرًا* إلى المنزل! يا لها من رحلة فظيعة!".

هذه الأشياء مجتمعة معًا - الحقيبة والمكالمة الهاتفية الوهمية، إلى جانب حقيقة كونها امرأة - كانت تعني أن باتي لن تثير أدنى شبهة تهديد لدى الطالب الجامعي الذي لم يعرها أي اهتمام على الإطلاق وهو يمسك الباب لها كي تدخل.

وهكذا أصبحت باتي داخل المبنى!

استمرت باتي في حيلة المكالمة الهاتفية؛ فقد أخذت تضحك وتتحدث في الهاتف: "أنت تمزح! هل قالت ذلك؟"، حتى لا تثير ريبة أي شخص قد يكون في ردهة المبنى.

لكن لم يكن هناك شخص آخر، وكانت في الردهة بمفردها. فحصت عيناها الرواق الفسيح. في البداية بحثت عن كاميرات مراقبة، لكنها لم تجد أيًّا منها. هذا الاستهتار من مسئولي المبنى كان في مصلحة باتي. كانت إحدى الجدران مليئة بصناديق البريد المغلقة التي تشبه صناديق حفظ الودائع في البنوك، وكانت هناك بعض الصحف - *تريبيون*، *صن تايمز*، *وول ستريت جورنال* - ملقاة على الأرض، ومغلفة بأكياس بلاستيك شفافة.

هناك باب على اليسار. هل هو مغلق؟ لن يضر إذا حاولت فتحه طالما أن الردهة كانت فارغة؛ فقد يقود الباب إلى مكان ما.

لم يكن الباب مغلقًا، وكان يقود إلى شيء رائع، سلم الخدمات، والذي كان الطريقة المثالية للصعود إلى الطابق السادس. فالمصعد ليس وسيلة جيدة؛ فربما توجد بداخله كاميرات مراقبة، وعلى أية حال، المصعد ضيق ومحدود،

ويسهل ملاحظة الآخرين داخلـه. وهكذا كان السلم أفضل بكثير. أمسكت باتي حقيبة السفر من المقبض - وكانت فارغة تقريبًا - وصعدت السلالم.

ثم توقفت عندما وصلت الطابق السادس، وأرهفت السمع، فلم تسمع شيئًا. ففتحت الباب وخطت على السجادة المفروشة في ممر طويل.

تفقدت المكان، وعثرت على شقة إيمي بجانب الدرج.

كان فتح قفل الباب هو الجزء الأسهل.

كان هنـاك مشتبـه بـه استجوبتـه باتـي ذات مـرة بخصوص سلسلـة جرائـم سرقة، وأراد هذا المشتبه إثـارة إعجاب باتي - وكثير من المشتبه بهم يفعلـون هـذا، ولا تفهم باتي لماذا يعتقدون أن هذا سيساعدهم - بأن أظهر لها كيـف تفتح قفلًا مـن دون مفتاح. حبست باتـي أنفاسها وهي تسيـر نحو الباب وأنصتت جيدًا بحثًا عن أية أصوات. إذا خرج شخص من أي من الشقق الأخرى فـي الطابـق السادس، سيتعين عليهـا أن تلجأ إلى التظاهر مـرة أخرى، فترفع هاتفهـا بسرعة إلى أذنهـا، وتتظاهر بأنها في مكاملـة هاتفية، وتتحدث بمرح، وتقـول للمتصل الوهمي: *لا أستطيع العثور علـى مفاتيحي*، ثم تضحك. سيتعين عليها أن تقول وتفعل أشياء لا تثير الشبهات.

حاولـت باتي فتح القفل وليس بالمـكان سواها؛ إذ لم يخرج أحد من الشقق الأخرى. فتحت باتي باب شقة إيمي برفق، وتأهبت للعقبة الأخيرة، وهي إمكانية وجود جهاز إنذار.

لا يوجـد جهاز إنذار، ولم يصـدر صوت عند دخولها. يعتقـد المقيمون في المبانـي السكنيـة أن التحكم في فتح الباب الخارجـي للمبنى عن طريق جرس كهربائي سيوفر لهم كل الحماية التي يحتاجونها.

أغلقـت باتي البـاب خلفها، وشعـرت بارتياح يغمر جسدهــا، فأخذت نفسًا طويلًا، وخلعت قفازي الشتاء من يديها، وارتدت مكانهما قفازين مطاطين.

خلعـت أيضًا حذاءها المبتل المغطـى بالثلج؛ لأنه من الممكن أن يترك آثار أقـدام في أنحاء الشقة، لكـن عندما تقرر المغادرة لاحقًـا، سوف تنظف الثلج عند الباب الأمامي بمناديل ورقية وستأخذ المناديل معها. وبهذا لن تترك آثارًا وراءها.

قالت باتي مخاطبة الشقة الفارغة: "حسنًا، يا إيمي، لنبدأ العمل".

الفصل
80

لم تكن باتي تعرف من أين تبدأ: درج الجوارب، خزانة المطبخ، الطاولة التي بجانب السرير، تحت وسادة، في خزانة الأدوية، تحت السجادة، فقد يكون ما تبحث عنه في أي مكان.

قررت باتي أن تبدأ البحث بشكل غير تقليدي على افتراض أن ما تبحث عنه لن يكون في مكان ظاهر؛ ففتشت في خزانة الحمام، وتحت الحوض وتحسست قاعه، وفتحت زجاجات الأدوية وعلب المستحضرات الطبية، وبحثت أسفل السرير، وخلف الستائر، وتحسست بقدمها سجادة غرفة النوم وأرضية الغرفة الرئيسية الخشبية بحثًا عن فتحة أو تجويف سري.

لم تجد شيئًا. فنظرت إلى المكتب الصغير القابع في ركن الصالة الرئيسية، والذي يوجد عليه حاسب محمول وبعض الأوراق. مكتب صغير في شقة مكتظة. كان هذا مكانًا ظاهرًا، ظاهرًا لدرجة أنها لم تبدأ به، لكن الآن حان وقت تفتيشه.

فتحت درجًا وأخرجت بعض دفاتر الملاحظات، وجواز سفر، وبعض الخطابات، ووثائق أخرى، ومجلة مفتوحة على صفحة بها مقالة عن تمثيل إيمي المشرف للادعاء في قضية السيناتور بولاية ويسكونسن، وتبقت داخل المكتب عدة أقلام جاف ورصاص، وذاكرة فلاشية سوداء.

أمسكت باتي بالذاكرة الفلاشية، وحدقت فيها، وكأن الذاكرة الفلاشية ستخبرها بشيء من تلقاء نفسها؛ فلم تكن عليها علامات أو ملصقات.

شعرت باتي برجفة في أنحاء جسدها وهي تخرج الحاسب المحمول الذي أحضرته معها من حقيبتها، ثم جلست على كرسي بجانب مكتب إيمي ووضعت الذاكرة الفلاشية برفق في فتحة مخصصة لها بجانب الحاسب المحمول.

حبست باتي أنفاسها عندما بدأ الحاسب في التشغيل، ثم ظهرت قائمة على الشاشة تكشف محتوى الذاكرة الفلاشية، والذي كان عبارة عن ملف واحد.

كان اسم الملف: الدفتر.

شعرت باتي بشحنة كهربية تسري في جسدها وهي تضغط الأيقونة، وبدأ الحاسب في قراءة الملف الموجود على الذاكرة الفلاشية، وظهر محتواه على الشاشة.

همست باتي قائلة: "يا إلهي! هذا هو، هذا هو الدفتر السري".

الفصل
81

أثيرت نظريات عديدة حول الشكل الذي عليه الدفتر؛ فقد اعتقد بعض الأشخاص أن رامونا ديلافو تجنبت استخدام الحاسب، ودوَّنت كل شيء بخط اليد في دفتر ورقي، بينما رأى آخرون أن رامونا لم تكن لتقاوم بساطة ومرونة استخدام الحاسبات.

لكن الجميع اتفقوا على شيء واحد، وهو أنه من المؤكد تمامًا أن رامونا ديلافو كانت تحتفظ بسجل للأنشطة التي تحدث داخل البيت الحجري.

كان وهج شاشة الحاسب المحمول منعكسًا على وجه باتي، بينما ظهر المستند أمام عينيها كنصٍ مقدس. لقد قضى أشخاص مئات الساعات في البحث عن هذا المستند، وأُزهقت أرواح بسببه.

وقد اتضح أن كلتا النظريتين صحيحة، فرامونا ديلافو دونت البيانات بخط اليد في دفتر ورقي، لكن الورق تم تصويره وحفظه على الذاكرة الفلاشية. لقد قام شخص ما بصنع نسخة من الدفتر.

كان المستند يحوي أكثر من أربعين صفحة، ويشبه سجل حسابات؛ حيث كان مرتبًا حسب التواريخ التي بدأت منذ ثلاثة أعوام تقريبًا، وفي كل سطر كانت توجد شفرة – حروف تتبعها أرقام يتبعها ما بدا أنه المقابل المادي بالدولار للخدمة المقدمة: "بي بي بي – ١٤ – ٥٠٠٠"، "جيه جيه – ٢١–٧٥٠٠"، "كيو

- ١٧- ١٠٠٠٠". كانت هناك صفحات وصفحات على هذا النحو من الشفرات، دون أن يرد ذكر لأسماء.

لكن في نهاية المستند، بعد تجاوز أربعين صفحة تقريبًا، وجدت مفتاحًا لحل كل هذه الشفرات. فقد كان كل رقم يشير لفتاة مختلفة، والتي يحتوي المستند على اسمها الأول والحرف الأول من اسم عائلتها. كان رقم ١٤ يشير إلى فتاة اسمها إيفا، ورقم ٢١ يشير إلى فتاة اسمها مارني، وفي المجمل، كان هناك أكثر من خمسين فتاة - كريستا كيه، كورتني جيه، ليان إل، وهكذا - واللائي عملن في البيت الحجري على مدار السنوات الثلاث الماضية.

أما الحروف المخصصة لكل زبون فلم تذكر سوى اسم عائلته فقط، وعندما استخدمت الحروف بالكامل، تمت مضاعفتها مرتين، ثم ثلاث مرات. وقد وجدت باتي اسم كبير رجال الدين فيلان تحت الحرف كيه، ما يعني أنه كان من أوائل الزبائن. كان حرفا آر آر يشيران إلى ديلاني - العمدة السابق فرانسيس ديلاني الموصوم بالعار الآن.

أما واي واي، فكانا يشيران إلى تيديسكو، عضو الكونجرس جون تيديسكو، الرجل الذي سلَّم مفاتيح مكتب العمدة إلى رئيسة إيمي، مارجريت أولسون.

قرأت باتي قائمة الزبائن، وكان بعضهم قد تم فضحه من خلال الصور البراقة التي نشرتها كيم بينز، لكن كانت هناك الكثير من الأسماء الأخرى، ما يقرب من مائة اسم.

عندما وصلت باتي لنهاية أسماء الزبائن، توقفت. كانت في الصفحة الأربعين من أصل ٤٢ صفحة، ما يعني أن هناك صفحتين متبقيتين. لم تكن متأكدة ما الذي ستجده فيهما، لكن كان لديها تخمين قوي: كان من الواضح أن رامونا ديلافو حريصة كل الحرص على تسجيل كل تعاملاتها الأخرى، وموعد دخول وخروج الزبائن من المبنى، ودفعهم مبالغ مقابل نزوات جسدية، فلماذا لا تكون بالحرص نفسه على تسجيل الرشى التي تدفعها لرجال الشرطة لحماية مشروعها المحظور؟

أخذت باتي نفسًا عميقًا، وانتقلت إلى الصفحة التالية. كان عنوان الصفحة المكتوب بخط يد رامونا ديلافو هو: المدفوعات.

بالفعل، إنها الرشى. لقد سجلتها رامونا بالفعل.

كان هنــاك اسم واحد في كل سطر من السطور، على مدار السنوات الثلاث الماضيــة، وكان يتقاضى مبلغًا شهريًّا، في البداية كان ألفي دولار، ثم بعد ذلك تضاعف إلى أربعة آلاف دولار، ليصل في النهاية إلى عشرة آلاف دولار .

همست باتي في الغرفة الفارغة: "إذن إيمي تعرف، وهذه مشكلة".

حدقت باتي في شاشة الحاسب إلى أن بدأت ترى الكلمات بشكل ضبابي، ثم بــدأت الكلمات في التحرك والاهتزاز على الشاشة، وظلت باتي تحدق حتى بعد ظهور شاشة التوقف التي كانت عبارة عن صخور تتطاير عبر الشاشة السوداء. ظلت باتي تحدق النظر إلى أن بدأ الظلام يهبط خارج نافذة شقة إيمي لنتيني.

لقد ظلت تحدق في الشاشة حتى قررت ما ستفعله بعد ذلك.

ثم أغلقت الحاسب المحمول ببطء وكأنه يحوي متفجرات، وأزالت الذاكرة الفلاشية من الفتحة الجانبية للحاسب.

ثــم وضعت الذاكــرة الفلاشية في جيــب بنطلونهــا، وقالــت: "أعتقد أنني سأسلب هذا منك، يا إيمي. في هذا العمل، من يجد شيئًا فهو له".

ثم أعادت الحاسب المحمول إلى الحقيبة التي جلبتها معها، وأغلقت سحاب الحقيبة.

ثــم قالت وهي تعيد ارتداء حذائهــا: "لا تقلق، يا أخي الصغير، سأنظف كل هذه الفوضى، ويمكنك أن تشكرني لاحقًا".

الجزء التاسع

الوقت الحاضر

الفصل 82

"لقد شعرت المحققة كاثرين فنتون بالاحتقار"، هكذا قال المحامي الخاص بي، ستيلسون توميتا، وهو يميل على حافة نافذة مكتبه، المطلة على نهر شيكاغو وجسر ويلز ستريت، وأردف: "هذه المرأة أرادت بيلي هارني زوجًا لها، لكنها لم تنل ذلك، فقررت أنه إذا لم تحظ هي به، فلن تحظى به امرأة أخرى".

يا له من كلام قاسٍ!

"حظيت كاثرين بعلاقة رومانسية عابرة مع بيلي، لكنها أرادت المزيد، لكن بيلي لم يُرد هذا. بل إنه في الواقع كان قد بدأ التودد إلى امرأة أخرى، وهي إيمي لنتيني. لم تستطع كيت تقبل ذلك، فقررت الانتقام، وجربت كل شيء. فكروا فيما فعلته الممثلة جلين كلوز في فيلم *الانجذاب القاتل*، لكن كيت تختلف عنها في أنها شرطية تعيش في عالم من الأسلحة والعنف. ولذا بدلًا من وضع أرنب في ماء مغلي على البوتاجاز كما فعلت جلين، اختارت كيت القتل كوسيلة للانتقام من بيلي؛ فقتلت رامونا ديلافو، وهي تعلم أن بيلي سيكون المشتبه به في الجريمة، وقتلت جو واشنطن بعد رؤيته مع بيلي في مترو الأنفاق، وكانت أيضًا تعلم أن بيلي سيكون المشتبه به في هذه الجريمة، ثم وضعت أسلحة الجريمة في قبو بيلي، وهي تعلم أن هذا سيدينه. إذا كان بيلي سيدمر حياتها، فإنها ستدمر حياته في المقابل".

لا أظن أن كلماته *الافتتاحية* كانت قاسية، مقارنة بما تلتها من عبارات!

"وقبل بضعة أيام من حادثة تبادل إطلاق النار، بعثت كيت برسائل إلى بيلي بها صور مثيرة لها، وكانت تظهر في إحدى الصور وهي تصوب مسدسًا إلى رأسها، وكأنها تهدد بالانتحار إذا لم يستجب لها، وعندما لم يبادلها بيلي العاطفة نفسها، فما الذي فعلته بعد ذلك؟ بعثت له برسالتها الأخيرة: *لقد نلتَ فرصتك. تذكر أنني منحتك الفرصة*".

لا أتذكر تلك الرسالة، ولا أتذكر تلك الصور المثيرة التي أرسلتها لي أيضًا. كل هذا جزء من الثقب الأسود في ذاكرتي، والسبب الوحيد في أننا على علم بهذه الأشياء هو أن الادعاء سلمنا إياها ضمن الأدلة.

استطرد ستيلسون قائلًا: "بعد يومين، ذهبت كيت إلى شقة إيمي لنتيني حيث كانت إيمي وبيلي في الفراش، وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير؛ فسحبت مسدسها، فقام بيلي - الذي كان مسدسه قريبًا منه على الطاولة التي بجانب السرير - بالتقاط المسدس ليدافع عن نفسه، ومن فرط انفعاله، أطلق رصاصة عن طريق الخطأ فأصابت إيمي، وبعدها أطلق كيت وبيلي النار على أحدهما الآخر".

سحب ستيلسون ربطة عنقه إلى أسفل، وفتح ياقة القميص. أعرف ستيلسون منذ كنت طفلًا، عندما كان هو وأبي شرطيين مستجدين يعملان في دورية واحدة، قبل أن ينهي دراسته بكلية الحقوق ويصبح محامي ادعاء، وقبل أن ينتقل إلى جهة الدفاع عندما وجد نفسه بحاجة لتوفير سبل المعيشة لأبنائه الأربعة. كان ستيلسون مثالًا تقليديًّا لانصهار الأعراق في شيكاغو؛ حيث كان أبوه ضمن الجيل الأول من الأمريكيين اليابانيين، وقد فتح محل خياطة بضاحية لينكون بارك، أما أمه فكانت أيرلندية قلبًا وقالبًا، وكانت سلسلة رجال الشرطة في عائلتها ترجع إلى فترة الكساد. وعندما تنظر إليه، تراه أيرلنديًّا أكثر منه آسيويًّا، لكن ملامح وجهه كانت داكنة بحيث يصعب تحديد أصله. وكان دائمًا يمزح قائلًا إن الناس لا يستطيعون أن يحددوا إذا ما كان إيطاليًّا أم يونانيًّا أم لاتينيًّا.

لكن بصرف النظر عن أصوله، فإنه لا يزال هو الشرطي الذي كان عليه في السابق، حيث البشرة الحمراء، والعينان الغائرتان لشخص رأى مدى فوضوية نظام العدالة الجنائية وقبحه ويأسه وقسوته، وفي النهاية عدم جدواه. سجن

ستيلسـون أناسًـا، ودافع عن آخرين، وكل جانب كان لـه ثمن، وقد بدا هذا على وجهه العجوز.

نظرت حولي في الغرفة إلى الآخرين الذين يمثلون الدائرة الداخلية الموثوق بها لـي: أختي باتي، وأبي، والملازم مايك جولدبيرجر الذي يعد بمثابة أب ثانٍ لي. كان الجميع يتناقش بشأن ما قاله ستيلسون، وهي محصلة دفاعه عني.

تبقَّـى على موعـد المحاكمة أقل مـن أسبوع، وجميع أدلـة الادعاء جاهزة. تناقشـت مع ستيلسـون حول فرضيات الدفاع على مـدار أسابيع، لكن حان الآن اتخـاذ خطوات عملية. وبما أننـا الآن نعرف الأدلة التي لديهم ضدي، فقد حان وقـت إنهاء خطتنا، ثم فحصها، وإعـادة فحصها، والأخذ في تشكيلها كعجينة، إذا جاز التعبير، إلى أن نصل إلى الشكل الأكثر إقناعًا.

قلت: "أنا أطلقتُ النار من مسدسي دون قصد، وأصابت الطلقة إيمي؟ كان هذا خطأ غير مقصود؟".

قـال ستيلسون: "الطلقة التـي قتلت إيمي صدرت مـن مسدسك، وليس من مسدس كيـت، ويمكنهم إثبـات ذلك"، ثم هـز كتفيـه وأردف: "إذا كان لديك تفسير أفضل، فكلي آذان مصغية".

عندما يكون أفضل تفسير لديك رديئًا، فإن الأمور لا تبشر بخير.

أمال ستيلسون رأسه، وأومأ، وقد رأى النظرة التي على وجهي، فقال: "نحن نتصرف وفق المتاح أمامنا، وهذه أفضل نظرية لدينا، يا بيلي".

قالت باتي: "هذه هي النظرية الوحيدة".

قلت: "لا، ليست الوحيدة. هم يقولون إنني شرطي فاسد، أليس كذلك؟ هم يقولون إنني داهمت البيـت الحجري بسبب مسألة أموال الحماية، وأن المدعي العـام مارجريت أولسون كانت تتحرى عني، وإنني قتلت من قتلت لإخفاء الأمر. ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن كيت أو ويزنويسكي أو كليهما.

تحركـت باتي لتقـف منتصبة بعـد أن كانـت مستندة إلـى الحائط، وفكت ذراعيهـا المعقودتين، وقالت: "لكـن لا يوجد دليل على ذلك، لا يوجد دليل على وجود شبكة حماية مشبوهة. لا يوجد دفتر سري. كل هذه افتراضات".

قلت: "لا يوجد دفتر سري؟".

قالـت: "لم يعثـروا عليـه، وتعتقد هيئـة المحلفيـن أنه لا وجـود لمثل هذا الدفتر".

قــال ستيلسون: "أتفــق مع باتي. اسمع يــا بيلي، نحن سنبــدأ بدحض مزاعم الادعــاء؛ فهم لا يمكنهم إثبات وجــود شبكة حماية مشبوهــة، وبالتالي لا يمكنهم إثبــات حدوث محاولات للتستر على هذه الشبكة، ثم نقــدم لهيئة المحلفين بديلًا معقــولا"، ثــم أمسك بنسخ ورقيــة مكبرة للصور التــي أرسلتها كيــت لي وهي في أوضـــاع مثيــرة، وأردف: "هذه امرأة قــد كُسر قلبها، وحاولت فــي استماتة جذب اهتمامك. وأنا أضمن لك أن كل أعضاء هيئة المحلفين انفطر قلبهم في مرحلة ما مــن حياتهم. ولذا فهم يعلمون قسوة التعرض للرفض. ربما هم لم يرتكبوا جرائم قتل ويلصقوا التهم بشخص آخر، لكنهم سيتفهمون ما كانت كيت تشعر به".

نظرتُ إلى جولدي الذي كان ينظر إلى الأرض متجهمًا.

وإلى أبي الذي ضيق عينيه ووضع إحدى يديه على وجهه.

وإلى باتي التي أومأت بالموافقة.

ثم قالــت: "كيت كانت امــرأة غير متزنــة، وتصرفت بشــكل غير عقلاني. ستكون هذه قصتك، دون ذكر لشبكة حماية مشبوهة أو لدفتر سري".

الفصل 83

كانت باتي تجري شمالًا على مضمار الركض، والرياح العنيفة تلسع بشرتها، وعن يمينها كانت مياه بحيرة ميشيجان ثائرة كطفل متمرد، وعن يسارها كانت السيارات منطلقة على طريق لايك شور درايف. كان الطقس لا يزال دافئًا، لكن المناخ يبدو مختلفًا تمامًا بالقرب من البحيرة. هذه هي أحد الأشياء التي طالما أحبتها باتي في شيكاغو؛ القدرة على الهروب من هذه الغابة الخرسانية والاقتراب من ضفة البحيرة، وهذا الكم الهائل من المياه، والاستماع إلى السيمفونية الفريدة الناتجة عن امتزاج صوت أمواج مياه البحيرة بأصوات السيارات.

لم تكن باتي بمفردها، بشكل مادي على الأقل؛ فقد كان هناك راكبو الدراجات، ومن يتزلجون بالأحذية ذات العجلات، وراكضون آخرون، والكثير ممن يتسكعون على الممشى الخرساني. وقد وصلت رائحة الماريجوانا لأنف باتي أكثر من مرة في أثناء ركضها.

لكنها كانت في حقيقة الأمر وحيدة. كانت تشعر بوحدة كاملة طاغية.

ركضت باتي على المضمار حتى ضاحية لينكون بارك، وقد هدأت الرياح، وارتاحت قدماها لملامسة مضمار الركض الطيني اللين مقارنة بالمضمار الخرساني الصلب بجانب البحيرة. شعرت باتي حينئذ بأنها حصلت على ما

يكفيهــا من الركض، وكان الاحتراق الذي تشعر به في صدرها قويًّا كأنه عقاب. لكنَّ هناك جزءًا منها يريد مواصلة الجري حتى تشتعل قدماها وينفجر قلبها.

كانت محاكمة بيلي ستبدأ بعد يومين.

استمرت في الركض شمالًا عبر ضاحية لينكون بارك، مرورًا بضاحية لايك فيــو، ثم انعطفت إلــى ميناء مونتروز، ثم توقفت لدقيقــة لالتقاط أنفاسها وهي تضع يديها على ركبتيها.

كان الميــنـاء لا يــزال مليئًا تقريبًــا بالمراكب؛ فبرغم انتهــاء الصيف، كان الطقــس لا يزال دافئًا، وكان معظم أصحاب المراكب يحاولون استغلال كل يوم من الأيام المتبقية معتدلة المناخ في موسم الصيد قبل أن تتوقف مراكبهم عن الإبحار في فصل الشتاء.

ســارت باتــي على رصيــف الميناء، والــذي كان رصيفًــا رماديًّــا ضيقًا من الإسمنــت، ويمتد داخــل المياه لمسافة ثلاثين مترًا تقريبًــا، وفي نهايته منارة. لا شـــيء هنـا سوى هذا الرصيف الضيق والرياح اللاسعة ومياه البحيرة العميقة الهائجة.

توقفــت باتــي ونظرت حولهــا. كانــت المدينة تبــدو خلفها شامخــة وهائلة ومهيبة، وساحقة أيضًا، أحيانًا تكون ساحقة.

ثم نظرت إلى ماء البحيرة، إلى الثقب الأسود اللانهائي أسفل منها.

قالــت لنفسها: *يمكننــي فعل هذا. مجرد لحظة سريعة مــن الاستسلام إلى الفكرة المغرية التي تراودني، وسينتهي الأمر، ولن يعرف أحد.*

جــاء بيلي وباتــي هنا ذات مرة بعــد تخرجهما في المدرســة الثانوية، حين كانا صغيرين مليئين بالطاقة والأمل، وجلسا على هذا الرصيف تحديدًا، وفتحا زجاجــة عصيــر وشرباها بينما كانت أقدامهما تتدلى فــي الهواء والرياح تعبث بشعريهمــا، وأخبــر كل منهما الآخــر بأنهما سينضمــان للشرطة مثــل أبيهما، وأنهما سيعملان معًا، وأنهما سيدعمان بعضهما دائمًا وأبدًا.

ارتعشــ جسدهــا، وانخفضــت درجة حرارتــه بسرعة بفعل الريــاح العنيفة والهواء البارد.

كانت البحيرة ترقص حولها وتناديها.

يمكنك فعل ذلك، ولن يعرف أحد.

أخذت باتي القرار في نفسها: *أجل، كان يجب أن أفعل هذا منذ وقت طويل.*

ثم أدخلت يدها في سروال الركض الذي ترتديه، في الجيب الأمامي الضيق الذي لا يسع إلا لمفتاح أو لورقة نقدية. أو لذاكرة فلاشية.

إنهــا الذاكرة الفلاشية التــي سرقتها من شقة إيمي لنتينــي قبل وفاة إيمي بيوم واحد، الذاكرة التي تحوي الدفتر السري.

قالت لنفسها: *هيا، افعليها*.

وضعت الذاكرة الفلاشية الصغيرة على راحة يدها، ثم لفت أصابعها حولها لتقبض عليها، ثم سحبت ذراعها للوراء مثل رامي الكرة في لعبة البيسبول، وهي تتطلـع إلى البحيرة المظلمة اللانهائية. ستلتقطها الرياح، ولكنها ليست خفيفة لدرجــة أنهــا لن تغرق عندما تصطدم بالماء، بل هــي ثقيلة بما يكفي للغرق في الأعماق، وصولًا إلى قاع بحيرة ميشيجان على بعد ثلاثين مترًا، ويجرفها التيار وتُفقد للأبد.

سحبــت باتــي ذراعها للوراء أكثــر. كان الجميــع يقولون دائمًــا إنها تمتلك ذراعيــن قويتيــن، علــى الأقل، بالنسبــة لفتاة، أمــا بيلي فكان صاحــب الجسد الرياضي الأفضل.

كان بيلي الأفضل في كل شيء.

لكن ليس بعد الآن.

الفصل
84

في الليلة السابقة ليوم بدء محاكمتي، خرجتُ لأتمشى قليلًا.

سرت في الاتجاه الشمالي الغربي نحو حي باك تاون، واختلطت بالسائرين، باحثًا عن مظاهر الحياة؛ المناقشات الحماسية على طاولات المطاعم في الهواء الطلق، ورائحة اللحم المشوي والبصل، وصرير إطارات السيارات وضجيج أبواقها. أحيانًا لا أزال أرى لمحة لوجه إيمي بين السائرين، أو أسمع صوتها في أحلامي، لكن مع مرور الأيام، يتضاءل هذا الأمر ويصير أقل تواترًا، ويتكرر على فترات أكثر بعدًا.

كانت ساقاي بحالة جيدة، وقد اختفى العرج تقريبًا. فخذاي يؤلمانني هذه الأيام، لكن الأطباء يقولون إن هذا في الأغلب بسبب اعتمادي الزائد عليهما بسبب ساقي المصابة، لكن بخلاف ذلك، أنا أتحرك بشكل جيد. يريد مني ستيلسون - المحامي الذي سيترافع عني - أن أدخل قاعة المحكمة وأنا أعرج مستندًا إلى عكاز، ومحنيّ الظهر. هو يريد أن أبدو مصابًا - ضحية وليس قاتلا، على غرار هؤلاء المجرمين الذين يقضون حياتهم بأكملها في سرقة الناس وإرهابهم وقتلهم، وعندما يَمثُلون أخيرًا أمام القاضي، تجدهم جالسين في كراسي متحركة وظهورهم محنية ويتنفسون من خزان أوكسجين.

عدت إلى الحي الذي أقطن فيه بعد أن قطعت أربعة أميال في أقل من ساعة. وكنت أشعر بإحساس جيد؛ فالسير قد أرخى عضلاتي وخفف بعضًا من التوتر، لكن شبح المحاكمة لا يزال يطاردني.

أعـرف كيف سينتهي الأمر. فنحن سنخوض المعركة ببسالة، ومن المحتمل أن تصـدق هيئة المحلفين أن كيت تمادت في رغبتها في أن تحظى بي لها فقط. لكن مَنْ يخدع مَنْ؟ إنني بحاجة إلى معجزة لتبرئتي من تهم القتل الأربع، لإقناع هيئـة المحلفين بأن كيت هي من ارتكبت جرائـم القتل، وأنها حاولت تلفيق هذه التهم لي، وكل هذا لأنني لم أبادلها المشاعر نفسها.

ينتابني ذلك الشعور مرة أخرى...

توقفت فجأة على رصيف المشاة، والتفتُّ، فلم أر أحدًا. لا يمكنني تحديد ماهية هذا الشعور، ولا يمكنني رؤية أو سماع أحد، لكنني أشعر بوجود شخص ما.

هناك شخص يتعقبني.

التفـت مرة أخرى للأمـام، وتابعت السير. كانت هناك سيـارة ذهبية اللون تقترب من التقاطع، وبدا أنها تبطئ السرعة. ربما كان السائق يلقي نظرة تجاهي، لكننـي لم أتمكن من رؤيته بشكل جيد؛ نظـرًا لأن الغروب قد أرخى ستائره، وقد انطلق السائق بالسيارة بعيدًا قبل أن أتأكد من أي شيء، وقبل حتى أن أتمكن من قراءة لوحة أرقام السيارة.

وعندما انعطفت من الناصية نحو منزلي، توقفت مرة أخرى.

شخص ما يجلس في شرفة منزلي الخارجية.

اقتربت أكثر، وكان المكان مظلمًا؛ فلم أتبين من ...

أوه، إنه أبي. لم أتعرف عليه وهو يرتدي قبعة البيسبول هذه.

سألني عندما اقتربت منه: "هل تمانع إذا مشيت معك؟".

مشينا معًا متجاوزين منزلي، وكان الهواء معتدلًا، وهذا شيء لا يحدث دائمًا في شيكاغو. فنحن عادة ما ننتقل من الصيف إلى الشتاء دون أن نشعر بالخريف كثيرًا.

قال أبي لي: "اعتدت أنا وأمك الخروج للتمشي بعدما توجهت أنت وباتي إلى الجامعـة وصار البيت مقتصرًا علينا. كانت أمك تقـول إن هذا يهدئ أعصابي، ويطرد كل الأفكار السيئة التي تتراكم داخلي بعد نهاية يوم عمل".

هبـت نفحة قوية من الرياح تحمـل رائحة المطر. كان أبي يلف حلقة مفاتيح حول أصبعه.

قال: "لم أكن أرغب في أن تصبح رجل شرطة. هل تعلم ذلك؟".

لم أكن أعلم هذا، بل كنت أتصور أنه لا شيء سيجعله فخورًا أكثر من أن يرى ابنه يتبع خطاه.

أردف أبي: "وبعد أن حلفتَ اليمين كرجل شرطة، تعهدتُ ألا أتدخَّل بأي شكل من الأشكال، وألا أستخدم نفوذي لدفعك للأمام، وألا أراقبك"، ثم أومأ لنفسه، وتنهد مستطردًا: "كنت أعتقد أن هذه أفضل هدية يمكن أن أقدمها لك، وهي أن أدعك تتقدم في عملك بجهدك، حتى تعلم أنني لم أمهد لك الطريق. لكن كان يجب أن أعتني بك أكثر من هذا. كان يجب أن أتأكد أن ...".

توقفت والتفت إليه، واستغرق أبي لحظات قبل أن يتمكن من النظر في عيني.

قلت: "أبي، أنا لست شرطيًّا فاسدًا. أنا لم أتلق مليمًا رشوة من أحد، ولم أوفر الحماية لأي شخص، ولم أقتل أحدًا".

رمقني بنظرة سريعة تحمل أحد تلك التعبيرات الأبوية التقييمية.

ثم قال: "أعرف ذلك".

"لا، أنت لا تعرف ذلك، بل تأمل ذلك؛ لأنه إذا اتضح أنني شرطي فاسد، فأنت تعتقد أن هذا خطأك لأنك لم تدعمني في هذه الوظيفة".

لم يرد أبي على كلامي، بل حرك فكيه وضيق عينيه. اعتقدت للحظة أنه سيفقد السيطرة على نفسه، ويجهش بالبكاء، وهذا شيء لا يفعله أبي. لكن كل عواطفنا كانت تظهر على السطح حينئذ.

لا يمكنني تخيل الشعور بأن ترى ابنك يحاكم بتهمة ارتكاب جرائم قتل، لكن يمكنني التخمين؛ يمكنني تخمين أن أبي كان يسترجع في ذاكرته كل مبارياتي وحصص البيانو ومسرحيات المدرسة التي فوَّتها بسبب متطلبات عمله، وبسبب طموحه في أن يتقدم في سلك الشرطة. كان يسترجع كل تلك الأوقات التي كان بإمكانه فيها أن يضمني إلى أحضانه ويخبرني بمدى حبه لي، بدلًا من الاكتفاء بإيماءة الاستحسان الباردة أو التربيت على الكتف.

إنه يمارس لعبة قاسية اسمها "ماذا لو"؛ ماذا لو كان قد قضى المزيد من الوقت معي؟ ماذا لو اعتنى بي في عملي؟

قال أبي: "لم أحضر إلى هنا من أجل الحصول على تحليل نفسي؟".

"حقًّا؟".

قال: "لقد جئت هنا لأن لديَّ مخرجًا لك".

الفصل 85

قلت مكررًا كلمات أبي: "مخرج من هذا، كيف؟".

قال: "ليست مسألة كيف، بل مسألة أين".

قلت: "مسألة ..."، ثم أدركت فجأة ما يقصد، فأردفت: "هل تطلب مني أن أهرب؟".

أخذ أبي نفسًا عميقًا، ووضع قدمًا أمام الأخرى، وقال دون أن يرفع عينيه من على الأرض: "إذا أردتَ ذلك".

"لا بد أنك تمزح".

رفع عينيه ناظرًا إليَّ مرة أخرى، وهز رأسه بسرعة قائلًا: "أنا لا أمزح".

قلت: "لقد رهنت منزلك لدفع كفالتي. وإذا رحلتُ، فسوف تفقد...".

قال: "أتعتقد أنني أبالي *بمنزلي*؟ يمكنهم الحصول على المنزل اللعين. أنا لم أعد بحاجة إليه؛ فأنا أرمل يعيش في منزل به خمس غرف نوم و...".

"سوف يسجنونك".

رفع أبي بصره إلى السماء، وحك جرح الحلاقة في وجهه.

فتراجعت خطوة للوراء، محاولًا تبين مدى جديته، وقلت: "أنت جاد!".

"لم أكن بهذه الجدية من قبل في حياتي. يمكننا تهريبك الليلة. اهرب من البلاد، وأنا أفضل أن تذهب إلى المكسيك كبداية. هناك شرطي متقاعد يمتلك

مكانًا خارج مدينة بلايا ديل كارمن، ستمكث هناك في البداية، وبعدها ستنتقل على الأرجح إلى أمريكا الجنوبية".

"لقد سلمتُ جواز سفري".

"أعلم، لكننا يمكننا أن نحضر لك أوراقًا. ثم سنقوم بـ ...".

"لا أريد أن أسمع هذا، يا أبي. لا أريد حتى أن...".

ثم توقفت فجأة في منتصف الجملة.

وسألته: "لماذا تتحدث بصيغة الجمع؟".

أومأ أبي نحو سيارته التويوتا في الجهة المقابلة من الشارع. لم أكن قد لاحظت من قبل أنها واقفة بمحاذاة الرصيف. رأيت جولدي جالسًا في المقعد الأمامي.

كان أبي وجولدي مستعدين لوضع عملهما وحريتهما على المحك من أجلي. لقد صدمني مقدار تأثرهما بما أنا فيه، وأن الضرر ليس مقتصرًا على من أُزهقت أرواحهم وعليَّ، باعتباري الشخص الذي يواجه الحبس.

"بيلي، يمكننا فعل هذا الليلة. يمكنني أن أوفر لك سيارة وهوية مزورة، ويمكنك عبور الحدود قبل أن يلحظوا اختفاءك. لديَّ بعض الأموال، ليست بالكثيرة، لكنها تكفي. كل منا سيكون لديه هاتف لا يمكن تعقبه حتى يتسنى لنا التحدث وتنسيق الأمر. يمكننا فعل ذلك، يا بني، وأنت تعلم هذا".

بينما كان أبي يتحدث، فكرت في التراجع عن رأيي. فبسطت يدي وقلت: "وماذا سيحدث لك؟".

قال: "لا تقلق بشأن ما سيحدث لي"، ثم رفع كتفيه وأخفضهما، وأردف: "سيشتبهون بي، أعرف هذا. علينا فقط أن نتصرف بذكاء، ولا نترك أثرًا"، ثم أومأ واستطرد كلامه: "أنا مستعد لخوض هذه المخاطرة".

"وباتي؟ ألن أودعها؟ ألن أراها مرة أخرى؟".

أشاح أبي ببصره بعيدًا، وجفل. عندما يبدو عليه الألم، فإنه يذكرني بأختي.

"أختك تفضل أن تراك تعيش على شاطئ وتعمل في مقهى وتتزوج من فتيات البلدة على أن تراك عبر نافذة زجاجية في السجن لبقية حياتك. ستكون سعيدة أن لديك حياة تعيشها".

قرصت أعلى أنفي، وأصدرت صوتًا.

الحريـة. مثل نسيم دافئ. يمكنني تذوقها بلساني، والإحساس بتدفقها عبر دمي. فرصة أخرى. حياة جديدة.

ثم اقترب أبي مني، وأمسك ذراعي بيديه.

ثم همس محاولًا إخفاء الرجفة التي في صوته: "دعني أفعل هذا من أجلك. أنـت عـدت إلى الحيـاة لسبب ما، يا بنـي. كان من الممكـن أن تموت في غرفة النـوم. كان من المفترض أن تموت، لكنك لم تمت. أنت تحديت كل الاحتمالات وعدت إلى الحياة. وأنت لم تفعل هذا لتقضي بقية حياتك في زنزانة خرسانية. لديك فرصة أخرى. لديك فرصة ...".

فجأة لفت انتباهي شيء آخر.

كانـت السمـاء فوقنا تدمدم منـذرة باضطرابـات، وكانـت السحب تزداد ظلامًا.

تنحنـح أبي، ومسح عينيه بكم قميصه، وجمع شتات نفسه، وترك العواطف تعود مرة أخرى إلى مكان اختبائها المعتاد.

ثـم قال: "ليست لك فرصة في هذه القضيـة، وستخسرها. وسيحكم عليك القاضي بالسجن مدى الحياة. وإذا هربت وقُبض عليك، فما الفرق؟ لا يمكنهم أن يحكموا عليك بأكثر من السجن مدى الحياة".

كان كلانـا يعـرف الحقيقـة - موقفـي في القضيـة ضعيف للغايـة لأنني لا أستطيـع التذكر. أنا مقيـد، وكأنني مسوق إلى حلبة ملاكمـة ويداي مربوطتين خلف ظهري.

قال: "هذا ما كانت أمك ستريده".

رفعـت أصبعـي قائـلًا: "لا، لا. أمـي لم تكن ستقبـل بأن أعتـرف بشيء لم أفعله".

أنـزل أبـي يديه، ونظر إلـيَّ كما ينظر والد إلـى طفله وقد فعـل شيئًا جعله يستشيط غضبًا.

تغيـرت تعبيرات وجه أبي ببطء من الإحبـاط والتوسل إلى شيء أكثر ظلمة وبرودًا، شيء مرعب وحزين بشدة.

ثم همس قائلًا: "كيف تعرف أنك لم تفعل ذلك؟ كيف لك أن تعرف؟".

الفصل 86

مكتبة
t.me/t_pdf

وقفت المدعية العامة مارجريت أولسون أمام هيئة المحلفين، وأغلقت زر سترة بذلتها الرمادية. لم يكن هناك متسع في قاعة المحكمة إلا للوقوف فقط، وقد خيَّم صمت مطبق على المكان الذي يسوده الترقب. كانت الجلسة منعقدة في وقت متأخر من اليوم، بعد انقضاء الصباح وأول الظهيرة في اختيار أعضاء هيئة المحلفين. ولذا لن يتاح الوقت اليوم إلا للمرافعة الافتتاحية للادعاء.

وقفت أولسون بزاوية مائلة قليلًا كي تتمكن من الإشارة في اتجاهي. كان ستيلسون قد حذرني من أنها ستشير بأصبعها إليَّ. ستشير بأصبعها إليَّ وستتهمني.

قالت مارجريت: "لقد كان المحقق ويليام هارني شرطيًّا غير شريف، شرطيًّا فاسدًا أدرك أنه على وشك أن يُقبض عليه، ولذلك حاول إخفاء الأمر بالطريقة التي خطرت له. فقتل الشاهدة الأساسية، وقتل زميلين له في الشرطة كانا يعلمان بأمره، وقتل مساعدة المدعي العام التي كانت تتحرى عنه".

ثم التفتت وأشارت إليَّ؛ حيث هبط رسغها لأسفل، وامتد أصبعها السبابة، وقالت: "المتهم قتل أربعة أشخاص، وهو متهم بارتكاب أربع جرائم قتل".

هززت رأسي، لكن ليس بطريقة مبالغ فيها وكأنني أقول: *أقسم إنني لم أفعل ذلك*، لكن في اندهاش وكأن مزاعمها غير منطقية لدرجة أنها لا تستحق الرد عليها.

قالت: "كان المتهم يقوم بواحدة من أقدم الحيل الملتوية في عمل الشرطة، وهي توفير الحماية مقابل رشوة. إذا كنت شرطيًّا، وهناك شخص يقوم بعمل غير شرعي، ستقول له: أعطني بعض المال، وسأحرص على ألا يقبض عليك أحد. سأحميك".

ثم أومأت، وتركت المعلومة تترسخ في أذهان هيئة المحلفين. إن إقناع أعضاء هيئة محلفين من شيكاغو بأن هناك رجل شرطة فاسدًا في المدينة ليس أصعب من إقناع دونالد ترامب بأنه شخص رائع. ومعظم أعضاء هيئة المحلفين جاءوا من ضواحي مقاطعة كوك، ومعظم سكان الضواحي يعتقدون أن كل شيء نفعله في شيكاغو فاسد.

ثم أخبرتهم مارجريت بأمر البيت الحجري بحي جولد كوست، وأرتهم صورة له، وذكرتهم بما سمعوه بالفعل في وسائل الإعلام على مدار العام الماضي عن العمدة السابق وكبير رجال الدين وبقية الزبائن الأثرياء والمشاهير الآخرين.

ثم قالت: "كان المتهم يحمي البيت الحجري الفاخر هذا"، ثم قربت أصبعيها الإبهام من السبابة حتى كان يفصل بينهما بوصة واحدة، وقالت: "كنا قريبين *لهذا* الحد من القبض عليه. كان مكتب المدعي العام لمقاطعة كوك - مكتبي - يحقق في أمر البيت الحجري، وكانت تقود هذا التحقيق امرأة تدعى إيمي لنتيني".

ثم وضعت أولسون على حامل صورة مكبرة لإيمي في زي رسمي وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

"كانت إيمي على وشك اقتحام المبنى، ومداهمة البيت، وسنعرض لكم طلب الحصول على إذن التفتيش الذي كتبته إيمي، والذي سيبين لكم ما كنا نبحث عنه في المقام الأول: سجل بالتعاملات، أو دفتر سري. لا بد لمن يدير مشروعًا أن يحتفظ بسجل للتعاملات، أليس كذلك؟".

أومأ عدد من أعضاء هيئة المحلفين بالموافقة.

استطردت أولسون: "لكن هذا مشروع غير *قانوني*؛ حيث يتلقى أموالًا من الزبائن مقابل ممارسات غير أخلاقية، ويخصص بعض الأموال لرجل شرطة مقابل توفير الحماية. كل هذا غير قانوني، ولذا فإن سجل التعاملات ليس من النوعية التي يودعها المرء لدى محاسب أو يطلع عليها مصلحة الضرائب".

ضحك عضوان من هيئة المحلفين. لطالما كنت أنظر إلى مارجريت أولسون كشخص حاد الطباع، لكنني لا أستطيع إنكار أنها أسرت اهتمام هيئة المحلفين، وتحدثت إليهم بوضوح في مزيج رائع من الدراما والبساطة. إنها سياسية بارعة.

لقد قللت من قدرها في وقت لم يكن يجب عليَّ فعل هذا أبدًا.

قالت: "وردت لإيمي معلومات أن مديرة البيت الحجري تحتفظ بسجل التعاملات في هذا البيت، وهو عبارة عن دفتر سري صغير. كانت إيمي على بعد أيام من مداهمة هذا البيت والحصول على الدفتر - على بعد أيام من الحصول على دليل تحتاج إليه ضد شرطي فاسد في شيكاغو"، ثم أخذت أولسون خطوة إلى يمينها وأردفت: "سنريكم طلب الحصول على إذن التفتيش الذي كانت إيمي تعده، وسيقرؤه عليكم أحد مساعدي المدعي العام الآخرين الذين شاركوا في التحقيق. لكن لن تقرأه عليكم إيمي، التي كانت تقود التحقيق، لن تقرأه عليكم إيمي؛ لأن المتهم كان حريصًا ألا يسمع أحد من إيمي شيئًا *إلى الأبد*".

ثم التفتت وحدقت في، ثم حركت رأسها ببطء.

وقالت: "كان المتهم ذكيًا، بل بارع الذكاء. لقد علم بأمر التحقيق الذي يجريه مكتب المدعي العام، وعرف أننا بصدد مداهمة ذلك البيت. فماذا سيفعل؟ فعل شيئًا غاية في الذكاء".

توقفت مارجريت وقفة درامية للحظات تاركة أعضاء هيئة المحلفين يتساءلون عن الشيء الذي فعلته وكان غاية في الذكاء.

أردفتْ: "داهم المتهم المنزل أولًا. هذا صحيح. وفجأة يقوم المتهم - وهو محقق جرائم *قتل*، أي أنه شخص لا علاقة لوظيفته ورتبته بقضايا الآداب بأي حال من الأحوال - باقتحام بيت مشبوه بنفسه والقبض على كل من بداخله".

ثم بسطت يدها، وأكملت: "كانت خطوة بارعة حققت له هدفين: الأول هو التضليل. فمن بين كل رجال الشرطة في العالم الذين يمكن الاشتباه بهم في حماية البيت الحجري، فإن *آخر شخص* سيخطر ببالك هو الشخص الذي داهم المكان وفضحه، أليس كذلك؟ هذا يجعله يبدو بريئًا".

أومأ بعض أعضاء هيئة المحلفين، وكتبوا شيئًا في دفاترهم.

قالت أولسون: "تصرف ذكي. والهدف الثاني الذي كان أكثر أهمية هو العثور على سجل التعاملات الخاص بنشاط هذا البيت، واستطاع المتهم أن

يقتحم البيت الحجري قبل إيمي ويسبقها في الحصول على الدفتر السري الذي سرقه ودمره".

أومأ أعضاء هيئة المحلفين وهم يشعرون أن أجزاء الصورة تكتمل أمامهم.

"لكن لا تزال هناك مديرة البيت الحجري نفسها، أليس كذلك؟ أعني أنه إذا فُقد الدفتر السري، لا يزال بإمكان المديرة أن تشهد بشأن الرشي التي دفعتها للشرطة. كان اسمها رامونا ديلافو، وهي من كانت تدير هذا النشاط".

وكأنه موكب من الضحايا، وضعت مارجريت على حامل بجانب صورة إيمي، صورة مكبرة لرامونا ديلافو، والتي التُقطت في إحدى الحفلات.

قالت مارجريت: "كانت رامونا لا تزال تمثل تهديدًا للمتهم أكثر من أي وقت مضى. لكن السيدة ديلافو لن تعتلي منصة الشهود في هذه القضية أيضًا، لأن المتهم أسكتها إلى الأبد هي الأخرى".

هززت رأسي مرة أخرى، لكنني أعرف - وجميع من في الغرفة يعرفون - أن مارجريت أولسون تكيل لي الضربات بمنتهى البراعة.

كان أحد المحامين قد أخبرني في مرة بأن ٩٠٪ من المحاكمات يتوقف فوزها أو خسارتها على المرافعة الافتتاحية.

قبضت أولسون يدها، وبدأت العد على أصابعها بادئة برفع إبهامها:
الحقيقة رقم ١: كان المتهم يخضع لتحقيق بتهمة الفساد.

الحقيقة رقم ٢: استغل المتهم منصبه لاقتحام البيت الحجري قبل أن يفعل ذلك محققو مكتب المدعي العام، واختفى تمامًا أهم دليل.

الحقيقة رقم ٣: قُتلت قائدة التحقيق الذي يجريه مكتب المدعي العام.

الحقيقة رقم ٤: قُتلت الشاهدة الرئيسية التي كان بإمكانها أن تشهد ضد المتهم.

ثم توقفت مارجريت أولسون للحظة، وأومأت.

ثم قالت: "وهذه مجرد البداية".

الفصل
87

قالت أولسون لهيئة المحلفين: "لقد قلت لكم إن المتهم ذكي، بل غاية في الذكاء. كان يعرف أن إيمي تتحرى عنه، وأنها تشك في أنه سرق ذلك الدفتر السري، وسوف تستمعون فيما بعد إلى أعلى مسئول عن تطبيق قانون، إلى رئيس الشرطة تريستان دريسكول. سوف يعتلي دريسكول منصة الشهود، وسيحلف اليمين، وسيخبركم بأن إيمي اتهمت المتهم بسرقة الدفتر السري في أثناء استجوابه بعد مداهمة البيت الحجري".

مشت أولسون خطوة أو اثنتين بتثاقل ينم عن زهو. بالنسبة لشخص يقضي وقتًا في مكاتب الحملات السياسية أكثر من قاعات المحاكم، فهي تبلي بلاءً حسنًا. من الواضح أن شخصًا ما قد أعدها لهذا؛ فهي تترافع كمحام محنك محترف. إنها تدلي بمرافعتها الافتتاحية إلى هيئة المحلفين في محاكمتي، لكنها أيضًا تدلي ببيانها الختامي لوسائل الإعلام والجمهور في حملتها الانتخابية لمنصب العمدة.

أردفت: "إذن ماذا فعل المتهم، هذا الرجل الذكي البارع؟ أقام علاقة مع إيمي؛ حيث سحرها وأغراها. أتعرفون المقولة القديمة: *اجعل أصدقاءك قريبين وأعداءك أكثر قربًا*؟ لقد عمل المتهم بهذه المقولة حرفيًّا، فقرَّب عدوته منه، وتمكن من مراقبة إيمي ومتابعة تحقيقها. أصبحت العلاقة بينهما أكثر قوة، وسقطت إيمي في حب المتهم". ثم وضعت أولسون يدها على صدرها، وقالت: "أنتم لستم مضطرين لتصديقي؛ فوالدة إيمي - ماري آن - ستعتلي منصة الشهود

وستخبركم بأن إيمي أخبرتها بعلاقتها بالمتهم. لقد أخبرت إيمي أمها بأنها وقعت في الحب لأول مرة في حياتها".

آلمتني هــذه الكلمات كلكمة تلقيتها في معدتــي، وأشحت ببصري بعيدًا عن أولسون وهيئة المحلفين، وكأن فعل هذا سيصرف انتباهي عن كلماتها.

همس ستيلسون في أذني: "تماسك".

"لكن هل كانت هذه علاقة حقيقية؟ هل كان المتهم يكن مشاعر صادقة لإيمي أم أن الأمــر برمته كان خدعة وحيلــة لمراقبة سير تحقيق إيمي؟ حسنًا، الإجابة متروكة لكم في النهاية. لكن ضعوا هذا في الاعتبار: لم تكن إيمي المرأة الوحيدة التي يشاركها المتهم الفراش، بل كان على علاقة بامرأة أخرى أيضًا. خمنوا من تكون هذه المرأة؟".

وضعت أولسون صورة مكبرة لكيت على الحامل الثالث.

ثم قالت: "شريكته، المحققة كاثرين فنتون. شريكته لأكثر من ست سنوات. لكــن طــوال تلك السنــوات، كانت العلاقــة أفلاطونية بحتة. كانــت علاقة قوية، لكن ليســت رومانسية، إلى أن تمت مداهمة البيت الحجري. كانت كيت معه ليلة المداهمة، وهذا طبيعي، فهي شريكته. وبعد ذلك، كانت موجودة في الغرفة نفسها في مكتب المدعي العام عندما اتهمت إيمي المتهم بسرقة الدفتر السري. وأدركت كاثرين أن دائرة الشك قد *تطولها*؛ فمن الوارد أن تصبح مذنبة بالمشاركة، أليس كذلك؟

"ولذا شرعت كاثرين فنتون في النظر في الأمور بمفردها، وبدأت في الاعتقاد أنــه ربما يكون شريكها على غير ما يبدو، وأنــه ربما تكون إيمي لنتيني على حق، وربما أن المتهم سرق الدفتر السري".

صفقت أولسون بيديها وأكملت: "وكيف تعامل المتهم عندما أدرك أن شريكته تشك فيه؟".

ثم التفتت ونظرت إليَّ.

وقالت: "بالطريقة نفسها التي تعامل بها مع إيمي. فقد أغوى كيت، وبدأ علاقة رومانسية معها، وكانت علاقة قوية هي الأخرى. سترون وستسمعون أدلة على أن العلاقة *ازدادت* قوة مع الوقت، على الأقل بالنسبة لكاثرين".

يا له من تصرف ذكي! لقد أخذت أولسون حجة دفاعنا وقلبتها ضدنا.

قالت: "لكن في النهاية لم يكن سحر المتهم كافيًا؛ فقد كانت إيمي محامية بارعـة لا تكف عن تحري الحقائـق، وكانت كيت محققة بارعة لا تكف عن تحري الحقائـق، وبرغـم أن كلتيهما أحبتا المتهم، فإن الأدلة ضـده كانت تتزايد. وفي النهاية واجهت المحققة فنتون المتهمٍ في شقة إيمي. ستطلعون على آخر الرسائل المتبادلة بين كاثرين والمتهم، والتي أُرسلت قبل دقائق فقط من قيام المتهم بقتل المرأتين".

استخدمت أولسون حاملًا رابعًا بجانب الصور الثلاث لضحايا جرائمي لوضع صورة مكبرة للرسائل بيني وبين كيت.

كيت: أحتاج إلى التحدث معك.

هارني: ليس الآن.

كيت: أنا أقف أمام باب شقتها. افتح الباب.

هارني: أتقفين أمام شقة إيمي؟

كيت: أجل، افتح الباب الآن.

هارني: ولماذا أفعل ذلك؟

كيت: لأنها تعرف أيها الأحمق، لأنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا.

توقفت المدعي العام مارجريت أولسون لتتيح لهيئة المحلفين استيعاب الأمر، ولتعطيهم الوقت الذي يحتاجون إليه لقراءة الرسائل المتبادلة على اللوحة، واكتفت بمشاهدة حواجبهم المنعقدة، وأفواههم المفتوحة في اندهاش بينما تكتمل أجزاء الصورة أمامهم.

قرأت أولسون الكلمات الأخيرة على اللوحة بصوت عالٍ: "*لأنها تعرف... لأنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا*".

"كان المتهـم متخوفًا من المرأتين اللتين حـاول تضليلهما، المرأتين اللتين حـاول أن يسحرهما بجاذبيتـه فيتغاضيان عن جرائمـه. كان متخوفًا، ولم يكن لديه خيار آخر، فقتل الاثنتين، وقد فصلت عدة دقائق بين مقتل الأولى والثانية.

"والآن لنتحدث عن الأدلة المادية التي سنريكم إياها".

كانت الأدلة المادية كثيرة، لكنها كانت مجرد زينة بسيطة تضاف إلى الكعكة اللذيذة التي صنعتها مارجريت أولسون. ويمكنني أن أستنتج من كيفية تفاعل هيئة المحلفين مع كلامها، ومن النظرات البغيضة التي يرمقونني بها أن إحدى قدمي قد أصبحت في القبر بالفعل، وأن كل عضو من هيئة المحلفين يملأ جاروفه بالتراب.

الفصل 88

في صباح اليوم التالي، قدم المحامي ستيلسون توميتا مرافعته الافتتاحية كما استعرضها في مكتبه، والتي أظهرت كيت بوصفها مثالًا تقليديًّا لـ "الحبيبة المهجورة". كانت هيئة المحلفين تضم سبع نساء، وكان أكثر ما يقلقني هو رد فعلهن على هذه القصة. تصر باتي - وقد قالت زوجتي الراحلة الشيء نفسه ذات مرة - أن أقسى من ينتقد النساء هن النساء الأخريات. ربما، لكن عندما يأتي النقد من رجل، فلست متأكدًا من أن الأمر ينطبق هنا. وقد استغل ستيلسون الأدلة التي لديه - الصور والرسائل المثيرة، بما في ذلك التهديد الصريح، "لقد نلتَ فرصتك. تذكر أنني منحتك الفرصة".

لكن أعضاء هيئة المحلفين لم يبدوا مقتنعين، فقد قضوا الليلة السابقة يفكرون فيما قالته مارجريت أولسون - إنني مخادع ومتلاعب، وإنني أغويت كيت كي أراقبها، وكي أجعل عدوتي قريبة مني. وكل الأدلة التي أظهرها لهم ستيلسون والتي تؤكد زعمنا أن كيت أصبحت متهورة وغير عقلانية في سعيها لاستعادتي، هي أيضًا أدلة تثبت أكثر أن تلاعبي قد أتى بثماره.

ثم عاد الادعاء إلى المرافعة، وقامت مارجريت أولسون باستعراض الشهود على مدار الأيام الثلاثة التالية، وبنت قضيتها بعناية.

أحد الشهود كانت امرأة متأنقة تعمل مساعدة للمدعي العام تسمى نجوزي ماكنامارا، وهي امرأة أمريكية من أصول أفريقية، وتحديدًا من جوهانسبرج،

بجنـوب أفريقيا، واسمها الأخير يعطي احتمالية أنها متزوجة من رجل أيرلندي هنا في المدينة.

قالـت: "لقد ساعدت فـي إعداد تقريـر للحصول علـى إذن لتفتيش البيت الحجري، وكنت أعمل بتوجيه من إيمي لنتيني".

أومـأت مارجريت أولسون وقالت: "هل يمكنـك أن تقرئي لنا الجملة الأولى من الفقرة الثالثة من هذه الوثيقة، يا سيدة ماكنامارا؟".

نظـرت ماكنامارا إلى النسخة التي في يدها، وقالـت: "قام (م س) بإبلاغ الموقعين أدناه بوجود دفتر مكتوب بخط اليد داخل البيت الحجري يحتوي على أنشطة بيت الفجور والرشى المدفوعة لشرطة شيكاغو".

"إلام يرمز (م س)؟".

"يرمز إلى مخبر سري".

"ومَن الموقعون على هذا التقرير؟".

قالت ماكنامارا: "إيمي لنتيني".

"إيمي كان لديها مخبري سري؟".

"أجـل، وقد أبلغها مخبرها بأن رامونـا ديلافو كانت تحتفظ بسجل مكتوب بخـط اليد في المبنـى الحجري. كنا مهتميـن على وجـه الخصوص بسجلات الرشى التي تُدفع إلى قسم شرطة شيكاغو".

"هل أطلعتكِ إيمي لنتيني على هوية مخبرها السري؟

ابتسمـت ماكنامـارا لتذكرهـا شيئًا، وهـزت رأسهـا قائلة: "لـم يكن أحد ليستطيع أن ينتزع هذه المعلومة منها".

"حقًا؟".

"أعنـي أنهـا كانت فـي النهاية ستضطـر إلـى الكشف عـن مصدرها إلى القاضي الذي سيصدر مذكرة التفتيش. باستثناء ذلك، فإن إيمي كانت ستأخذ هذا السر معها إلى القبر".

ألقت أولسون نظرة على هيئة المحلفين، وقالت: "على حد علمي، فإن إيمي قد أخذت هذا السر إلى قبرها، أليس كذلك؟".

كان صديقي القديم، رئيس الشرطة تريستان دريسكول يرتدي زيه الرسمي بالكامل – وهو الذي لم يقض يومًا من أيام خدمته في شوارع المدينة ولم تتلطخ

يده بقذارتها - ويجلس مرفوع الذقن، ويشرح بوضوح وترابط كيف اقتنعت إيمي لنتيني بأنني سرقت الدفتر السري بعد مداهمة البيت الحجري.

قال: "لقد أوضحت السيدة لنتيني أن محقق جرائم القتل ليس من حقه أن يقبض على أحد بتهمة ممارسة عمل منافٍ للآداب، وأتفق معها، فهو تصرف غير منطقي".

"وماذا كان رد المتهم؟".

"غضب بشدة، وقرب نهاية النقاش، هبَّ غاضبًا من مقعده، واقترب من إيمي حتى كان يفصل بينهما سنتيمترات فقط، وظننتُ في البداية أنه سيعتدي عليها جسديًّا".

قال ستيلسون مبررًا المبلغ الضخم الذي يتقاضاه مني كمحامٍ: "أعترض! أطالب بحذف هذه الجملة".

أمر القاضي بحذف هذه الجملة الموجعة الأخيرة التي قالها تريستان، لكن كيف يمكنك قمع صوت الجرس بعد أن قرعته؟ *تظاهروا يا أعضاء هيئة الملحفين بأنكم لم تسمعوها، لكننا جميعًا نعلم أنكم سمعتموها جيدًا!*

جلست ماري آن لنتيني - والدة إيمي - على منصة الشهود ووجهها تكسوه الملامح الحزينة نفسها، وحكت في أسى أن ابنتها زارتها في مدينة أبلتون بولاية ويسكونسن، وصارحتها بأنها قابلت شخصًا ما. قالت والدة إيمي: "قالت إيمي إنها لأول مرة في حياتها تجد شخصًا يمكنها تخيل مستقبلها معه، وقالت إنها واقعة في حب شرطي اسمه بيلي هارني".

ثم اعتلى المنصة مارك ماديسون، خبير الأدلة في قسم شرطة شيكاغو. كان شخصًا قصيرًا ممتلئ الجسم، وبدا على القدر القليل المتبقي من شعره أنه تعرض لمحاولة صبغ فاشلة. أعرف مارك منذ سنوات، وآخر مكان يود الوجود فيه هو الجلوس على منصة الشهود ليشهد ضدي. إنه حتى لم يقوَ على النظر في وجهي.

قال: "أجل، كنت حاضرًا في القبو أثناء تفتيش منزل بيلي. لكنني لم أعثر بنفسي على سلاح الجريمة - أو أية أسلحة".

"لكن بصفتك خبير أدلة، ألم يلفت انتباهك العثور على السلاح؟".

"أجل، يا سيدتي. لقد استُدعيت أولًا إلى غرفة في القبو بدت كغرفة تخزين، لأجدهم قد عثروا على سلاح ناري في علبة سيجار على أحد الرفوف".

قالـت أولسون وهي تظهر له سلاحًا في حقيبة شفافة: "هل هذا هو السلاح الذي عثروا عليه؟".

قـال مـارك: "أجل، إنه هـو. وقد وضعته فـي حقيبة ولصقـت عليه علامة التعريف".

"أنت ... ".

قال: "أنا من تحفظ عليه".

أومأت أولسون وقالت: "ماذا عن الأسلحة الأخرى؟".

"كانت هناك سكين، سكين مطبخ قديمة عادية مخبأة تحت غطاء مرحاض القبو، وقد تحفظت عليها أيضًا".

رفعـت أولسـون أمامه حقيبة أخرى بها سكين وقالـت: "هل هذه هي سكين المطبخ التي تقصدها؟".

"أجل، إنها هي".

"علـى حـد علمك، هـل حصلتَ على هـذه الأدلة مـن الشخـص الذي عثر عليها؟".

"على حد علمي، نعم".

سألتـه أولسون: "ومَنْ هذا الشخص؟ مَـنْ الشخص الذي عثر على السلاح الناري وسكين المطبخ في قبو المتهم؟ هل كان شخصًا واحدًا؟".

قال مارك: "كان شخصًا واحدًا، وهو الملازم بول ويزنويسكي".

الفصل 89

الدكتورة جاكلين كولينز لايتفورد هي خبيرة الطب الشرعي في المعمل الجنائي بشرطة شيكاغو، وتحمل العديد من الألقاب الفخمة، وتنتمي لمجموعة خبراء يحملون الكثير من الألقاب العلمية. وعندما انتهت من سرد مؤهلاتها، كانت قد كررت كل الحروف الأبجدية عدة مرات.

كان يستجوب هذه الشاهدة إحدى مساعدات أولسون، وهي محامية تسمى لوريتا سكوبس، وقد رأيتها في قاعة المحكمة قبل ذلك، لكننا لم نتقابل. كانت تؤدي دورها بشكل جيد؛ حيث كانت جادة وصارمة وتلتزم بالحقائق دون زيادة أو نقصان.

"د. جاكلين، كيف تحددين إذا ما كان هناك دم على أحد الأدلة؟".

قالت: "هناك فحصان لذلك. الأول هو فحص التحري - سمِّيه فحصًا مبدئيًّا إن شئت - ويُطلق عليه فحص "أوخترلوني". هذا الفحص يخبرنا إذا ما كانت البقعة عبارة عن دم أم لا. وإذا كان الفحص إيجابيًّا، فإني أجري فحص "هيماتريس" للتأكد من أن العينة عبارة عن دم، وأنه دم بشري".

أومأت المحامية، وقالت: "هل أجريتِ هذين الفحصين على الدليل رقم ٤: هذه السكين؟".

"أجل".

"وماذا كانت النتائج؟".

"تأكدتُ من وجود دم، وأنه دم إنسان".

(ها قد تدمرت نظريتنا بأن السكين اُستخدمت في أحد الطقوس الذي ذُبح فيه ماعز جبلي)

"د. جاكلين، هل أجريتِ تحليل حمض نووي على عينة من هذا الدم؟".

"أجل".

"هـل قمتِ أيضًا بفحص عينة دم حصلتِ عليهـا من السيدة رامونا ديلافو عبر إذن تفتيش لإجراء تحليل للحمض النووي؟".

"هذا صحيح".

"هل قارنتِ العينتين ببعضهما؟".

"أجل".

"وكيف فعلتِ ذلك؟".

استغرقـت الإجابـة عن هذا السـؤال معظم فترة ما بعـد الظهيرة. الجميع يعرفـون الحمضـ النووي، لكنهم فـي الحقيقة لا يعرفون عنـه شيئًا، ولا يعرف ماهيتـه سوى الخبراء في هذا المجال - العمليـات والعلوم المتداخلة والعيوب. لكـن ها هي واحدة من ضمـن الشهود تعتلي المنصة وتقـدم محاضرة تعليمية مدتها تسعون دقيقة عن تحليل الحمض النووي، وتتلفظ بعبارات مثل *التكرارات المترادفـة القصيـرة، والتعـدد الشكلـي لأطـوال القطـع المضخمـة، و تفاعل البوليميـراز المتسلسل، ونحن نتظاهر بأن هيئة المحلفين يمكنها فهم ما يقال. هـل سنسمح لعضو من أعضـاء هيئة المحلفين أن يجـري عملية في القلب بعد محاضـرة دراسيـة مدتها ساعتان؟ هـل سنسمح لعضو منهـم أن يفحص أذن كلـب بناء على تلك الحصة التدريبية؟ بالطبـع لا، لكن هل نسمح لأعضاء هيئة المحلفيـن بـأن يحكمـوا على شخـص بأنه مذنـب ويُحكم عليـه بالسجن مدى الحياة بعد تلقيهم دورة مكثفة في تحديد البصمة الوراثية عبر الحمض النووي ؟ بالطبع نسمح بهذا! لا توجد مشكلة في ذلك!*

وأنهـت د. جاكلين كلامهـا بهذه الجملة: الدم الذي علـى السكين التي عُثر عليهـا في القبو يتوافق مع دم رامونا ديلافو، والذي لن يتوافق إلا مع واحدة من كل ٣,٦ تريليون أنثى بيضاء.

بالطبـع لا يوجـد ٣,٦ تريليـون أنثى بيضـاء تعيش على هـذا الكوكب؛ ولذا فالدم على السكين لا يتطابق إلا مع دم رامونا ديلافو.

عضـو هيئة المحلفيـن الجالس في أقصى اليسار - وهـو بروفيسور فيزياء متقاعد - بدا أنه يفكر في الشيء نفسه بينما كان ينظر اتجاهي بنظرة باردة.

ثـم جاء الـدور على المقذوفـات، وحينهـا اعتلى منصـة الشهـود سبنسر ليبسكومب، وهو خبير الطب الشرعي بشرطة ولاية إيلينوي.

قال ليبسكومب: "الأخدود قطع حلزوني يتم نحته في ماسورة السلاح الناري فـي أثناء تصنيعـه، ويتم نحت الأخاديد في اتجاه حلزونـي إما إلى اليمين وإما إلـى اليسار، والهدف من هذا هو جعل الطلقة تدور والمحافظة على ثباتها وهي تنطلـق. ويسمى الجزء الذي لـم يُنحت داخل الماسورة بـروزًا. وعندما تنطلق الرصاصة عبر الماسورة، فإن البروز والأخاديد تضغط نفسها على الرصاصة. وهكـذا فإن الطلقة التـي عليها خمسة بـروز وأخاديد واتجـاه القطع الحلزوني عليها نحو اليسار لا يمكن أن تكون صادرة من سلاح ناري به *ستة* بروز وأخاديد واتجاه القطع الحلزوني به نحو *اليمين*".

"بالتأكيد".

"ونحن نسمي هذه خصائص تحزيز".

"حسنًا، هـل وجدتم أن الطلقات التي أصابت إيمـي لنتيني وكاثرين فنتون تحتـوي علـى خصائص تحزيز تتطابق مـع سلاح الخدمة الـذي يملكه المتهم والمسجل باسمه؟".

"أجل".

"ماذا فعلت بعد ذلك؟".

"فحصـتُ الخدوش التـي توجد على سطـح الطلقة. إذا نظـرت إلى سطح ماسـورة المسدس بعدسـة مكبرة، فإنك ستـرى أنها تشبه حافـة منشار. هذه النتـوءات الصغيرة تحتـك بالرصاصة وتترك عليها خدوشًـا صغيرة. ولذا إذا كان لديـك السـلاح، كما هي الحال لدينـا، فإنك تطلق منـه رصاصة اختبارية وتقـارن الخدوش الموجودة عليها بالطلقات التي عُثر عليها في مسرح الجريمة باستخـدام عدسـة مكبرة. وهكـذا تقارن الطلقتيـن ببعضهما لتـرى إذا كانت عليهما الخدوش نفسها".

"وهل كانت الخدوش متطابقة؟".

"نعم".

"وما استنتاجك؟".

كان استنتاجه أن سلاحي هو الذي أطلق منه النار على إيمي وكيت.

كنا قد استأجرنا خبيرًا ليقوم هو الآخر بفحص الأدلة، وتوصل إلى النتيجة نفسها.

"وماذا عن الرصاصة التي قتلت المحقق جو واشنطن، يا د. ليبسكومب؟ هل فحصت هذه الطلقة لتحديد ما إذا كانت أُطلقت من المسدس الذي عُثر عليه في قبو المتهم؟".

فعل ذلك بالطبع، وتوصل إلى النتيجة نفسها: المسدس الذي عُثر عليه في قبو منزلي هو المستخدم في قتل صاحب المعطف البني.

ومرة أخرى، توصل الخبير الذي استأجرناه إلى النتيجة نفسها؛ ولذا لن نجادل في ذلك.

إذن كيت وإيمي قُتلتا بمسدسي، نحن بالفعل نعرف هذا.

وراموna ديلافو قُتلت بالسكين التي عُثر عليها في قبو منزلي، وصاحب المعطف البني قُتل بالمسدس الذي عُثر عليه في قبو منزلي. لكن هذا لا يعني أنني الشخص الذي استخدم تلك الأسلحة. ويمكننا اقتراح أكثر من اسم لأشخاص يمكنهم فعل هذا ثم دسَّ الأسلحة في قبو منزلي.

وكيت الميتة هي أحد هؤلاء الأشخاص.

لكن هناك شخصًا آخر وهو الذي عثر على تلك الأسلحة في قبو منزلي، ولا يزال حيًّا يرزق.

قالت مارجريت أولسون: "الادعاء يطلب استدعاء الملازم بول ويزنويسكي".

الفصل 90

صعد ويزنويسكي منصة الشهود، وقال له الحاجب: "من فضلك اذكر اسمك الأول، وتهجَّ لقب العائلة من أجل السجل".

"اسمـي ويـز..."، كان يجب عليـه أن يتوقف عند هذا الحـد، كان يجب أن يقـول: *الجميع ينادوني بـ ويـز، وهذه ليست مجاملة؛ فمعظـم زملائـي يعتقدون أننـي شخص أحمق معتد بذاته!*

كان الموضـوع الأول: مداهمـة البيـت الحجـري، وقـد دخلـت أولسون في الموضوع سريعًا.

قـال ويزنويسكي: "حاولتُ إقناع المحقق هارنـي بأنه ليس من المنطقي أن يقوم محقق جرائم قتل بمداهمة بيت مشبوه. فهناك شرطة الآداب المخصصة لهذا، وقد أخبرته بأننا يجب أن نستدعي شرطة الآداب. كان يجب ألا يفعل هذا بنفسه".

هذا كذب؛ فقد كان اعتراض ويزنويسكي الوحيد هو وجود أشخاص مهمين داخـل المبنى مثل العمدة وكبير رجال الدين، وهو مـا يعني أن الأمر سيكون له مردود سياسي سلبي عليَّ، والأهم، عليه هو.

سألته مارجريت أولسون: "وماذا كان رد المتهم؟".

أخذ ويزنويسكي نفسًا عميقًا والتفت إلى هيئة المحلفين قائلًا: "لقد أوضح لي أنه لا بد أن يفعل ذلك بنفسه، ولا بد أن يفعل ذلك في تلك الليلة".

"هـل أوضـح المتهم سبـب أهمية مداهمتـه المنزل بنفسـه، أو السبب في أهمية فعل ذلك في تلك الليلة؟".

"لا، لم يفعل، ولم يبد الأمر منطقيًا".

أومأت أولسون، وتوقفتْ للحظات وهي تنظر إلى حذائها.

ثـم قالت: "هـذا المبنى الحجري الـذي كان المتهم بصـدد مداهمته، هل كانت هذه هي المرة الأولى التي يلفت فيها البيت الحجري انتباهك؟".

قال: "لا، لم تكن المرة الأولى".

انحنيتُ للأمام وأنا جالس في مقعدي، وشعرتُ بشيء يجثم على صدري.

قال: "كنت أشتبه في أن هذا البيت الحجري يتمتع بحماية، وكنت أحقق في احتمالية تورط أشخاص في قسم شرطة شيكاغو في شبكة حماية مشبوهة".

نظـرتُ إلى ستيلسون، فقد كانت هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام. انتبه ستيلسـون لنظرتي؛ فكتب شيئًا على ورقة ونقر على الكلمات بقلمه الرصاص: لا تظهر أية عواطف.

قـال ويزنويسكي: "وكان المستهدف من التحقيق الـذي أجريه هو المحقق بيلي هارني".

عضضـتُ شفتي وأدرت رأسي بعيـدًا. إذن أنا كنت أتحرى عن رئيسي بينما كان رئيسـي يتحرى عني، بينما كانت المدعي العـام لمقاطعة كوك تتحرى عنا جميعًا! أنا بحاجة إلى مخطط بياني لتتبع ما يجري.

قـال ويزنويسكي: "على مـدار الثمانية عشر شهـرًا الماضية، كان المحقق هارنـي يخرج تقارير اعتقـال قديمة، ولم يكن هذا جزءًا مـن أي تحقيق قائم، أو له علاقة بجريمة قتل".

هذا صحيح، لأنني كنت أتحرى عنك، يا ويزنويسكي. كنت أخرج كل تقارير الاعتقـال القديمـة لحـالات بـدا أن الناس فيها أفلتـوا من المحاكمـة بطريقة غامضـة، وفـي أحيان كثيـرة كانت سلسلـة رجال الشرطـة الذيـن تعاملوا مع الاعتقـال تنتهي بك. وقد كنت أفعل هذا خلسة أيها الأحمق، لأنني عميل متخفٍّ لصالح مكتب الشئون الداخلية.

قـال ويزنويسكي: "أعتقد أن هذه كانت سجلات لأشخاص يتمتعون بحماية، أشخاص قُبض عليهم لارتكابهـم جرائم مختلفة ثـم أُطلق سراحهـم قبل أن يُحالوا إلى المدعي العام. أشخـاص أُفرج عنهم دون سبب واضح".

كانت هذه سجلات لأشخاص أنت الذي تحميهم، يا ويزنويسكي.

شعرتُ بأن دمي يغلي، وكانت قدماي تتقافزان تحت الطاولة.

نقر المحامي الخاص بي على تلك الكلمات الموجودة بالصفحة مرة أخرى: لا تظهر أية عواطف.

"هنـاك شيء يصيبني بالحيرة" - قالتها مارجريت أولسون وهي بعيدة كل البُعد عن الحيرة. وأردفتْ: "لماذا يخرج المتهم كل تقارير الاعتقال التي تظهر فساده؟".

أومأ ويزنويسكي قائلًا: "عندما تخرجين تقارير اعتقال قديمة، يتم تسجيل ذلـك، وعليكِ أن توقعي بتسلمها وتسليمها. وهذا كله مكتوب على غلاف الملف. عليـك أن تذكـري اسمك ورقم شارتك بجانب كل طلـب، ويمكنكِ أيضًا أن تري أسماء الآخرين الذين قدموا طلبات لرؤية التقرير".

"يمكن رؤية كل الطلبات السابقة؟".

"أجـل، بالطبع. يمكنك رؤيـة قائمة بكل الأشخاص الذيـن طلبوا رؤية هذه الملفات قبلك".

أومـأت أولسون، وكذلك العديد من أعضاء هيئـة المحلفين الذين بالنسبة لهم، الصورة تتضح شيئًا فشيئًا.

قـال ويزنويسكي: "أعتقد أن المحقق هارنـي كان يخرج هذه التقارير ليرى إذا كان هنـاك شخص آخر يطلـع على تلك التقارير. كان يريد أن يعرف إذا ما كان هناك شخص يعلم بأمره".

خدعة رائعة، لا يمكنني إنكار هذا. جززتُ على أسناني، وضممتُ يدي. كيف يمكـن لي الجلوس في قاعـة المحكمة محتفظًا بهدوئي في حيـن أن هناك نارًا تتأجج داخلي.

لكنها خدعة رائعة؛ فويزنويسكي يستغل التحقيق الذي أجريته كعميل متخفٍّ ضدي، ليجعلني أبدو الطرف المذنب.

مـال ستيلسون نحوي، وهـذا ليس من طبعه، وهمس بكلمـات بدت كسهام، قائلًا: "عليك أن تتمالك نفسك".

سألت أولسون: "هل أبلغت الإدارة العليا بهذه الشكوك؟".

قـال: "فعلـت ذلك، نوعًا ما. فقـد تحدثت مع الملازم مايـك جولدبيرجر، رئيس مكتب الشئون الداخلية".

التفتُّ مرة أخرى إلى ويزنويسكي، محاولاً التقاط أنفاسي.

"مكتب الشئون الداخلية؟ هل هي ضمن الجهات التي تقدم تقاريرك إليها؟".

رفع كتفيه، وقال: "يمكن القول إنني كنت أخبرهم بمعلومات من حين لآخر، لكني لا أعمل لحسابهم بشكل رسمي، إذا كان هذا ما تعنينه".

"حسنًا. إذن كيف كنت تذهب إلى مكتب الملازم جولدبيرجر؟".

"لا، لا شيء من هذا القبيل. لقد تقابلنا في مقهى لرجال الشرطة، واسمها هوول إن ذا وول بشارع روكويل".

"أخبرنا بأمر هذا اللقاء".

قال ويزنويسكي: "أطلعته على كل شيء، أخبرته بأنني كنت أتساءل منذ مدة لماذا يختفي بيلي هارني دائمًا أثناء عمله، ويبدو أنه يتطفل على أشياء ليس بحاجة إلى أن يطلع عليها، أشياء ليست لها علاقة بحل جرائم القتل".

"وماذا قال الملازم جولدبيرجر، إن كان قال شيئًا؟".

"أوه، لقد أسكتني على الفور، وأخبرني بأن المحقق بيلي هارني رجل شرطة صالح، وأنه يعرفه طوال حياته، وأنه مستقيم كالسهم".

هذا هو صديقي جولدي.

لكن أولسون لم ترد أن تظل صورتي كرجل شرطي صالح لوقت طويل.

فسألت ويزنويسكي: "الملازم جولدبيرجر كان يعرف المتهم طوال حياته؟".

"أجل، وعلاقتهما ببعضهما متينة؛ فجولدبيرجر بمثابة أب ثان له، ولذا عرفتُ على الفور أن جولدبيرجر لن يفيدني بشيء. فقد كان متحيزًا".

قالت أولسون: "ماذا فعلتَ إذن؟".

قالت: "ذهبت إلى المكان الوحيد الذي أستطيع الذهاب إليه. ذهبت إلى مكتب المدعي العام".

ذهب إلى... ذهب إلى مكتب...

قال موضحا: "لقد كنت المخبر السري لإيمي لنتيني".

الفصل 91

أضــاءت شاشــة العرض وظهر عليها مقطع فيديـو مشوش بالأبيض والأسود لرصيف محطة في مترو الأنفاق.

قــال ويزنويسكي وهو يقف بعيدًا عن منصة الشهود ويستخدم عصا إشارة: "هذا الشخص الذي يقف هناك هو بيلي هارني".

كنت أظهر في الفيديو كأنني أنتظر قطار المترو مثل الجميع.

"وهذا الرجل الذي يقترب مرتديًا معطفًا لونه بيج ...".

هو أقرب إلى اللون البني وليس البيج.

"... هذا هو المحقق جو واشنطن".

"وأين كنتَ في هذا الوقت، أيها الملازم؟".

"كنــت علــى الرصيف المقابل، وحاولــت إخفاء وجهــي ومراقبتهما دون أن يلاحظاني".

"أنت تعقبت المتهم حتى هذا المكان؟".

"أجل، هذا صحيح".

"وماذا حدث بعد ذلك".

"حسنًا، كما ترون ...".

ســرد ويزنويسكي الموقف مــن أجل تدوينه في محضــر الجلسة، لكن هيئة المحلفين لم يحتاجوا إلى سماع كلماته؛ إذ كان يمكنهم رؤية ما حدث بأنفسهم.

كانت الشاشة تظهر صاحب المعطف البني وهو يقترب مني ويتوقف لكن دون أن يبدو على أحدنا أنه يعرف الآخر، بل مجرد شخصين ينتظران القطار. أنا أتحدث في الهاتف - مكالمة هاتفية وهمية - ثم أدير ظهري إلى الكاميرا وإلى صاحب المعطف البني.

وبعدها - كما تدربنا على ذلك مسبقًا - يعطس صاحب المعطف البني، ثم يدير هو الآخر ظهره إلى ويزنويسكي وإلى الكاميرا. حينئذ يصبح كلانا موليًا ظهره لويزنويسكي.

ثم سلمني صاحب المعطف البني مظروفًا.

أوقفت أولسون الشاشة هنا، حتى تعلق الصورة بأذهان هيئة المحلفين، وعاد ويزنويسكي إلى منصة الشهود.

سألته مارجريت أولسون: "هل تعرف المعلومات التي بداخل المظروف الذي أعطاه المحقق جو واشنطن إلى المتهم؟".

"كلا، لكنني أردت معرفتها بشدة. لكنني اشتبهت في أن هارني يغطي تحركاته، وأنه كان حينئذ يقابل في السر شخصًا تابعًا لمكتب الشئون الداخلية".

صحيح، لكن هذا لأننا كنا نحاول اكتشاف *هويتك*، يا ويزنويسكي. كنا نحاول اكتشاف هوية الشخص الذي كان يتعقبني.

كل ما حدث في مترو الأنفاق كان خدعة الهدف منها أن *تبدو* كلقاء سري كي نكتشف هوية الشخص الذي يتعقبني، لكن بالنسبة لهيئة المحلفين، بدا *أنه* لقاء سري مع صاحب المعطف البني.

مرة أخرى، قام ويزنويسكي بقلب عملي كعميل متخفٍّ ضدي، فجعلني أبدو مذنبًا بدلًا منه.

وقد فعل ذلك ببراعة!

"أيها الملازم، هل اكتشفت بعد ذلك ما كان بداخل المظروف الذي سلمه المحقق واشنطن إلى المتهم على رصيف مترو الأنفاق؟".

"كلا".

"لماذا؟".

"لأنه في وقت لاحق من تلك الليلة، قُتل جو واشنطن"، ثم التفتَ ورمقني بنظرة باردة، وأردف: "بواسطة سلاح عثرنا عليه بعد ذلك في قبو منزل بيلي هارني".

فبادلتُه النظرة ذاتها.

مـا زلتُ غير قـادر على تذكر ما حدث في الليلة التي تعرضت فيها أنا وكيت وإيمي لإطلاق النار، أو الأسبوعين اللذين سبقا تلك الليلة، لكنني لا أحتاج لذلك - ليس بعد الآن.

لقد عرف ويزنويسكي أنني أتحرى عنه، وكان بحاجة لإيقافي. فما أفضل طريقة لفعل ذلك سوى قلب الطاولة ضدي! فأصبح المخبر السري لإيمي لنتيني، ودفعها للبدء في التحري عني، ثم لفق لي تهم قتل.

لقد كان ويزنويسكي خلف كل هذا من البداية.

لكن لا يمكنني إثبات هذا، وقد فات الأوان الآن.

قالت مارجريت أولسون: "حضرة القاضي، الادعاء يكتفي بهذا القدر".

الفصل 92

أستلقـي فـي سريـري، والستائر مغلقة بإحكام، وغرفـة نومي تغرق في ظلام دامس.

أعتصـر جفنيَّ بقـوة، مستجديًا النـوم، ملتمسًا السكينـة، راجيًا أن توقف الكائنات المجهولـة صرخاتها الملتوية، وأن يهدأ الفزع الذي يملأ صدري، وأن يعـود تنفسـي إلى حالته الطبيعيـة. كان جسدي مستنزفًا عـن آخره، وفي أمس الحاجـة للراحة، لكن عقلي كان يعانـي خللًا، وكأن الأسلاك داخله قد تقاطعت مـع بعضهـا؛ فالأفكار لا تـزال تتوارد دون ترابـط: ذكريات وخيـالات، لمحات مـن الماضي، وأشياء مختلطـة، حقائق وأوهام، اندفـاع الماضي نحو الحاضر وامتزاجهمـا معًا مثـل الماء والتـراب، فينتج طين لا يمكن فصـل مكوناته عن بعضها.

إنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا.

لقد نلتَ فرصتك. تذكر أنني منحتك الفرصة.

ستيوارت يربت كتفي في وحدة العناية المركزة.

إيمـي تضحك، ويرتسم على وجهها تعبير مخيف. *لقد أطلقتَ عليّ النار، يا بيلي!*

لقد قتلتني، لكنك لا تتذكر ذلك حتى!

ويزنويسكي يحاول إقناعي بالعدول عن مداهمة البيت الحجري: *إذا أفسدت هذه العملية، فقد تكون هذه هي آخر عملية اعتقال تقوم بها على الإطلاق!*

لقد كنت المخبر السري لإيمي لنتيني.

رامونا ديلافو قُتلت بالسكين التي عُثر عليها في قبو منزلي.

صاحب المعطف البني قُتل بالسلاح الذي عُثر عليه في قبو منزلي.

انفتح باب، محدثًا صوت طقطقة خفيفة، فانطلق ضغط الهواء كتنهيدة رقيقة.

التفتت كيت بسرعة خاطفة إلى اليمين. فاندهشت، ثم زال الاندهاش

انفتح الباب، محدثًا صوت طقطقة خفيفة، صرير متأوهٍ من باب قديم. باب اعتقدت زوجتي أنه رائع في بداية انتقالنا إلى المنزل، لكنها ترجتني بعد ذلك لاستبداله بسبب الضوضاء التي يُحدِثها.

إنه الباب الخلفي لمنزلي.

عيناي مفتوحتان الآن، هذه ليست أحلامًا.

هذه حقيقة: يوجد شخص في منزلي.

كل حواسي في حالة تأهب. قلبي ينبض بعنف لدرجة أنه قد يندفع خارج جسمي ويصطدم بالسقف، ممطرًا دمًا وأنسجة.

تحسست المنضدة التي بجانب السرير بحثًا عن مسدسي، وشعرت بارتياح عندما لامست أصابعي إطار المسدس البارد الناعم. أمسكت المسدس ولففت أصبعي حول الزناد.

تسللت من سريري، وهبطت قدماي برفق على السجادة اللينة، وتهادى ثقل جسمي لأسفل ببطء حتى أصبحت في وضع القرفصاء.

لا أزال أتعرض لوابل من الصور مصحوبة بصدى صوت ضوضاء وأصوات بشر.

إيمي: يمكنك أن تثق بي، يا بيلي.

الدفتر السري معي.

باتي: *لا يوجد دفتر سري.*

كيت: *إنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا.*

وقع أقدام، صوت صرير خشب الأرضية بالقرب من الدرج. شخص قادم إلى الطابق العلوي.

التفتت كيت بسرعة خاطفة إلى اليمين، فاندهشت.

ثم زال الاندهاش.

أومأت.

ما الذي تفعله هنا؟

لا يوجد دفتر سري.

الدفتر السري معي.

همست لنفسي وأنا أهز رأسي: "لا، لا، لا..." .

المشكلة ليست في أنك لا تستطيع تذكره، بل أنك لا تريد تذكره.

كنت أتقدم ببطء على السجادة، وأنقل ثقل جسمي بهدوء بين القدمين، ورأسي مندفع للأمام كيرقة في ظلام غرفة نومي.

نقر خفيف لوقع الأقدام.

أحبس أنفاسي الآن. مسدسي أمامي، ويداي ترتجفان، والعرق يتقاطر من وجهي إلى عيني، وجلدي يشتعل نارًا...

كل نقرة خفيفة لخطى الأقدام هي بمثابة اتفاق ضمني مع الأرضية الخشبية في الرواق. إنه يقترب الآن.

سيل من الضجيج المشوش يتدفق إلى أذني، يصطدم بي.

همست بهدوء لدرجة أن الهواء لم يكد يفارق فمي: "لا".

ظهر شبح عند الباب، والضوء الخافت القادم من نافذة الرواق رَسَمَ مخططًا هيكليًّا لجسم الرجل الغامض.

رجل يحدق في الظلام الدامس لغرفتي.

كان يرتدي سترة سوداء ذات رقبة، وقناعًا من القماش: أيها الغريب الخطير.

وطئت قدمه سجادة غرفة النوم. بالنسبة لوضعه، السير على السجادة أفضل من الأرضية الخشبية.

أخذ خطوتين بثقة، ثم رفع سلاحه وصوَّبه إلى السرير، نحو الوسادة حيث أضع رأسي في العادة.

ولما تكيفت عيناه مع الظلام، توقف للحظات مستغربًا؛ فهدفه ليس في مكانه.

وفي لمح البصر، التفت نحوي في ركن الغرفة.

التفتت كيت بسرعة خاطفة إلى اليمين.

ما الذي تفعله هنا؟

سحبتُ الزناد مرة، مرتين، ثلاث مرات. وومضت فوهة المسدس الصغيرة، واخترقت رشقات نارية الظلام، ثم أطلقت الطلقة الرابعة، والخامسة، والسادسة، ولم أتوقف إلا بانتهاء ذخيرة المسدس.

بادلني الرجل إطلاق النار، وأضاءت فوهة مسدسه بومضات أكبر. وتراقصت في الظلام سحب برتقالية مثل مذنبات ساقطة، إلى أن سقط الرجل على الأرض بلا حراك.

ألقيت بمسدسي محاولًا تمالك نفسي، وغرزت أصابعي بالسجادة كأنني أتشبث بها في مواجهة موجة كاسحة من الذكريات.

هذه ذكريات وليس أحلامًا.

ذكريات حيَّة ومحددة حافلة بالمناظر والأصوات والروائح والخوف والكراهية والرعب الخالص، ذكريات تسدد لي اللكمات من هنا ومن هناك، وتحبس أنفاسي، وتأجج النار في صدري.

تمكنت أخيرًا من التقاط أنفاسي التي تمنعت عليَّ، وأنا ألهث وأبتلع ريقي بصعوبة، وغير قادر على الكلام.

وعندما عاد صوتي إليَّ، كل ما تمكنت من قوله هو "لا".

لا، لا، لا، لا، لا، لا.

"لا!".

الفصل
93

انقشع الضباب، ليحل محله ضوضاء خافتة، وضجيج خبراء الأدلة ورجال الشرطة.

قالت باتي، وهي تضع يدها تحت إبطي، وتسحبني لأعلى: "لنخرجك من هنا، دعهم يقوموا بعملهم".

مشينا بحذر بجانب الرجل المستلقي دون حراك على سجادة غرفة نومي، وكان المسدس عيار ١١ ملم لا يزال في يده، وسترته السوداء ممزقة بفعل الطلقات التي أحدثت ثقوبًا يتدفق الدم منها.

رفُع قناعه حتى جبهته، ليتضح أنه ذكر أبيض، في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات من العمر، مضى على حلاقة ذقنه يوم تقريبًا، وهناك ندبة على خده. كانت عيناه تحدقان لأعلى في الفراغ. لقد مات قبل أن يصطدم بالسجادة.

قالت باتي: "سنحصل على هويته، أنا متأكدة أن لديه سجلًّا جنائيًّا".

كان أبي وجولدي يقفان في الرواق بينما كان خبراء الأدلة يقومون بعملهم داخل غرفة نومي وفي الرواق، ويضعون علامات، ويلتقطون صورًا، ويرفعون البصمات. فرد أبي ذراعيه لما اقتربت منه وعانقني نصف عناق، وكانت باتي تعانقني من الجهة الأخرى. كان الاثنان يسندانني كأنني غير قادر على الوقوف.

ذهبنا إلى الطابق السفلي وجلسنا في غرفة المعيشة. أخذ أحد محققي الشرطة أقوالي، ولم يكن لديَّ الكثير لأقوله: سمعتُ صرير الباب عند انفتاحه، فاختبأتُ في ركن في غرفتي، وأفرغت ذخيرة مسدسي في الشخص الذي اقتحم منزلي، والذي لم أره من قبل في حياتي.

حاول شقيقاي، أيدن وبراندون - اللذان جاءا إلى المدينة لحضور المحاكمة - إصلاح القفلين اللذين كُسرا الليلة؛ الأول هو قفل الباب الخلفي الذي أزاله الشخص الذي اقتحم منزلي، والثاني هو قفل الباب الأمامي الذي كسره رجال الشرطة الذين استجابوا لنداء الاستغاثة.

حضر المحامي الخاص بي ستيلسون توميتا بعد بضع ساعات من الواقعة، ووجدني أنا وباتي جالسين على الأريكة.

تحدث أبي وجولدي للمحققين المسئولين عن التحقيق وطلبا توفير حماية لي على مدار الساعة.

وعبر كل هذا، كنت أجلس على الأريكة ورأسي مائل إلى الخلف على الوسادة، وعيناي مغلقتان. كان الناس من حولي يتحدثون بهدوء وهم يعتقدون أنني نائم، أو يأملون أنني نائم، وأنني أحظى ببعض لحظات السكينة.

لكنني لم أكن نائمًا، ولم أكن أنعم بسكينة.

بل كنت أفكر، أفكر فيما حدث في غرفة نومي.

ولا أعني الشخص الذي اقتحم غرفتي، ولا إطلاق النار، بل كنت أفكر في الأفكار والصور التي تواردت إلى ذهني قبل أن يقتحم هذا الشخص منزلي وبعد مقتله، والتي اجتاحتني وحبست أنفاسي.

الآن تجمد سيل هذه الأفكار وتحول إلى جليد صلب جاثم على صدري.

وكزني ستيلسون، وقال برفق: "بيلي".

رفعت يدي وفتحت عينيَّ، ورأيت من النافذة - خلف ستيلسون - أولى بوادر الشروق في شكل ضوء ضبابي يتهادى في تكاسل.

قال ستيلسون: "سنحصل على تأجيل للمحاكمة، بعد ما حدث لك الليلة، سيمنحنا القاضي تأجيلا".

قلت: "لا".

قالت باتي: "أنت بحاجة إلى الراحة".

قال ستيلسون: "اسمع، هناك شيء آخر. أعرف أن ما حدث الليلة كان فظيعًا، لكن يمكننا استغلاله، فهو يثبت أن هناك شخصًا يريد إسكاتك".

نظرتُ إلى باتي، ثم بدأت في دفع نفسي لأقف.

"إلي أين أنت ذاهب؟".

قلت: "سأستحم وأرتدي ملابسي استعدادًا للذهاب إلى المحكمة".

قالت باتي وستيلسون في نَفَس واحد: "ماذا؟ انتظر".

وقف ستيلسون أمامي ليمنعني من التحرك، وقال: "بيلي، لا بد أنه ويزنويسكي. ويزنويسكي وراء كل هذا".

أومأتُ له، وربتُّ كتفه.

أردف ستيلسون: "لكننا نحتاج لبعض الوقت، نحتاج لبعض الوقت لإثبات هذا، وجمع الأدلة معًا. وبعد الذي حدث هنا، يمكننا الحصول على مزيد من الوقت في القضية".

قمتُ بدفع ستيلسون، وتجاوزته، قائلًا: "لا أحتاج لمزيد من الوقت".

قالت باتي: "أنت لست بخير، يا بيلي. لا يمكنك الذهاب إلى المحكمة على هذا النحو. لا يمكنك الإدلاء بشهادتك وأنت على هذه الحالة. كيف ستدلي بشهادتك؟".

التفتُّ ونظرتُ إلى أختي التوأم، وهي الشخص الذي يعرفني أكثر من أي شخص آخر.

وكنت أظن أنني *أعرفها* أكثر من أي شخص آخر.

كنت أظن أن كلينا يثق بالآخر.

"ستيلسون، أنت بحاجة للذهاب إلى البيت والاستحمام. أراك في المحكمة".

رفعت يدي في إشارة للانصراف وسط احتجاج باتي وستيلسون، وغادرت المكان متجهًا إلى الطابق العلوي لأستحم وأغير ملابسي.

بعد ساعات قليلة، سأعتلي منصة الشهود في محاكمتي.

وسأقول الحقيقة.

الفصل 94

بعـد ساعتيـن، كنت في المحكمة، وبدا الجميـع مندهشين من حضوري؛ لأن الجميع قد سمعوا بمـا حدث في منزلي ليلة أمس. أخبر القاضي ستيلسون بأنه سيعطينا تأجيلًا، لكنني طلبت من ستيلسون أن يرفض التأجيل. ضغط القاضي علـى ستيلسون، لكي يتأكد من أنه رفض العرض السخي بالتأجيل الذي قدمته المحكمة بمحض إرادته، وذلـك كي يتمكن القاضي من حماية سجل المحاكمة عند الاستئناف.

قـال ستيلسون: "بيلي يريـد أن يدلي بشهادته الآن"، ثم هـز كتفيه وأردف كأنه يريح ضميره المهني: "وهذا ضد نصيحتي له".

مشيتُ حتى منصة الشهود، وكانت قدماي ترتجفان، وجسدي يرتعد.

لكن لأول مرة منذ وقت طويل للغاية، كان ذهني صافيًا كصفحة النهر.

"هـل تقسم علـى قول الحقيقـة، الحقيقة كاملـة، ولا شيء غيـر الحقيقة، وليساعدك الله؟".

أقسم إنني سأقول الحقيقة.

سأشهد صدقًا بأنني كنت لا أتذكر أي شيء متعلق بما حدث في غرفة النوم مع كيت وإيمي.

ثم سأشهد صدقًا بأنني أتذكر الآن.

لقد تذكرتُ كل شيء، تذكرتُ كل شيء عندما انفتح الباب الخلفي لمنزلي، وسمعت وقع أقدام رجل يتسلل على السلم، وصوت خطواته التي مشاها على أطراف أصابعه في الرواق وهو متجه لقتلي. الفوضى، الرعب، الأدرينالين؛ هذه الأشياء لم تفتح باب ذهني وحسب، بل عصفت به وانتزعت مفاصله.

إنني أتذكر كل شيء.

قالت أولسون: "سيد هارني، أنت متهم بقتل أربعة أشخاص؟".

"أجل".

"هل قتلت هؤلاء الأربعة، يا سيد هارني؟".

قلت: "كلا، لم أقتل رامونا ديلافو، ولم أقتل جو واشنطن، ولم أقتل كيت، ولم أقتل إيمي".

نظرتُ إلى باتي التي كانت تجلس في الصف الأمامي، وظهرها مستقيم كالسهم، وتحبس أنفاسها.

ما سأقوله بعد ذلك لن يكون سهلًا عليها.

قلت: "أنا لم أقتل هؤلاء الأشخاص، لكنني أعرف من قتلهم".

الجزء العاشر

الماضي والحاضر

الفصل 95

الحاضر

قلَّب ستيلسون تو ميتا في ملاحظاته، محاولًا مسايرة المفاجأة. لم يكن هذا خطأه، فهو لم يكن يعرف ما كنت سأقوله اليوم. *أنا* نفسي لم أكن أعرف ما سأقوله اليوم إلا منذ بضع ساعات عندما تدفق في ذهني سيل الذكريات.

لا يزال أعضاء هيئة المحلفين ينصتون إليَّ بانتباه شديد وهم مائلون في مقاعدهم للأمام وعيونهم محدقة في تركيز، على الرغم من مرور فترة الصباح بالكامل وهم يستمعون إلى شهادتي التي سردت فيها كل التفاصيل التي قادت إلى جرائم القتل.

وكما هي الحال مع الجميع، كان مراسلو وسائل الإعلام يقومون في تلهف بتدوين الملاحظات والكتابة على هواتفهم، والتغريد على موقع تويتر بخصوص المعلومات الجديدة لحظة بلحظة. كان وجه أختي مكسوًّا بتعبير جامد، وبدت كأنها لم تأخذ نفسًا منذ ثلاث ساعات.

قال ستيلسون مكررًا آخر شيء قلته: "إذن، شخص ما ترك صورة على عتبة بابك لإيمي لنتيني وهي تصعد سلم البيت الحجري". كان هذا أفضل ما

يمكن لستيلسون فعله كي تأخذ شهادتي شكل أسئلة وإجابات بدلًا من أن يتركني أتحدث لساعات دون توقف. ثم قال: "إذن، ماذا حدث بعد ذلك؟".

"بعد أن رأيتُ الصورة - والتي كانت تشبه الصور التي تنشرها كيم بينز في مقالها على الإنترنت كل أسبوع من حيث الزاوية والتمركز وكل شيء - بدا واضحًا لي أن الشخص الذي التقط هذه الصورة هو الشخص نفسه الذي يسرب الصور الأخرى إلى كيم".

"وماذا فعلت بشأن هذا؟".

"واجهتُ إيمي بالصورة، وسألتها عما يحدث".

سألني ستيلسون، والفضول يتملكه مثلما يتملك هيئة المحلفين: "و... وماذا قالت؟".

قلت: "أخبرتني بأمر التحقيق، أخبرتني أخيرًا بأن مكتب المدعي العام يحقق في احتمالية قيام المسئولين عن البيت الحجري بدفع رِشى لأشخاص في قسم شرطة شيكاغو من أجل توفير الحماية. والشخص الذي ترك صورة إيمي على عتبة بابي هو على الأرجح الشخص نفسه الذي يزود كيم بينز بالصور لنشرها في مقالها الأسبوعي".

"إذن ...".

"لكنني سألت نفسي: مَن الذي يريد تسريب هذه الصور إلى صحفي؟ وفي النهاية أدركت السبب الذي قد يدفع شخصًا ما لفعل ذلك".

"متى... متى أدركت ذلك؟".

"عندما أعلنت مارجريت أولسون ترشحها لمنصب العمدة".

مارجريت أولسون - التي كانت تجلس منتصبة بالفعل - زادت من ثبات جلستها، وكانت على وشك أن ترفع يدها المفرودة على الطاولة لتعترض. وسرت همهمات خفيضة من الاندهاش بين الجالسين خلفها، قبل أن يطلب القاضي من الجميع التزام الصمت في القاعة.

قلت: "كان عضو الكونجرس تيديسكو هو المرشح الأوفر حظًّا لنيل منصب العمدة، فقد كانت لديه أموال كثيرة، ويحظى بدعم الجميع. كان المنصب متاحًا له بسهولة، لكنه انسحب فجأة وبدأ يدعم أولسون؟ أليس هذا غريبًا؟".

قالت مارجريت أولسون: "حضرة القاضي، أعترض على الربط والتخمين".

فعل ستيلسون - بارك الله فيه - كل ما في وسعه، بالرغم من أنه كان يرتجل. فقال: "إنه يشرح سير التحقيق، ولا يقول إن هذا حقيقي، يا حضرة القاضي!".

قلت: "نعم، هذا ما أفعله".

قال القاضي، الذي كان رجلًا عجوزًا هش البنية يُسمى برادفورد بيتي: "لن يُنظر إلى هذا على أنه شيء يعتبره المتهم حقيقة مؤكدة. ويا سيد توميتا...". ثم أردف وهو يهز أصبعه: "سيطر على موكلك وإلا فعلتُ أنا. حتى لو كان المتهم يحاول الدفع بحجج براءته، فهناك حدود".

قلت: "على أية حال، هذا ما كنت أفكر فيه، وهو أن المدعي العام أولسون كانت تستغل هذه الصور لابتزاز عضو الكونجرس تيديسكو، لأن عضو الكونجرس كان أحد زبائن البيت الحجري".

قال ستيلسون: "حسنًا، ما الذي... ".

"لقد قمتُ بتعقب الصحفية كيم بينز كي أكتشف مصدرها. راقبتها على مدار ثلاثة أيام، ورأيتها ذات مرة تنتظر عدة ساعات في مطعم تويستد سبوك، لكن لم يحدث شيء، ولم يأتِ مصدرها؛ فقد كان المصدر يعرف أنني أتعقب كيم. شخص ما أخبر المصدر بذلك. لكن هذا لم يكن منطقيًّا بالنسبة لي؛ إذ لم يكن أحد على وجه الأرض يعلم أنني أتعقب كيم سوى إيمي".

رفع ستيلسون ذقنه، وقال: "حسنًا، إذن ما الذي حدث ...".

قلت: "هذا بالطبع جعلني أشك في إيمي، لأن إيمي كانت من كبار مساعدي مارجريت أولسون، وذراعها اليمنى، وكانت إيمي قد أقسمت لي من قبل إن مارجريت أولسون ليست لديها أية نية للترشح لمنصب العمدة، لأتفاجأ بعد ذلك بمشاهدة المدعي العام وهي تعلن ترشحها لمنصب العمدة. لم ... لم أكن أعرف كيف أفكر حينئذ".

أومأ ستيلسون، وانتظر إذا كان لدي شيء آخر لأقوله. يفضل المحامون الاستعداد جيدًا بشكل مسبق ويتدربون مرارًا وتكرارًا لشهادة مثل هذه، لكن ستيلسون لم تكن لديه أدنى فكرة عما سأقوله بعد ذلك؛ فاضطر لطرح السؤال البديهي "*ماذا حدث بعد ذلك؟*" مرات عديدة لدرجة أن أعضاء هيئة المحلفين كادوا يطرحون السؤال بدلًا منه.

"إذن، ماذا حدث بعد ذلك، يا بيلي؟". "في اليوم الذي أعلنت فيه مارجريت أولسون ترشحها لمنصب العمدة، لم أفعل شيئًا؛ فقد كنتُ تائهًا وسط ضباب، ولا أعرف من يتعين عليَّ أن أثق به أو أصدقه أو أشك فيه".

أومــأت لستيلســون علامة على انتهائي من الكلام، وهــي إشارة صغيرة من الواضح أننا اتفقنا عليها بشكل ضمني.

"ماذا حدث في اليوم التالي؟".

كان ستيلســون - وربمــا هيئة المحلفيــن - يعرف أن اليــوم التالي هو اليوم الذي قُتلت فيه إيمي وكيت.

قلت: "في اليوم التالي، اتصلت بي إيمي وطلبت مني الحضور إلى شقتها".

الفصل 96

الماضي

قدتُ سيارتي إلى شقة إيمي، وكان الطريق مزدحمًا، والبرامج الحوارية الإذاعية لا تكف عن مناقشة التطورات الجديدة بشأن السباق الانتخابي على منصب العمدة، حيث انسحاب عضو الكونجرس تيديسكو، وكون مارجريت أولسون قد أصبحت المرشحة الأوفر حظًّا.

أُعلن هذا الخبر بالأمس، وقد أذهلني مثلما أذهل وسائل الإعلام، لكن لأسباب مختلفة. كانت لديَّ رغبة شديدة في مواجهة إيمي بذلك، لكنني لم أتحدث معها بالأمس، فقد كنت بحاجة إلى دراسة الأمر. هي أخبرتني بأن مارجريت ليست لديها رغبة في الترشح، وفجأة تعلن ترشحها، بمباركة تيديسكو ودعمه.

كل الأدلة تشير إلى إيمي ومارجريت من البداية؛ مثل كونهما حريصتين بشدة على العثور على الدفتر السري، وحقيقة أن هناك شخصًا ما يسرب صورًا لزبائن البيت الحجرى إلى كيم بينز. كان هذا تحذيرًا خفيًّا لعضو الكونجرس تيديسكو بأن صورته قد تكون التالية إذا لم يذعن لرغباتهما كفتى مطيع.

وإذا كانت هذه هي الحقيقة، فهي حيلة بارعة؛ فقد أطاحت إيمي بالعمدة وابتزت المرشح الأوفر حظًّا لخلافته حتى يصبح الطريق ممهدًا أمام مارجريت أولسون نحو منصب العمدة.

فكـرتُ في كل هذا ليلة أمـس، وفكرتُ في هذا طوال النهار في العمل اليوم. كان هـذا يعنـي أن إيمي التـي أعرفها *ليست* إيمي الحقيقيـة. كان هذا يعني أن إيمي الحقيقية ليست قادرة على الابتزاز وحسب، بل على القتل أيضًا.

قالت لي إيمي على الهاتف منذ خمس دقائق: *أحتاج إلى التحدث معك*. هذا كل مـا قالته، ولـم تزد عليه شيئًا، لكننـي رفضت وألقيت بتعليـق ساخر، لكنها أخذت تكرر عبارتها: *أحتاج إلى التحدث معك*.

لكن ما السبب الذي دفعني للذهاب إلى منزلها؟ ما السبب في أنني لم أغلق الهاتف في وجهها أو أسبها أو أوجه إليها اتهامات؟

السبـب ببساطة أنني لم أكن مستعـدًّا بعد لتصديق أي من هذا، السبب هو أنني أردت تصديق أن إيمي التي أعرفها هي حقًّا إيمي الحقيقية.

قلـت لها: *سآتي على الفور*. لم يكن لديَّ عنصر مفاجأة، ولم أكن أعرف ما ينتظرني في شقتها، وكنت سأقع على الفور في أي شرك تنصبه لي.

أوقفـت سيارتي أمام المبنى الذي تسكنـه، ومشيت إلى الباب الأمامي عبر المظلة الخارجية للمبنى. كنت أعرف هذا المبنى جيدًا، وأعرف أن هناك طرقًا أخـرى للدخول. كانت هنـاك ساحة انتظـار سيارات تحت الأرض بها مصعد يرتفـع إلـى الأدوار الأعلى من الردهـة. كان هناك باب خلفـي بجانب صناديق القمامـة أيضًا، كان هناك سلم في حال أردت تجنب المصعد. لقد كانت هناك طرق غير ملحوظة للدخول في حال احتجت إليها.

تخيلـت نفسـي وأنـا أتسلل عبر هـذه المداخل، ثـم أكسر قفل بـاب إيمي، مستغلًا على الأقل عنصر المفاجأة.

لكنني لم أفعل هذا، لأنني اتخذت قرارًا بأن أفترض حسن النية بإيمي.

ضغطتُ على زر الجرس، فجاء صوتها عبر السماعة.

قلت: "أنا بيلي".

أصدر الجرس طنينًا، وسمعت صوت الأزيز الخفيف لانفتاح الباب.

دفعـتُ الباب، وسرتُ في الردهـة، ودخلت المصعد لكي أصـل إلى الطابق الذي تقطن فيه إيمي.

سرت في الممر الخالي، ووصلت لبابها.

ثم قرعت الباب بمفاصل أصابعي.

فتحـت إيمـي الباب، وأطلـت بعينيها الملائكيـة، ونظرت فـي أنحاء الممر لتتأكد من أنني بمفردي.

لقد كنت بمفردي.

كان سلاحي محشوًّا بالذخيرة وفي موضع آمن، لكنني كنت بمفردي.

لكن لا يمكنني الجزم بأنها بمفردها.

الفصل 97

فتحت إيمي الباب قليلًا، وتراجعتُ للوراء.

دخلتُ وأغلقت الباب من خلفي، لكنني لم أحكم الإغلاق؛ فالمرء لا يعرف متى يحتاج لمهرب سريع.

خلعتُ معطفي الثقيل، وألقيتُ به، لأظل بالسترة الرياضية والجينز الأزرق، وهو ما ارتديته في يوم العمل.

أخذت إيمي خطوة أخرى للوراء.

وقالت لي بصوت مرتجف: "أين هو؟".

لم أفهم ما تعنيه.

قالت: "الدفتر السري. أين هو؟".

هززت رأسي، وقلت: "يبدو أننا عدنا إلى نقطة البداية، يا إيمي".

"هذه ليست إجابة".

قلت: "أجيبي عن سؤالي أولا".

لم يعجبها كلامي، وضيقت عينيها وهي تشعر بالألم والارتباك، وبدا الخوف على وجهها.

سألتها: "لماذا لم يحضر مصدر كيم هذا الأسبوع؟ لقد راقبتها، لكن مصدرها لم يأتِ. لماذا لم يأتِ مصدرها؟".

مالت إيمي برأسها نحوي، وقالت: "وكيف لي أن أعرف؟".

توجهتُ إلى طاولة الإفطار بجانب مطبخها الصغير، ومررتُ يدي تحت الطاولة، وأمسكتُ بالسكرية الموجودة على سطحها ونظرتُ داخلها، وتحسستُ صورة لإيمي وأبويها على الشاطئ.

فعلت الشيء نفسه في باقي الأشياء بمطبخها - الطاولات، إبريق القهوة، زجاجات البهارات، كتب الطبخ. تحسست بيدي الأجزاء الداخلية والخارجية من كل شيء بعناية.

سألتني إيمي: "ما الذي تفعله؟".

قلت وأنا أمرر يدي فوق الثلاجة: "هناك شخص أخبر مصدر كيم بالأمر. كان المصدر يعرف أنني أراقبها".

أفسحت إيمي مساحة واسعة لي عندما مررت بها متجهًا إلى الأريكة التي فحصتها بيدي، وتحسست الوسائد والمساند، وأمسكت بالمزهرية وأفرغت الزهور الاصطناعية، ثم أعدتها إلى المزهرية. وبحثتُ في الصور الفوتوغرافية الموضوعة على طاولة القهوة، وتحسستُ كلًّا منها.

قالت إيمي: "حسنًا، فهمتك. الشخص الوحيد الذي كان يعرف أنك تتعقب كيم هو أنا، ولذا لا بد أنني من أخبرت مصدر كيم، وهو ما يعني أنني أعرف المصدر من البداية، وهو ما يعني أنني وراء كل هذا".

نظرت إلى إيمي، ورأيت الحزن في عينيها. إنها المرأة التي أحببتها من كل قلبي، كما أنها المرأة التي لست متأكدًا إن كان بإمكاني أن أثق بها أم لا.

بدا كأنني سحبت أنفاسها منها، فظلت صامتة، ومضى وقت طويل على هذا الوضع. لم أكن أريد تصديق هذا، بل كنت أرغب بقوة في الثقة بها لدرجة أنني شعرت بألم في عظامي.

لم يدرِ أي منا ماذا يقول. كان المكان يغرق في صمت تام، لدرجة أنني كنت أسمع صوت عقارب الساعة على الحائط خلفي.

التفتُّ ونظرتُ إلى الساعة. كانت ساعة صغيرة مزخرفة معلقة على الحائط. كانت لها واجهة صغيرة من البورسلين عليها صورة ديك، وداخلها أرقام رومانية مكتوبة بخط منمق.

اتجهتُ نحو الساعة، ومددت يدي نحوها، فارتفعت سترتي بدورها.

قالت إيمي بعد أن رأت جراب المسدس: "لقد أحضرتَ *مسدسك*".

سحبت الساعة من على الحائط، وأزلت خيط التعليق من على المسمار برفق. كانت قطعة ديكور على الطراز الفرنسي تتماشى مع ديكور المكان. كانت من النوع الذي يعمل بالبطارية، ولما قلبتها، وجدتُ ما أبحث عنه.

كان جهازًا صغيرًا مربع الشكل، وحتى لو تمت رؤيته - وليس من المفترض أن تتم رؤيته - سيبدو كحاوية للبطاريات.

كان جهاز تنصت لاسلكي.

كرهت نفسي فجأة.

لم تكن إيمي هي الوحيدة التي كانت على علم بتعقبي لكيم. أيًّا كان مَنْ يتنصت علينا، فقد سمع المحادثة الكاملة عن الخطة التي وضعناها هنا في هذه الغرفة.

هذا الشخص سمع الكثير من المحادثات الأخرى أيضًا.

أزلت جهاز التنصت من ظهر الساعة، وأمسكته براحة يدي، فاتسعت حدقتا عيني إيمي عندما رأته. كانت تعرف ماهية هذا الشيء؛ فقد كانت محامية فيدرالية لسنوات، والفيدراليون يحبون هذه الأشياء.

تجهمت إيمي، ووضعت يدها على صدرها وهي تحاول استيعاب حقيقة أن شخصًا قد اقتحم خصوصيتها، وكان يستمع إلى كل شيء كانت تقوله في هذه الشقة.

ألقيت بجهاز التنصت على الأرض، وسحقته بحذائي، وقلت: "أنا آسف. كان يجب أن أثق بكِ".

حدقت فيها، وفكرت في لمسها ومعانقتها ومواساتها، لكنني لاحظت كم كانت باردة، وكانت متشككة. كان التفاوض الذي بيننا لا يزال قائمًا؛ فأنا عرفتُ ما جئتُ لأعرفه، وقد عثرتُ على إجابة لسؤالي، لكني لم أجب بعد عن سؤال إيمي. كانت تفصلها خطوات قليلة عن الثقة التامة بي.

قالت: "إذا كنت تثق بي الآن، فلماذا لا تزال تشعر بحاجة إلى مسدسك؟".

أومأت، ومددتُ يدي خلف ظهري، وأخرجت مسدسي، وأمسكته بأصبعي الإبهام والسبابة، وكان يتدلى بالمقلوب، ثم وضعته على طاولة القهوة بالقرب منها.

فقامت إيمي في لحظة واحدة بأخذ خطوة للوراء والتقطتْ المسدس وأمسكتْ به في عصبية، ووجهته نحوي.

قالت: "حسنًا، سنعود الآن إلى سؤالي. أين الدفتر السري؟".

الفصل 98

لمــا كان الفــزع لا يــزال يسيطر على إيمــي بسبب جهاز التنصــت الذي عثرتُ عليــه في غرفــة المعيشة، ويراودهــا القلق من وجود أجهزة أخــرى في الغرفة، فقد أشارت إليَّ بأن نذهب إلى غرفة النوم، وجعلتني أذهب أولًا، وحافظتْ على مسافة فاصلة بيني وبينها، وهي لا تزال تصوب مسدسي نحوي.

عندمــا وصلنــا إلى غرفــة النوم، نظرت إيمــي في أنحاء الغرفــة، وراودتها الفكــرة نفسها التــي راودتني، وهي إمكانية أن تكون هــذه الغرفة مراقبة أيضًا، فاتجهــتْ نحو جهــاز آي باد على عتبــة النافذة، وضغطتْ علــى زر، فصدر عن الجهــاز موسيقى، وكانت عبارة عن سيمفونية. رفعت إيمي الصوت، فكان عاليًا بمــا يكفــي للتشويش على أي جهاز تنصــت، لكن ليس عاليًــا لدرجة تمنعنا من التحدث.

صوبت إيمي المسدس نحوي؛ فقد حان وقت العودة إلى الأمور الجادة، على الرغم من أن الطريقة التي كانت تحمل بها السلاح أوحت لي بأن هذه ربما أول مرة في حياتها تحمل سلاحًا.

قالت لي: "كانت لديَّ نسخة من الدفتر السري".

"أنتِ... كانت لديكِ نسخة من الدفتر من البداية، ومع ذلك...".

قالــت: "ليس من البداية، فقد حصلتُ عليها بالأمس، بعد أن زارتني أختك باتي في مكان عملي".

سردت إيمي لي ما حدث، حيث قامت أختي بمواجهة إيمي بينما كانت تغادر مركز ديلي بالأمس، بعدما أعلنت مارجريت أولسون ترشحها لمنصب العمدة.

قالـت إيمي: "لقد شرحت باتي نظريتها بالكامـل، وهي أن مارجريت كانت تبتـز عضو الكونجرسـ تيديسكو، وقالـت إن مارجريت كانـت لديها نسخة من الدفتـر السـري، والذي احتوى على اسـم تيديسكو كأحد زبائـن المكان، وربما لديها أيضًا إحدى تلك الصور الفاضحة لتيديسكو وهو يدخل المبنى الحجري، مثل الصور الأخرى التي نشرتها كيم، وأردفت باتي بأن كل شيء كان عبارة عن مخطـط كي تطيح مارجريت بالعمـدة من منصبه وتأخذ مكانـه، أما تيديسكو فلن يفسح لها الطريق وحسب، بل سيدعمها ويمدها بالأموال أيضًا".

قلت: "هذا يبدو معقولًا لي".

لكن من الواضح أنه لا يبدو كذلك لإيمي.

قلت: "أنتِ لم تريدي تصديق هذا، لكن لم يمكنكِ إنكار أنه منطقي".

أومـأت إيمي في تـردد، وقالت: "صحيح. ولذا عـدتُ إلى مكتب مارجريت، وكانـت معي نسخة من مفتـاح مكتبها. هناك خزانة تحت مكتبها، وهي موجودة منـذ سبعينيات القـرن الماضي، عندما قرر المدعي العـام حينذاك الاحتفاظ بـأوراق حساسـة أو شـيء من هـذا القبيل. على أيـة حال، لا يعلـم بوجود تلك الخزانة غيري أنا ومارجريت.

قلت: "فقمتِ بفتح الخزانة".

"أنا ... أنا أعرف رقمها السري، فقد فتحت مارجريت الخزانة أمامي ذات مـرة، وكانت في عجلة من أمرها لأنها كانت متأخرة على تسديد قرض، وكانت الأوراق المطلوبـة في الخزانة. لم أقصد اختلاس النظر، لكنها هي من همست بالأرقام، وقد سمعتها، وكانت أرقام عيد ميلاد أختها: ٢١ سبتمبر، ١٩٦٠".

أضفـت الموسيقـى أجواء حالمة على الموقف بما تحملـه من أصوات كمان وتشيلو، ونوتات موسيقية تتراقص ارتفاعًا وانخفاضًا، وإيقاعات قصيرة.

قلت: "أنتِ فتحتِ الخزانة ووجدتِ الدفتر السري".

"وجـدتُ ذاكـرة فلاشية، فأحضرتها معـي هنا وشغلتها علـى الحاسب في منزلـي ليلة أمس. وبالفعل وجدت أنها تحتوي علـى نسخة من الدفتر السري"، ثـم حركتْ إيمي يـدًا في الهواء، وقالت: "والآن اختفـت الذاكرة الفلاشية. لقد

كانت في درج مكتبي ليلة أمس، والآن هي غير موجودة. هناك شخص اقتحم شقتي وسرقها".

كان هذا أمرًا مخيفًا، مخيفًا بشدة. لكن كانت هناك أشياء مخيفة أكثر إلحاحًا في ذهني.

قلت: "هل كان اسم عضو الكونجرس تيديسكو واردًا كزبون؟".

أغلقت إيمي عينيها، وأومأت قائلة: "نعم".

"هل *كانت* مارجريت تبتزه؟".

لم تُجبني، ولم تكن بحاجة لذلك.

"هل كان الدفتر السري يحوي الرِّشى التي يتلقاها رجال الشرطة؟".

أومأت إيمي، وعيناها تتحركان بعيدًا عني، وقالت: "شرطي واحد، اسم واحد يتكرر مرة كل شهر، على مدار السنوات الثلاث الماضية".

الفصل
99

شعرتُ بغثيان في معدتي. لقد صدقت توقعاتنا؛ فالقيمة الحقيقية والخطر الحقيقـي للدفتر السـري لا يكمنان في أسماء الزبائن، لكـن في اسم الشرطي الفاسد الذي كان يتقاضى رشى من البيت الحجري.

كان اسم هذا الرجل مذكورًا في الدفتر.

سألتها: "من ذلك الشرطي؟ ما اسمه؟".

ثم شعرتُ بأزيز في جيبي.

أخرجت هاتفي، فوجدتها رسالة من كيت:

أحتاج إلى التحدث معك.

هذا بالتأكيد ليس الوقت المناسب لذلك، فرددتُ على الرسالة:

ليس الآن.

خفضتُ هاتفي، ونظرتُ إلى إيمي، وسألتها: "ما اسم هذا الشرطي؟".

لم تكن إيمي تريد أن تجيب.

قلـت: "إيمي، أيًّا كان الشخص المذكـور اسمه في الدفتر السري، فهو على الأرجـح الشخص نفسه الـذي تنصت على شقتك، وهو علـى الأرجح الشخص نفسـه الذي سرق الدفتـر السري من شقتك، وهو علـى الأرجح الشخص نفسه الذي كان خلف *كل* هذا".

أومأت إيمي ببطء وكأنها تعرف كل ذلك بالفعل.

قلت: "كم سيمضي من الوقت قبل أن يأتوا إلى هنا بحثًا عنكِ؟".

صدر أزيز من الهاتف مرة أخرى، فرفعتُ هاتفي لأرى رسالة كيت:

أنا أقف أمام باب شقتها. افتح الباب.

خفضتُ هاتفي قائلًا: "تبًّا، إنها كيت. إنها في الممر أمام الشقة الآن".

اتسعت عينا إيمي في رعب، وكان تعبير وجهها يقول: *كيت هنا؟* هل أحضرتها إلى هنا؟ تراجعت إيمي، والمسدس يرتجف في يدها، وكأن أسوأ مخاوفها قد تحقق.

"لا، لم أحضرها. لا بد أنها تتبعتني أو شيء من هذا القبيل؟".

دارت عينا إيمي في أنحاء الغرفة، وبدأت تفقد تماسكها، وقالت: "أوه، سحقًا. أوه، يا إلهي". كانت تحمل المسدس وتصوبه نحوي، وليس العكس، لكنها كانت تفقد السيطرة على نفسها وكان خوفها يهيمن عليها.

قلت وأنا أكتب ردًّا سريعًا: "سأحاول التخلص منها".

أتقفين أمام شقة إيمي؟

فجاء ردها حازمًا سريعًا:

أجل، افتح الباب الآن.

فرددتُ محاولًا كسب وقت:

ولماذا أفعل ذلك؟

مكتبة
t.me/t_pdf

لكن الوقت يداهمني، وكنت أعرف أن كيت لن يردعها رفضي، وستكسر الباب، يمكنها فعل ذلك، وستدخل وهي مسلحة.

قلت وأنا أمد يدي وأحرك أصابعي: "أعطني المسدس، يا إيمي".

هزت إيمي رأسها بغضب، لكنني شعرتُ بترددها، فهي كانت تريد أن تصدقني، لكنها خائفة من أن يخيب ظنها.

"إيمي، سواء أردتِ هذا أم لا، كيت ستدخل الشقة، وسيكون سلاحها في يدها، وسترى السلاح الذي في يدك، وأنتِ لا تعرفين كيف تستخدمين ذلك الشيء".

قالت إيمي ووجهها يتلوى، ودموعها تنهمر، وصوتها مثقل بالعاطفة، والمسدس يتراقص في يدها: "لا ...لا".

"إيمي، يمكنكِ أن تثقي بي. يمكنكِ أن ...".

لكنني توقفتُ دون أن أكمل الجملة. فقد أصدر هاتفي أزيزًا مرة أخرى، وكانت رسالة أخرى من كيت، لكنني لم أقرأها. نظرت إلى إيمي بإمعان، وأدركتُ إن إيمي ببساطة لا تثق بي، ولا تستطيع ذلك.

سألتها: "ما اسمه؟ ما اسم الشرطي الذي يتقاضى الرشى؟".

كانت الموسيقى تتهادى من السماعات، حيث انتهت مقطوعة تجمع ما بين الكمان والتيشلو، لتبدأ مقطوعة أخرى بعزف منفرد لجيتار على إيقاع بطيء وحذر مثل ثعبان يتلوى عبر العشب، وكان هذا الإيقاع بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة.

كان الإيقاع تمهيدًا لقرع متواصل من الطبول.

قالت إيمي: "اسمك... الدفتر السري يحوي اسمك أنت".

قلت: "ماذا؟" سقط الهاتف من يدي، وعند اصطدامه بالأرض، أضاءت شاشته لتظهر آخر رسالة من كيت، والتي لم أقرأها بعد.

التقطتُ الهاتف لأتأكد أن ما قرأته صحيح.

لأنها تعرف أيها الأحمق، إنها تعرف حقيقتك، وكذلك أنا.

ثم تذكرتُ أنني لم أُحكِم غلق باب شقة إيمي عندما دخلت.

ثم التفتُّ ورأيتُ كيت تدخل الشقة، شاهرة سلاحها.

الفصل
100

ناديتُ كيت وهي تتجه نحو غرفة النوم: "اهدئي، يا كيت"، ورفعت يدي اليمنى كإشارة لها أن تتوقف، ورفعتُ اليسرى نحو إيمي، وقلت: "إيمي، أعطني المسدس".

هزت إيمي رأسها، وقالت: "لا". كانت تحاول التماسك برغم دموعها المنهمرة، وقامت بتوجيه المسدس نحو مدخل غرفة النوم.

فقلت: "إيمي، أنا أعرف كيف أستخدم ذلك الشيء، وأنت لا تعرفين، وستتسببين في مقتلنا جميعًا".

اقتربت كيت، وهي تمسك مسدسها بكلتا يديها عند مستوى خصرها، وتمشي على مشطي قدميها. كان بإمكانها سماع ما كنت أقوله، فعرفتْ أن إيمي تحمل سلاحًا.

ومع اقتراب كيت، وقفتُ في مكان بين إيمي ومدخل الغرفة الذي وقفت عنده كيت وسلاحها موجه إلى إيمي، وإليَّ بطبيعة الحال.

صاحت كيت: "إيمي، ألقِي سلاحكِ وإلا أرديتك قتيلة. اتركيه الآن وإلا أطلقتُ النار".

كانت الطريقة التي تحدثت بها كيت مألوفة لديَّ، وقد سمعتُ نبرة الصوت هذه من قبل، وهي نبرة لا تسمح بالمراوغة، وإيمي محامية، وليست شرطية، ولا تستطيع التعامل مع هذا الموقف.

قلت لإيمي وأنا لا أزال واقفًا بينهما: "افعلي ما تقوله، يا إيمي". لكن هذا لم يكن يهم؛ إذ لو أرادت كيت أن تطلق النار على إيمي، ستفعل.

ثـم سمعتُ صوتًا خلفي، وكان صوت سقـوط المسدس على السرير القريب من إيمي بعد أن تركته من يدها. فرأيت في عيني كيت لمحة ارتياح.

لكنهـا كانـت مجرد لمحـة، إذ سرعان ما عـاد التوتر إلى كيـت التي كانت عيناها تشعان شررًا.

توقفت إيمي عن النحيب أيضًا. كان ظهري مقابلًا لها، لكنني أعرف أنها لم تعد غاضبة، وأنها في تلك اللحظات لا تشعر بأية عاطفة سوى الفزع المحض.

أشـارت كيـت بسلاحها وقالـت: "ليقف كلاكمـا أمام الحائـط". انصعنا لأمرهـا وسرنا حتـى الحائط البعيـد. التقطت كيت سلاحي مـن على السرير، وصوبـتْ السلاحين لكلينا. ثم تراجعتْ ناحية بـاب الغرفة، وأعطتنا أمرًا آخر، والذي كان خطوة ذكية كنت سأتخذها لو كنت مكانها.

قالت: "ليذهب كلاكما إلى السرير".

ذهبـتُ أولًا، وجلستُ علـى حافة السرير. كنت أتمنـى أن تكتفي كيت بهذا. لكن إذا كانت كيت ذكية - وهي ذكية بالفعل - فلن تكتفي بهذا.

فقالـت: "ارجعا بظهريكما إلـى الوراء حتى تلتصقا برأسـ السرير، وضعا أيديكمـا علـى أفخاذكما، وأقدامكمـا على السرير، وليشبـك كل منكما كاحليه ببعضهما".

كانـت هـذه هي الخطـوة الذكية، فهي تعـوق حركتنا قدر الإمـكان. نحن لا نستطيـع أن ننقض على كيـت بسرعة ونحن على هــذا الوضعية؛ فخلال الوقت الذي سنقوم فيه بفك تشابك الكاحلين ودفع نفسينا للنهوض من السرير وإنزال أقدامنا على السجادة والتحرك نحوها، سيكون أمام كيت الوقت الكافي لتفريغ ذخيرة مسدسها وإعادة حشوها. لقد أخضعتنا كيت لسيطرتها بشكل كامل.

كنت أنا وإيمي نجلس على السرير، بينما كانت كيت تقف في الجهة المقابلة من غرفة النوم الصغيرة. لم يكن لديَّ ما يمكن استخدامه كسلاح سوى هاتفي الذي وضعته بجانبي على السرير. لم أكن أجيد التصويب بما يكفي لأتمكن من تسديـد الهاتـف إلى جمجمتها، لكـن حتى لو نجحتُ، فلـن يصيبها إلا بصدمة لحظية ستتجاوزها كيت سريعًا لتمطرني بعدها بوابل من الرصاص.

خفضت كيت يديها الممسكتين بالسلاحين عندما شعرتُ بأننا خاضعان لها بما يكفي.

سألتني كيت وهي تشير إلى إيمي: "هل كانت جزءًا من الأمر أيضًا؟".

برغم أنه لم يكن من الصعب فهم ما تعنيه، سألتها: " جزءًا من ماذا؟".

"الرِّشى. أعلم أنك أنت من كنت تتلقاها، يا بيلي".

قلت: "ليس أنا"، ثم تذكرتُ ما قالته إيمي لي: *كان اسمك هو المذكور في الدفتر السري*. فأردفتُ: "هناك شخص ورطني في هذا".

حدقت كيت فيّ، وحركتْ فكها، وقالت: "إذن سيسير الأمر على هذا النحو، أليس كذلك؟ ستنكر كل شيء جملة وتفصيلا".

قلت: "كفى هراءً، ولا تقلبي الأمور. أنتِ من فعلتِ هذا، يا كيت".

كان على وجهها تعبير واحد فقط وهو الاشمئزاز. قالت: "لقد وثقت بك، لقد *أحببتك*، يا بيلي".

تغير تعبير وجهها مع تلك الكلمات. لم تبكِ، لكنها أحست باختناق، وكانت عيناها لا تزالان تشعان شررًا، لكنه امتزج بتعبير يشي بألم حقيقي.

أخذت كيت نفسًا عميقًا، وقالت: "بيلي هارني، أنت رهن الاعتقال".

لم يخطر هذا على بالي، ولم يبدُ منطقيًا.

أهي تريد.... *القبض* عليّ؟

في هذه اللحظة أدركتُ أن كيت ليست هي الشرطي الفاسد.

لأنها لو كانت كذلك، كانت ستقتلني، أنا وإيمي؛ فاعتقالي ليس منطقيًا، إذ سيتيح هذا لي فرصة المقاومة، وتعيين محام، وإثبات براءتي، وإثبات أنها هي الشرطي الفاسد، وليس أنا. لو كانت كيت هي الشرطي الفاسد، كانت ستقتلني كما قتلت رامونا ديلافو وصاحب المعطف البني وأيًّا كان من احتاجت لقتله للحفاظ على سرية عملها المشبوه.

الشرطي الفاسد ليس إيمي، وليس كيت.

وليس أنا بالطبع.

قلت: "كيت، اسمعي...".

فجأة سمعنا كلنا شيئًا ما. صوت *الطقطقة* الخفيفة لانفتاح الباب الأمامي لشقة إيمي.

التفتت كيت بسرعة خاطفة إلى اليمين، فاندهشتْ.

ثم زال الاندهاش.

قالت كيت للشخص الواقف عند الباب: "ما الذي تفعله هنا؟".

انتهزتُ فرصة تشتت كيت للحظة، ومددتُ يدي نحو هاتفي وأمسكته.

إمكانية استخدام الهاتف كسلاح هو احتمال ضعيف للغاية.

لكن هذا لا يعني أنه لا يمكن استخدامه بطرق أخرى.

سمعتُ الصوت قادمًا من غرفة المعيشة.

فألقيت بهاتفي مرة أخرى على السرير قبيل دخول الملازم مايك جولدبيرجر غرفة النوم.

الفصل
101

أخذت كيت خطوة للوراء لإفساح الطريق لجولدي كي يدخل الغرفة.

فتحتُ فمي، لكنني لم أستطع التحدث.

قال جولدي: "لن يقبض أحد على أحد، نحن بحاجة للتحدث بهدوء".

لاحت من جولدي نظرة استمتاع وهو يراني وإيمي جالسين على السرير وأقدامنا فوق السرير وأرجلنا متقاطعة. نظر إلى كيت، وقال: "ضعي سلاحكِ جانبًا، بحق السماء! هذا *بيلي* الذي نتحدث عنه. أنا متأكد أن لديه تفسيرًا لهذا".

أنزلت كيت سلاحها إلى جانبها، وأخذ جولدي سلاحي منها.

قال: "هذا أفضل"، ثم ذهب إلى عتبة النافذة وأغلق الموسيقى من جهاز الآي باد، وقال: "هذه الموسيقى اللعينة شوشت على جهاز تنصت ممتاز".

ثم اتجه جولدي نحو السرير، وأصبح وجهه مقابلًا لوجهي وظهره لكيت، قائلًا: "إذن يا بيلي، دعنا نفهم حقيقة ما يحدث".

قالت كيت: "ليس هناك شيء غامض لنفهمه، سأعتقل بيلي، يا جولدي".

"لا، لن تعتقليه، يا كيت".

"سأعتقله بكل تأكيد".

نظر جولدي إليَّ، وتنهد بعمق.

ثـم التفتَ وصوب مسدسي نحو كيت، وأطلـق رصاصة واحدة. لم يتح لكيت الفرصة للقيام بأي رد فعل، فقد أصابتها الرصاصة فوق عينها اليمنى، فسقطتْ على السجادة فورًا.

أصـدرت إيمـي شهقـة مرعبـة، واتجهتْ نحـوي، فجذبتهـا إليَّ، ولـم أكن أعرف... لم أكن أعرف ما يحدث...

التفـت جولدي مرة أخرى، على الأرجح ليتأكد مـن أنني لا أقوم بأية خطوة لمهاجمته.

حاولت أن أقول: "لا يمكنني التصديق ... لا يمكنني".

"لا يمكنـك ماذا؟ إنني أنظف مـا أحدثته *أنت* من فوضى، يا صديقي؛ لأنك لا تترك الأمور وشأنها.

كانـت الأشياء تتدافع في ذهنـي، بينما كنت أحاول تجميع أجزاء اللغز التي تتقاذف نحوي من جميع الاتجاهات...

قلـت: "أنـت وراء كل هذا، أنت من ورطتني في الأمـر، وجعلت كيت تصدق أنني الشرطي الفاسد".

قـال: "كنت بحاجة لأن تواصل كيت التخمين، لكنني لم أكن لأسمح لها بأن تنال منك"، ثم أمال رأسه، وقال: "أعترف بأنني لم أتوقع أن تأتي كيت إلى هنا بمفردهـا وتحاول اعتقالك. لكن لا يمكننـا أن نسمح بذلك. ليس من المفترض أن يقبض أحد على أحد حتى يظل الأمر برمته لغزًا، ألستُ محقًّا؟".

تحركتُ للأمام على السرير حتى أحمي إيمي التي كانت عاجزة عن التحدث وترتجف دون توقف.

قلت: "لن تفلت من العقاب على أفعالك هذه".

أجابنـي: "أفلـت مـن العقاب على مـاذا؟ اسمـي ليس في الدفتـر السري، وفيما يتعلق بما فعلته بكيت؟ فأنا لم أحضر إلى هنا أبدًا. كانت ابتسامته تظهر وتختفـي على شفتيه لكنها لم تصل إلى عينيـه الباردتين. وأردف قائلًا: "إليك ما قد حدث، أيها المحقق، واسمعني جيدًا لأن حياتك تتوقف على هذا"، ثم رفع يـده وقال: "كيت دخلت الشقة، وضبطتكما أنت وإيمي معًا، فتأججت نار الغيرة داخلهـا، وأخرجت سلاحها لقتلكمـا، لكنك تفاديت طلقة كيت، ثم قتلتها دفاعًا عـن النفس"، ثم نظر على الأرض إلى كيت، واستطرد: "هذه قصة سيصدقها الجميع، وسأحرص على أن يصدقها الجميع، ولن يتهمك أحد بشيء حتى".

ثم اتجه مرة أخرى نحو السرير، ناظرًا بإمعان إليَّ أنا وإيمي.

قلت: "وراموانا ديلافو؟ وجو واشنطن؟".

أمال رأسه للأمام والخلف، وقال: "الأوقات الصعبة تتطلب إجراءات صعبة. لكن لن يشتبه بي أحد فيما يتعلق بهاتين الجريمتين أيضًا، يا صديقي. لكن إذا واصلتَ النبش في الأمور، أعتقد أنك *أنت* من سيقع في دائرة الاشتباه".

"أنت ورطتني في هاتين الجريمتين أيضًا".

هز رأسه قائلًا: "من باب الاحتياط فقط، في حال دسست أنفك في الأمر. أنا لا أريد أن تُسجن يا صديقي، بل أريدك بجانبي".

كانت الأفكار تتدافع على ذهني، باحثًا عن أية مخرج. كنا نمثل هدفين سهلين ونحن جالسان على هذا السرير غير مسلحين وغير قادرين على القيام بأية محاولة جادة للهجوم.

قال: "أما وقد انتهينا من هذا، فهناك موضوع الدفتر السري. هناك شخص أخذ نسخة من الدفتر من خزانة مارجريت أولسون ليلة أمس، وأخبرتني مارجريت بأن هناك شخصًا واحدًا فقط لديه مفتاح لمكتبها، وهذا الشخص يعلم أن مارجريت لديها خزانة مخبأة تحت مكتبها".

رفع جولدي السلاح الذي في يده – وهو سلاحي – وصوبه نحو إيمي، وقال: "هذا الشخص هو السيدة إيمي لنتيني. هلا أسديتني معروفًا وأعطيتني هذه النسخة من فضلك".

الفصل 102

أشـار جولـدي بالمسدس، وقـال مـرة أخـرى: "أعطنـي الدفتـر السري من فضلك، يا إيمي".

أدركـتُ أن جولدي لم يسمع ما أخبرتني به إيمـي منذ لحظات: فقد دمرتُ جهـاز التنصت الذي وجدته في غرفة المعيشـة، والموسيقى التي شغلتها إيمي في غرفة النوم شوشت على جهاز التنصت هنا.

وهكـذا لم يكن جولدي يعلم أن هنـاك شخصًـا اقتحم شقتها وسرق الدفتر السري.

ومن ثَمَّ كان يعتقد أن إيمي ما زالت تحتفظ به.

قالـت إيمـي: "لقد صنعتُ نسخًا مـن الدفتر". كانت حيلـة ذكية من إيمي، لكنها على الأرجح لن تنطلي على شخص مثل جولدي.

ضحـك جولـدي ضحكـة خافتـة بدت مـن خلالهـا بعض أسنانـه، وقال: "بالتأكيد فعلتِ ذلك، وأبلغتِ شخصًا ما بأنك إن لم تتصلي به بحلول منتصف الليـل، فـإن النسخ ستكون متاحة لـكل المحطات الإخبارية فـي المدينة، أليس كذلـك؟ بربك، يا إيمي، دعـكِ من هذا الهراء وأخبرينـي بالحقيقة، وإلا فعلتُ بك ما فعلته بكيت".

كان واضحًـا لي أنـه كان سيفعل ذلك على أية حال. لـن يترك إيمي تعيش، ليس بعد هذا. ربما كان يعتقد أن بإمكانه تغيير موقفي، لكن إيمي؟

قلت لإيمي: "لا تخبريه بشيء، لأنك ستموتين بمجرد أن تخبريه".

قال جولدي وقد بدا عليه القلق لأول مرة: "لا، غير صحيح. إذا استعدتُ منها الدفتر السري، سأتركها تعيش، لأنها حينئذ لن يمكنها إيذائي. ولن يكون لديها شيء ضدي. ما سيبقى هو أقوالها في مقابل أقوالي. وأقوال مارجريت في مقابل أقوالها"، ثم نظر إليَّ مباشرة وأردف: "وأقوالك في مقابل أقوالها".

قلت: "لن أفعل ذلك، لن أكذب من أجلك".

بدأتُ في دفع نفسي عن السرير. فهز جولدي رأسه ووجه السلاح نحوي وقال: "لا تتحرك، يا بيلي – ليس قبل أن أجعلك تفكر بشكل *منطقي*".

قلت: "إذا قتلتها، سيتعين عليك قتلي أيضًا".

"تبًّا، يا فتى. ولم أضطر لذلك؟ أعطني وحسب نسخة إيمي، وأنا لديَّ الأصل، وحينها لن يكون هناك وجود للدفتر السري بعد الآن. ألا تفهم ذلك؟ كل شيء سيكون على ما يرام. مارجريت ستكون العمدة، وستتخلص من ذلك الأحمق تريستان دريسكول وستعين...".

ثم توقف عند ذلك.

فسألته: "ستعين من؟ هل ستجعلك مارجريت رئيس الشرطة الجديد؟ هل هذه هي الصفقة التي عقدتها مع مارجريت؟".

هز جولدي كتفيه، وقال: "لم يكن أمامي اختيار آخر. أنا لم أكن أريد عقد *أية* صفقات مع تلك المرأة، لكن لم أملك خيارًا آخر: فأنا لم أعطها الذاكرة الفلاشية اللعينة!".

حسنًا، لقد فهمتُ الآن. فقلت: "رامونا ديلافوهي من أعطتها الذاكرة الفلاشية، ولعلها كانت تحاول عقد صفقة مع مارجريت لتحصل من خلالها على الحصانة، وربما اعترفت رامونا لك عندما انتزعتَ منها المعلومات بالتعذيب".

ابتسم جولدي قائلًا: "رامونا... لقد كانت امرأة صلبة، وقد صمدت لوقت طويل".

سألته: "ولماذا لم تعلن مارجريت للعامة عن الدفتر عندما حصلتْ عليه؟ لقد كان اسم تيديسكو في الدفتر، وهذا كافٍ لتدميره".

هز جولدي رأسه، وقال: "برغم أنك فتى ذكي، فإنك لا تفكر مثل شخص سياسي، أليس كذلك؟".

تنحنحت إيمي، وقالت: "إذا أعلنت مارجريت عن هذا وفضحت تيديسكو، فإن تيديسكو لن يدعم مارجريت، ولن يعطيها التمويل الذي كان مخصصًا لحملته الانتخابية، ومارجريت لن تستطيع الفوز من دون تلك الأشياء. إن أقوى استخدام للدفتر السري هو استغلاله كتهديد، كوسيلة ابتزاز".

هز جولدي أصبعه، وقال: "أرأيت؟ أحسنتِ يا إيمي، أنت سياسية بحق. أعتقد أن العمدة مارجريت أولسون تحجز لك منصبًا رفيعًا في مكتبها"، ثم أخذ نفسًا عميقًا، وأردف: "أجل، ذهبتُ إلى مارجريت. كان لديَّ الأصل، وكانت لديها النسخة الوحيدة؛ فعقدنا اتفاقًا".

بدا جولدي فخورًا بما فعله.

ثم قال: "يكفي هذا. إيمي، أنا أحتاج إلى الذاكرة الفلاشية. أعطيني إياها وسأتركك تعيشين في سعادة للأبد. كلانا ينتظره مسار مهني عظيم في المستقبل، وستتزوجين وتنجبين أطفالًا، وكل شيء سيكون على ما يرام. لكن على الجانب الآخر، إذا لم تخبريني، فسأضع طلقة في ركبة بيلي".

قلت: "لا، لا تخبريه".

"وإذا أصررتِ على عدم إخباري بعد ذلك، سأضع طلقة في ركبته الأخرى، وهكذا حتى يبدو صاحبك مثل مسخ يقطر دمًا من كل اتجاه".

قلت: "لا تخبريه، يا إيمي. مهما حدث، لا تخبريه".

نظر جولدي نحونا، وكان ثباتي السطحي يتذبذب، فرمقني بنظرة غاضبة وهز رأسه.

قلت: "سأعترف بارتكابي كل شيء. سأقول إنني الشرطي الفاسد، وإنني تلقيت رشى من رامونا ديلافو. سأعترف بذلك يا جولدي إذا تركت إيمي تذهب. دع إيمي تخرج من هنا، وأقسم لك بابنتي الراحلة أنني سأتحمل المسئولية عن كل ما حدث. واسمي مذكور بالفعل في الدفتر السري، أليس كذلك؟".

ثم خطر لي شيء جعلني أفكر فيما قلته، ولم أجد ما قلته منطقيًّا. أستطيع أن أفهم أن جولدي تلاعب ببيانات الدفتر السري ووضع اسمي ليورطني. لكن هذا لا يمكن أن ينطبق على النسخة التي أخذتها رامونا على الذاكرة الفلاشية. فرامونا أعطت تلك النسخة إلى مارجريت، وقد فعلت رامونا ذلك دون علم جولدي الذي اكتشف الأمر بعد ذلك عندما قام بتعذيب رامونا. إذن كيف يمكن لجولدي التلاعب بالنسخة التي وجدتها إيمي في خزانة مارجريت؟

كيف يُعقل أن يكون اسمي موجودًا في تلك النسخة؟

قالت إيمي: "ليس اسمك بالضبط. أنت لم تتركني أنهي كلامي".

أردتُ أن ألتفت إليها، لكنني لم أستطع رفع عيني عن جولدي.

قالت إيمي: "الدفتر لا يحتوي على الأسماء الأولى للأشخاص، بل ألقاب عائلاتهم فقط. ولقب عائلة الشخص الذي كان يتلقى الرِّشى هو هارني. هذا هو كل المكتوب: *هارني*".

أغلقتُ عينيَّ للحظات، وأخذتُ نفسًا عميقًا.

وفكرتُ: ليس بيلي هارني، بل هارني فقط.

حينئذ عرفتُ مَنْ الذي اقتحم شقة إيمي وسرق الدفتر السري.

إنها باتي.

رفع جولدي ذقنه، وأدار رأسه حول النافذة، وقال بصوت عالٍ: "نحن لا نحرز أي تقدم هنا. من الأفضل أن تأتي إلى هنا لنتحدث معه بالمنطق".

الفصل 103

الحاضر

أخذتُ نفسًا عميقًا، وتوقفتُ عن الكلام. كانت الساعة خلف مقصورة هيئة المحلفين تشير إلى اقتراب حلول الظهيرة. وفي هذا الوقت، يُفترض أن يبحث القاضي عن اللحظة المناسبة ليعلن عن استراحة كي يتناول أعضاء هيئة المحلفين غذاءهم - والأهم أن يتناول هو غذاءه.

لكن القاضي كان جالسًا بلا حراك تقريبًا، وقد ضيَّق عينيه في تركيز. وثبتهما على موضع بيني وبين المحامي الخاص بي، وكان أعضاء هيئة المحلفين جميعًا يجلسون وأجسامهم مائلة للأمام، وبعضهم يدون ملاحظات سريعة في دفتره، لكن معظمهم عزفوا عن أخذ الملاحظات وجلسوا في وضعيات تتناسب مع مشاهدة هذا العرض المرعب. خيَّم على قاعة المحكمة هدوء تام لدرجة أنه كان بإمكانك سماع أصوات الشهيق والزفير القادمة من مقاعد الحاضرين.

تحولت ملامح الملازم مايك جولدبيرجر، الذي كان في البداية يهز رأسه في عدم تصديق وسخرية، ببطء خلال شهادتي، والآن أصبحت عيناه باردتين، وكتفاه مضمومتين، ويقبض على يديه بشدة. إنه يعتبر محاصرًا في قاعة المحكمة، وإذا انصرف مسرعًا، سيبدو مذنبًا. إنه يبدو مذنبًا بشدة الآن على أية حال، لكنني أعرف ما كان يفكر فيه: *إنها مجرد كلمات يقولها بيلي. ولديَّ*

أقوال في مقابل أقواله. هذا جولدي، وهذه طبيعته التي لا تتغير: فهو يحسب كل شيء ويرى كل زاوية دائمًا.

كان أبي الجالس بجواره ينظر إليَّ باهتمام، وقد وضع بعض أصابعه على فمه، وهو لا يعرف كيف يتصرف.

كانت مارجريت أولسون تعد سجينة في قاعة المحكمة مثل جولدي، وربما أكثر من جولدي: فهي في نهاية المطاف محامي الادعاء، ولا يمكنها الخروج وترك المحاكمة. إنها تقريبًا لم تتوقف عن هز رأسها خلال شهادتي التي استمرت قرابة الساعات الثلاث والتي خلالها شاهدتْ مسيرتها المهنية والسياسية وهي تتداعى، وفكرتْ في كل الطرق الممكنة للحفاظ على مكانتها. لكنني أعتقد أنها في النهاية فكرت فيما فكر فيه جولدي: *أقواله في مقابل أقوالي. أقوال متهم يائس يواجه عقوبة السجن مدى الحياة والذي يحاول قول أي شيء - مهما كان مستبعدًا - لينقذ نفسه.*

أما المحامي الخاص بي - ستيلسون - فقد نسي دوره، وجلس يستمع مع أعضاء هيئة المحلفين والمراسلين والمتفرجين الفضوليين. لكنه قال أخيرًا: "إذن الملازم جولدبيرجر قال: "من الأفضل أن تأتي هنا وتقنعه بالمنطق؟"".

أجبته: "نعم. كان يوجه كلامه لشخص ليس موجودًا في الغرفة، بل كان يتحدث إلى جهاز تنصت في الغرفة، أيًّا كان مكانه".

كان أول شيء يخطر على بال ستيلسون طوال فترة الصباح هو أن يسأل ببساطة عما حدث بعد ذلك، لكنه هذه المرة أمال رأسه، وقال: "أنت قلت إنك في تلك اللحظة عرفتَ أن باتي هي من سرق الذاكرة الفلاشية من شقة إيمي؟".

"أجل".

"لماذا؟".

نظرتُ لها، إلى أختي التوأم التي كانت ساكنة كتمثال، لكنني رأيت في لمعان عينيها تلك الدمعة التي سقطت، وتخيلت فقاعة فوق رأسها مكتوبًا فيها: *أنا آسفة، أنا آسفة.*

قلت: "لأنني افترضتُ أن باتي رأت اسم هارني في تلك الصفحة في الدفتر السري، واعتقدتْ أن هذا الشخص هو أنا، وأول شيء تبادر إلى ذهنها بعد ذلك هي حمايتي عن طريق سرقة الدفتر السري وتدميره".

انهمرتْ دموع جديدة على وجه باتي.

"طوال هذه المدة منذ حادث إطلاق النار، وبينما كنت في غيبوبة، وعندما أفقت من الغيبوبة وتعافيتُ تدريجيًّا، وبينما كنت أبحث عن كيفية الدفاع عن نفسي ضد هذه الاتهامات، كانت باتي تعتقد أنني الشرطي الفاسد، لكنها حاولت حمايتي طوال هذه المدة. على الرغم من أنها كانت متأكدة أنني مذنب، حاولتْ أن تحميني".

شعرتُ باختناق في آخر كلمتين، فتوقفتُ للحظة، وتنحنحتُ.

"هي تحبني ومستعدة لفعل أي شيء من أجلي، لكنها تُجل أباها، ولم تكن ستفكر ولو بعد مليون سنة في احتمالية أن اسم هارني يشير إلى شرطي آخر. كان من المستحيل أن تشك باتي في أن كبير المحققين، دانيال هارني، هو الشرطي الفاسد".

انتفضت باتي من مقعدها في الصف الأمامي، وفمها مفتوح ووجهها مكتسٍ برعب تام، ثم التفتتْ إلى أبي الذي كانت عيناه حينئذ مركزة على الأرضية أمامه.

لديك فرصة ثانية، هذا ما قاله أبي منذ بضعة أيام عندما حاول إقناعي بالهروب من المحاكمة والفرار إلى المكسيك. *لديك فرصة ثانية. نعم، لديَّ فرصة ثانية!*

أود أن أعتقد أنه كان صادقًا عندما قال ذلك - أنه سيحاول حقًّا أن يخرجني من البلاد إلى مدينة بلايا ديل كارمن، ثم إلى أمريكا الجنوبية. وأنه لن يطلق رصاصة على رأسي في مكان ما بين شيكاغو والحدود المكسيكية.

أود أن أصدق أنه كان يتمنى أن يعطيني تلك الفرصة الثانية.

لكنني لم أقبل عرضه، ولذلك أرسل شخصًا إلى منزلي ليلة أمس ليحاول قتلي للمرة الثانية.

لكنني لن أعرف أبدًا إن كان صادقًا عندما عرض عليَّ ذلك، لأنني لن أتحدث معه مرة أخرى.

الفصل
104

الماضي

عندما دخل أبي غرفة النوم وانضم إلى جولدي، أدركتُ أن إيمي لن تبرح هذا السرير وهي على قيد الحياة. فهما قد يعتقدان أن بإمكانهما إقناعي أن أتواطأ معهما في خطة ما، لكن إيمي؟ لقد رأت إيمي الكثير، وقضت مسيرتها المهنية كمحامية تحترم القانون وتتعامل باستقامة، كما أنها ليست من دمنا، ولا تنتمي لعائلتنا، ولذا فهما لن يكونا واثقين بإمكانية بقائها صامتة، ولذا لن يستطيعا أن يتركاها على قيد الحياة.

همست إيمي بصوت مرتجف: "أنا آسفة لأنني شككت فيك يومًا".

فقلت: "أنا آسف لأنني شككت *فيكِ*. أحبكِ يا إيمي، أحبك كثيرًا".

دخل أبي الغرفة حينئذ، ونظر لأسفل نحو كيت وهو يمشي وكأنه ينظر إلى شخص متشرد ينام على قارعة الطريق. لم أتوقع أن يبدو عليه الاندهاش؛ فقد كان يستمع بوضوح لكل شيء عبر جهاز التنصت المدسوس في الغرفة. فهز رأسه كأنه يشعر بخيبة أمل.

قلت: "تهانينا، يا أبي. دعني أخمن: مارجريت ستعينك رئيسًا للشرطة، ومايك جولدبيرجر سيكون نائبًا لك".

طرفت عينا أبي عدة مرات، وقد تحلى بالهدوء كعادته، وقال: "إذا كنت ستطلب مني الاعتذار عن الطريقة التي كنت أكفل بها عائلتي طوال هذه السنوات. فلن أعتذر".

"تكفل عائلتك من خلال الرِّشى والابتزاز؟".

"بني، أنت لا...".

"على حسب علمي، فقد ماتت أمي منذ سنوات وكل أولادك أصبحوا أشخاصًا بالغين. فمن بحق الجحيم الذي تكفله سوى نفسك؟".

لم يكن أبي يمزح، فهو لن يعتذر، ليس بسبب أنه لا يشعر بندم، بل لأنه لا يحب أن يُظهر الضعف.

مد أبي يدًا، وقال: "أنا...لم أرد أن تأخذ الأمور هذا المنعطف، لكن لم يفت الأوان بالنسبة لك، يا بني. لم يفت الأوان بالنسبة لنا. جولدي كان محقًّا؛ يمكنك الحصول على أية وظيفة تريدها في القسم، ويمكنك أنت وإيمي العيش معًا في سعادة".

ربما كان أبي سيحقق نجاحًا أكبر لو لم يقل جملته الأخيرة، وهي الكذبة المتعلقة ببقاء إيمي على قيد الحياة، لكن في أعماق نفسه، كان يعرف أنني - هذا إن كان يعرفني على الإطلاق - لن أتواطأ معه هو وجولدي، وهو ما يعني أن هذه الكلمات ليس القصد منها استمالتي، بل كانت مبررًا كي لا يشعر أبي بالذنب، حتى يمكنه أن يخبر نفسه قبل أن يقتلني - وبعد أن يقتلني، ولآخر حياته - أنه عرض عليَّ فرصة أخيرة.

تحركتُ مباشرة أمام إيمي، وأدرت ذراعيّ خلفي لأحيط بهما إيمي.

همست إيمي في أذني: "إنهما سيقتلانني في كلتا الحالتين، لكنهما لا يريدان قتلك. أنقذ نفسك، يا بيلي، وقل ما يجب عليك قوله".

همستُ قائلًا: "كلا". كنت أرتجف بشدة لدرجة أنني لم أقو على الكلام.

قال أبي: "إن باتي تحتاج إليك، يا بني. أنت تعرف مدى اعتمادها عليك. إنها تتكئ عليك دائمًا. لا تجبرني على فعل هذا، وانضم إلينا".

نظرتُ إلى عينيه نظرة صارمة. كان من المفترض أن أشعر بالخوف، لكنني بدلًا من ذلك لم أشعر بشيء سوى كراهية بحتة. فقلت: "مستحيل".

كان رأس إيمي مستقرًّا بين كتفي، وكنت أشعر بنبضات قلبها ترتطم بعمودي الفقري. كان جسدها بالكامل مخبأ خلف جسدي، وكانت ذراعاي خلفي يحاولان تطويقها.

همست إيمي: "أحبك كثيرًا"، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي قالت فيها هذه الكلمات. وفي هذه الأثناء، تحرك أبي نحو كيت والتقط المسدس من يدها الهامدة.

اقترب أبي وهو يحمل سلاح كيت، وبجانبه جولدي ممسكًا بسلاحي.

كان جولدي قد وضع الخطة بالفعل، والمبنية على نظرية العشيقة المنبوذة. وأدركت أنهما قادران على تنفيذها بنجاح - كيت تقتحم المكان والغيرة تعميها، فيحدث تبادل لإطلاق النار. لكن أبي - الذي يحمل سلاح كيت - سيتعين عليه أن يطلق النار عليَّ؛ فالقصة لن تكون مقنعة لو أطلق النار عليَّ من سلاحي.

رفعتُ يدًا من فوق إيمي ومددتها نحو هاتفي حتى لامسته، فتحركتْ عينا أبي نحوه.

قال أبي: "هاتفه"، لكن الكلام لم يكن موجهًا لي، بل لجولدي. كان هذا تذكيرًا بأنهما يجب أن يتخلصا من الهاتف، فإما أن يأخذاه معهما أو يحطماه إلى قطع صغيرة.

قال أبي: "ابتعد عن الفتاة يا بني. ليس من الضروري أن يكون كلاكما".

قلت مرة أخرى: "مستحيل!".

"تبًّا لك، يا بيلي. أهي تستحق كل هذا؟ أهي تستحق أن تكون مستعدًّا للموت معها؟".

نظرت في عيني أبي. هل عرف الحب يومًا - الحب الذي يتجاوز حبك لنفسك وتقدمك الوظيفي؟ لا أعرف، لكن تمنيت ذلك من أجل أمي. لن أعرف الإجابة المؤكدة أبدًا. كل ما أعرفه هو أنني وجدت إيمي، ولن أتخلى عنها أبدًا، ولن أستطيع العيش من دونها.

تحركت إيمي بسرعة إلى الجنب من ورائي لتفصل نفسها عني. مددتُ يدي نحوها، وأمسكتُ ذراعها محاولًا إيقافها، لكنها ابتعدت تمامًا من خلفي قبل أن أتمكن من منعها. كانت تفعل ما يريدانه حتى تسهل عليهما قتلها لكن دون قتلي.

نظرنا إلى بعضنا للحظة كانت مدتها بالمقاييس الفعلية لا تتجاوز ثانية واحدة، لكننا شعرنا بأنها كانت دهرًا. كانت عيناها تفيضان شجاعة وحبًّا.

قال جولدي: "اخلعي ملابسك، يا إيمي".

شرعت إيمي في تنفيذ ما طلباه منها. هذا سيجعل القصة أكثر إقناعًا - كنا معًا في الفراش عندما اقتحمت كيت الشقة. لم أكن أريدها أن تساعدهما، لكننا كنا نماطل ونتمسك بتلك الثواني الغالية، وكنت أحتاج إلى مصدر إلهاء.

هذا لأنه كانت لديَّ فرصة أخيرة، لكن احتمالية نجاحها ضعيفة جدًّا؛ فالطريقة التي كنت أجلس بها على السرير ورجلي الممدودة أمامي تجعل قدرتي على الوثب للأمام شبه معدومة، ولم يكن أبي أحمق لدرجة أن يقترب مني فأمد ذراعي وأنتزع المسدس منه.

لكن لم يكن أمامي أي خيار آخر، فشددتُ عضلات ساقيَّ وفخذيَّ، وحاولت نقل توازني دون أن ألفت الأنظار، بينما كانت إيمي تسحب سترتها عبر رأسها.

فكرتُ في ابنتي الصغيرة التي خطفها الموت مبكرًا، وكانت عيناها الملائكيتان ترمقانني بلمعانهما، فأخبرتها بأنني سأراها قريبًا.

ثم وضعتُ يدي على السرير، واستعددت للانقضاض. كانت هناك طريقة واحدة فقط لنجاح هذه الخطوة - كنتُ أعتمد على شيء واحد، وشيء واحد فقط.

كنت أعتمد على أن أبي لن تطاوعه نفسه في أن يطلق النار على ابنه.

الفصل
105

الحاضر

حدقت في الأرضية، بينما كان ستيلسون توميتا يجد صعوبة في إيجاد السؤال التالي. لم أكن أريد النظر إلى باتي، التي أمرها نائب المأمور بالجلوس.

ولم أكن أريد النظر إلى أبي أيضًا.

قلت: "لكن أبي لم يتردد. كان يعرف أنني سأنقض عليه، فأطلق النار عليّ قبل أن أنال تلك الفرصة. لا بد أن إيمي قد استدارت، على الأرجح، للناحية الأخرى بشكل غريزي، فتناثرت الدماء على ظهرها العاري، وكان هذا في صالحهما، حيث بدا المكان كمسرح جريمة مثالي".

مسحتُ وجهي، وكانت المحكمة غارقة في صمت مطبق.

ثم قلت: "أتمنى لو أنني مت حينها".

لكنني لم أمت.

قال ستيلسون بصوت مختنق: "وقتلا إيمي أيضًا".

أومأتُ بالإيجاب.

وفي النهاية - كما أخبرني الأطباء - توقف مخي وقلبي عن العمل لفترة قبل أن أعود إلى الحياة، لكنني لم أغب عن الوعي على الفور، فقد سمعتُ ما فعلاه

بإيمـــي. فــي تلك اللحظات، لم أستطـع رؤية شيء، لكن لسبب مـا، كان لا يزال بإمكاني أن أسمع.

قال جولدي: "إيمي. لا تزال أمامك الفرصة للخروج من هذا بأمان. سنقول إنهما أطلقا النار على بعضهما، وأنتِ مجرد ضحية بريئة".

قال أبي: "أعطنا الذاكرة الفلاشية، وسنمضي في طريقنا".

سمعـتُ صوتها كأنه يأتـي من بعيد ومكبوت وعبارة عـن همهمة منخفضة. سمعتُ إيمي تهمس في استماتة:

"اللهـم استجب لدعائنــا الذي نلتمس به رحمتك، وتقبل روح عبدك بيلي - الذي قضيتَ بمغادرته هذا العالم - في..."

"إيمي! انتبهي لنا وركزي. أعطنا الدفتر السري".

لكن إيمي لم تعد تصغي إليهما. فبينما كان هذان الوحشان يضيقان الخناق عليها ويتأهبان لسلب حياتها في أية ثانية، لم تكن إيمي تفكر في نفسها.

بل كانت تفكر فيَّ، وتدعو لروحي بالسكينة.

"نحن لا نريد أن نطلق النار عليكِ، يا إيمي".

لقـد توقفتُ عن الدعــاء بعد أن فقدت زوجتي وابنتــي. كنت قد ابتعدتُ عن الالتــزام الديني. لكن ها أنا ذا أدعو، من داخـل مخي المصاب، دعوت الله أن يأتــي مـوت إيمي سريعًا وبلا ألم. دعوتُ الله أن يأخـذ إيمي إلى جنته ويحيطها بكل الحب الذي تستحقه.

قــال أبــي: "إنهــا لــن تتحــدث. نسخة الدفتــر موجـودة هنا في مـكان ما، وسنجدها. لننه هذا الأمر".

لم أشعر بألم، ولم أشعر بشيء سوى بحب إيمي يحيط بي، وبالدفء ينتشر عبـر كياني. لم أشعر بملمس يدهـا أو بنفَسها على وجهي، بل شعرت بها ككيان واحد لا يتجزأ.

سمعتُ صوت الطلقة، والشهقة المروعة التي هربت من فم إيمي.

وبعدها لم أسمع شيئًا على الإطلاق.

نظـرتُ إلى ستيلســون تومينا بعينيـن مليئتين بالدموع، كمـا كان وجهي قد أغرقتــه الدموع تمامًا، ولـم أعد أستطيع التحدث، وضربـات قلبي تتسارع دون هوادة.

أنا الآن أشعر بإيمي، فهي تملأ كياني. إنه شعور أقرب ما يكون إلى الألم، لكنني لا أدعه يجرحني. فإيمي لم تكن لتريد ذلك، بل كانت تريد أن أشعر ببهجة حبها، وليس بالحزن.

لن أنساك ما حييت، يا إيمي. لكنني سأمضي قدمًا في حياتي لأنني أعرف أنك تريدين مني فعل ذلك. لكنك ستكونين دائمًا جزءًا مني.

تنحنح ستيلسون توميتا، ومسح عينيه.

ثم قال: "ليست لديَّ أسئلة أخرى، يا حضرة القاضي".

الفصل 106

تحركت "مارجريت القصوى" من طاولة الادعاء، متجهة نحوي، وعيناها مسلطتان عليّ والكراهية تملؤها. لقد انعقدت هذه المحاكمة من أجلي، وكنت أقاتل فيها من أجل إنقاذ حياتي، لكن الآن أصبحت المحاكمة تدور حول شيء آخر أيضًا، أصبحتْ تدور حول مارجريت أولسون، المرشحة الأوفر حظًّا في السباق الانتخابي لمنصب العمدة. إنها تقاتل أيضًا من أجل حياتها بكل الطرق الممكنة.

قالت وهي تحرك يدها في اندهاش مصطنع: "يا لها من قصة، يا سيد هارني. هذا كم كبير من المفاجآت! دفاتر سرية وتستر على جرائم! لكن دعني أستوضح منك شيئًا".

ثم توقفتْ على بعد قدم واحدة فقط مني، واستندتْ بيدها إلى الإطار الخشبي لمنصة الشهود، ومالت للأمام نحوي. فتخيلتُ أن لسان أفعى سوف يندفع من فمها وينتزع مقلتي عينيَّ.

كل ما يمكنني فعله هو أن أحاول كبت رغبتي في الاندفاع للأمام والقبض على عنقها بيدي. إن مارجريت لم ترتكب جرائم قتل، لكن طموحها وفسادها كانا جزأين من هذه الجرائم أيضًا. وهي تتحمل المسئولية بقدر أبي وجولدي.

"إيمي لنتيني ليست هنا لتأكيد شهادتك، أليس كذلك؟".

أخذتُ نفسًا عميقًا. أنا لا أزال في قاعة محكمة، ولا أزال أحاكم، لكنني أفكر في إيمي وما كانت ستريده في هذا الموقف بما يتماشى مع احترامها للقوانين والقواعد.

فقلت في نفسي: *حسنًا، يا مارجريت. يمكنني أن أنال منكِ دون أن ألمسك بأصبعي.*

أجبت مارجريت وأنا أمط الكلمات: "لا، إيمي ليست هنا".

"وكيت ليست هنا أيضًا، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"والآن بما أنهما ميتتان، يمكنك أن تقول عنهما ما تشاء، أليس كذلك؟".

"هذا رأيكِ".

"وأفترض أن اثنين من أفضل الضباط بقسم شرطة شيكاغو - كبير المحققين دانيال هارني، ورئيس مكتب الشئون الداخلية مايكل جولدبيرجر - من الممكن أن ...".

قلت: "أنا متأكد أنهما سينكران كل شيء".

لم تتوقع أن أتفق معها بهذه السرعة. فقالت: "عندما فتشت الشرطة مسرح الجريمة بعد ذلك، لم تجد أية أجهزة تنصت، أليس كذلك؟".

"لا؛ لأنه من السهل إزالتها".

"القصد هنا أنه لا توجد أدلة على كلامك، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح، يا سيدة أولسون".

أومأت مارجريت، وشعرتُ بقليل من الارتياح، وأنها سجلت بعض النقاط، وأنها تمكنت أخيرًا من الدفاع عن نفسها بعد أن جلستْ تتعذب على مدار الساعات الأربع التي أدليت فيها بشهادتي.

قالت: "ولم يعثر أحد على ما يسمى بالدفتر السري أبدًا، أليس كذلك؟ أعني أنه لا توجد أدلة على أن له وجودًا من الأساس، أليس كذلك؟".

نظرت بطرف عيني إلى أختي باتي الجالسة في الصف الأمامي، والتي كانت تضع وجهها بين يديها، لكن عند سماعها السؤال الأخير، رفعتْ وجهها، ونظرتْ إليّ خلسة عبر أصابعها المتباعدة فوق عينيها".

قلت: "ليست لدي نسخة من الدفتر السري، إذا كان هذا ما تعنينه. أعتقد أن النسخة الأصلية والذاكرة الفلاشية قد تم تدميرهما".

قالت أولسون: "يا لها من افتراضية ملائمة!".

"ليس بالنسبة لي".

"إذن، لا يوجد شهود ليدعموا كلامك، ولا يوجد دفتر سري ليثبت حكايتك!".

"هذا صحيح".

رفعت أولسون يدها عن منصة الشهود، والتفتت نحو هيئة المحلفين، ونحو مقاعد الحضور، ونحو المراسلين الذين كانوا ينشرون في تلهف تغريدات عن هذه المفاجآت الفاضحة المثيرة. ثم قالت: "إذن هذا الأمر برمته... هذه النظرية الكاملة التي أخبرتنا بها لا يوجد عليها دليل سوى *كلامك*".

ثم توقفتْ عن هذا الحد.

فتنحنحتُ وقلت: "لقد سجلتُ الأمر كله على هاتفي، يا مارجريت".

التفتت مارجريت نحوي نصف التفاتة، وكأنها كانت تخاف أن تواجه ما قلته للتو.

فأردفتُ: " تجيد أختي استخدام الهواتف الذكية، وقد ثبتت أيقونة على هاتفي، والتي تمكنني من بدء التسجيل من خلال الضغط عليها ضغطة واحدة، وقد ضغطتُ عليها لحظة دخول جولدي الشقة، عندما التفتت كيت بعيدًا عني للحظة. لمسة واحدة وبدأ التسجيل، وقبيل أن يطلق أبي النار عليَّ، لمستُ الأيقونة مرة أخرى لإيقاف التسجيل".

عادت مارجريت إلى طاولة الادعاء حيث كانت تتشاور مع فريقها، وقد أروها شيئًا في أحد الملفات، وكانوا يهمسون لها والانفعال واضح عليهم. وفي النهاية، نظرت مارجريت إليَّ، وقالت: "لقد تهشم هاتفك في غرفة النوم، وتم تدميره. ولم يتم استعادة شيء من هيكل الهاتف، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"أنت تعلم أننا بذلنا قصارى جهدنا لاختراق ذلك الهاتف، لكننا لم نستطع".

"أجل".

"وأنت لم تكن تستخدم التخزين السحابي، أليس كذلك؟ أعني تلك التقنية التي تتيح لك تخزين البيانات على الإنترنت؟".

"لا، أنا تقريبًا جاهل في استخدام الهواتف الذكية، ولم أكن لأتمكن من تسجيل أي شيء لولا الأيقونة التي ثبتتها باتي على هاتفي".

"إذن فهذا التسجيل الذي تخبرنا به لم تتم استعادته من هيكل الهاتف، وليس محفوظًا على الإنترنت".

"هذا صحيح".

ففردت محامية الادعاء ذراعيها في حركة مسرحية، وقالت: "مرة أخرى يا سيد هارني، ليست لديك أدلة على المزاعم التي أدليت بها اليوم سوى *كلامك*!".

نظرتُ إلى الصف الثالث في مقاعد المستمعين، ووقعت عيني في عين جريس، ابنة ستيوارت، والتي تفضلتْ مشكورة بالقدوم اليوم بعد أن اتصلتُ بها هذا الصباح. ابتسمت جريس لي ابتسامة عذبة. لقد توفي أبوها وصديقي العزيز ستيوارت قبل أن أسجل ما حدث في غرفة إيمي، ومع وفاة ستيوارت، وعدم تذكري أنني سجلت ما حدث في غرفة النوم. فلن يهتم أي شخص آخر بتفقد الصفحة المشتركة بيني وبين ستيوارت، وهي الصفحة التي كنت أرفع عليها كل نكاتي وعروضي الكوميدية بضغطة واحدة على الأيقونة. أنا بالطبع لم أهتم بتفقدها. ما الذي يجعلني أرغب في سماع مجموعة من نكاتي القديمة؟ ولم تهتم جريس أيضًا؛ إذ لا توجد ذكريات لأبيها على تلك الصفحة. فهي لم تكن تحتوي إلا على بعض الملاحظات المرحة القصيرة، وأحيانًا بعض العروض الكوميدية في المقهى والتي لا تتجاوز مدتها بضع دقائق. كانت الصفحة تخصني أنا وستيوارت، ولا شخص آخر.

وهكذا، وطوال هذا الوقت، كان التسجيل الصوتي منشورًا على صفحة فيسبوك الخاصة بنا.

أعتقد أن جريس كانت تستمتع بحقيقة أن أباها - حتى بعد موته - استطاع أن يمد لي يد المساعدة عندما احتجت إليها. كان الاحساس نفسه ينتابني أيضًا، وكنت أشعر بوجوده - ذلك الرجل الذي شدَّ من أزري بينما كانت ابنتي تحتضر، ذلك الرجل الذي شعرتُ خلال الفترة القصيرة التي عرفته فيها بأنه بمثابة أب لي أكثر من أبي الحقيقي.

ثارت جلبة في قاعة المحكمة عندما ذكرت التسجيل الذي رفُع تلقائيًّا على صفحتنا أنا وستيوارت على فيسبوك؛ فقد علم المراسلون وهيئة المحلفين أنهم قريبًا سيحصلون على هذا التسجيل، وسيتمكنون من الاستماع إلى ما حدث في غرفة النوم لحظة بلحظة.

ولا حاجة لذكر الصدمة التي أصابت مارجريت أولسون وجولدي وأبي عند سماع هذه المعلومة.

الفصل 107

"**بعد فرز الأصوات في ٢٧٪ من الدوائر في الانتخابات الخاصة بمنصب** العمدة ، فإن محطة "دابليو جي إن" تتوقع أن يكون مفوض المقاطعة ستيفان موراليس هو أول عمدة لشيكاغو من أصل لاتيني ...".

بينما كنا واقفين في غرفة المعيشة نشاهد التليفزيون، تبادلنا - نحن الأشقاء الأربعة لعائلة هارني- التهاني ورشفنا جرعة احتفالية من الشراب، لكننا لم نتبادل الابتسامات. وعلى مدار الأسابيع الثلاثة الماضية، لم نكن نبتسم كثيرًا، بل كنا نبكي ونتجادل وننكر ونتساءل وننتحب ونوجه اتهامات ونتعانق.

كان المذيع يقول: "... هذا وقد سقطت مارجريت أولسون - المدعي العام لمقاطعة كاونتي، والمرشحة الأوفر حظًا في وقت من الأوقات - سقوطًا مدويًا بحلولها في المركز السادس".

لم تكن خسارة مارجريت في الانتخابات مفاجأة كبيرة؛ فهذا ما أظهرته استطلاعات الرأي. من الصعب أن تدير حملة انتخابية همك الأول فيها هو أن تقنع الناس بأنك لم تقتل ولم تبتز أحدًا. لكن مارجريت تستحق الإعجاب، لأنها تحلت بالشجاعة وأكملت الحملة من الأساس بعد محاكمتي وانتشار التسجيل الصوتي.

"... لم يكن السبب هو محتويات التسجيل الصوتي وحسب، يا مارك. فأنا أعتقد أن الذي قضى على أولسون هي أنها لم تأخذ رد فعل على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية منذ ظهور التسجيل، ولم ترفع دعاوى قضائية ضد رجلي الشرطة المتورطين في هذا التسجيل".

"... إنني أتفق مع ليندا، يا مارك. فأنا أرى أن الناخبين يعتقدون أن مارجريت أولسون تماطل في إجراء تحقيق آخر حتى اليوم، ولديها أمل أن إنكارها سيكون كافيًا لفوزها بالانتخابات".

"لنعد إلى كيم بينز، وهي أحدث العضوات المنضمات إلى البرنامج. أنتِ كنتِ الصحفية الأقرب إلى وقائع هذه الفضيحة، يا كيم. ما تعليقك؟".

نظرت كيم إلى الكاميرا، وكانت تبدو متأنقة وجميلة، وقد حصدتْ فوائد كبيرة من معاناة الكثيرين.

قالت: "أعتقد أنكم جميعًا محقون إلى حد ما. أعتقد أن مارجريت أولسون كان لا يزال لديها أمل في الفوز بالانتخابات، لكن ما السبب الحقيقي وراء عدم اتخاذها أية رد فعل بشأن التسجيل الصوتي على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية؟ ما السبب الحقيقي لذلك؟".

قلت: "لأنها أرادت أن يهرب أبي وجولدي".

قالت كيم: "أعتقد أن مارجريت رغبت في أن يهرب الشرطيان دانيال هارني ومايكل جولدبيرجر. لقد أرادت أن يفر الاثنان خارج البلاد، وكان هذا ممكنًا طالما أنهما ليسا متهمين في جرائم. أرادت مارجريت أن يهرب الاثنان حتى لا تكون هناك أدلة ضدها سوى تسجيل صوتي غامض. هي لم تكن تريد الفوز في الانتخابات وحسب، بل كانت تريد تجنب الحبس أيضًا".

مررت باتي يدها عبر شعرها ونفثتْ هواءً كأنها تنفخ بالونًا. هناك دوائر سوداء بارزة تحت عينيها. كانت أختنا هي الأكثر تحطمًا بيننا فيما يتعلق بخيانة والدنا. فأيدن وبراندون لم يكونا بالقرب نفسه الذي كانت عليه باتي من أبيها، ولم يسيرا على نهجه ويصبحا رجلي شرطة أو حتى ظلا في شيكاغو. وأيًّا كان الحزن الذي يشعران به، فقد تحول إلى رغبة في مساعدة باتي. هذا أشبه بالحال عندما يموت أحد الوالدين فيتحول تركيز الأولاد بالكامل نحو الآخرين المتبقين على قيد الحياة.

ولذلك اعتبرنا باتي بمثابة مشروع لنا؛ فكان أيدن ذو العضلات المفتولة يحاول أن يصارعها أو يرفعها من أقدامها، الأمر الذي كان يضحكها لكون التصرف صبيانيًّا للغاية، أو لكونه يذكرها بطفولتنا، واستخدم براندون دعاباته الفظة التي استمتعت بها باتي دائمًا. واتفق ثلاثتنا بشكل ضمني على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية على أن نظل بجانبها، وأن نتناوب مراقبتها طوال الوقت. كانت هذه مهمتنا، والتي أفادتنا أيضًا كمصدر إلهاء؛ حيث إن التركيز على حزن شخص آخر أسهل من التعامل مع حزنك.

وضعتُ يدي على كتفها، وأخفضت رأسي كي أنظر مباشرة في عينيها. أردت أن أقول لها: *سنجتاز هذه المحنة وكل شيء سيكون على ما يرام*، لكنني لست مضطرًّا لقول هذا. فهناك تواصل من نوع خاص بين الإخوة التوأم، وهو تواصل لا يمكن وصفه بكلمات.

لقد احتفظت أختي بالكثير من الأسرار وفعلت الكثير من الأشياء، ولكن كل هذا من أجل حمايتي. هل استمتعت باتي بذلك في وقت من الأوقات لأنه أشعرها بأنها أقوى مني ولو لمرة واحدة في حياتها؟ لأنها كانت الشخص الذي يقدم المساعدة، وليس العكس؟ أنا متأكد من حدوث هذا، لكن هذا لا يغير من حقيقة أنها ساندتني. كانت تعتقد أنني الشرطي الفاسد، أنني "هارني" المقصود في الدفتر السري، وكانت تعتقد أنني ارتكبت أربع جرائم قتل - ومع ذلك وقفت بجانبي. نحن عائلة، وسنظل كذلك دائمًا.

همست باتي: "إلى أين تعتقد أنهما ذهبا؟". كان السؤال موجهًا إليّ، وليس إلى أيدن أو براندون.

هزرت كتفي، وقلت: "وهل هذا مهم؟".

كان من المفترض أن يكون المقطع الصوتي الذي سجلته - والذي بالمناسبة تم تشغيله إلى الآن أكثر من ثلاثة ملايين مرة على صفحة أنشأها المحامي ستيلسون على موقع فيسبوك - دليلًا كافيًا كي تقبض مارجريت على أبي وجولدي، لكنها ماطلت، ورفضتْ التعليق، وتذرعتْ بالحجة القديمة "هناك تحقيق جارٍ في الأمر". وكأن كيم بينز كانت تقرأ أفكاري، حيث سمعتها في التليفزيون تقول: "لقد تلكأت مارجريت لتعطي دانيال هارني ومايكل جولدبيرجر فرصة للهرب، وسوف يكون من الصعب رفع قضية على مارجريت

بنـاءً على التسجيل الصوتـي. فـإذا كان الشاهدان الأساسيـان يأخذان حمام شمس على شاطئ في أمريكا الجنوبية، فعلى الأرجح أنه لن تتم مقاضاتها".

ونجحت الخطة، فبعد أيام قلائـل من ظهور التسجيل الصوتي، اختفى أبي وجولـدي. وقـد اختارا ليلـة الجمعة حيث ينتهـي عمل الأسبوع ولـن يلحظ أحد اختفاءهما في العمل.

تصرف ذكي. دائمًا ما يتصرفان بذكاء.

رمقتنـي باتي بنظرة طويلة، ثم أخذتُ نفسًا عميقًا وأطلقته. ربما يكون هذا هو التواصل الغريزي بين التوأم، لكنني شعرتُ كأن عبئًا أزيح عن كاهلها.

قالت: "أنت محق، لا يهم إلى أين ذهب أبي، فهو اختفى في كل الأحوال".

صـاح أيدن: "يا رفاق، كفاكم تهامسًا في أمـور جادة. حان وقت أخذ عناق جماعي".

كان أيـدن ضخمًـا بما يكفي ليضمنـا جميعًا إلى صدره. وقـد بدا على باتي الامتعاض، لكنها فرحت بهذا العناق، وأنا أعرف هذا.

انضممنـا نحن الإخوة الأربعة إلى بعضنـا في عناق حار. وفي تلك اللحظة، شعـرتُ كأننا عدنا أطفالًا نلهو في الفناء الخلفـي لمنزلنا عندما كان كل شيء بسيطًا، والمستقبل ممتدًّا بلا حدود.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل
108

نـادى حاجـب المحكمـة: "قضيـة الولايـات المتحـدة ضـد مايـكل ليونـارد جولدبيرجر. قضية الولايات المتحدة ضد دانيال كولينز هارني".

لقد سهلت مارجريـت أولسون الهرب على أبي وجولدي، لكن هناك مدعين عامين آخرين في المدينة يرتـدون شارات فيدرالية؛ فمكتب المدعي الأمريكي يحـب مقاضاة رجـال الشرطة المحليين، ومـن المستحيـل أن يتخلوا عن هذه القضية.

عثـر عمـلاء فيدراليـون على أبـي وجولدي فـي مدينــة بلايا ديـل كارمن بالمكسيك، وترددت أقاويل بأن الضباط ركلوا الباب، فوجدوا أبي يهم بالهروب من نافذة الحمام، بينما كان جولدي مختبئًا تحت السرير.

دخل جولدي وأبي قاعـة المحكمة من باب جانبي، مرتديين بدلتي السجن البرتقاليتين، ويرافقهما ضبـاط فيدراليون، وأيديهما مقيدة بالأصفاد. أخذت باتي نفسًا سريعًا، وكذلك أنا.

كان جولـدي قـد حلق شعـره بالكامـل وأطلق لحيـة صغيـرة. وألقى نظرة فاحصة سريعة على القاعة قبل أن يدخل.

أمـا أبي فكان لون شعـره مختلفًا، فقد صبغه بلون أحمر فاتح، وهذه على ما أتذكـر أول مـرة أرى خصلة غير مهندمة من الشعر علـى وجه أبي. كانت عيناه

داكنتيـن للغاية كأنه يرتدي قناعًا، وكانت كتفـاه محنيتين وكأنه حرفيًا ينكمش تحت وطأة الظروف الحالية.

الضرر لم يكن جسديًا وحسب، بل إن عينيه ظلتا موجهتين إلى الأرض، وأبي لم يدخل في حياته غرفة وعيناه تنظران لأسفل، بل كان كبير المحققين دانيال هارني يسير مرفوع الرأس دائمًا، ويتباهى بنفسه كرمز للسلطة والأخلاق.

سـرت قشعريرة في جسدي، وشعرتُ بأن أبي قد اختفى بالفعل، مثلما قالت باتي. فأمسكتُ يد باتي وضغطتُ عليها.

همسـت باتـي: "لا تشعر بأسـف عليـه". كان كلانا يقاوم ذلـك الإحساس الغريـزي. أبـي هو من جلب كل هـذا لنفسـه، ويستحق كل لحظة مـن التدهور والإهانـة والخزي التي يعانيهـا. لكنه لا يزال أبانا، ولا يـزال من دمنا، وسنظل مرتبطين به للأبد. هذا ليس زرًّا تضغط عليها فينتهي كل شيء.

أردت أن أسأله: *كيف طاوعتك نفسك على فعل ذلك؟ كيف طاوعتك نفسك على إطلاق النار على ابنك؟*

كنـت أريد بشـدة أن أفهم هـذا، أن أرى الأشياء من منظـوره. أعرف أنني أحلـم بشيء مستحيـل. لا يوجد مبرر. لقد حظيتُ بطفلـة لثلاث سنوات فقط، لكننـي كنت مستعدًّا لفعل أي شيء من أجلها. كنت مستعدًّا لأتلقى رصاصة بدلًا منها.

لماذا يا أبي لم تشعر بالعاطفة نفسها تجاهي؟

"حضرة القاضـي، نظرًا لاحتمالية الفرار الواضحة والفساد وجرائم القتل التـي يواجه المتهمان بسببها عقوبـة الإعدام، فإن الحكومة تطلب عدم الإفراج عنهما بكفالة على ذمة القضية".

أعتقـد أن أحدهمـا - إن لم يكن كليهما - سيتقـدم بطلب لتخفيف العقوبة مقابل الاعتـراف، وسيتخلى كلاهما عن مارجريت. يروق الضباط الفيدراليون الإيقـاع برجـال الشرطـة المحليين، لكنهـم يعشقـون النيل مـن السياسيين المحليين. أيًّا كانت الصفقة التي ستُعقد، وسواء كان الذي سيعقدها جولدي أم أبـي أم كلاهما، فإنهما سيقضيان بقية حياتهما في السجن، لكن يمكنهما تجنب عقوبة الإعدام، وربما تتاح لهما إمكانية اختيار سجنهما.

وقـف أبي وجولدي أمام القاضـي، وظهراهما لنا. ها هما رجلان منهزمان منكسران يستمعان إلى محامييهما وهما يعبران عن غضبهما من اقتراح رفض الإفراج بكفالة، لكن القاضي على الجانب الآخر بدا راضيًا عن الاقتراح، فطلب حبسهمـا على ذمة القضية دون كفالة، ليعلن بعدهـا انتهاء الجلسة بضربة من مطرقته.

وهكذا انتهى الأمر سريعًا، واقتيد أبي وجولدي من قاعة المحكمة. استغرقت الجلسة بأسرها أقل من عشرين دقيقة، ونادى الحاجب القضية التالية.

اندفع المراسلون الصحفيون خارج المحكمة، ومرت صحفية منهم بجانبنا، وكانـت بالفعل تمسك هاتفها وتتصل بجريدتها، ثم قالت في الهاتف: "لا توجد كفالـة. سيحبسان حتى انعقـاد المحاكمة؛ ما يعني أن هذيـن الرجلين لن يريا ضوء النهار مرة أخرى".

صدمتنـي أنا وباتي الطريقـة التي قالت بها الصحفية ذلـك. أبي سيقضي بقية حياته في سجن فيدرالي.

كان كلانـا هادئًا يحـاول استيعاب الموقف بينمـا كان الجميع يندفعون من قاعة المحكمة، لأظـل أنا وباتي وحدنا في النهاية. بدت القاعة غريبة على هذا النحـو، وهي من دون قاضٍ ولا محامين ولا مستمعين. فصـارت أشبه بشجرة عارية في الشتاء.

قالـت باتي: "انظر إلى الجانـب الإيجابي، فما حدث سيوفـر علينا الهدايا التي كنا نشتريها في عيد الأب".

نظـرتُ إليها مندهشًا، ثـم انفجرتُ ضاحكًا، ولا تسألنـي عن السبب؛ إذ لا توجد طريقة متعارف عليها للتعامل مع هراء مثل هذا. أنا وباتي أمامنا مستقبل حافل بالسـراء والضراء، وسنقابل أوقاتًا حالكة. كلانا تغير ولن يصبح أبدًا ما كان عليه. لكننا لا نزال معًا، ولا نزال صامدين، وسنظل عائلة واحدة.

الفصل 109

دخلتُ مقهى هوول إن ذا وول، الذي كان بمثابة بيت ثان لي فيما مضى، وعند دخول المكان، شعرت بالاستغراب لأسباب عديدة، منها أنني هنا بدون كيت، التي كانت شريكتي وصديقتي لمدة طويلة، وأكثر من هذا الفترة قصيرة. ستظل مشاعري تجاهها وذكرياتي عنها معقدة. لقد صعّبتْ الحياة عليّ في النهاية، لكن قلبها كان في المكان الصحيح، حتى لو لم يكن عقلها كذلك. ما كان يجب أن ندخل في علاقة معًا، ما كان يجب أن نخترق ذلك الجدار. فهذا تسبب في إرباك كل شيء، وصعّب علينا رؤية ما كان يحدث حولنا. كانت كيت تستحق أفضل مما حدث لها.

كانت باتي تجلس على كرسيها عند المشرب، ورمقتني بنظرة سريعة عند اقترابي منها.

سألتني: "كيف حالك؟".

هززتُ كتفيَّ، وقلت: "أنا رجل شرطة مستنزَف، وذو مستقبل غامض".

فأشارت بأصبعها إليَّ بينما كانت ترفع مشروبها، وقالت: "لكنك لا تزال رجل شرطة".

بدت باتي سعيدة بأنني خرجتُ من هذه المحنة سالمًا. إن باتي تعيش دائمًا بمشاعر مختلطة، لكن في نهاية المطاف، كانت تساندني دائمًا. هل استمتعت باتي بما حدث ولو للحظات لأنها كانت الشخص الذي يقدم المساعدة وليس العكس؟

بالتأكيد حدث هذا. لكن في نهاية المطاف، ما الفارق الذي يحدثه هذا؟ المهم أنها تقف بجانبي دائمًا متى احتجت إليها.

كان سوش يرتدي قميص فريق هاوكس لكرة السلة، وقد بدا أنه استغرق في الشراب، لدرجة أنه كان بالكاد يستطيع الوقوف. مال سوش نحوي حتى كاد يسقط، ووضع ذراعه حول رقبتي، وغمغم لمن يسمعه - وفي الحقيقة لم يكن أحد يسمعه - قائلًا: "هذا الرجل هو أفضل رجل شرطة عرفته".

فقلت: "أنت رجل صالح، يا سوش"، ثم وقعت عيناي على عينيّ شخص آخر.

فسارت باتجاهي، وعلى فمهما ابتسامة خجولة، وكانت تنظر إلى الأرض.

قلت: "مرحى، مرحى، كيم بينز بنفسها. أنا لا أصدق عيني".

رفعتْ بصرها إليَّ، وزادت ابتسامتها بهجة، وقالت: "أعتقد أنك سمعت بما حدث لمارجريت".

"بالطبع سمعت". فجولدي هو من اعترف عليها، أما أبي فمنعته كبرياؤه من الاعتراف بأي شيء، لكن جولدي استسلم - ساومه مكتب التحقيقات الفيدرالي برفع عقوبة الإعدام عنه، فاعترف على مارجريت، وقد قبض عليها الضباط الفيدراليون في مركز ديلي منذ أربع ساعات.

قالت: "تهانينا".

رفعتُ حاجبي وابتسمتُ بتكلف.

وكزتني بكوعها، وقالت: "أنت لم تعد غاضبًا مني، أليس كذلك؟".

وضعتُ يدي على صدري، وقلت: "غاضبًا؟ ولِمَ أغضب منكِ؟ هل لأنك كنتِ تحصلين على تلك الصور بشكل أسبوعي من مارجريت أولسون، ونسيتِ أن تذكري ذلك، على الرغم من أن هذا كان سيبرئني؟".

هزت أصبعها نحوي، وقالت: "كنت أمارس حقوقي وفق ما يمليه قانون حرية الصحافة الأمريكي".

قلت: "حقًّا؟"، ثم ملتُ نحوها، وأردفت: "سأخبرك بشيء يا كيم. ربما سنتقابل أنا وأنتِ في زقاق مظلم يومًا ما، وحينها سأمارس حقوقي وفق ما يمليه قانون حيازة الأسلحة".

إنها تستحق ما أعنيه، وهي تعرف ذلك. هل تبالي كيم بأحد؟ لقد أعادت هذه القضية بناء مسيرتها المهنية، وأعادتها إلى شاشات التليفزيون، وصار ينتظرها مستقبل عظيم.

قالت: "حسنًا. لكن إذا تغير توجهك يومًا، لديك رقمي. هذه المرة ستكون خارج نطاق العمل".

ثم رمقتني بنظرة مثيرة أخيرة، وانصرفت.

هل غازلتني كيم للتو؟

أيًا كان قصدها، فأنا لن أقترب من تلك الأسلاك الشائكة. لقد اعتزلتُ النساء المحفوفات بالمخاطر.

ليس مرة أخرى.

ليس لبضعة أسابيع على الأقل.

الحقيقة أنني - في هذا الشأن تحديدًا - عالق في مرحلة غريبة. لقد عادت ذاكرتي، ما يعني أن مشاعري تجاه إيمي قد عادت، وأنا أتذكرها وأشعر بها وبمدى عمق حبي لها أكثر من أي وقت مضى.

لكنني أشعر بأن هذه حياة أخرى، وكأن إيمي ذكرى دافئة محبة لكن دون أن تفطر قلبي. أشعر بأنني أبدأ من جديد الآن، على صفحة بيضاء، من أجل الأشياء التي تستحق.

كان المكان مليئًا بوجوه مألوفة، لكنني شعرتُ بأنها غريبة على نحو ما. كانت هناك إيماءات ونظرات خاطفة. لم يكن أحد يعرف كيف يتعامل معي. فالفضيحة التي هزت القسم سيتردد صداها لسنوات، وهذا بسببي. ولقد اختفى ثلاثة من رجال الشرطة البارزين: كيت وجولدي وأبي، وسيتم ربطهم جميعًا بي بطرق مختلفة. أنا لم أتحول لشخص منبوذ، ولا يستطيع أحد أن يلومني على أي شيء حدث، لكنني سأظل رمزًا للكارثة. سأظل العربة المتبقية من قطار صار حطامًا.

وقعت عيناي على الملازم بول ويزنويسكي. كان جالسًا إلى إحدى الطاولات، ويتناول كأسه وفي فمه سيجار غير مشتعل. عندما تلاقت أعيننا، توقف، وأخرج السيجار من فمه، وأخذ نفسًا عميقًا.

سيظل ويزنويسكي دائمًا شخصًا أحمق، معتدًا بنفسه، لا يطاق، لكنه ليس شرطيًّا فاسدًا. كنت أعتقد أنه كذلك، وكان يعتقد *أنني* كذلك، وكان كلانا يرفع التقارير إلى جولدي، رئيس مكتب الشئون الداخلية، وكان جولدي يتلاعب بنا ويجعلنا ننقلب على بعضنا بعضًا كأننا دمى في يده.

أومأتُ إلى ويزنويسكي، فأومأ بدوره. لن نكون صديقين مقربين أبدًا، لكنَّ هناك مكانًا لكلينا في القسم.

بعد ذلك، وجدت نفسي أصعد المسرح وأمسك بالميكروفون.

فتحت الميكروفون، وحدقت في الجالسين. مضت لحظات قبل أن تخفت الأصوات تمامًا، ليحل محلها صمت يبعث على التوتر. كانت الأعين كلها مسلطة عليَّ، على الفنان الكوميدي الذي اعتادوا الهتاف باسمه.

قلت مفاجئًا نفسي: "أنا فقط أريد أن أكون شرطيًّا مرة أخرى - هذا كل ما أردته يومًا. هل لديكم مشكلة في هذا، يا رفاق؟".

فجاوبني الصمت.

لم يكن لديَّ شيء آخر لأقوله، فهممتُ بوضع الميكروفون، لكنني سمعت شخصًا يصفق بين الجالسين.

ثم صفق شخص آخر، ثم انضم آخرون لهما. كان صوت التصفيق يرتفع تدريجيًّا.

وسرعان ما وقفوا جميعًا على أقدامهم وهم يهللون ويصفقون. لم أكن أتوقع هذه الحفاوة، لكنني حصلت عليها.

لا أعرف إذا كنت سأعود إلى ما كنت عليه قبل حدوث كل هذا، ولست متأكدًا من أنني أريد هذا. لكن ما أنا فيه الآن - غرفة مليئة برجال الشرطة الذين يخبرونني بأنني عدت واحدًا منهم مرة أخرى - هو شيء جيد بالنسبة لي في الوقت الحاضر.

قلت وأنا أرفع يدي لتهدئة الأصوات: "لن أستطيع المكوث طويلًا، حيث سأقابل مارجريت أولسون لأحتسي معها شرابًا بعد قليل".

أعجبتهم المزحة، وانفجروا ضاحكين. من حسن حظي أن نصفهم لا يطيق مارجريت القصوى، وبقيتهم غائبون عن الوعي لدرجة أنهم لا يمكنهم حتى تهجي أسمائهم.

قلت: "أنا أمزح، لكن يجب أن أقول إن حياتي العاطفية مزدهرة هذه الأيام لدرجة أنني أخلط بين أسماء كل تلك النساء التي أتودد إليهن. أتعرفون ما يجب أن أستخدم...؟".

نظرتُ إلى الجالسين.

ثم قلت: "يمكنني استخدام دفتر سري".

فتعالت الضحكات والصياح.

قلت: "لقد كنت أبحث في كل مكان عن دفتري السري، وسأقع في ورطة كبيرة إن لم أعثر عليه".

نبذة عن المؤلف

جيمس باترسون، هو صاحب الرقم القياسي العالمي لموسوعة جينيس ريكورد لأكثـر كاتب تصدرت كتبــه قائمة صحيفــة *نيويورك تايمز* لأكثــر الكتب مبيعًا، وبيعــت من روايته أكثر من ٣٥٥ مليون نسخة في جميــع أنحاء العالم. ولأنه من المناصرين الدءوبين لقوة الكتب والقراءة، ابتكر جيمس سلسلة كتب للأطفال، تحــت اسم جيمي باترسون، ذات مهمــة بسيطة: "نحن نريد من كل طفل انتهى مــن قراءة أحــد كتب جيمي باترسون أن يقــول: **أرجوكم أعطونـي كتابًا آخر**". وكذلــك فقد تبرع جيمســ بأكثر من مليون كتاب للطلبة والجنود، وموَّل أكثر من ٤٠٠ منحــة دراسية للمعلمين في ٢٤ كلية وجامعة، كما تبرع بملايين الدولارات للمكتبات المستقلة ومكتبات المدارس، كما يستثمر باترسون بعضًا من عائدات كتبه في مبادرات دعم القراءة.

ديفيــد إليس قــاضٍ بمحكمة استئنــاف إيلينوي، ومؤلف لتســع روايات، منها *Line of Vision*، التي فاز عنها بجائزة إدجار آلان بو، ورواية *The Hidden Man*، والتي ترشح عنها لجائزة لوس أنجلوس تايمز بوك.

مكتبة
t.me/t_pdf

telegram @t_pdf

رواية

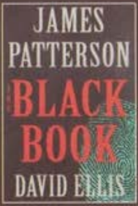

ثلاث جثث في غرفة نوم جميلة وفاخرة... دفتر أسود مفقود... لم يسبق للقتل أن كان أكثر خطورة من ذلك مطلقًا.

لديَّ مفضلاتي بين الروايات التي ألفتها. وتتصدر قائمتي الروايات التالية: السفاح الخفي، *Kiss the Girls, 1st to Die, Honeymoon* . ومع كل رواية من هذه الروايات صاحبني شعور جميل حينما انتهيت من كتابتها. أما بالنسبة لهذه الرواية - الدفتر الأسود - فأعتقد أنها أفضل عمل كتبته في الأعوام الخمسة والعشرين الأخيرة.

أقدم لك بيلي هارني، ابن كبير المحققين في شيكاغو، وقد وُلد ليكون ضابط شرطة، وليس هناك شيء لا يمكنه التضحية به لصالح عمله، ثم تأتي إيمي لنتيني، مساعدة للمدعي العام للولاية والمصرة على أن تصنع لنفسها اسمًا مرموقًا - بإثبات أن بيلي لا يمثل نموذج ضابط الشرطة الفذ الذي يدعيه.

تقود جريمة مروعة المحققين إلى أحد البيوت المشبوهة التي يتردد عليها أكثر شخصيات شيكاغو نفوذا. هناك الكثير من الأدلة في مسرح الجريمة، ولكن المهم هو الشيء المفقود: الدفتر الأسود.

"إبداع في نسج الغموض. وتصاعد الأحداث مشوق ومثير".

— مجلة كيركوس ريفيوز (مراجعة متميزة)

"مليئة بالمفاجآت المثيرة... فالإيقاع، وتصميم الحبكة، ورسم الشخصيات مثالي".

BookReporter.com —

"قصة نُسجت حبكتها ببراعة...

سيتفق الكثير من القراء مع باترسون على أن هذه الرواية هي أفضل ما كتب خلال 25 عامًا".

— ببلشرز ويكلي (مراجعة متميزة)

لقراءة النبذات المختصرة والمعلومات عن المؤلف، زر الموقع الإلكتروني
JamesPatterson.com

لمزيد من المعلومات عن
إصدارات السلسلة بالكامل
زوروا موقعنا على شبكة الإنترنت
www.languageshome-eg.com
languages home بيت اللغات الدولية

ISBN 978-977-827-023-5
9 789778 270235